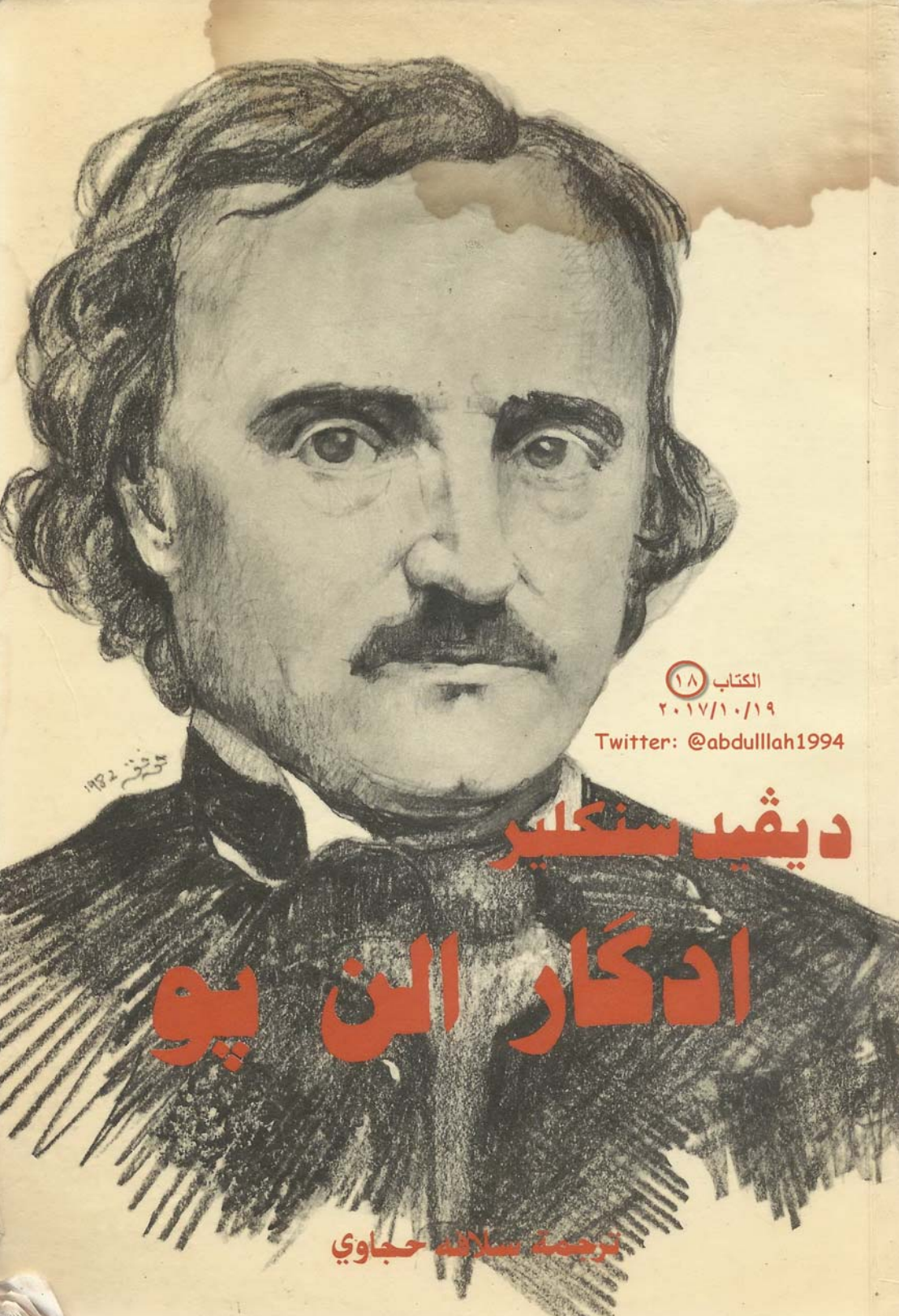

الكتاب ١٨
٢٠١٧/١٠/١٩
Twitter: @abdulllah1994

ديفيد سنكلير

ادگار الن پو

ترجمة سلافة حجاوي

ادغار ألان بو

تأليف : ديفيد سنكلر

ترجمة : سلافة مجاوي

Twitter: @abdulllah1994

دار
الرشيد للنشر

منشورات وزارة الثقافة والاعلام — الجمهورية العراقية

١٩٨٢ — سلسلة الكتب المترجمة (١١٩)

Twitter: @abdulllah1994

EDGAR ALLAN POE

BY

DAVID SINCLAIR

J.M. Dent and Sons LTD.

London, 1977

Twitter: @abdulllah1994

المحتويات

الصفحة

مقدمة المؤلف

الأميركي القلق ٩

الفصل الأول

مسرح كل العالم ١٩

الفصل الثاني

العالم الجديد والقديم ٤١

الفصل الثالث

مولد شاعر ٦٣

الفصل الرابع

تعلم الطريق الصعب ٨١

الفصل الخامس

الجندي الجيد بيري ١٠٧

الفصل السادس

ورطة الضابط ١٣١

الفصل السابع

لقاء الأهل ١٦٧

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثامن
العودة الى فيرجينيا القديمة ١٩٥
الفصل التاسع
شيطان الخمرة ٢١٩
الفصل العاشر
العروس الطفلة ٢٤٣
الفصل الحادي عشر
أحابيل القدر ٢٦٩

الفصل الثاني عشر
الأنحدار ٢٩٥
الفصل الثالث عشر
حرب الكلمات ٣١١
الفصل الرابع عشر
شؤون القلب ٣٤٣
الفصل الخامس عشر
المأساة الأخيرة ٣٧١
خاتمة ٣٩١

Twitter: @abdulllah1994

لقد تم اكتشاف أميركا ، ولم يتم اكتشاف بو ، تلك هي حقيقة الحال . كيف عاش هناك ، هذا الفنان الأشد روعة من الفنانين الرائعين ، هذا المفطور على أرستقراطية الكلمة ؟ واحسرتاه ! انه لم يعيش هناك ، لقد مات هناك ، وتم الغاؤه في حينه كسكير وفاشل ، رغم أن السؤال يبقى فيما اذا كان قد شرب طيلة حياته حقاً بقدر ما يشرب الأميركي الناجح اليوم خلال ستة أشهر ، ودونما أي تعليق

جورج برنارد شو
« ذا نيشن » ـ ١٩٠٩

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

مقدمـــة

الأميركي القلق

هناك شيء من إدغار ألان بو في كل واحد منا ، شيء كامن في أعماق نفوسنا يتجلى في هلعنا البالغ من المجهول . الخوف من الظلام ، الهلع من الجنون ، النفور من الفناء ، وذلك الأحساس الممض بالعجز أمام الموت ـ كل هذه المشاعر التي نحاول الأغلاق عليها في اعماق اللاوعي ، انما يلمسها بو بأبرة تدق في العصب ، فنحن نستطيع أن نرى في حكاياته كوابيسنا وقد طفت على السطح عرضة للتحليل والعقلنة . ومع ذلك ، فإن تعرفنا على حقيقة مخاوفنا ، لا يقلل من حجمها بأي حال ، ذلك لأن بو يواصل الدفع بنا نحو حافة وعي أكبر وأشد هولاً . فهذه الكوابيس ليست الّا عربات تنقلنا في رحلة الى أبعد اغوار ذواتنا الخاصة . ولعل السر في انشداد الناس الى بو ، في هيمنته على قرائه الذين يتقبلون بأستعداد تام قصصه وشخصياته الخيالية ، ويصدقون ما يمكن أن يتضح بأنه مجرد خدعة كبيرة فيما لو

Twitter: @abdulllah1994

أخضع للتفحص الموضوعي ، هو في حقيقة أن بو يقودنا نحو حدود ذلك الخوف الانساني العميق ، خوف اكتشاف الذات . فشخصياته انما هي أحلك الرؤى في نفوسنا ، والحالات التي يمرون بها إنما هي نسيج اسوأ تخيلاتنا .

أدرك بو بحدس الشاعر (اعتبر نفسه دائماً شاعراً رغم اننا عرفناه على نحو أفضل ككاتب لأكثر القصص القصيرة تأثيراً وملازمة للنفس في اللغة الأنجليزية) . ان الأنسان قادر على مواجهة أي شيء بأستثناء مواجهة نفسه . فالانسان انما يعلن بسرور مسؤوليته عن مظاهر قوته ونجاحه ، ولكنه يلقي اللوم على الله والحظ والنجوم والأقدار والطبيعة والمصير والشيطان أو أي شيء آخر لدى عجزه عن مواجهة مكامن ضعفه وجهاً لوجه . كان بو نفسه ، بإشفاقه المرضي على ذاته وجنون اضطهاد الذات والكرامة المهانة ، واعتماده المؤسي على الآخرين قد ارتكب ذنب إلقاء تبعة كل ذلك على الآخرين: فقد اعتبر نفسه ضحية قدر رهيب شأن بطله في قصة « سقوط منزل آل أشر ». غير انه أحس في ذات الوقت أنه لا بد من وجود منافذ للهروب : ربما من خلال قوة الفكر التحليلي (مثل رجل التحري دوبان في « عمليات القتل في رومورغ » وقصص أخرى أو مثل لوغراند الذي حل أحجية « الحشرة الذهبية ») أو بأي شكل من أشكال تحرير الروح التي عبر عنها في بعض قصائده ، أو من خلال الحصول على قدر كبير من الثروة وتوظيفه لخدمة السعي نحو « الجمال » كما هو الحال في « ملكية آرنهايم » . غير أن بو لم يرحل بعيداً عبر هذه المنافذ الاّ في مخيلته ، ولذلك ، فإن شخصياته التي لا تنسى حقاً إنما هي تلك الشخصيات الحبيسة ، شأن مبدعها ، في جحيمها الخاص ، والتي تعكس الوضع الأنساني ، وإنما خلف تخوم التجربة الواعية .

Twitter: @abdulllah1994

إن موضوعي في هذا الكتاب هو جحيم بو الخاص ـ كيف وصل إليه ، كيف حاول الهرب منه ، كيف ابتلعه هذا الجحيم وكيف استطاع بو ان ينتصر عليه من خلال أعماله ، فقصة إدغار ألان بو هي إحدى المآسي العظيمة في عالم الأدب، فحياته كانت مروعة شأن أي من حكاياته . كان من جهة جمالياً كما عبر عن نفسه ، وكان وسيماً وعاطفياً وشاعراً رومانتيكياً محباً للجمال والمثل العليا ، غير أنه اضطر من جهة اخرى أن يقضي حياته في فقر وعذاب ومرض ، وأن يموت « فاشلاً » ، في نظر معاصريه . ومع ذلك ، فمن الذي لم يسمع الآن وبعد نحو مئة وثلاثين عاماً على موته ، بإدغار ألان بو ؟ فالناس في انحاء العالم كافة يحبون حكاياته ، وقد شكل العديد من هذه الحكايات مواضيع لأفلام سينمائية في غاية النجاح ، وقصائده تدرس في المدارس كما تم تلحين بعضها . لقد كتبت ملايين الكلمات عنه ، وكثيراً ما يشار إليه بأنه « عبقري » ، إن ذلك لأشبه بالقصة الكلاسيكية للرجل الذي يعيش خارج عصره ، للفنان الذي يلاقي الأحتقار بل والتجاهل في حياته ، ثم يتم الاعتراف به بعد موته . غير أن هذا لا يشكل الاّ نصف تاريخ إدغار ألان بو .

لقد كان من سوء طالع بو أن يولد في أميركا المهووسة بالديمقراطية والنمو الأقتصادي ، اللامبالية في ذلك الحين بما أعتبرته مظاهر حضارية هامشية كالثقافة والفنون . ربما يكون برنارد شو قد بالغ بعض الشيء حين قال في عام ١٩٠٩ ، بأن بو وويتمان هما « الرجلان الوحيدان اللذان ولدا منذ إعلان الاستقلال » والقادران بمرافعتيهما أن ينقذا أميركا من الهلاك في يوم الحساب،غير انه من الضعب أيضاً تجاهل حقيقة ما قاله رالف والدو إيمرسون من انه بين عامي ١٧٩٠ و ١٨٢٠ لم تنتج نيو إنجلند (المركز الثقافي للولايات المتحدة الناشئة)

Twitter: @abdulllah1994

أي كتاب أو مقالة أو حديث جدير بالذكر . وكان برنارد شو صادقاً كل الصدق في قوله بأنه قد تم الغاء بو في حينه كسكير وفاشل ، وبأن مواطنيه قد حاكموه وفق مقاييس النجاح التي كانوا يؤمنون بها ، فوجدوا أنه لم يمتلكها . ومع ذلك ، فالخطأ لم يكن خطأ أميركا وحدها ، بل كان خطأ بو نفسه أيضاً . فمواطن ضعفه الشخصي كانت كفيلة بتدميره حتى ولو حقق النجاح وفق مقاييس أميركا القرن التاسع عشر .

لقد كانت حالة بو الصحية إحدى معوقاته . فبعد أن تمتع في مرحلة شبابه المبكر بالصحة الوافرة ، أصيب بمرض عضال ما لبث أن خلف أثراً مدمراً على حياته ، خاصة وأنه اقترن بضعف آخر هو اتجاه بو للهرب من الواقع باللجوء إلى الكحول . أما مواطن ضعفه الأخرى ، فقد كانت نفسية ، حيث دفعه كبرياؤه إلى الاصرار على التشبث بصورة عن نفسه لم يكن هناك أي مجال لتحقيقها . لقد رأى بو نفسه إنساناً مهذباً ومثقفاً وبأن العالم مدين له بالتقدير والمساعدة والمكافأة ، وحين لم يحدث ذلك ، اصبح مريراً وكارهاً . وقد قاده كبرياؤه كذلك الى اخفاء حقيقه سنه (كي يبدو وكأنه معجزة) ، والى اضفاء اللمسات السحرية على حياته المبكرة بهدف اخفاء حقيقة خدمته في الجيش كجندي « متطوع »، حيث اعتقد بأن المجتمع الراقي لا يتقبل ذلك . غير أن مشاعر الكبرياء هذه لم ترق الى الحد الذي بلغه احساسه بالظلم والاشفاق على الذات ، وهو احساس قاده في بعض الأحيان الى الاستخذاء امام الذين يمدون اليه يد المساعدة او يمدونه بالمال . وفوق كل ذلك ، فقد كان هناك اعتماده المزري على نحو شبه دائم على النساء ، والذي يمكن ارجاع بعض أسبابه الى فقدان أمه في وقت مبكر وبحثه الدائم عن مثال الحب والجمال .

إن رجلا يمتلك مثل هذه الصفات ، ربما لا يكون مرشحاً للقب

Twitter: @abdulllah1994

« العبقري » ، غير أن بول قد امتلك مصادر قوة كبيرة الى جانب مواطن ضعفه . فهناك قبل كل شيء موهبته الأدبية الفطرية . وقد تضافرت هذه الموهبة مع جلده العظيم على مواصلة الكتابة رغم كافة المصاعب والأمراض والخيبة والاهمال الذي جابهه . غير أن مصدر قوته الرئيس انما يكمن في كفاءته الفذة في سبر اغوار اضطرابه العصبي وترجمة ذلك الى قصص تخطف الأنفاس . هل فعل بو ذلك بوعي تام أم لا إنما هو سؤال يخص عالم النفس وليس كاتب السيرة . أما انه قد فعل ذلك حقاً ، فلا أدل على ذلك من تلك المجموعة من الحكايات والقصائد التي تشكل انعكاسات مباشرة لحياة بو نفسه .

فلنأخذ مثلاً عاماً على ذلك . من الواضح في قصص « الرعب » التي كتبها بو وكذلك في العديد من قصائده أنه كان مسكوناً بفكرة الموت . ويمكن الاستنتاج بعد التعرف على حياة بو أن خضوعه لهذا الهاجس كان مبرراً . غير أن ذلك الهوس المرعب ما يلبث أن يأخذ شكلاً مختلفاً ومضموناً أكثر شمولاً واتساعاً لدى انتقاله من التجربة الفعلية الى عالم الأدب . يحاول بو أن يصل الى نوع من التفاهم ، لا بل الى نوع من الاتفاق مع الموت . فهو يتعرف على الصلة بين النوم والموت ، بين حالات الغيبوبة والموت ، بين العقل المشوش (المجنون) ، والموت ، وهي صلات يختص اليوم بها العلماء والأطباء والنفسانيون وخبراء الطب القانوني في خضم محاولاتهم لتعريف الموت في ضوء الامكانيات المذهلة والمشاكل المنبثقة من عمليات زرع القلوب والقدرة على الحفاظ على ما سمي بالحياة بوسائل اصطناعية ، والجوانب الأخلاقية للقتل الرحيم للذين يشكون من الأمراض المستعصية . ولعل السؤال السائد اليوم هو : هل الموت مجرد حالة من الأضطراب ؟ سأل بو هذا السؤال قبل قرن من الزمان .

Twitter: @abdulllah1994

فتحرياته الموغلة في اعماق مخاوفه وكوابيسه انما تشكل عن حق تعبيراً عن المشاكل التي شغلت العلماء والفلاسفة عبر التاريخ والتي ما زالت تشغلهم في وقتنا الحاضر . ذلك هو مصدر عبقرية بو .

لم يتعرف أحد في زمان بو وفي بلاده ذاتها على عبقريته . ولعل أول اعتراف بأهميته انما صدر عن فرنسا ، وذلك في أواخر ايام حياته حين قام بودلير بترجمة نثره بينما قام مالارميه بترجمة شعره (وقد تأثر بعد ذلك به غي دي موبيسان في مرحلته الأولى) . أما في انجلترا ، فأول من لفت الانتباه اليه إليزابيث باريت (إليزابيث باريت براونينغ لاحقاً) ، وتشارلس ديكينز ، وكان لا بد ان يمضي نحو قرن من الزمان قبل ان تكتشف أميركا بانها قد غفلت عن أول كاتب مبدع أميركي المولد . منذ إشراقة ذلك الفجر ، لم تدخر المؤسسة الأدبية الأميركية وسعاً للتكفير عن قصر نظر الأسلاف . ويبدو ان « المتخصصين ببو » قد قاموا حتى الآن بوزن وتشريح وتصفية وتقطير واخضاع كل كلمة قالها المسكين بو للاشعة وقياس درجة جاذبيتها . ورغم ذلك ، فإن تأثير الصيت السيء واللغط المغرض والانتقادات الفجة التي طالما أحاطت ببو ما زالت مستمرة حتى الآن . فالغالبية العظمى من الناس الذين يحبون حكايات بو وقصائده ، والذين لم يقرأوا أياً من الكتب الأكاديمية او الدراسات والمقالات ، ما زالوا ينظرون اليه كإنسان متهتك سكير معتوه بفعل المخدرات . إن غرضي هنا هو تصحيح هذه الصورة المشوهة .

لا يشكل هذا الكتاب سيرة أدبية أو نقدية ، كما لا يشكل محاولة لرد الأعتبار او تقديم الأعتذار عن شخص بو الذي يجدر القول عنه بأنه يستحق التبرير بنفس القدر الذي يستحق فيه الإدانة . إن ما يحتاجه بو حقاً هو التفهم ، اذ يجب أن لا يتم النظر الى بو على النحو الذي ينظرون اليه في اميركا ، أي بصفته فنانا لا بد من حمايته بحكم أهميته الأدبية .

Twitter: @abdulllah1994

كما يجب أن لا يتم النظر اليه كشخصية شاذة على نحو يدعو إلى اليأس ، وبأنه قد استطاع رغم ذلك ان ينتج عملاً ذا قيمة . لا بد من النظر الى بو كإنسان بكافة ما اعتمل فيه من عوامل ايجابية أو سلبية ، ثم التعامل معه كأنسان خضع لعذاب الاضطراب الداخلي والمصاعب الخارجية والحرمان . فبو لم يكن مجرد كاتب ، وإنما كان إنساناً ، وقد استطاع كإنسان ان يصبح الكاتب الذي هو . ربما يبدو ذلك وكأنه مسألة مسلمٌ بها ، غير أنها كثيراً ما اغفلت .

تحاول الفصول القادمة ان ترسم صورة لبو الأنسان ربما أكثر من بو الفنان . وقد اعتمدت في هذه المحاولة قدر الأمكان على أفكار بو التي عبر عنها في العديد من الرسائل التي تكشف عن مختلف جوانب شخصيته . وهو أمر شجعني على الاستفادة منها بغزارة على امتداد صفحات هذا الكتاب ، كما اعتمدت على مقاطع من كتاباته المختلفة بقدر ما تشكل هذه المقاطع مؤشراً مباشراً الى حياته ومشاعره . وقد وضعت نصب عيني وأنا أعد هذا الكتاب بان نتاج الأنسان ربما يمثل صورة لحياته ، غير ان حياة الأنسان لا تشكل بالضرورة صورة لنتاجه . فالكاتب ، كأي فنان ، إنما يقولب أفكاره وعواطفه وتجاربه وربما يحورها من أجل ان يحقق الأثر ، الذي يبتغيه في نتاجه . وكما قال بو نفسه ، « افضل ان أبدأ بتعيين الأثر ، بعد أن اختار الأثر غير المألوف أولا والمفعم بالحيوية ثانياً ، أتجه للتفكير فيما اذا كان من الأفضل ان اتعامل معه من خلال الحدث ام من خلال الأسلوب » . فالحياة نفسها لا تشرح النتاج ، كما إن النتاج نفسه لا يشرح الحياة . بل إن اقصى ما يمكن قوله هو أن الواحد منهما ربما يلقي ضوءاً على الآخر ، دون مساس بالفوارق القائمة بينهما .

يظهر في حالة بو تشوش آخر، هو التشوش النابع من حقيقة أن

Twitter: @abdulllah1994

بو قد اعتمد اعتماداً تاماً في معيشته على الكتابة ـ كان يكتب من اجل الحصول على قوته ، ولذلك ، فقد تطلب ذلك منه أن يكتب ما هو قابل للبيع . من هنا أصبح لزاماً على كاتب السيرة أن يقرر أي الأعمال هي المجسدة لذات الكاتب وأيها مجرد مادة لأستهلاك القراء . ليس من السهل دائماً العثور على ذلك الفارق ، بل إن الكثيرين من معاصري بو قد اتخذوا من حكاياته الزاخرة بالرعب دليلاً لتعزيز ما راج حول إدمانه على المخدرات وانحرافه ، وجنونه . لقد حاولت تحاشي مثل ذلك التشوش ،وأرجو أن اكون قد نجحت في التوصل الى رؤية متوازنة من شانها توفير فهم أفضل لبو ، وقدر أكبر من التمتع بأعماله . فعلى الرغم من أن كتابات بو لا تنسجم مع المضمون الأميركي العام ، الاّ انها مغمسة بالتراث الأوروبي وتتمتع بمصداقيتها على الصعيد العالمي .

إن فرز الحقائق من ذلك الحشد الهائل من الأقاويل التي نسجت حول بو ليس بالعمل السهل وقد مضى على وفاة بو ما يزيد على قرن وربع . فلقد كان بو نفسه ، كما قلت سابقاً مسؤولاً عن بعض تلك الوصمات الزائفة التي ألقحت به ، كما ان أول كاتب لسيرة بو قد لعب دوراً كبيراً في تعزيز تلك الشبهات من خلال الأكاذيب التي لفقها والتي بلغت حد تزوير الرسائل . فقد انطلقت الاشاعات فور موت بو ، وادعى الكثيرون من مروجي تلك الاشاعات بانهم كانوا على معرفة شخصية به في وقت لم يكن بو فيه موجودا لكي يدحض هذه الادعاءات . هكذا يمكن القول بأنه لا يمكن الأعتماد على صحة ما راج حوله من معلومات كما يستحيل نفيها جملة وتفصيلاً لأنها انما تشكل القرائن الوحيدة المتوفرة للكثير من الثغرات في قصة حياة بو . هناك الكثير من التساؤلات التي تتطلب الاجابة . ما هو المرض الذي أصاب بو وترك فيه ذلك الأثر السيء ؟ ما الذي دفعه الى قطع علاقته

Twitter: @abdulllah1994

بولي أمره الذي تبناه؟ لماذا تزوج من فتاة لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها ؟ ما الذي اوصله الى أحد ازقة بلتيمور حيث عثر عليه شبه فاقد لوعيه وقد لبس ثياباً ليست ثيابه ؟ اعتقد أن بإمعاني الأجابة على هذه الاسئلة،حيث يتحتم في بعض الأحيان ان يستخلص المرء الحقيقة ضمن النزر اليسير من المعلومات . غير أنني حاولت قدر مستطاعي ان أقلص مثل تلك الاحكام ، الى اقل قدر ممكن ، ولذلك فانا اعتقد بأنها صحيحة لأنها قد استخلصت ليس من الحقائق المتوفرة فقط ، وإنما من الطبيعة الأنسانية ومن شخصية بو بالذات .

لقد عانى بو من كتاب السيرة بنفس القدر الذي عاناه في حياته من المحررين النزقين والقراء . فلقد جعل البعض منه نموذجاً لا مثيل له ، وفرض البعض الآخر وصايتهم عليه بينما عمد آخرون الى التقليل من قدره ، ووصل الأمر بواحد على الأقل الى نسج الأكاذيب الصارخة حوله . لقد حاولت ان اقول الحقيقة كما رأيتها وبالقدر الذي عززته لي تصرفات بو وافكاره . لقد طرأ بعض التغير في نظرتي لبو خلال عملية البحث والاستقصاء التي قمت بها . فقد اعجبت دائماً باعماله ، غير انني كلما تعرفت عليه اكثر ، كلما بدت لي اخطاؤه اكبر حجماً ،وهو الأمر الذي اضطرني الى الأعتراف بأن بو كان مسؤولاً مسؤولية كبيرة عن المأساة التي عاشها . من جهة اخرى ، فقد اتضح لي بأنه كان مريض الجسد ، وبدرجة اقل مريض العقل . واذا ما عرفنا هذه الحقيقة ، فإن دهشتنا ستزداد ازاء قدرته على انتاج ذلك الأدب المثير للأعجاب . . هل يمكن القول بأن بو عبقري ؟ لدي شك في ذلك ، غير انني واثق من شيء واحد في الأقل ،وهو أن قدرة إدغار ألان بو على « رسم ذبذبات انحلالات روحه » كما وصفها د. هـ. لورانس ، إنما تجعل أمر إدراج بو في سجل الخالدين أمراً لا يحتاج الى تبرير .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الأول

مسرح كل العالم

في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٨١١ ، نشرت صحيفة الأنكوايرر الصادرة في مدينة ريتشموند بولاية فيرجينيا ، نداء مؤثراً بشأن ممثلة من أحب ممثلات المدينة جاء فيه :

إلى القلب الرحيم . في هذه الليلة ، تنام المسز بو على سرير المرض يحيط بها أطفالها . إنها تطلب مساعدتكم ، وربما تطلبها لآخر مرة . إن كرم جمهور ريتشموند لا يمكن أن يحتاج نداء آخر . لأجل التفاصيل ، يرجى الرجوع الى إعلانات اليوم .

استجاب جمهور مسرح ريتشموند بسخاء في تلك الليلة . غير أن جل ما فعلته النقود التي تم جمعها في الحفلة المخصصة لمنفعة المسز بو هو أن توفر لها في أيامها الأخيرة التي قضتها في نزل رخيص

Twitter: @abdulllah1994

الأجرة ، قدراً قليلاً من الراحة التي كانت ستحرم منها لولاها . ففي الثامن من كانون الأول ، ماتت المسز بو بالسل ، مخلفة ثلاثة اطفال : الأكبر وليم هنري الذي سيموت هو الآخر فريسة للسل وهو في الرابعة والعشرين ، والأصغر بنت إسمها روزالي ستعيش حتى ١٨٧٤ لكي تموت في بيت العجزة ، أما الأوسط ، فقد قدر له أن يعيش حياة البؤس والحرمان والمأساة ويصبح رغم ذلك أحد أعظم كتاب أميركا وأحدى الطاقات الأدبية في العالم ، انه الرجل الذي تعرفه اليوم باسم إدغار آلان بو .

ترك فقدان أمه قبل شهر واحد من بلوغه الثالثة من عمره ، أثراً كبيراً في حياة بو حيث سيسعى لنحو سبعة وثلاثين عاماً نحو استعادتها من خلال علاقاته بالنساء الأخريات ، ليس كأم فحسب وإنما كامرأة نموذجية وربة للحب والجمال . لقد لازمته ذكرى وجهها الشاحب الرقيق وحنانها الأمومي ، مولدة في أعماق نفسه إحساساً مرضياً بأن وجوده أنما يعتمد على العناية والود الأنثوي ، بينما ولد عذاب افتراقه عنها ـ وهو فراق سيتكرر في حياته بموت العديد من النساء اللواتي أحب ـ إحساساً مربعاً بأن الحب قاتل . فالرغبة في أن يحب وأن يكون محبوباً قد شكلت عنصراً مركزياً في حياة بو وأعماله ، غير أن تجربته قد قادته الى ربط الحب بالموت . كما إن التناقض بين رغبته في منح وتلقي العاطفة من جهة ، والرعب من القبر من جهة اخرى ، قد أيقظا في نفسه كوابيس مريعة أخلت بتوازنه العقلي ودفعت به دونما رحمة نحو الهلاك . تلك هي التركة التي جناها بو من جثة أمه .

غير أنه اذا كان الحب والموت قد شكلا قوى مسيطرة في حياة بو ، فهناك ما يقابلهما على نحو لا يقل قوة من شكاسة الطبع الذي تجسد في عجزه التام عن التصرف وفقاً لمصلحته الشخصية ، وهي

Twitter: @abdulllah1994

صفة ورثها عن أبيه الذي لم يكد يعرفه . فمن الصعب تجاهل الاستنتاج القائل بأن الأرث السيكولوجي الذي ورثه عن أبيه وأمه قد جعل مصير بو محتوماً منذ البداية .

كان اجداد بو من جهة أبيه قد هاجروا الى أميركا المستعمرة من كونتية كيفان المعروفة حالياً بالجمهورية الأيرلندية ، حيث كان الجد الأكبر ، ديفيد بو يعمل في الزراعة التي لم تستطع توفير حياة آمنة بسبب فقر الأرض ورطوبة الجو والبرد الشديد. وبعد موت ديفيد بو في عام ١٧٤٢ ، جهد ابنه الأكبر جون في كسب عيشه من زراعة القطن لسبع سنوات قرر بعدها البحث عن افاق جديدة في العالم الجديد حيث وصل الى بنسلفانيا مع زوجته واطفاله في عام ١٧٥٠ . مات جون بعد ستة اعوام مخلفاً عشرة اطفال . لا نعرف كيف دبر هؤلاء معيشتهم . وجل ما تم التوصل اليه هو أن الأبن الأكبر ديفيد ـ على اسم جده ـ قد مارس اعمالاً متفرقة ،وقد تم الاستدلال من اعلان كان قد نشره في صحيفة المدينة في عام ١٧٧٦ أنه كان يصنع دواليب الغزل وأشرطة الساعات وملفات خيوط النسيج . ظهر الأعلان المذكور في الثالث من حزيران ، وبعد شهر واحد صدر إعلان الاستقلال ، واندفع الناس للتطوع في الحرب الثورية ضد البريطانيين التي كانت قد اندلعت في ماساتشوزيتز في ١٧٧٥ ، وكان ديفيد بو جمهورياً عريقاً شديد الحماس للثورة على البريطانيين حيث استجاب فوراً لنداء جورج واشنطن وانضم الى كتيبة بلتيمور وأصبح نائباً لقائد المدينة العام وحصل في عام ١٧٧٩ على رتبة « رائد » . مارس ديفيد بو مهامه بكفاءة واخلاص ، وتشير رسالة كان بعث بها في ١٧٨٢ الى أحد قادة الجيش انه قد قام مرتين على الأقل بشراء المؤن من ماله الخاص وذلك « بدلاً من ارهاق المالية العامة التي سأناضل كما فعلت دائماً من أجل صيانتها . وسوف احاول

Twitter: @abdulllah1994

ثانية الحصول على العلف لئلا تفنى الجياد » . بل إن الجنرال لافاييت ، الحليف الفرنسي لجورج واشنطن، لم ينسَ حين زار بلتيمور بعد سنوات من انتهاء الحرب واحراز النصر ، أن يذكر « صديقي المفوض الوطني ، المستر ديفيد بو الذي كان يقيم في بلتيمور حين كنت هنا والذي لم يتردد رغم ضيق حاله في امدادي بخمس مئة دولارلمساعدتي على توفير ملابس للجنود ، كما إن زوجته قد قصت بيديها خمس مئة بنطلون واشرفت على خياطتها من اجل جنودي » . لم يلق الميجر بو من الحكومة الأميركية الجديدة جزاء وطنيته وتفانيه غير المعاملة الفظة ، حيث لم تفكر حتى في تعويضه عما بذله من ماله الخاص لتوفير مؤن المقاتلين. غير أن مواطني بلتيمور قد عبروا عن نخوتهم بإغداق لقب « الجنرال » على ديفيد بو كلقب شرف .

فالأرث الذي ورثه ادغار ألان بو هو إرث شريف قوامه المكانة المحترمة المبنية على الجد والشرف والعمل الشاق ، وذلك الى حين ظهور والده . لقد ولد ديفيد بو الصغير ، الأبن الرابع« للجنرال » في الثامن عشر من تموز ١٧٨٤ ، وتطور الى شاب وسيم ذكي فائق الأدب والسحر . ومع ذلك ، فقد حوت شخصيته روحاً متمردة وقدراً كبيراً من المزاج الكلتي البري حيث قاده ذلك وهو في الثامنة عشرة الى التخلي عن مهنة المحاماة الواعدة بالنجاح والاتجاه نحو حياة التشرد والعمل في المسرح ، وهو عمل اتضح بعد ذلك انه لم يكن ملائماً له . ولعل ما تمتع به والده من احترام ومركز مرموق قد شكل مصدر ازعاج للشاب ذي الطبيعة الرومانسية والروح التواقة للمغامرة . ولعل مشادات كثيرة قد نشبت داخل العائلة لأن ديفيد الصغير كان يفضل قضاء معظم اوقاته مستغرقاً في الأحلام بدلاً من الأهتمام بدروسه (وهي عادة سوف تخلق مشاكل كثيرة لولده ادغار) ، ولعله كان قد أخذ بالمسرح ، ومهما تكن

Twitter: @abdulllah1994

الدوافع ، فقد أدى ديفيد الصغير أول دور له فوق خشبة المسرح في مدينةتشارلستون بكاليفورنيا في الأول من كانون الأول ١٨٠٣ .

في عام ١٨٠٣ ، كانت المرأة التي سيتزوجها ديفيد بو فيما بعد قد اصبحت ممثلة ناجحة لامعة وعرفت باسم اليزابيث أرنولد هوبكينز . كانت اليزابيث قد تزوجت وهي في السادسة عشرة من احد زملائها في المسرح ، وكانت كما يقول المثل الأنجليزي ، امرأة « مولودة في حقيبة» . لا يعرف الاّ القليل عن والدها حيث يذكر بانه كان ممثلاً . يدعى هنري آرنولد ، وكان قد تزوج من ممثلة تدعى اليزابيث سميث في لندن وبأنها قد نجحت على المسرح حيث كانت تقوم بأدوار ثانوية في المسرح الملكي في كوفينت غاردن ، ثم ما لبثت ان قفزت الى موقع البطل الثاني في المسرحية الهزلية الأوبرالية « فتاة الطاحونة » في عام ١٧٩٥ . بعد نحو عام من ذلك التاريخ ، ظهرت اليزابيث سميث أرنولد مع ابنتها اليزابيث ارنولد في اميركا ، ولكن بدون زوجها الذي يبدو أنه قد مات . تأكدت ميزة امتلاك خلفية انجليزية في المسرح الأميركي لدى ظهور المسز أرنولد على مسرح بوسطن في شباط ١٧٩٦ في كوميدية موسيقية اسمها « حب في القرية » حيث كتبت صحيفة « ماساتشوزيتز ميركري » قائلة بحماس :

لقد سعدنا بجني ثمار الاستمتاع التام الذي سينعم به جمهور بوسطن بفضل قابليات المسز ارنولد . فقد اهتز المسرح بعاصفة لا مثيل لها من التصفيق لدى ظهورها لأول مرة ، ولم يبق قلب الا واحس بمواهبها ولم يبق لسان الاّ ولهج بمديحها ، ولم تبق يد الاّ وصفقت لها . ولم يكن ذلك التعبير عن الاستحسان من النوع الذي يخمد بعد انتهاء الأمسية ، فمواهبها قد اصبحت منذ تلك الليلة

Twitter: @abdulllah1994

محور كل حديث .

لقد غزت المسز أرنولد الى جانب قلوب رواد مسرح بوسطن قلب شاب يدعى المستر تبس ، وهو شاب مجهول شأن سابقة هنري أرنولد، ولا يعرف عن تبس هذا سوى انه كان قد جاء الى اميركا على نفس القارب الذي حمل المسز ارنولد وابنتها ، وبانه كان عازف بيانو ، وانه افتتح مسرحاً خاصاً بالعروض الموسيقية والغنائية في بورتلاند ، وبان المسز تبس (المسز ارنولد سابقاً) كانت الممثلة الأولى فيه . ولا نعرف فيما اذا كانت المسز ارنولد قد تزوجت المستر تبس في لندن وبانهما قد اخفيا ذلك الى حين قدومهما الى اميركا وبعد ان ضمنت موقعاً لها في المسرح الأميركي ، ام انهما قد تزوجا في اميركا او لم يتزوجا مطلقاً ، فكل ما يعرف عن تلك المرحلة هو ان ابنة المسز ارنولد ، اليزابيث ، قد بدأت عملها في مسرح المستر تبس في بورتلاند وهي في التاسعة من عمرها ـ لا نعرف تاريخ ميلادها بالضبط ـ بل انها ادت دوراً صغيراً قبل ذلك على مسرح بوسطن حين كانت امها في اوج نجاحها هناك . ويبدو أن اليزابيث كانت فتاة ناضجة وهي في سن التاسعة ، حيث ادت على مسرح تبس دور فتاة مراهقة تغازل ثلاثة شباب . وقد علقت صحيفة « الأيسترن هيرالد » على ذلك بقولها « يجب أن لا تحضر السيدات المسرح قبل التأكد من ان اذانهن سوف لا تجرح ثانية بمثل تلك الكلمات الفاحشة » ، ومع ذلك ، فقد اعترفت الصحيفة بان مواهب الآنسة آرنولد كممثلة انما تثير الأعجاب ، وكذلك « شبابها وجمالها وبراءتها وشخصيتها التي لم يظهر مثلها من قبل وربما لن يظهر ثانية في أي مسرح » .

اذا كان اهالي بورتلاند قد اعجبوا بالآنسة ارنولد ، فان هذا الاعجاب لم يكن ملموساً في صندوق العائدات ، حيث ما لبث المستر

Twitter: @abdulllah1994

تبس ان اضطر الى اغلاق مسرحه في كانون الثاني١٧٩٧ والانتقال مع زوجته واليزابيث الصغيرة الى تشارلستون ثم الى فيلادلفيا حيث يعتقد بان المسز تبس قد توفيت هناك بعد اصابتها بالحمى الصفراء التي اجتاحت المدينة في عام ١٧٩٨ مما اضطر المستر تبس الى اغلاق مسرحه الذي افتتحه هناك . بقيت اليزابيث الصغيرة في فيلادلفيا نحو اربع سنوات بينما اختفى أثر المستر تبس ، وربما يكون قد مات هو الآخر . وقد عملت اليزابيث خلال تلك الفترة في مسرح تشستنت واستطاعت بفضل مواهبها ومثابرتها على احتلال موقع مرموق بين الممثلين الرئيسيين ، كما تزوجت في ١٨٠٢ من ممثل هزلي ناجح يدعى تشارلز هوبكينز وانتقل كلاهما الى مدينة اليكسندريا الواقعة الى الجنوب من واشنطون من اجل الألتحاق بفرقة فيرجينيا .

كان موسم مسرح اليكسندريا قد اوشك على الانتهاء حيث عملا لمدة شهر واحد فقط لم تؤد إليزابيث خلاله غير ادوار الرقص والغناء . ولا يذكر شيء عن نشاطهما خلال الشتاء التالي سوى انهما طافا مع الفرقة في فيرجينيا لأقامة الحفلات الموسيقية ، ويبدو انهما لم يصادفا نجاحاً حيث علق احد الصحفيين على فرقة فيرجينيا بقوله « كان معظم اللاعبين متعبين ومملين ، الى اقصى حد » ، ثمة فجوة اخرى هنا ، وذلك الى ان نعلم بان المستر غرين ، مدير فرقة فيرجينيا قد انتقل بفرقته الى مسرح ريتشموند وتعاقد في صيف عام ١٨٠٤ مع المستر ديفيد بو الصغير .

كان ديفيد بو قد قضى ربيع عام ١٨٠٤ مع احدى الفرق في مدينة تشارلستون حيث لعب عدداً من الأدوار الرئيسة المذهلة في ضوء انه لم يكن قد تدرب على التمثيل.لقد ساعده على النجاح عدد من العوامل أهمها شكله الوسيم وأدبه الجم اضافة الى كونه أميركياً يمارس

Twitter: @abdulllah1994

مهنة طالما اعتبرت حكراً على الأنجليز . ولكن ديفيد بو واجه عدداً من المشاكل عبرت عنها صحيفة « تشارلستون كوريير » بقولها :

إنه خجول الى درجة مفرطة حيث أن خطأ ما في كلامه سرعان ما يفقده الثقة القليلة بنفسه . . يجدربه أن يتدرب امام بعض اصدقائه النصحاء كي يرشدوه الى الصواب اذا ما أخطأ .

ومع ذلك ، فقد ظهرت بوادر تغلب ديفيد على عقبته هذه ، حيث عادت « الكوريير » الى التعليق على دوره في مسرحية « ضجة كبيرة حول شيء تافه » ، قائلة : « اما وقد كان الشاب بو أقل خضوعاً لذلك الخجل الذي عطل قابلياته ، فقد لعب دور دون بيدرو بجدارة بعثت الآمال التي علقناها على تقدمه في المستقبل » ، ويبدو ان تلك الآمال العريضة والسمعة الطيبة هي التي حدت به الى السفر الى ريتشموند » .

بعد شهر من عمل ديفيد بو مع فرقة فيرجينيا في عام ١٨٠٤ ، انتقلت ادارة مسرح ريتشموند نتيجة نزاع ما الى تشارلز هوبكينز الذي ما لبث ان نفذ برنامجاً حافلاً من المسرحيات معتمداً في ذلك بدرجة رئيسة على زوجته اليزابيث وعلى ديفيد بو . وقد قضى الممثلون عاماً كاملاً في ريتشموند ثم قاموا بجولة في نورفوك وواشنطن وبلتيمور مسقط رأس ديفيد بو ـ ليس هناك ما يشير الى أن عائلة ديفيد بو قد تعرفت على ابنها المتلاف ـ . تدخل القدر في واشنطن حيث مات تشارلز هوبكينز فجأة في السادس والعشرين من تشرين الاول ١٨٠٥ ، وكان ذلك اول نذير بالمأساة التي سيتردد صداها مع مرور الايام والتي ابتدأت حين تقدم ديفيد بو في اذار ١٨٠٦ الى محكمة هنريكو بوثيقة

Twitter: @abdulllah1994

زواجه من اليزابيث ارنولد هوبكينز الذي كان قد تم قبل ذلك بثلاثة اسابيع . تلك هي بداية إرث ادغار ألان بو .

ينبثق هنا سؤالان : هل أحب ديفيد اليزابيث قبل موت زوجها ؟ وهل كان ذلك الزواج ثمرة حب ام مجرد رغبة من جانب الشابة الصغيرة اليزابيث لتامين ـ حماية لها في عالم مهنتها الشاقة في ذلك الحين ؟ حقاً لقد انتظرت الأرملة الشابة نحو خمسة اشهر قبل ان توافق على الزواج من ديفيد ، غير اننا نستطيع الاستدلال من طبيعة ديفيد الرومانتيكية على منطقية التروي وتوفير الوقت الكافي للتقرب من اليزابيث على نحو صحيح . فقد عاشت اليزابيث زوجة لهوبكينز لثلاث سنوات دون أن تنجب طفلاً بينما حملت بطفلها الاول فور زواجها بديفيد بو مباشرة حيث ولد طفلهما الاول في كانـون الثاني ١٨٠٧ . ربما لم يكن هوبكينز قادراً على انجاب الاطفال كما يحتمل بان حياة اليزابيث مع زوجها الأول قد خلت من العاطفة التي توفرت لها في زواجها الثاني ،لن نعرف الحقيقة،غير انه من المثير حقاً تخيل ذلك الشاب المقدام وقد أغرم بالممثلة الجميلة عن بعد الى حين موت الزوج ذي العاطفة الباردة ، الذي أفسح له المجال للتعبير عن عواطفه . ومن المثير أيضاً تخيل السعادة التي اكتنفتهما في اجواء ربيع فيرجينيا الساحر حيث ان المستقبل سوف يضن عليهما بمثل هذه السعادة .

عمل الزوجان خلال الاشهر الاولى من زواجهما في فيلادلـفيا ، ثم في مسرح صيفي في نيويورك ، واخيراً في بوسطن التي شهدت فيها ام اليزابيث اوج نجاحها وحيث ظهرت اليزابيث الصغيرة لاول مرة على خشبة المسرح . اقام الزوجان ثلاثة اعوام في بوسطن ، وهناك ولد ادغار في التاسع عشر من كانون الثاني ١٨٠٩ ،سوف يخفي ادغار لاحقاً

Twitter: @abdulllah1994

تاريخ ميلاده حيث سيلجأ أولاً الى زيادة سنة من اجل الالتحاق بالجيش تم يلجأ ثانية الى تقليله كي يضفي على نفسه سمة العبقري الذي انبثقت عبقريته في سن مبكرة . غير اننا واثقون من تاريخ ميلاده الحقيقي حيث وجد مكتوباً على احدى صفحات الكتاب المقدس الخاص بعائلة ألان التي ستتبنى بو في وقت لاحق . وقد ورد ذلك على النحو الآتي : « ولد هنري بو في الثلاثين من كانون الثاني ١٨٠٧ وولد ادغار ألان بو في التاسع عشر من كانون الثاني ١٨٠٩ » ، أما الدليل الآخر فقد ورد في صحيفة بوسطن الصادرة في التاسع من شباط ١٨٠٩ والتي جاء فيها : « نهنيء رواد المسرح بتماثل المسز بو بعد ان وضعت مولودها ستعود هذه الممثلة الشابة الساحرة للظهور على المسرح مساء الغد » ، ولعل مكان ولادة بو هو الذي لم يتأكد . فقد بقي هذا الأمرموضع إثارة على امتداد السنوات في ضوء ما أحاط بو من هوس اجتماعي حيث سرت الشائعات لمدة طويلة انه قد ولد في الشقة رقم ٣٣ من شارع هوليس ، بينما أبرز احد الاثاريين في عام ١٩٠٩ ، واسمه والتر واتكينز ، ما يثبت ان ديفيد بو كان قد استأجر بيتاً خشبياً في شارع كارفر في عام ١٨٠٨ وانه بقي فيه مع عائلته الى ما بعد مولد ادغار .

لم يستطع ديفيد واليزابيث البقاء طويلاً في بوسطن ، فقد تفاقمت مصاعبهما المالية منذ ولادة طفلهما الاول هنري ـ فقد عملت اليزابيت لمدة شهر واحد بعد الوضع ، وفي عام ١٨٠٨ خصصت لها حفلتان خيريتان لمساعدتها (كان نظام الحفلات الخيرية يقضي باقتطاع كافة تكاليف الحفلة وتسليم ما يبقى للممثلة) ، وفي الحادي والعشرين من آذار ١٨٠٨ كتبت صحيفة « بوسطن » :

اذا كان العمل الجاد يستحق التقدير والمساندة من

Twitter: @abdulllah1994

الجمهور ، فإن مواهب المسز بو سوف لن تضيع دون مكافأة . فلقد قامت بتمثيل عدد من الشخصيات يفوق ما ظهر على مسارحنا في موسم كامل ، وكثيراً ما اضطرت الى القيام بدور ثلاث شخصيات في ليلة واحدة ، وهي دائماً واثقة ثقة تامة من نصوصها وتستوعب دائماً ما يرمي اليه المؤلف استيعاباً تاماً . واضافة الى ما تحلت به المستر بو من جد ومثابرة ، فإن لها فضائل اخرى نابعة مما تتمتع به مواهبها من احترام ، فقد امتازت ادوارها العاطفية والمجونية بخصوصية شخصيتها الخاصة ، كما نجحت في الوقت ذاته في تمثيل الادوار المأساوية ، واتسمت مداركها على الدوام بالاتزان والقدرة الفطرية . اننا واثقون بان اهالي بوسطن لن يسمحوا لمثل هذه الموهبة ان تهان وان لا يكون نصيبها من الحفلة الخيرية غير الفقر والألم كما حدث بالنسبة لبعض الممثلين الآخرين .

غير ان الثقة التي وضعتها الصحيفة في جمهور بوسطن لم تكن في محلها . وقد اضطر المستر والمسز بو في نيسان ان يناشدا الجمهور بنفسيهما قائلين بانهما «يقدمان احترامهما لمدينة بوسطن وضواحيها ، ويرجوان السماح لهما بالقول بانه ازاء الفشل الذريع والخسارة الجسيمة التي جنياها من محاولاتهما السابقة ، فقد أقنعهما الأصدقاء بالتوجه مباشرة ومعاً الى الجمهور اعتماداً على الدوافع النبيلة والمساندة الكريمة التي طالما تميز بها جمهور بوسطن » . ولا بد من الاشارة الى ان الثغرة الكامنة في النظام الخيري هو اشتراط قيام الممثل بتعويض ادارة المسرح في حالة خسارته خلال الحفلة الخيرية .

هكذا بقيت عائلة بو فريسة للفقر والعذاب ، يعملان بجد من

Twitter: @abdulllah1994

اجل اطعام ولدهما هنري، بل واخيه ادغار الذي ما لبث ان رأى النور . وقد عادت اليزابيث الى المسرح بعد ان وضعت ادغار ، غير ان زوجها لم يكن موجوداً حيث كان قد رحل في جولة منذ العاشر من شباط من اجل جمع التبرعات . وقد ذكر أحد اقاربه الأغنياء ويدعى جورج ، وكان يقيم في ستوكيرتون في بنسلفانيا ، في رسالة بعث بها الى قريب آخر في السادس من آذار ان ديفيد قد لجأ اليه طالباً المساعدة . وقد تضمنت رسالة جورج هذا تفاصيل رسالة يعتقد بانها الرسالة الوحيدة التي كتبها ديفيد في حياته يقول جورج :

في المساء ، جاء ديفيد الى منزلنا ، وحين رأى احد خدمنا (لدينا خادمان) طلب اليه ان يستدعيني الى الباب ، قال لي بانه يعيش اشد لحظات حياته بؤساً ورجاني ان اذهب لمقابلته في الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي في مانش هاوس . ثم قال بأنه لم يجيء من أجل ان يستجدي ، ثم استدار بخطوة مأساوية وغادرني بعد ان كنت ودونما تردد قد وعدته بان ازوره . وعملاً بوعدي ، فقد ذهبت اليه في اليوم التالي ، غير انني لم أجده ، وانقطعت اخباره عني الى ان وقف ببابي صبي قذر قائلاً بان رجلاً في المشرب المجاور قد طلب منه تسليم تلك الرسالة اليّ والعودة بجواب ـ يجب أن انقل لك ما ورد في تلك الرسالة حرفياً لأجل ان ترى مقدار ما تضمنته من وقاحة :

« سيدي . . وعدتني بشرفك ان تقابلني في مانش هاوس في الثالث والعشرين ـ أعدك بشرفي انك اذا اقرضتني ثلاثين او عشرين او خمسة عشر دولاراً ، فسوف اعيدها اليك حال عودتي الى بلتيمور . ولكن ثق بأنني سوف

Twitter: @abdulllah1994

أفي بوعدي على الأقل على النحو الذي وفيت أنت فيه بوعدك ، وبأنه لم يكن هناك ما يمكن ان يجبرني على تقديم هذا الطلب الاّ اقصى الحاجة ـ ان ردك مع حامل هذه الرسالة سوف يثبت فيما اذا كنت ما أزال اتمتع بموقع في عينيك ، أم انني محتقر(كما اعتقد) من قبل قريب ثري بسبب انني قد التحقت حين كنت صبياً غراً بمهنة كنت وما زلت اعتقد بانها مهنة شريفة ، والتي اتمنى رغم ذلك ان اتخلص منها غداً لو كان ذلك سيرضي عائلتي ، شرط ان استطيع القيام بأي عمل يوفر لي الخبز ـ ان ادبك سوف يقنعك دون شك على الرد على هذه الرسالة المرسلة اليك من

د. بو الأصغر

يستمر جورج في رسالته قائلاً : « لا داعي لأخبارك كيف كان جوابي على تلك الرسالة الوقحة ـ فقد كان مجرد تأكيد بان لا يتأمل الحصول على أية مساعدة مني وخاصة بعد ان تسلمت مثل تلك الرسالة وبأنني لا ارغب في المستقبل ان اسمع اي شيء منه او عنه . . . هكذا وداعا لديفي » .

يتضح مما سبق ان العائلة لم تغفر لديفيد « الحاق الخزي بها » ، غير ان الاهم من ذلك هو موقف ديفيد نفسه . فلو افترضنا بان ما رواه بو بشأن تلك الرسالة صحيح ، فمن المؤكد ان ديفيد كان يتوقع رفض طلبه ، وأنه قد بعث برده على الرفض قبل تسلمه . فإن من يطلب المعروف في العادة لا يعمد الى استفزاز الشخص الذي يطلب منه المساعدة بعدم الألتزام بالموعد الذي حدده له . ربما يكون لكبرياء

Twitter: @abdulllah1994

ديفيد دور في ذلك . فلقد تحتم عليه ان يستجدي المال ، غير انه كان عاجزاً عن ممارسة ذلك العمل المهين على نحو صحيح . هكذا نراه وقد ذهب الى مشرب ليرفع ثقته بنفسه بعدد من الكؤوس وليصوغ تلك الرسالة الهجومية وهو يدرك تمام الأدراك بانها سوف تسبب الأزعاج للأنسان الوحيد القادر على مساعدته . سوف نجد ردة الفعل هذه متكررة على نحو فائق في تصرفات ادغار حيث سيجد نفسه مضطراً في كثير من الاحيان للاستدانة من اناس سبق وان اساء اليهم . وقد اطلق ادغار على ذلك صفة « روح المشاكسة » ، غير ان قابليته للاستجداء ما لبثت ان تطورت حين تقدم به السن .

عاد ديفيد بو الى بوسطن في نيسان ١٨٠٩ وهو أفضل حالاً من مغادرته لها . وفي أيار توجه مع زوجته واطفاله الى نيويورك املاً في الحصول على فرصة أفضل . غير انه سوف يتضح بان نيويورك هي التي سوف تدمر ديفيد وتحطم العائلة . لقد كانت سنوات بوسطن ناجحة من الناحية المهنية رغم عدم كفاية الموارد المالية . فقد كان الزوجان «نجمين» لامعين في مسرح المدينة ويقومان بأدوار رئيسة متعددة كأدوار لياريتز واوفيليا في مسرحية هاملت لجورج هوارد بين ـ Payne ـ . غير ان مسارح نيويورك كانت في ذلك الحين كما هي الآن ، ساحة شرسة تتصارع فيها الكفاءات والمواهب ويديرها نقاد يطالبون على الدوام بما هو أفضل وعلى غير استعداد للنظر بعين العطف على المحاولات الجريئة ان لم تكن ناجحة . وعلى الرغم من ان مؤهبة اليزابيث لم تكن بمستوى موهبة امها . الاّ انها قد امتلكت الجمال والسحر والطاقة . فقد اجادت الغناء والرقص واستطاعت القيام ببعض الأدوار الدرامية الصعبة ، ورغم انها لم تكن مؤهلة لكي تصبح ممثلة كبيرة ، الاّ انها قد تمتعت بالأنوثة الدافقة والقدرة على الاستمرار . لقد كان

Twitter: @abdulllah1994

المسرح في دمها . اما ديفيد فلم يكن اكثر من ممثل « واعد » او قابل « للتطور » اذا جاز لنا ان نصدق نقاده . نجح فيما سمي بادوار المراهقة والفروسية ، غير ان افتقاره للتدريب الحقيقي قد افقده القدرة على اتقان تقنيات الدراما ، اضافة الى انه واجه عقبة صوته ولفظه . بل كانت هناك فوق كل ذلك مشكلة خلقه ، حيث لم يستطع ان يتقبل النقد أبداً سواء كان ذلك موجهاً له ام لزوجته . وقد كتب محرر المجلة الأدبية «بوليانتوس» انه خلال وجوده في بوسطن « جاء ديفيد بو الى منزلي لكي يؤنبني على ما أسماه بوقاحتي ، غير انه اضطر للمغادرة دون ان يحقق غايته »، وكان نقاد نيويورك على استعداد دائم لاقتناص مكامن الضعف هذه واستغلالها على نحو جارح كما فعل احد محرري مجلة « الرامبلر » الذي وصف ديفيد بانه « لن يقدر له ان يلج الآفات السامية للدراما . . اقصى ما يستطيع ان يطمح اليه هو دور الخادم » ، وقد نجمت مشادة عنيفة حيث يبدو أن بو قد توعد محرر الرامبلر باستخدام العنف ضده ، مما دفع المحرر الى الكتابة ثانية :

> لقد قيل بأن هذا « السيد » قد استبد به الغضب بسبب ملاحظاتنا السابقة عليه ، وسواء كان ذلك صحيحاً أم لا ، فإن الشكوك التي تساورنا كبيرة ، لأننا لم نقل بالتأكيد غير الحقيقة ، وقول الحقيقة من شأنه ان لا يغضب أحداً . واذا كان هذا هو الحال ، فنحن حقاً آسفون جداً ، ذلك لأنه بفضل ما يتمتع به من « شخصية خاصة » و « مركز مهني » رفيع ، سيكون احد آخر الاشخاص الذين يمكن أن نسيء اليهم . إننا مدينون جداً لصديقنا هذا . . . في ضوء الكثير مما سمعناه عن « روحه » *

---

* كلمة «سبيريت» Spirit ـ تعني بالانكليزية «روح» و «كحول» وقداتعمد المحور استخدامها .

Twitter: @abdulllah1994

يبدو واضحاً ان المحرر قدتعمد الأشارة هنا الى ادمان ديفيد على الكحول ، وقد ادرك القراء ذلك التلميح ، خاصة وانه الحقها بقصيدة باللغة الفرنسية عنونها بـ : Sur un Poe de Chambre وختمها بقوله :

أبوه كان ابريقاً
وأمه جرّه
وجدته « ربعيّة » !

لم تكن هذه الاتهامات كما يبدو دونما أي أساس ، فكثيراً ما اشارت صحافة نيويورك الى غياب ديفيد عن المسرح بسبب « توعكه » ، وهي كلمة مجاملة درجت المسارح على اطلاقها على الممثلين السكارى . بل تعرض ديفيد لهجمات صحافة نيويورك عدة مرات وتورط معها بمشادات وهو في حالة سكر .

وسواء كان ديفيد بو سكيراً ام لا ، فقد ظهر لآخر مرة على المسرح في الثامن عشر من تشرين الأول ١٨٠٩ ، اي قبل نحو تسعة اشهر من مجيء ولده الثاني . بل كان ذلك ، كما أعتقد ، آخر ظهور له في أي مكان ، اما اليزابيث فقد بقيت في نيويورك لغاية تموز ١٨١٠ حيث كانت تزاول عملها بانتظام وبنصيب جيد من النجاح ، ولم يرد أي ذكر لزوجها خلال تلك الفترة بحيث ساد الأعتقاد بانه ربما قد مات . غير أنني لا اؤيد ذلك الاستنتاج بسبب انه لم يتم العثور على اي تسجيل لوفاته في المدينة خلال تلك الفترة ، وأرجح بانه قد رحل عن المدينة بعد ان غلب عليه اليأس وخاب امله بالمهنة التي اختارها بكل اصرار وحطمه صراعه مع الفقر والفشل .

ولعل العثور على حقيقة مصير ديفيد بو في تلك الفترة أمر في غاية الأهمية ، خاصة وان جون ألان الذي سيتبنى ادغار فيما بعد، قد

Twitter: @abdulllah1994

استغل اختفاء ديفيد وقيام اليزابيث يوضع طفل ثالث ، للأيحاء بان ادغار انما جاء من سلالة فاسدة . غير أن هذا الأمر سيتعلق بمعرفة التاريخ الحقيقي لميلاد الطفل الثالث الذي هو روزالي .

ففي شهر آب ١٨١٠ ، كانت اليزابيث قدعادت للظهور على مسرح ريتشموند بعد ان غادرت نيويورك . ليس ثمة ما يشير الى وجود زوجها معها ، وكان آخر ظهور له على المسرح ، كما أشرت ، هو في تشرين الأول ١٨٠٩ . لا بد وان يكون ديفيد قد بقي مع زوجته حتى ربيع ١٨١٠ على أقل تقدير اذا كان هو حقاً والد روزالي واذا كانت روزالي قد ولدت حقاً في العشرين من كانون الأول ١٨١٠ . غير ان تاريخ ميلاد روزالي مبني على دليل غير قاطع حيث قيل بانه قد وجد مسجلاً في إنجيل عائلة ماكينزي التي تبنت روزالي بعد وفاة امها في ريتشموند في ١٨١١ ، بينما فقد الأنجيل المذكور ولم يعثر على أية صورة او نسخة للتسجيل الوارد فيه . أما تاريخ ميلاد كل من هنري وادغار بو ، فقد سجلا في انجيل عائلة ألان ونقله ابن شريك الان في العمل وهذا التسجيل محفوظ حالياً في متحف فالينتاين في ريتشموند . لا يتوفر مثل هذا الدليل القاطع بالنسبة لروزالي ، يمكن ان يكون تاريخ ميلادها ، المذكور صحياً حيث انقطعت المسز بو عن الظهور على المسرح في ريتشموند لمدة شهرين في اواخر عام ١٨١٠ رغم عدم ذكر ولادتها لطفل جديد ، حيث يمكن أيضاً ان يكون سبب انقطاعها هذا نوبة من نوباتها المرضية خاصة اذا ما علمنا بانها سوف تموت بعد عام من ذلك الحين بمرض السل .

انني أميل الى الاعتقاد بان روزالي قد ولدت قبل ذلك التاريخ المذكور ، فبين الخامس عشر والثالث والعشرين من كانون الثاني ١٨١٠ انقطعت المسز بو عن العمل في نيويورك بسبب اغلاق المسرح

Twitter: @abdulllah1994

الذي كانت تلعب فيه ، ويمكن الافتراض بانها قد وضعت طفلتها في ذلك الحين دون ان يثير ذلك انتباه الصحافة بسبب اغلاق المسرح ، واذا ما افترضنا ان تاريخ ميلاد روزالي هو بين كانون الثاني وشباط من ١٨١٠ ، فهذا يعني ان المسز بو قد حملت بطفلها في نيسان او ايار من ١٨٠٩ ، وهي الفترة التي عاد فيها ديفيد الى بوسطن بعد غياب استمر نحو شهرين ، هكذا يمكن القول بانه اذا كان ديفيد لم يمت في ربيع ١٨١٠ ، فمن المؤكد انه قد ترك العمل لعدة اشهر ، ويرجح المرء بان ذلك التعطل قد خلق وضعاً سيئاً بحيث تستبعد فكرة مجازفة اليزابيث بانجاب طفل آخر ، اما في الربع الأول من السنة السابقة ، فإن بهجة لقاء الزوجين بعد فراق دام شهرين ربما تكون قد تكللت بحمل اليزابيث ، خاصة وان الزوجين كان يخططان في تلك الفترة للانتقال الى نيويورك وفي مخيلتهما آفاق المجد والثراء .

ربما يكون ما أوحى به جون ألان من ان روزالي ليست ابنة ديفيد وأن اليزابيث قد تركت نيويورك قبل الولادة من اجل تفادي الفضيحة أمراً صحيحاً . غير ان هذه النظرية تفترض القبول بتاريخ ميلاد روزالي في العشرين من كانون الاول ١٨١٠ ، غير انني أميل الى الاعتقاد بان التاريخ الذي ذكرته اعلاه هو الأقرب للصواب وذلك للأسباب التي تم ذكرها ، حيث اعتقد بأن ديفيد قد استسلم نهائياً للحصار الذي شنه عليه نقاد نيويورك ثم ولى الأدبار بعد ان اكتشف بان هناك فماً جديداً لا بد من اطعامه ، وهناك ما يعزز رأيي هذا ، وهو رسالة كتبها مؤرخ من ريتشموند يدعى صموئيل مردكاي في الثاني من تشرين الثاني ١٨١١ ، يشير فيها الى مرض المسز بو ويقول بانها « قد تشاجرت مع زوجها وافترقا » . ليس هناك ما يبرر الأفتراض ، كما فعل بعض كتاب السيرة السابقين ، فان الشجار والفراق قد حدثا في وقت قريب جداً من تاريخ

Twitter: @abdulllah1994

الرسالة المذكورة ، وذلك لأن المؤرخ إنما يشير الى ذلك الحادث على نحو عابر وكمعلومات اضافية عن المسز بو . لهذا أرجح بان جون آلان قد عمد الى ترديد الاشاعات اذ ادعى ان روزالي طفلة غير شرعية وذلك بهدف القاء الشكوك حول شخصية ادغار ، وهو هدف كان ألان يشعر انذاك بانه محق فيه .

غير ان اليزابيث بو ، وبغض النظر عن مصير زوجها ، قد استقبلت لدى عودتها في صيف ١٨١٠ الى مسرح ريتشموند بالترحاب ، كما تشير احدى الرسائل التي نشرتها صحيفة « الأنكوايرر » في الحادي والعشرين من تشرين الأول من ذلك العام :

« إنه لمن الأجحاف ان يضن بالثناء على ممثلة تمتلك ذلك القدر الكبير من القدرة على الامتاع وذات مواهب كبيرة ومهارة في الأداء . ان مجرد القول بانها تشكل ثروة ضخمة للمسرح سيسيء الى مواهبها ويغمط حق مشاعر الجمهور . . . فمنذ اللحظة الاولى التي ظهرت فيها على خشبة المسرح ، استقبلت بالتصفيق الحار اعجاباً ، ولم تضمحل سمعتها أبداً منذ ذلك الحين » .

واظبت اليزابيث في عملها دون كلل شأن ايامها السابقة رغم انها لا بد وقد احست ببوادر المرض الذي سوف يقتلها بعد حين . فاتها العمل خلال الشهرين الأخيرين من موسم ريتشموند ، الاّ انها ظهرت في كانون الثاني ١٨١١ في مسرح تشارلستون ، مع فرقة بلاسيد ، ثم لعبت موسماً آخر في نورفوك حيث علق احد رواد المسرح بقوله ان « الحزن قد سرق الورد من خدودها » . لعل المرض هو الذي فعل ذلك . عادت في آب الى ريتشموند لكي تخوض معركتها الخاسرة مع الموت . تغيبت في التاسع من تشرين الأول عن الحفلة الخيرية التي

Twitter: @abdulllah1994

خصصت لمساعدتها ، غير انها ادت بعد يومين حفلتها الأخيرة ، وقد خصصت لمنفعة ممثلة اخرى . في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ، اعلنت ادارة المسرح تخصيص حفلة خيرية اخرى « بسبب المرض الخطير الذي اصاب المستر بو واستجابة لاقتراحات وطلبات العديد من العائلات المحترمة » .

اهتم مجتمع ريتشموند بأليزابيث اهتماماً كبيراً ، ويقول صموئيل مردكاي في رسالته آنفة الذكر : « هناك موضة شائعة في هذا الموسم . انها العمل الخيري . . فالمسز بو التي ، كما تعلم ، امرأة وسيمة ، قد اصيبت بمرض شديد ، وهي معدمة . إن افضل مكان للأستجمام في هذه الايام هو غرفتها حيث يمكنك ان تشاهد مهارة الطبخ والعناية لتوفير بعض الطيبات لها . . . » ، لم يكن مرد ذلك الى طيبة قلوب الجنوبيين او حبهم للمسرح فقط ، وانما شخصية اليزابيث بو الساحرة وقدرتها على التأثير في كل انسان يقابلها . لقد حظي ادغار بمثل تلك الموهبة كما امتلك قدرة امه على العمل الشاق ضمن ظروف في غاية الصعوبة والاحباط .

لم تكن كل مشاعر العالم وكرمه قادرة على انقاذ اليزابيث بو ، ففي العاشر من كانون الاول ١٨١١ اعلنت صحيفة الأنكوايرر :

> ماتت ، صباح الأحد الماضي ، المسز بو ، احدى ممثلات الفرقة التي تلعب حالياً في مسرح ريتشموند . بموت هذه السيدة ، حرم المسرح من احدى ابرز نجومه . ولعل اقل ما يمكن قوله ، هو انها كانت ممثلة ممتعة ، ولم تعجز ابداً عن الاستئثار بانتباه واعجاب من يشاهدها » .

لا تتوفرأية معلومات تفصيلية عن أيام اليزابيث الأخيرة ، بل لقد

Twitter: @abdulllah1994

ثبت مؤخراً ان البيت الذي اعتقد بانها كانت تقيم فيه وحظي بالأعتبار في ريتشموند لسنوات طويلة قد ثبت مؤخراً بانه لم يكن موجوداً أبداً في عام ١٨١١ . وليس هناك سوى ما روته ماري نيوتن ستانرد في السيرة العاطفية الخيالية التي كتبتها عن ادغار بعنوان « الحالم » ونشرت في نيويورك في ١٩٠٩ والتي اتسمت بالمبالغات المفرطة .

يجدر اقتباس المقطع التالي منها :

بينما كانت الساعات والأيام تزحف ببطء ، اخذت المريضة تزداد ضعفاً . لم تنبس بكلمة الا لماماً ولم تكد تتحرك الّاذا هزتها نوبة السعال . في صباح يوم احد في اوائل ديسمبر ، رقدت بلا حراك وعيناها شاخصتان تستمع لأجراس الكنيسة وهي تخترق الهواء الساكن . واذ غاب صوت آخر ناقوس ، تململت ثم طلبت بصوت واهن احضار صندوق صغير في قعر خزانتها . ثم طلبت احضار الاطفال . جاءت الممرضة بيتي بهما الى طرف السرير . وضعت في يد الطفل المشدوه صورة صغيرة لها وقد كتبت على ظهرها « الى ولدي العزيز الصغير ادغار ، من امه » كما اعطته رزمة من الرسائل مربوطة بشريط ازرق ، ثم وضعت بين اصابع الطفلة الصغيرة روزالي علبة مطعمة دقيقة الصنع لجوهرة ولكنها فارغة ، حيث ان محتوياتها وأسفاه كانت قد بيعت لشراء الطعام ، ثم أشارت بان يرفع الطفلان اليها وان يقبلاها ، ومرت بيدها البيضاء الواهنة على الرأسين الصغيرين وهي تتمتم ببعض كلمات الدعاء ، ثم اطلقت زفرة صغيرة واغمضت عينيها في نومها الأخير الطويل .

Twitter: @abdulllah1994

ليس هناك ما يؤكد ما ذكرته المسز ستانرد من ان تشييعاً مؤثراً غاصاً بالزهور قد جرى لأليزابيث . بل الأقرب الى الواقع هو ان جنازتها كانت قصيرة وحزينة ومقبضة ، حيث دفنت اليزابيث في قبر لم توضع عليه اية علامة ، وبقيت منسية الى أن استفاقت اميركا لتقدر مواهب ولدها بعد سنوات عديدة من موته . لا بد وان تلك الأيام كانت مخيفة وعصيبة بالنسبة لادغار الصغير ، حيث تم انتزاعه من عالمه الأليف لكي يزج به في عائلة تاجر التبغ ، جون ألان ، الذي تبناه ، بينما كانت روزالي التي تبنتها عائلة ماكينزي اصغر من ان تدرك ما حدث ، فيما كان قد تم ارسال هنري الى بيت جده في بلتيمور قبل وفاة امه . فإدغار هو الذي تلقى اعنف صدمة عاطفية ، وقد كيّفَ ادغار نفسه مع حياته الجديدة بمرونة طفولية مدهشة ، غير ان الجرح الذي خلفه موت امه في نفسه ما لبث ان انتكأ مع تعرضه لأزمة هويته الذاتية لدى بلوغه سن المراهقة ، فاتجه الى الانغمار في البحث عن الحب والأمان لكي يلقى البؤس والموت . فمع انتقال ادغار الطفل من عالم الشقق المؤجرة الرثة الى بيت التاجر الثري المريح ، ذلك التاجر الذي سيرث في وقت لاحق ثروة طائلة ، بدا وكأن مستقبل ادغار قد اصبح آمناً ، فهو طفل ذكي وجذاب ، وسيبني لنفسه ضمن تلك الأجواء الواعدة بالعطاء ، حياة عامرة بالسعادة والرضى . غير ان هناك ثمة خطأ ، ثمة قوة غريبة سوف تدفع بإدغار نحو الكارثة . وفيما المأساة الطويلة تنمو وتتسع ، لا يسعنا الاّ ان ندهش ازاء حقيقة ان بو قد استطاع رغم كل ذلك ، ان يخلف لنا أثاراً لا تنسىٰ من النثر والشعرْ .

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثاني

العالم الجديد والقديم

كانت مدينة ريتشموند التي ذاق فيها ادغار مرارة اليتم في شتاء ١٨١١ عاصمة اغنى الولايات الثمانية عشرة وأكثفها سكاناً . فقد بنيت المدينة فوق احد منعطفات نهر جيمس حيث تتدفق الشلالات التي أعاقت مرور الكشافة الانجليز الذين أسسوا في عام ١٦٠٧ اول مستوطنة دائمة في اميركا ، وذلك على بعد نحو ستين ميلاً الى الجنوب من جيمس تاون . لقد لعبت ولاية فيرجينيا دوراً بارزاً في حرب الاستقلال واصبحت تسمى منذ ذلك الحين « مهد الحضارة الأميركية » و « أم الولايات » ، كما قدمت ثلاثة من الرؤساء الأربعة الأوائل وهم : جورج واشنطون وتوماس جيفرسون وجيمس ماديسون (الرئيس الثاني لولايات الاتحاد هو جيمس ادمز من ماساتشوزيتز) . وقد اصبحت ريتشموند عاصمة الولاية في ١٧٧٩ وذلك حين حاصرت القوات البريطانية مركز الحكومة وليامز برغ . ومع نهاية القرن ، اصبحت

Twitter: @abdulllah1994

ريتشموند ذات نفوذ قوي في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد عامة . شكل التبغ اهم مصدر لثروات ريتشموند حيث بدأت صناعته فيها منذ عام ١٦١٢ حين زرع جون رولف بعض البذور التي كان قد جلبها من جزر الهند الغربية . وقد ادى نجاح رولف في تنمية هذه البذور ومعالجتها وتصديرها الى انجلترا ، الى تشجيع العديد من الشباب على ترك بلدهم القديم والتوجه الى فيرجينيا كمزارعين وتجار وبحارة . عندما اصبح ادغار مواطناً بالتبني ، كان عدد سكان ريتشموند نحو ستة آلاف نسمة نصفهم من العبيد الزنوج والخدم . وقد تميزت المدينة برائحة التبغ الطيبة المخدرة التي ما زالت تتعلق حتى الآن ببعض اطرافها .

كان جون وفرانسيس ألان اللذان تبنيا ادغار قد تزوجا منذ ثمانية اعوام دون ان ينجبا طفلاً ، وكانت المسز ألان احدى السيدات اللواتي تعاطفن مع اليزابيث بو واعتنين بها في ايامها الأخيرة ، وقد دفعتها عاطفتها المسيطرة عليها الى التعلق بالطفل ادغار، حيث ما لبثت حين ماتت اليزابيث ان اخذت الولد الصغير معها الى بيتها الكائن فوق المخزن الذي يعمل فيه زوجها عند تقاطع شارعي مين والثالث عشر على بعد بضعة بنايات من مركز المدينة . كان جون ألان يحب الأطفال ، ولا شك بانه قد اشتاق ان يكون له ولد يرث الثروة التي كان يحلم بالحصول عليها ، وقد بلغ به العمر نحو واحد وثلاثين عاماً . غير انه لم يتحمس لفكرة التبني خاصة وانه كان لديه ولد غير شرعي ، ومع ذلك ، فهو لم يستطع التمسك بحجته هذه امام زوجته . وقد افلحت توسلات فرانسيس وحقيقة كون ادغار طفلاً جذاباً وذكياً وتشجيع الأصدقاء ، في اقناع جون ألان بان يلعب دور الوالد رسمياً . في السابع من كانون الثاني ١٨١٢ ، دفع جون ألان ثمانية دولارات لمخزن

Twitter: @abdulllah1994

هوب داي اند سيتون ثمناً لسرير طفل .

لا بد من القاء نظرة متفحصة على الرجل الذي سيترك أثراً كبيراً في شخصية بو . فقد تم تصوير جون ألان من قبل كتاب سيرة بو السابقين وكأنه وحش كاسر عديم الأحساس وفظ ، وأنه لم يأبه لشيء غير جمع المال ، ولم يتجاوب مطلقاً مع طموح ادغار في أن يصبح كاتباً . حقاً لقد بذل ألان جهداً فائقاً في عمله وعمد الى تنظيم حياته الخاصة على النحو الذي نظم في عمله . غير ان ألان كانَ يمتلك صفات اخرى الى جانب ذلك ـ واذا كان قد قسا على ادغار في السنوات اللاحقة ، فلربما كان له العذر في ذلك .

ولد جون ألان في سكوتلندة في عام ١٧٨٠ وهاجر الى أميركا وهو في نحو الخامسة عشرة من عمره حيث عمل كاتباً لعمه وليم غالت الذي كان قد اصبح خلال عشرين عاماً من العمل في ريتشموند احد اكبر تجارها . في عام ١٨٠٠ انفصل ألان عن عمه واقام عملاً تجارياً بالاشتراك مع شخص آخر برأسمال قدره الفا جنيه حيث عملا في تصدير التبغ وافتتحا مخزناً للتجهيزات العامة في ريتشموند . تزوج بعد ثلاث سنوات من فرانسيس كيلينغ فالينتاين ، وهي فتاة جميلة تنافس العديد من شباب ريتشموند للزواج منها . كان ألان شاباً وسيماً ، وقد اعتبر بانه رجل اعمال ناجح وذو مستقبل واعد . في الرابع من حزيران ١٨٠٤ ، حصل ألان على الجنسية الأميركية واصبح اكثر ثقة بنفسه وبعمله واستقر في بيته الزوجي دون ان يستاء من اقامة شقيقة زوجته معهما بشكل دائم ، بل تشير رسائله انه كان يكن وداً كبيرة لعائلة زوجته .

شغف ألان وزوجته بالحياة الاجتماعية حيث اختلطا بطبقة التجار

Twitter: @abdulllah1994

التي انتميا اليها وبعائلات كبار تجار التبغ الاثرياء الذين عرفوا باسم ارستقراطية فيرجينيا حيث كان البعض منهم يدعون انحدارهم من «الفرسان الأنجليز» في القرن السابع عشر واحتفظوا بالتقاليد الفروسية القديمة المرتبطة بالنبلاء وانصار تشارلز الاول الرومانتيكيين . سوف يتأثر ادغار بو باجواء تلك الارستقراطية اكثر من تأثره بمجتمع التجار من ذوي المراس الصعب . فحساسية هؤلاء الارستقراطيين المرهفة ازاء ما يتعلق بالشرف وعاداتهم وتقاليدهم المثيرة والمعركة الخاسرة التي يخوضونها ضد عالم بدا وكأنه يجردهم من تاريخهم ويحيل فضائلهم الى رذائل قد استثارت مجتمعة كوامن بو الدرامية التي ورثها عن والديه ، ودفعته في وقت لاحق الى اعتبار نفسه سليل تلك الارستقراطية، فقد قال في رسالة بعث بها الى امرأة كان يريد الزواج منها : « إن روحي غيرقادرة على القيام بأي عمل مشين . . انني لا أذكر مطلقاً انني قمت خلال حياتي كلها بما يخجلني . . او يخجلك . . واذا ما ارتكبت خطأ ما في هذا المجال فهو خطأ يمكن للعالم ان يصفه بانه احساس كيشوتي بما هو مشرف ـ بما هو فروسي . . فلقد كان الانغمار في هذه المشاعر هو الشهوة الحقيقية في حياتي . . ولعل هذا النوع من الترف بالذات هو الذي دفعني في شبابي الى التضحية عن عمد بثروة طائلة في سبيل ان لا اتحمل اساءة صغيرة » .

كانت مثل هذه الأحاسيس كفيلة بان لا تقرب ادغار الى قلب جون ألان الذي لم يخضع لأوهام الجاه والعظمة حتى بعد ان اصبح رجلاً ثرياً . لقد انتمى ألان الى جيل الديمقراطية الجيفرسونية الداعية الى الفرص المتكافئة ، كان رجلاً من الطبقة الوسطى الصاعدة التي حققت النجاح من غير الاعتماد على ماض او محتد . غير انه من الخطأ

Twitter: @abdulllah1994

الاستنتاج بان ألان كان انساناً عديم الخيال ولا يتعاطف مع المثل الفنية ، فقد كان قارئاً جيداً ، ويشير العدد الكبير من الرسائل التي خلفها بانه كان يجد متعة في الكتابة ويمتلك قدرة على استخدام اللغة بذكاء ودقة ، بل وببراعة ، وقد وصف نفسه بقوله « لست من اولئك الذين يستسلمون للندم غير المجدي » ، حيث كان هناك ما يلح عليه ، وهو طموح لم يتحقق في ان يكتب ما هو اكثر جدارة من تلك الرسائل العائلية المنمقة والممتعة ، وكان قد اعترف ايضاً بانه كان على استعداد للتنازل عن اي شيء في سبيل ان يمتلك موهبة التأليف مضيفاً الى ذلك قوله « أيّ استغلال كنت سأستغل هذه المادة الخام التي في حوزتي » ، فسر البعض طموح ألان هذا بانه وراء انقلابه ضد ادغار بعد ذلك ، وذلك بحجة ان ألان قد حقد على بو حين عبر عن رغبته في أن يصبح كاتباً . غير انني اعتقد بان دوافع تصرفات ألان ازاء ادغار قد كانت اكثر واقعية من ذلك الافتراض كما سيتضح لاحقاً .

لم تلح في الأيام الأولى اية بوادر للعاصفة المقبلة . فقد استقر ادغار الصغير في بيته الجديد ونمت في نفسه محبة عميقة لفرانسيس ألان التي غمرته بالحب والعناية بينما كان زوجها يوفر كل اسباب الراحة المادية التي طالما افتقدها الصبي في حياته المبكرة . كانت شركة إيليس ـ ألان قد وسعت اعمالها لتشمل تجارة الملابس والأدوات المعدنية والحبوب والشاي والقهوة والمشروبات اضافة الى تجارة التبغ والنقل البحري وغير ذلك مما يدر ربحاً . وقد اقترن بهذا الأزدهار بتأكد ألان بانه سوف يرث ثروة طائلة لدى وفاة عمه وليم غالت . فحياة عائلة الان لم تعكرها اية هموم مالية . وكانت العائلة تقيم الحفلات وتقوم بالرحلات الى المزارع الكبيرة وكافة الأماكن الجميلة في ولاية فيرجينيا، وشارك ادغار في كل ذلك، وبدا واضحاً ان

Twitter: @abdulllah1994

تحفظات ألان الأولى على تبني ادغار قد اختفت تماماً. وعلى الرغم من ان ألان لم يعمد الى تبني ادغار تبنياً رسمياً ، فمن الصعب اخذ ذلك بعين الاعتبار حيث كانت عمليات التبني الرسمي نادرة في تلك الايام ، اصبح ادغار احد افراد العائلة وكان كما قالت عمته المقيمة في بلتيمور « طفلاً سعيد الحظ لانه حظي برعاية المستر والمسز ألان الطيبين جداً . . . آه ، ما اقل الذين يحظون بمثل هذه الفرصة . . . ادعو الله رب الكون ان لا يكفر ادغار بهذه النعمة التي تلقاها من لدن اناس لم تربطهما به أية رابطة الاّ تلك التي يمليها القلب الانساني العطوف » .

كان ادغار اذ بلغ الرابعة طفلاً ذكياً وجذاباً ، له عينان سوداوان كبيرتان وشعر أسود أجعد. وقد ارسل الى مدرسة تديرها سيدة تدعى كلوتيلدا فيشر ، ثم تم تسجيله في السنة التالية في أكاديمية وليم إيوينغ ، وهي اكاديمية جيدة كان ألان قد سجل ابنه غير الشرعي ، ادوارد كولبير ، فيها، اضافة الى أن مدير المدرسة كان ذا عقل متزن وقابليات ادارية جيدة ، وقد وصف ادغار بانه « طفل ساحر » وبانه قد ألف المدرسة واحبها بسهولة وكان جيداً في دروسه .

غير أن انقلاباً جديداً كان ينتظر ادغار الصغير ، بعد ان كان قد اعتاد حياة الطبقة الوسطى الرتيبة في فيرجينيا وتأقلم معها . ها هو الان يواجه قرار الرحيل الى انجلترا ، كانت اعمال شركة إيليس ـ ألان آخذة بالتوسع السريع ، وكان ألان قد قام في ١٨١١ برحلة الى لشبونة على ظهر سفينة له محملة بالمؤن للجيش البريطاني الذي كان يخوض الحرب في شبه الجزيرة الاسبانية ، واخذ يفكر منذ ذلك الحين بافتتاح مكتب للشركة في لندن ، غير ان الحرب المذكورة قد

Twitter: @abdulllah1994

حالت دون تنفيذ الفكرة في ذلك الحين . سيكون لهذه الحرب أثر مدمر على ألان فيما بعد . كانت فرنسا قد اصبحت في عهد نابوليون سيدة أوروبا الوسطى والغربية ، وكان البحر هو الطريق الوحيد امام بريطانيا للحد من طموحات التوسع الفرنسي حيث فرض الأسطول البريطاني حصاراً بحرياً على كافة الطرق البحرية المؤدية الى أوروبا ، الأمر الذي أساء ليس لفرنسا فحسب ، وإنما لأميركا التي طالما جنت الأرباح من مبيعات الحبوب والتبغ وغيرهما لأوروبا . حاول الرئيس جيفرسون ان يرد على الحصار المذكور بدفع الكونغرس الى اصدار « قانون الحصار » الرامي الى حرمان العالم من المنتوجات الأميركية ، غير ان التجار الغاضبين أدانوا القرار المذكور على امتداد الولايات الاميركية مما اضطر جيفرسون الى الاستعاضة عنه بقرار آخر نص على السماح بالتجارة مع أي بلد بأستثناء فرنسا وبريطانيا . غير ان هذا القرار لم يقدم أي حل ، حيث عمد البريطانيون والفرنسيون الى الاستيلاء على الحمولات الأميركية في عرض البحر . وقد انصب غضب الاميركيين بشكل رئيسي على البريطانيين الذين كانوا يقومون بمصادرة السفن الاميركية بمن عليها ويلقون القبض على البحارة البريطانيين بتهمة الفرار من الجندية . ارتفعت الأصوات منادية بالحرب ضد بريطانيا ، وفي عام ١٨١٢ ، اضطر الرئيس جيمس ماديسون الذي خلف جيفرسون الى الاستجابة لضغوط « صقور الحرب » في الكونغرس واعلن الحرب على الرغم من التعهد الذي قدمته بريطانيا بالكف عن مضايقة السفن الأميركية .

أدى اندلاع الحرب الى تعطل خطط شركة إيليس ـ ألان التوسعية ، وعرض ألان خدماته على الجيش مبيناً في ذات الوقت بأنه لا يمتلك قابلية عسكرية ، بينما انخرط شريكه تشارلس إيليس في فرقة

Twitter: @abdulllah1994

ريتشموند . كذلك انخرط جد ادغار ، ديفيد بو الأكبر . وحين هاجم البريطانيون بلتيمور في عام ١٨١٤، كان «الجنرال» احد انشط المدافعين عن المدينة . اما فرانسيس ألان ، فيبدو انها اصطحبت ادغار الى ستاونتون الواقعة في وادي شيناندو الجميل في ولاية فريجينيا ، وقد بعثت برسالة الى زوجها في تشرين الاول ١٨١٤، تقول بانها قد سرت لسماعها «بان المدينة وجميع الاصدقاء سالمون من الاعداء» وانها تدعو الله ان تظل ريتشموند سالمة ، رغم قلقها ازاء ما يقال بان البريطانيين قد نزلوا في يورك ، واضافت « إنَّ يديَّ المرتجفتين لا تقويان على الكتابة » .

لم يجن أي من الطرفين شيئاً يذكر من حرب ١٨١٢ ، فلقد كان من حسن حظ الاميركيين ان الجيش البريطاني كان منهمكاً على نحو تام داخل اوروبا،وقد استطاع الاسطول الاميركي المؤلف من ست عشرة سفينة ان يحطم اسطورة المناعة البحرية البريطانية بعدد من من العمليات الجريئة البارعة ، كما استطاع الجنرال أندرو جاكسون ان يبيد في البر عددا كبيراً من القوة البريطانية في معركة نيو أورليانز . من جهة اخرى ،وجه البريطانيون طعنة جارحة لكرامة الأميركيين بالانزال الذي نفذوه في خليج تشيزابيك وتوجههم لأحتلال واشنطون حيث لم ينسحبوا الاّ بعد هزيمتهم في بلتيمور . وقد بدت واضحة في عام ١٨١٤ ، استحالة تحقيق نصر عسكري ، حيث ادرك الاميركيون ان الهزيمة المرتقبة لنابوليون سوف تضع حدا لمصاعبهم التجارية ، بينما ايقنت بريطانيا ان مستعمرتها السابقة قد اصبحت امة جديرة بالاحترام . هكذا تم التوقيع على معاهدة السلام في كانون الاول ١٨١٤ .

أسترد ألان بعد عودته الى ريتشموند امله في افتتاح فرع للشركة في لندن ، وفي حزيران ١٨١٥ كانت العائلة برمتها تنتظر الابحار الى

Twitter: @abdulllah1994

نورفوك ، وفي الثاني والعشرين من حزيران بعث ألان برسالة الى شريكه ايليس يطلب منه فيها ان يبيع احد عبيده الستة بستمائة دولار وان يؤجر الخمسة الآخرين بخمسين دولاراً للواحد في السنة ، واضاف بانه سيتوجه وعائلته في اليوم التالي الى هامبتن رودز عند مصب نهر جيمس لكي يستقلوا الباخرة ، وان « فرانسيس ونانسي تبديان رباطة جأش فائقة ـ كان ذلك امتحاناً عسيراً لهما ـ ومعنوياتهما مرتفعة . . . نيد لم يبد اهتماماً بالموضوع ، هذا المسكين » ، في الثالث والعشرين ، كانوا في الطريق ، وكتب ألان : « فرانسيس ونانسي اصيبتا بالدوار ، اما انا وادغار ففي حالة جيدة » .

كانت الرحلة شاقة، فقد كان قبطان السفينة انساناً طاغية ، ولأجل ان يضاعف ارباحه ، عمد الى حرمان ركابه من وسائل الراحة حيث اضطر ألان الى النوم فوق ارض الكابينة التي احتشدت كل العائلة فيها ، وكانوا قد حملوا معهم كمية وافرة من المواد الغذائية غير ان القبطان رفض توفير وسيلة للطبخ مدعياً ان كمية الخشب المتوفرة لديه قليلة . وقد كتب الان بعد ذلك رسالة احتجاج الى مالكي السفينة ، غير ان الرحلة بعنائها كانت قد انتهت .

وصلت العائلة الى ليفربول في مساء الثامن والعشرين من تموز واتجهت في صباح اليوم التالي الى فندق ليليمان . وقد استعاد ادغار نشاطه في الحال وبدأ في استيعاب معالم العالم القديم التي ستبقى راسخة في مخيلته .

يخيل لمن يقرأ اعمال بو الشهيرة لأول مرة بانه كاتب انجليزي . فأسلوبه المتسم بالاتقان والزخرفة ورجوعياته الى القلاع المهدمة والقصور القديمة ذات الستائر الفضفاضة الانيقة ومشاهده الرطبة

Twitter: @abdulllah1994

المغطاة بالضباب وانغماره في عالم الاسلاف والتراث انما تشيع الأحساس بالأجواء الأنجليزية . لقد استقى ادغار فيما بعد الكثير من انطباعاته من خلال كتابات ادباء آخرين انجليز واوروبيين . غير ان السنوات الأربع والنصف من طفولته . التي قضاها في انجلترا قد خلفت في نفسه أثراً واضحاً .

لا شك ان مشاهد وضجيج مدينة ليفربول الصاخبة ، بشوارعها الضيقة وبيوتها المبنية بالحجارة ، قد استثارت مخيلة صبي متقد الذكاء في السادسة من العمر ، وذلك مقارنة مع المناظر الفسيحة والقصور الخشبية في ولاية فيرجينيا. وقد كانت هناك مغامرة كبيرة بانتظار ادغار حين اقلته العربة مع العائلة نحو سكوتلندة لزيارة اقارب ألان . مضت الرحلة عبر الساحل الأنجليزي الغربي ، ثم اجتازت الحدود شمال كارلايل ومضت في الطريق عبر مقاطعات دمفريزشير وأيرشير ثم الى قرية ارفين التي تبعد بضعة اميال عن مصب كلايد الجميل . ربما تكون ذكريات منطقة البحيرات الانجليزية او الوديان السكوتلندية الصغيرة هي التي اوحت له بعد سنوات عديدة بقصيدته « البحيرة » :

في ربيع الشباب ، شاء قدري
أن اقتنص من العالم الفسيح بقعة ما
لم استطع ان احبها أقل مما أحببت ـ
يا لجمال توحد تلك البحيرة المتمردة
اذ تحيط بها الصخور السوداء
ومن حولها تتطاول الصنوبرات السامقات.

بعد قضاء بضعة أيام في أرفين في ضيافة شقيقتي ألان ، ماري وجين ، توجه ألان مع عائلته شرقاً الى مدينة كيلمارنوك على بعد

Twitter: @abdulllah1994

عشرين ميلاً الى الجنوب الغربي من غلاسكو حيث كانت تقيم شقيقته الثالثة ، نانسي وزوجها ألان فولدز . ويبدو ان السكوتلنديين الطيبين قد اغرقوا ضيوفهم بالكرم الفائض حيث ان فرانسيس « ذهلت » حسب وصف زوجها . غير ان خريف الشمال كان قد بدأ ولم يستطع الفرجينيون تحمل ذلك الجو الرطب ، وفي العاشر من تشرين الاول ١٨١٥ عادوا ادراجهم الى لندن في رحلة مرهقة عبر غلاسكو وادنبرة ونيوكاسل وشيفيلد،حيث ما لبثت فرانسيس ان رقدت في الفراش وكان الجميع مرهقاً .

استأجر ألان شقة مفروشة في ساوثامبتون رو- بلومسبري ، وكانت لطيفة ومريحة رغم ضيقها حيث لم يستطع الان ان يفرد فيها غرفة للمكتب الذي يزمع افتتاحه . وكان ايجار الشقة مرتفعاً حيث بلغ ستة جنيهات في الأسبوع . وقد اصيب ألان بخيبة امل كبيرة بسبب ارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش الذي سيطر على لندن وشمل كل شيء ، واصبحت فرانسيس في قلق دائم وهي ترقب ميزانية العائلة . فقد كانت الحرب الفرنسية قد انتهت في صيف ١٨١٥ ، غير انها كلفت بريطانيا غالياً . ومع بداية ١٨١٦ جاوزت مدفوعات الفوائد السنوية للدين القومي ثلاثين مليون جنيه ، وعمدت حكومة المحافظين الى زيادة الضرائب على نحو مرهق . لم يبق شيء لم تطله يد محصل الضرائب - السكر والشاي والتبغ والبيرة والصابون والشموع والورق وكل شيء ، وقفزت الاسعار بحيث بلغ سعر رغيف الخبز شلناً (وهو مبلغ ضخم في ذلك الحين) ، كما دهمت البطالة كافة الصناعات والمجالات الزراعية ، واندلعت التظاهرات مطالبة بالطعام ، ونهبت المعامل من قبل العمال اليائسين ولجأت الحكومة الى سن قوانين زجرية بهدف القضاء على ما اعتقدته الحكومة بانه سبب التمرد .

Twitter: @abdulllah1994

يمكن القول ان ذلك الوقت كان أسوأ وقت لافتتاح عمل جديد. غير ان جون ألان كان رجلاً عنيداً، وكتب الى إيليس قائلاً : «اخبرتك سابقاً بانه بتحتم علي البقاء هنا نحو ثلاث سنوات ، غير ان خمس سنوات هي اقل تقدير الآن . هذا في حالة عدم حدوث مضاعفات جديدة ، فتكاليف اقامة مؤسسة جديدة هنا بالغة الارتفاع ، خاصة اذا ما اريد انجاز العمل خلال فترة اقل مما ذكرت » . وقد انتاب القلق إيليس حيث اجاب قائلاً : « اذ نمر الآن في هذا الظرف السيء ، فليحمنا الله مما هو أسوأ ، لقد هبط سعر التبغ اكثر فأكثر ، وذلك مأزق ستجد نفسك فيه لدى تسلمك الشحنات المرسلة اليك . انني انصحك بتخفيض السعر كي تقنع المشترين بالتقدم اليك . . . فمهما كان حجم الخسارة ، فانها ستكون صغيرة اذا ما قورنت بخسارة اولئك الذين . . . . » . واجاب ألان : « اذا ما استطعت اجتياز هذا العام ، فآمل ان لا أرى عاماً آخر مثله » . لم يكن ألان قلقاً على عمله فحسب ، بل كانت فرانسيس قد اصيبت بالمرض الذي لازمها على نحو مستمر ، وقد بقي نوع مرضها غامضاً (ربما اصيبت بمرض عصبي كان ينتابها في السابق بين حين وحين ، ويبدو انه قد اشتد عليها بسبب الظروف القاسية التي احاطت بالعائلة) وكتبت شقيقتها نانسي الى اصدقاء لها قائلة بأن جميع افراد العائلة كانوا في حالة من التذمر الشديد في لندن .

أما ادغار، فقد كان منشغلا الى درجة لم يبق له وقت للتذمر ، فقد التحق بمدرسة داخلية تديرها شقيقتان تدعيان دوبورغ ـ وقد تذكر ادغار هذا الاسم فيما بعد حيث منحه لأحدى شخصياته في حكايته « عمليات القتل في شارع مورغ » ، وكان شقيقهما يعمل في المكتب الذي افتتحه ألان في في شارع بازينغهول في لندن . فعلى الرغم من ضيق حال ألان ، الاّ انه لم يتردد في دفع تكاليف تعليم ادغار ، بل إن

Twitter: @abdulllah1994

« ماستر ألان » ـ كما كانوا يسمون ادغار في لندن ـ قد حصل على غرفة خاصة به بدلاً من النوم في القسم الداخلي العمومي ،وذلك لقاء جنيه اضافي في كل فصل . وقد حوت قائمة مصاريفه المدرسية لمنتصف صيف ١٨١٦ ما يلي : سبعة جنيهات وسبعة عشر شلناً وستة بنسات ـ اقامة واجور دراسة لربع عام ، جنيه وشلن اجرة غرفة نوم خاصة ، عشر شلنات وستة بنسات ـ للغسيل ، ثلاثة شلنات ـ لمقعد في الكنيسة ، خمسة شلنات ـ اجور مدرسين وخدم ، عشر شلنات ـ دخولية ، خمسة عشر شلنا ـ اجور كتابة ،خمسة شلنات ـ طبابة ،ثلاثة شلنات ـ دفتر وقلم ، ثلاثة شلنات ـ تصليح ملابس ، تسعة بنسات ـ كتاب تفسير تعاليم الكنيسة ، شلنان ـ كتاب تهجئه ، شلنان ـ كتاب جغرافية ، ثلاثة شلنات ـ كتاب الصلاة ،تسعة بنسات ـ كتاب تاريخ انجلترا ،المجموع ـ اثنا عشر جنيها وشلنان .وفي كانون الاول ،دفع الان للاختين دوبورغ ثلاثة وعشرين جنيها وستة عشر شلناً . وفي نهاية آب ١٨١٧ دفع اربعة وعشرين جنيهاً وستة عشر شلناً .

وعلى الرغم من الظروف غير المشجعة التي كان ألان يمر بها ، فقد اقدم في ذلك العام على نقل ادغار الى مدرسة افضل من السابقة واكثر كلفة . وقد اعترف العديد من كتاب السيرة ان الان قد اثبت بذلك انه كان يحب ادغار في ذلك الحين حباً شديداً ويعتبره إبناً له ، وانه قد اتخذ بعمله هذا ، خطوة شجاعة رغم وضعه المالي الذي كان يزداد سوءاً في ضوء المشاكل المتفاقمة التي احاطت بأنجلترا وحيث لم تكن هناك اية بارقة امل في تحسن الامور ـ وقد وصف الان ذلك الوضع في احدى رسائله مشيراً الى الضرائب الباهظة والديون الكبيرة واليأس والتذمر العامين وانخفاض العوائد وانعدام الأمل في انقاذ هذا الجانب و ذاك ـ

Twitter: @abdulllah1994

غير ان ألان كان في ذلك الحين يمر بمشاكله الخاصة ايضاً . فمرض فرانسيس وتذمر نانسي المستمر من البقاء في لندن قد اثقلا عليه ، حيث عمد الى ارسالهما للاقامة في مصح شهير في غلوشستر . وربما يكون ألان قد ادرك بان ارسال ادغار الى مدرسة بعيدة خارج لندن سيتيح له البقاء وحيداً ، خاصة وان فرانسيس ونانسي قد غادرتا الى المصح ، وان ذلك ، رغم التكاليف ، سيتيح له الوقت للتفرغ التام لأعماله،حيث سيتضح لاحقاً بان ألان كان دائم الأنشغال بعائلته وقضاياه المنزلية . لقد كان ألان إنساناً براغماتياً بكل معنى الكلمة .

وسواء كان الدافع الذي حدا بألان الى اتخاذ ذلك القرار هو دافع الأهتمام ام الانانية ، فقد التحق ادغار بمدرسة مانور هاوس في ستوك نيوينغتن على بعد بضعة اميال الى الشمال من لندن . كان مدير المدرسة ،جون برانسبي ، استاذا في الأدب ورجلاً وقوراً منغرساً بثقافة وتقاليد انجلترا القرن الثامن عشر ، كان ضليعاً في الاداب الكلاسيكية وهاوياً لعلم النبات والبستنة ورياضياً نشطاً ، بالاضافة الى قابليته الفائقة على التقاط شتات المعلومات المتفرقة في مجال المعرفة العامة . وقد تذكره ادغار بعد نحو عشرين عاماً حين قدم وصفاً له في احدى امتع حكاياته « وليم ويلسون » :

لطالما نظرت اليه من مقعدي البعيد في قاعة الدرس بنظرات الحيرة والاستغراب الشديدين ، اذ أراه يصعد الى المنصة بخطى وئيدة متزنة . . رجلاً وقوراً يطفح وجهه بالطيبة والوقار ، وهو مسربل بارروابه الكهنوتية السوداء الفضفاضة ، وعلى رأسه طاقية الشعر المستعار ، وقد ذرت بمسحوق البودرة بدقة واحكام . . . يا للصرامة والجلال ـ هل يمكن ان يكون هذا هو نفس الشخص الذي كان قبل

Twitter: @abdulllah1994

قليل يذرع المدرسة بوجهه المتجهم وملابسه الملطخة بالسعوط والعصا في يده يطبق بها قوانين المدرسة الجائرة !

أما برانسبي ، فقد سأله بعد فترة طويلة احد المعجبين ببو من زملائه القدامى عن انطباعه بشأن بو، فوصفه بانه كان«مشاكساً وعنيداً» غير أنه اعترف بانه كان « صبياً ذكياً سريع البديهة » وانه لدى مغادرته المدرسة ، كان قد اتقن اللغة الفرنسية وحصل على تقدير جيد في اللغة اللاتينية، وكان« متفوقاً في التاريخ والأدب على العديد من الطلاب الذين كانوا اكبر منه سناً وكانوا ينعمون بظروف مؤاتية لم تكن متوفرة له » .

غير ان بو نفسه هو الذي سيعطينا اوضح صورة لأيامه المدرسية في انجلترا .

« . . . . المنزل إليزابيثي كبير مترامي الأطراف في قرية انجليزية مكسوة بالضباب ، حيث العديد من الاشجار العملاقة المغطاة جذوعها بالعقد ، وحيث البيوت مغرقة في القدم حقاً ، انه مكان اشبه بحلم ، ويبعث الراحة في النفس . . تلك المدينة القديمة الوقورة . في هذه اللحظة ، احس في المخيلة بما تبتعثه طرقاتها المغطاة بالظلال من رعشة منعشة ، واتنشق رائحة آلاف الشجيرات ، وارتعش ثانية بغبطة غير مكتنهة اذ تنطلق من ناقوس المدينة عند تمام كل ساعة ، رنة عميقة الغور ذات هدير مفاجىء كئيب ، فوق سكون المغيب الذي يلف البرج القوطي القابع بزخارفه في لجة نوم عميق .

Twitter: @abdulllah1994

لم تكن مدرسة مانور هاوس في الواقع على هذا النحو. فقد اتخذت المدرسة اسمها من قصر مالك الأرض التي اقيمت عليها عند مفترق الطرق . وكان البناء الذي ضم تلاميذ المستر برانسبي بناءً عادياً ، بل قبيحاً ، وما الزخرفة القوطبة التي اسبغها بو عليه الاّ من نسج خياله ، وذلك بهدف اضفاء جو من الرهبة عليه . لعل وصفه لقاعة الدرس والحياة المدرسية كان اكثر قرباً من الواقع :

كانت قاعة الدرس أكبر غرف المنزل ـ لا بل خيل إليّ بانها اكبر غرفة في العالم . فهي طويلة جداً وضيقة ومنخفضة السقف الى حد يثير الأنقباض وذات شبابيك ، قوطبة مسننة وسقف من خشب البلوط . في زاوية بعيدة مثيرة للرعب ، ثمة مقصورة صغيرة تتراوح مساحتها بين ثمانية وعشرة اقدام هي معتزل مديرنا الدكتور برانسبي الموقر ، كانت ذات بناء صلاً ولها باب ضخم كم تمنينا اذ ما رأيناه قد انفتح ، حتى ولو لم يكن كاهننا موجوداً ، ان تبتلعنا الأرض ، رعباً وهلعاً ، في الزوايا الأخرى ثمة مقصورات صغيرة صغيرة مماثلة مثيرة للرهبة ايضاً ، ولكنها اقل اجلالاً . الأولى للمدرس المساعد لمادة الكلاسيك والأخرى لمساعد اللغة الانجليزية والرياضيات . في انحاء الغرفة ، تبعثر عدد لا يحصى من المقاعد على نحو متقاطع وبفوضى لا حدود لها مقاعد سوداء قديمة عفى الزمن عليها . .

وقد تكدس فوقها اكداس من الكتب التي بليت صفحاتها من كثرة التقليب ودرزت طولاً وعرضاً بالاسماء والأحرف الاولى من الاسماء والارقام العجيبة ، وجهود

Twitter: @abdulllah1994

المشارط المضنية بحيث فقدت كل معلم اصلي من معالم ايامها الخاليات . في اقصى الطرف الآخر من القاعة ، انتصب جردل ضخم به ماء وساعة مذهلة الحجم ، اما باحات المدرسة ، فشاسعة يحيطها جدار مرتفع ضخم من الطوب الصلب ، تعلوه طبقة من الملاط المفروش بكسر الزجاج . كان ذلك المتراس الشبيه بالسجن هو حدود عالمنا حيث لم نكن نرى ما وراءه الّا ثلاث مرات في الاسبوع ـ الاولى في عصر كل سبت ، حيث يسمح لنا بالتجول على نحو جماعي بصحبة مدرسين مساعدين ، ولمسافات قصيرة عبر البساتين المجاورة ـ اما يوم الاحد ، فكان يجري استعراضنا على النحو الرسمي السابق صباحاً ومساءً لحضور القداس في الكنيسةالوحيدة في القرية . اما الاستيقاظ في الصباح ، وأوامر النوم الليلية ، اما التوجيهات والتعليمات ، اما انصاف العطل المفاجأة والتجوالات ، اما باحة المدرسة بمشاجراتها ولهوها ودسائسها ـ فقد غيبتها مخادعات العقل طي النسيان ، واستحالت الى خضم من الاحاسيس ، الى عالم غني بالاحداث ، الى كون متنوع الانفعالات ، الى استثارات لاهبة مثيرة للنفس

توضح القائمة التالية ، وهي القائمة الوحيدة المتوفرة ، مدى ما حصل عليه ادغار من تعليم وعناية في مدرسة مانور هاوس :

جـ ألان مدرسة مانور هاوس

عن ماستر ألان الأصغر ستوك نيوينغتن ، رأس السنة١٨١٨

ألأب جون برانسبي

Twitter: @abdulllah1994

داخلي وتعليم ـ ثلاثة وعشرون جنيها واثنا عشر شلناً وستة بنسات

غسيل وفراش خاص ـ ثلاثة جنيهات وثلاثة عشر شلناً وستة بنسات

مصروف ومقعد ـ ثمانية شلنات وستة بنسات

كتب وقرطاسية ـ اربعة عشر شلناً واحد عشر بنساً

لغة فرنسية ـ ـــــ

رقص ورسم وموسيقى ـ جنيهاً وشلنان

تصليح حذاء وخياطة ـ جنيه وسبعة عشر شلناً وستة بنسات

متفرقات ـ شلن

طبابة ـ ثلاثة عشر شلناً .

المجموع ثلاثة وثلاثون جنيهاً وشلنان واحد عشر بنساً .

ويبدو ان مصروف الطبابة كان بشأن جرح في يده حيث يشار في التفاصيل الى ضماد ، كما يلاحظ بان ادغار قد اضطر الى تصليح حذائه في السادس والعشرين من آب والحادي والعشرين والخامس والعشرين من سبتمبر ، مما يوحي بانه كان فظ التعامل مع حذائه .

كذلك يتضح بان جون ألان قد دفع منذ اوائل عام ١٨١٨ ، وحتى ربيع عام ١٨٢٠ نحو مئتين وخمسين جنيها لمدرسة مانور هاوس لقاء تعليم ادغار ، كما يبدو انه كان فخوراً بالغلام حيث كتب في رسالة الى عمه وليم غالت : « ان ادغار ينحو على نحو رائع وهو يتمتع بسمعة طيبة لاستعداده وقدرته على التعلم ، وهو ولد ممتاز ومثقف جيد » . ويبدو انه ألان كان جاداً فى محاولته توفير اساس صالح لحياة ادغار ، وانه كان سعيداً بتقدمه الملحوظ. ومع ذلك، فإن ألان لم يتصرف تصرف

Twitter: @abdulllah1994

الاب الحقيقي حيث يلاحظ بانه لم يذكره الّا لماماً في رسائله التي كان يبعث بها ريتشموند ، وفيما كانت فرانسيس منشغلة بمرضها ، فقد وجد « ألان الأصغر » نفسه مضطراً لتدبير اموره المدرسية بنفسه ، حيث لم يكن يذهب الى البيت الا في عطلة عيد الميلاد والعطلة الصيفية . ولدى العودة ثانية إلى سيرة « وليم ويلسون » الذاتية ، يحس المرء بوضوح مشاعر المرارة والأنفةالتي دفعت ادغار الى القول : في عمر نادراً ما يقطع الاطفال فيه صلتهم بمن يوجههم في الحياة ، فقد وجدت نفسي وحيداً اوجهها وفق ارادتي ، واصبحت باستثناء الاسم الذي احمله سيد تصرفاتي » .

يمكن القول دفاعا عن الان انه كان كثير المشاكل والمشاغل . فبعد عودته في خريف عام ١٨١٧ من تشيلتينهام حيث خلف زوجته وشقيقتها ، استأجر بيتا في ساوثامبتون رو (وهو بيت سيظل عالقاً بذاكرة ادغار حيث سيذكره في قصته الهزلية « لماذا يلبس الفرنسي الصغير يده بمعلاق ») وكرس كل جهوده في سبيل درء شبح الافلاس المالي الذي ما لبث ان اغرقه . ويبدو انه قد وجد وقتاً كذلك لتسلية نفسه ،وهو الامر الذي ادى الى تعكير علاقته بفرانسيس ،والذي ظهر في الرسالة التي بعثت بها اليه من مصحها وهي رسالة مليئة بالفخر به . كذلك لم يكن الان يفكر كثيراً بمرض زوجته ، ولم ترتح هي لما كان يجري في ساوثامبتون رو والذي يبدو انه قد تسرب اليها من خلال شقيقتها نانسي التي ترددت على لندن . عادت فرانسيس الى لندن في تشرين الاول ١٨١٨ ، غير انها احتفظت بحنينها للريف الانجليزي ، جاء ادغار الى البيت في عطلة عيد الميلاد ويبدو انه قضى هناك وقتاً طيباً حيث لاحت في تلك الفترة بوادر تحسن اوضاعه العامة في ضوء ما اخذت تتمتع فيه البلاد من علائم انتعاش تجاري . غير ان ذلك الانتعاش كان قصير

Twitter: @abdulllah1994

الامد حيث ما لبث عام ١٨١٩ السيء الصيت لاقترانه « بمذبحة بيترلو » التي جرت ضد العمال المضربين في مانشستر ان شهد انتكاسة وعوداً الى الازمة المالية ، كما ان قرار الحكومة باعتماد قاعدة الذهب (تحديد قيمة العملة وفق سوق الذهب) ، ما لبث ان ادى الى خفض القيمة الشرائية للنقود . اصبح جون ألان في نهاية العام على وشك الافلاس ، وكتب الى تشارلس ايليس قائلاً : « انني لا املك الان من كل هذا العالم غير مئة جنيه » . ولم يجد مفراً من العمل على تصفية اعماله والعودة الى الوطن . لم يكن الامر سهلاً ، حيث كانت شركته قد غرقت في الديون ، اما من الناحية الشخصية ، فقد كانت المسز الان غير غير قادرة على احتمال السفر بالبحر الا تحت ضغط الحاجة القصوى. في نهاية ايار ١٨٢٠ ، كان الان قد باع اثاثه وصفى ديونه ودفع مصاريف مدرسة ادغار ورحل بالعائلة الى ليفربول بانتظار السفر الى اميركا ، وفي اول حزيران كتب الى ايليس قائلاً « ان السفينة مارتا سوف تقلع يوم الأربعاء القادم ، المسز ألان افضل حالا من السابق ، نانسي في حالة جيدة وكذلك ادغار . اما انا فأفضل من اي وقت مضى» .

لقد انتعش الجميع بفكرة العودة الى الوطن ، ولا شك انهم قد تنفسوا الصعداء وهم ينظرون الى الشاطىء الانجليزي وقد نأى بعيداً ، من على ظهر السفينة ،وقد احب ادغار سفر البحر كثيراً وسوف يصفه كثيراً في حكاياته ، ويبدو انه كان في نشاط تام ولم يأسف على مغادرة انجلترا ، كما ان كتاباته اللاحقة لا تنبىء باي حب او مودة لموطن اجداده ، رغم تأثر كتاباته بالدقة والنظام اللذين اتسمت بهما التربية الانجليزية ، رغم قصر المدة التي خضع فيها لهذه التربية ، بل انه قد تأثر كذلك بمختلف المؤثرات الحياتية الأكثر دقة في ذلك الجزء من العالم المختلف كل الأختلاف من حيث التجربة والتقاليد والمظاهر

Twitter: @abdulllah1994

والاجواء عن اميركا التي سيقضي فيها بقية حياته . غير ان السؤال يبقى فيما اذا كانت تلك الفترة قد اسهمت في بلورة ذلك القلق الذي سيطر على حياة بو في اميركا ـ فشله في الاستقرار في الجامعة مثلاً ، ثم نفوره الدائم من المجتمع الاميركي الذي يمكن القول حقاً بانه مجتمع اقل تهذباً وتحضراً في بعض جوانبه من المجتمع الانجليزي ، مجتمع اوائل القرن التاسع عشر . فالديمقراطية التي كان الاميركيون الآخرون يتباهون بها لم ترق لادغار ابداً ، بل اعتبرها رديفاً لحكم الرعاع ، وكتب فيما بعد قائلاً : « لقد بدأوا بأغرب فكرة : ان البشر يولدون احراراً ومتساوين » . ويبدو ان ادغار قد كون مفاهيمه هذه في رحاب المجتمع الطبقي الجورجي في انجلترا .

تلك هي على أية حال افكار للمستقبل ، اما الآن ، فقد شقت السفينة « مارتا » ، عباب الاطلنطي في رحلة طويلة استغرقت شهراً كاملاً ، وقد تبين بانها افضل بكثير من الرحلة السابقة ، واذ وصلت ميناء نيويورك في الحادي والعشرين من تموز ١٨٢٠ ، عمت البهجة الجميع ، رغم اعتلال صحة المسز ألان ، وفي الثاني من آب وصلت العائلة ريتشموند واقامت في بيت إيليس ، وكان بيتاً متواضعاً كما وصفه المؤرخ مردكاي ، « تتقدمه حديقة يزينها صف من اشجار الزيزفون » . لم تستطع عائلة الان استعادة حياتها السابقة المريحة الا بعد فترة من الزمن ، غير ان ادغار قد استطاع في الحال ان يستعيد اسمه . سوف لا يدعى منذ الآن « ماستر الان » وإنما ادغار ألان بو .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثالث

مولد شاعر

كانت السنوات الأولى التي تلت عودة جون ألان الى ريتشموند أسوأ سنوات عمله . وعلى النقيض من ذلك ، فقد كانت تلك السنوات أسعد فترة في حياة ادغار المبكرة . ففي أواخر عام ١٨٢٠ ، انتقلت العائلة الى بيت صغير في الشارع الخامس على مقربة ضواحي المنطقة الراقية المحيطة بالكابيتول . وقد تم تسجيل ادغار في احدى افضل مدارس ريتشموند ، وكان يديرها شخص يدعى جوزيف كلارك وتقع على مقربة من بيت ألان . وقد ذكر كلارك فيما بعد أن ادغار كان لعوباً شأن كل الصبيان . . غير أن شخصيته العامة قد اختلفت عن الآخرين » ، وبأنه قد امتاز بأحترام الذات دون عجرفة ، وكان منصفاً لى درجة كبيرة في تصرفاته مع زملائه مما جعله محبوباً حتى من قبل الطلاب الذين كانوا اكبر منه سناً ، وبأنه كان كذلك عنيداً ولا يتنازل عن رأيه في أي نقاش الاّ بعد مواجهته بالحجة الدامغة ، وبأن تلك

Twitter: @abdulllah1994

الصلابة قد ساعدته على النجاح في دروسه . وقد تجاوزت مقدرته العقلية حدود سنة حيث تشير قائمة المدرسة لصيف ١٨٢٢ انه درس هوارس وشيشرون وهو في الثالثة عشرة ، كما اضاف كلارك بأن ادغار كان يقرأ اعمال هومر باللغة اليونانية .

بلغت تكاليفه المدرسية للعام الواحد نحو ستين دولاراً ، وهي أقل من التكاليف السنوية التي دفعها ألان في لندن . غير أن ظروف ألان السيئة قد اضطرته ان يدفع هذه التكاليف بالأقساط . ومع ذلك ، فقد دفع ألان في نيسان ١٨٢٣ ثلاثين دولاراً مقدماً ، وذلك حين عهد بإدغار الى وليم بيرك بعد تخلي كلارك عن المدرسة حيث يبدو أن بيرك تسلم المدرسة ذاتها من بعده أو انه ادار مدرسة جديدة .

بدأ ادغار في تلك الفترة بكتابة الشعر . وقد تحدث كلارك عن الطاقة التخيلية المتنامية للصبي « وقلبه الرقيق المرهف » الذي عبر عن نفسه بتأليفات يافعة موجهة الى صديقاته . كانت هؤلاء الفتيات نزيلات مدرسة داخلية أدارتها الآنسة جينز ماكينزي شقيقة ماكينزي الذي كان قد تبنى روزالي بو . كان ادغار يرسم اسكتشات رصاصية لهؤلاء الفتيات ويرسلها لهن مرفقة ببعض الأبيات الشعرية بواسطة شقيقته روزالي . وقد تورط هو وشقيقته حين اكتشفت الآنسة جينز تلك الرسائل السرية واتخذت اجراءات لحماية براءة الفتيات اللواتي يقمن في حمايتها . كانت روزالي في ذلك الحين على اتصال مستمر بأدغار حيث كانت تقضي الكثير من وقتها تلعب معه ومع توم إيليس ، ابن شريك ألان . غير أنها ما إن بلغت الثانية عشرة حتى ظهرت عليها علامات تخلف عقلي نتيجة انعطافة وراثية ، فتوقف عقلها عن النمو وقضت بقية حياتها تعتمد بشكل طفولي على الآخرين .

من الخطأ تصور ادغار في ذلك الحين شاعراً شاحب الوجه

Twitter: @abdulllah1994

متقلب المزاج صبياني العواطف. بل كانت بنيته قوية وكان يبدو بأنه اكبر من سنه الحقيقي، كما كان مصارعاً جيداً ولاعب تنس وسباحاً ماهراً، ويذكر بأنه قد سبح مرة وهو في الخامسة عشرة من عمره مسافة ستة أميال ضد التيار في نهر جيمس . لا بد وأن ينظر لمن يمتلك مثل هذه القابليات كزعيم بين زملائه . غير ان ادغار كان ضحية احساس بنقص معين هو كونه سليل ممثلين عاديين كانا رغم ما يمكن ان تمتعا به من تقدير من قبل جمهور المسرح ، غير مقبولين اجتماعياً في فيرجينيا حيث المجتمع الدعيّ بالأرستقراطية . فلقد تبخرت كل مشاعر المشاركة الوجدانية التي نعمت بها اليزابيث بو وهي على فراش الموت ، حيث رقدت في قبر لم يوضع فوقه شاهد في كنيسة جونز ، منسية الاّ من القلة القليلة من رواد المسرح الذين تذكروا مشاهدها بين حين وآخر ، او من بعض زملاء ولدها المتغطرسين عبر محاولاتهم للتنديد به انتقاماً من تفوقه الأكاديمي والرياضي . ويؤكد ذلك أحد زملاء ادغار في مدرسة بيرك ، واسمه جون بريستون حيث يقول : « لقد عرف بأنه ابن والدين ممثلين وانه ولد متبنى ، وكان من شأن ذلك أن يرفض الأولاد زعامته ، وأعتقد اذ أستعيد تلك الأيام أن ذلك هو الذي ولّد في نفسه شراسة ما كانت لتوجد فيه » . ويذكر آخرون ان احد الصبية الأكبر سناً قد أهان ادغار يوماً ، فما كان منه إلاّ أن نازله مستخدماً الحيلة والقوة حتى قهره .

ولم يحرم ادغار مع ذلك من بعض الأصدقاء الحقيقيين ، فصديقه توماس سالي كان ابن عائلة احتفظت لأمه بذكريات حميمة حيث عرفها والده ومثل معها على خشبة المسرح . وقد استطاع والد توماس أن يجيب على العديد من الأسئلة التي شغلت بال ادغار ، كما اعجب توماس سالي بأخلاص ادغار لأصدقائه واهتمامه الشديد بهم ،

Twitter: @abdulllah1994

فهو يقول : « كان ادغار حين يعلم بأنني اواجه صعوبة في درس ما ، سرعان ما يهب لمساعدتي ، ولم يسمح للتلاميذ الكبار بالأساءة الي وكان لطيفاً معي بشتى الأشكال ، لقد اعجبت به وغبطته ، فقد كان ذكياً وفطناً ولطيف الشكل » .

كذلك كان هناك صديقه توم ايليس الذي رثاه بعد موته في صحيفة « ريتشموند ستاندرد » بقوله : « لم يؤثر في احد في حياتي كما أثر بو . كان جميلاً جداً ، ومع ذلك فقد كان شجاعاً ورجولياً على نحو يتجاوز سنه ، درب كافة عادات المجتمع المهذب ، ولم يكن هناك في المدينة من هو ألمع منه ولا اكثر دماثة او جاذبية . تمتع بموهبة خطابية فائقة . ما زلت اذكر حفلاً عاماً أقيم في نهاية احد الفصول الدراسية ، وكان سروري عظيماً حين انتزع ادغار الجائزة من بين العديد من المتنافسين الذين كانوا يعتبرون من أقدر شباب ريتشموند الواعدين » .

غير أن ادغار لم يكن دائماً شاباً مثالي الصفات . فقد امتلك روح النكتة والمغامرة كأي صبي سليم الصحة ، وكثيراً ما ورط توم إيليس بارتكاب بعض الأعمال المحظورة . . « فقد علمني الصيد والسباحة والتزلج ولعب التنس ، وقد انقذني مرة من الغرق ـ فبعد ان قذف بي الى مياه الشلال لكي يضطرني الى تخليص نفسي ، ما لبث أن وجد نفسه مضطراً للحاق بي وانقاذي قبل فوات الأوان » . كما يذكر جاك ماكينزي ، اخ روزالي بالتبني ، بعض اعمال ادغار الصبيانية المرحة حيث اصطحبه مرات للأغارة على المزارع المجاورة . وقد لازم حب المغامرة بوطيلة حياته ، وأوحى له بقصص مثل « الحشرة الذهبية » التي تدور حول كنز دفين ، والقصة البحرية « حكاية آرثر غوردون بيم » وغيرها . وقد كتب ادغار في صحيفة « سوثيرن ليتراري

Twitter: @abdulllah1994

ماسينجر » في عام ١٨٣٦ قائلاً : « بأي شغف نعود بذاكرتنا الى تلك الأيام السحرية التي تعلمنا فيها لأول مرة أن ننظر بجد الى روبنسون كروزو ! حين عثرنا لأول مرة على روح المغامرة الجامحة المتقدة في اعماقنا ، حين كنا في ضوء نار الموقد الخابية نجهد سطراً سطراً في استخلاص ذلك المضمون الرائع لتلك الصفحات ، ثم نحبس انفاسنا ونرتعش لهفة الى استيعابها والتمتع بسحرها . واحسرتاه ! لقد انقضت أيام الجزر المهجورة » .

لا بد أن الصبي الأشم المغامر قد اهتز طرباً في اواخر ١٨٢٤ حين أخذت مدينة ريتشموند تستعد لأستقبال الجنرال الفرنسي لافاييت ، بطل حرب الأستقلال ، حيث تم تشكيل سرية عسكرية من الشباب الصغار لتحية الجنرال . وقد تم تعيين شاب يدعى جون ليل قائداً للسرية بينما تم تعيين ادغار ألان بو ملازماً أول له . عرفت هذه السرية باسم « متطوعي ريتشموند الشباب » أو « سرية رماة مورغان الأصغر » ، وقد لبس الصبية قمصاناً عسكرية مزركشة وحملوا بنادق وسيوفاً حقيقية ، وتم تدريبهم لأداء دور حرس شرف لرجل يورك تاون الأول لدى حضوره القداس في الكنيسة . وتقول الحكايات ان الكابتن ليل والليفتنانت بو قد رافقا الرجل العظيم وسيفاهما مشهران بالتحية عبر ممر الكنيسة الطويل نحو مقعد العمدة . ومن الممتع لو استطعنا ان نعرف فيما اذا كان ادغار قد ذكر للجنرال لافاييت بانه حفيد مواطن بلتيمور الذي سيلقى بعد اسابيع قليلة أمر لقاء من رفيقه القديم . ويبدو أن العسكرية قد راقت لأدغار حيث ما لبث أن انضم الى ليل بعد ذلك لكي يتقدما بطلب الى حاكم فيرجينيا يرجوان فيه أن يسمح لافراد السرية بالأحتفاظ بالأسلحة التي تقلدوها ابان الاحتفاء بالجنرال لافاييت ، حيث وعد الأثنان بأن كل فرد سيتعهد بالأعتناء بأسلحته

Twitter: @abdulllah1994

وبأنهما يتعهدان شخصياً بان يكونا مسؤولين عن صيانة تلك الأسلحة التي ستحتفظ بها الفرقة . لا تعرف فيما اذا كان الحاكم قد استجاب لطلبهما ، غير أن تلك التجربة قد افادت ادغار فيما بعد اذ يجد نفسه مضطراً للألتحاق بجيش الولايات المتحدة .

لم يكن الحال في بيت ألان في تلك الفترة على ما يرام بالنسبة لأدغار . فقد كان ما زال متعلقاً « بأمه » فرانسيس وكانت هي ايضاً متعلقة به ، غير انها كانت في صحة سيئة واصبحت عصبية المزاج كثيرة الشكوى . أما جون ألان ، فهناك ملاحظة كاشفة في ذكريات جاك ماكينزي عنه حيث يقول : « كان المستر ألان رجلاً طيباً وفق طريقته الخاصة ، غير أن ادغار لم يكن مولعاً به . كان حاداً وصارماً وكثيراً ما ذكرني أنفه الطويل المعقوف وعيناه الصغيرتان الحادتان المنبثقتان من تحت حاجبيه الكثين بالصقر. .وكان لا يتردد اذا ما غضب من ادغار في تهديده بالطرد ، ولم يترك له أية فرصة لأن ينسى بأنه انما يعتمد في معيشته على صدقته » . في أواخر عام ١٨٢٤ ، تأكدت مخاوف ألان . فبعد الهزيمة التي لحقت بمشروعه الأنجليزي وما اعقب ذلك من أزمة اقتصادية في الوطن وتخبط شركته بالديون ، كان ألان قد اضطر في عام ١٨٢٢ أن يطلب من دائنيه الابقاء على ممتلكاته مقابل تعهد شخصي من جانبه بتسديد ديونه . قدم له عمه وليم غالت بعض المساعدة حيث اعطاه بيتاً للسكن ، غير أن ألان ما لبث في عام ١٨٢٤ أن اضطر الى حل الشركة نهائياً .

ضمن هذا الواقع ، كتب ألان رسالة في الأول من تشرين الثاني ١٨٢٤ الى هنري بو شقيق ادغار الأكبر جاء فيها :

لقد اطلعت قبل قليل على رسالتك المؤرخة في ٢٥

Twitter: @abdulllah1994

الجاري الموجهة الى ادغار ، وانني مستاء جداً لأنه لم يكتب اليك ، اذ ليس هناك ما يشغله ، فهو لا يقوم بأي شيء من اجلي ، ويبدو شديد الأبتئاس وهو حرون وسيء المزاج ازاء كافة افراد العائلة . انني لا استطيع تصور ما الذي فعلناه لكي نصل الى هذه النتيجة ـ أما لماذا صبرت طويلاً على تصرفه هذا ، فهذا ما اعجب له انا نفسي . إن الصبي لا يكن ومضة ود لنا ، ولا يحمل ذرة امتنان لكل ما بذلناه من عناية ورعاية نحوه . لقد وفرت له تعليماً ارقى بكثير مما حصلت عليه أنا ، واذا كانت روزالي تعتمد على حبي له ـ فليحفظها الله . إن ما أخشاه هو أن يكون زملاؤه قد زينوا له افكاراً واعمالاً مغايرة عما انتهج في انجلترا . انني أثمن مبادئك المخالفة لمبادئه ، ولشد ما اتمنى الثبات على موقفي الذي يمليه على حسن ظنك . إنني لو قمت بواجبي نحو الله على النحو الذي قمت فيه بواجبي نحو ادغار لما خشيت أن يأتيني الموت متى شاء دون أن يصيبني أي هلع ، غير انني لا بد من أن اختم رسالتي هذه بالدعاء الى الله أن يسبغ نعمته عليه وعليك ، وأن يكلل النجاح كل مساعيكما وأن يبعد الشقاء عن روزالي المسكينة وهي بينكما . فهي على الأقل نصف اختك ، ولا سمح الله ايها العزيز هنري ، أن نقوم بألقاء تبعة خطايا وآثام الأموات على الأحياء » .

إن ما يثير الدهشة هو ان تصدر مثل هذه الرسالة عن جون لان الذي طالما اتسمت كتاباته المعتادة بالأتزان والأسلوب لرفيع . ولا يمكن كذلك الآ التساؤ ل عن السبب الذي دفعه الى

Twitter: @abdulllah1994

ارسالها ، والأثر الذي ستخلفه مثل تلك الرسالة في نفس متلقيها الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره . فهي رسالة حاقدة مريرة ، بل انها أشبه بنفثة غضب صادرة عن رجل يبدو وكأنه يسعى للحصول على مبرر ما . أما لماذا سعي ألان لتبرير نفسه امام هنري ، فسيظل لغزاً . بل انه لم يتورع عن أن يصم أمه الميتة ويشكك في أبوة اخته الصغيرة . قد تبدو اشارات ألان لأدغار بأنها ملاحظات عادية عن صبي مراهق . فالاباء لا يستطيعون عادة أن يتقبلوا ما يطرأ من تطورات في عقول ابنائهم كما لا يستطيعون تقبل توجههم نحو الأستقلالية بحثاً عن الذات والحقيقة ، حيث كثيراً ما يؤدي مثل هذا التوجه غير مكتمل الوعي الى التشكيك بالمعتقدات والمقاييس التي اعتمد الأباء عليها والى اثارة الشكوك المربكة في اعماق الآباء أنفسهم . إن مثل هذا الوضع يبدو أشد سوءاً حين يكون الصبي المعني ولداً متبنىٰ ، وذلك لأن الآباء المتبنين يكونون اكثر عرضة للنظر الى ردود فعل الصبي وتصرفاته وكأنها تنكر منحط ، بل ربما يصل الأمر بهم الى عزو تلك التصرفات الى الأصل السيء للصبي . من الواضح أن ألان قد اتخذ مثل تلك المواقف الدفاعية ، ولأسباب مختلفة .

كان ألان رجل أعمال بحكم ميله الطبيعي ومهنته . غير أن صبياً مثل ادغار لم يكن قابلاً للتأقلم مع عالم التجارة أو مع الذين يمارسونها . ولقد عبر ادغار حقاً عن ذلك في حكاياته الساخرة مثل « رجل الأعمال » التي نشرت عام ١٨٤٠ و « الحياة الأدبية ليثنغام بوب » التي نشرت عام ١٨٤٤ . وقد شكلت الأخيرة هجوماً على ادعياء الأدب ، غير انها تضمنت كذلك اللقطة العرضية التالية : « تربع أبي ، توماس بوب المحترم ، لعدة سنوات فوق قمة مهنته ، وهي مهنة تجارة الحلاقة في مدينة « سماغ » ، وكانت دكانه منتجع سادة المدينة » .

Twitter: @abdulllah1994

ويشير الراوي في هذه الحكاية الى انه قد تم تعميده باسم ثينغام « نسبة الى قريب ثري » ، وهي اشارة واضحة لأسم ادغار الأوسط « ألان » . يشرع بو سكاكينه على نحو اكثر حدة في حكاية « رجل الأعمال » :

انني رجل اعمال ، انني رجل منهجي . المنهج هو الشيء المهم . . . واذا كان هناك ما اكرهه على وجه هذه الأرض فهو العبقرية ، إن عباقرتك جميعهم حمير سائبة ـ كلما كان العبقري عظيماً كان حماراً أعظم ـ ولاو يوجد أي استثناء لهذا القانون . . . الهجوم والعدوان هما مهنتي . . . لم يكن ذلك متفقاً في البداية مع طبيعة بنيتي ، غير أنني دأبت على التدرب عليه بقلب جريء ، ووجدت ذاتي ، هكذا وفيما يلي . . في تلك العادات الصارمة ، عادات الدقة المنهجية . . الحقيقة هي أن اناساً قليلين قد استطاعوا أن ينجزوا في أي مجال ، عملاً دافئاً وصغيراً كما فعلت أنا . سوف اقوم فقط باستنساخ صفحة أو كذا من دفتر اليوميات ، وسوف يعفيني هذا من نفخ بوقي ـ انه لعمل مشيـــن لا يرتكبه أي شخص رفيع المبادىء . الآن ، دفتر اليوميات هو الشيء الوحيد الذي لا يكذب . . .

مثل هذه الآراء عميقة الجذور ، ويبدو أن جون ألان ـ الذي يبدو بأنه كـان يواظب على قراءة دفتر يومياته ودفتر « الأستاذ » ويحرص على تسجيل حساباته الى آخر فلس ، قد استاء جداً اذ رأى بأن ادغار لا يظهر أي ميل نحو أية مهنة مفيدة توفر له استقلاله المادي . فملاحظة ألان في رسالته الى هنري بشأن أولئك الزملاء الذين يقودونه الى طريق « مغايرة » في التفكير ، مهمة . فقد انتمى بعض أولئك الأصدقاء الى

Twitter: @abdulllah1994

ارقى عائلات ريتشموند وكانوا متعجرفين وارستقراطيين واثـرياء وكسالى . وقد اتفق هذا النمط من الحياة مع طبيعة ادغار الحالمة المنشغلة بأمجاد التراث « والأنتماء العريق » الملغز ، بل استثار في اعماقه ذلك الميل الموروث نحو ما هو مسرحي . كان ادغار المراهق ذو الخيال الجامح على استعداد تام لتقبل نبلاء فيرجينيا وكأنهم شخصيات بطولية تذرع مسرح التاريخ أمام جمهور من الفلاحين البلهاء الغيارى ، وكأنهم سلالات ماض عريق تتهددهم تطفلات مستقبل قلق أقل جدارة .

والى جانب ذلك ، فقد كانت هناك اندفاعة ادغار نحو المطالعة وتزايد اهتمامه بالشعر . ولربما دفعه حماسه المتدفق الى التعبير عن رغبته في تكريس حياته للأدب ، وهو أمر لم يكن ممكناً ان يحببه الى الوصي عليه . فعلى الرغم من صعوبة تقبل الفكرة الدارجة عن ألان كأحد البرابرة المربوطين الى طاولة الحسابات ـ حيث رأينا سابقاً انه لم يكن جاهلاً كل الجهل بالأدب وانه أشبع رغبته الأدبية بالمراسلات العديدة التي دبجها ـ إلّا أن عالم الأدب لم يكن في رأيه غير وسيلة للتسلية ، أو لعله حلية اجتماعية . فشأن العديد من الأميركيين خلال تلك المرحلة المغرقة في واقعيتها ، وحيث كان النمو الأقتصادي هو الشغل الشاغل لأمة حديثة التكوين ، لم يكن بمستطاع ألان أن يتقبل الفن طريقاً في الحياة ، حتى ولو حمل بعض التقدير لجهود الفنانين . لقد كان الفن شيئاً ينتجه الآخرون ، ولم يكن بمرتبة العمل من اجل المعيشة . . « اذا كان هناك ما اكرهه على وجه هذه الأرض ، فهو العبقرية . . ان عباقرتك جميعهم حمير سائبة » .

لم يكن ألان ، لأسف بو ، هو الوحيد الذي حمل مثل تلك الأفكار ، وهو أمر ما لبث ادغار ان دفع ثمن اكتشافه . فنبلاء الجنوب

Twitter: @abdulllah1994

الذين طالما اعجب ادغار بهم ، ما لبثوا أن اداروا ظهورهم له حين نجح في كسب معيشته من الكتابة . لقد كانت الأرستقراطية الزراعية تقدر الفن على نحو جيد ، غير أنها لم تكن مستعدة لتقبل فنان محترف ، بل اعتقدت أن تطبيق المعايير الحرفية على كتابة الشعر مثلاً مسألة غير جنتلمانية . فالمسألة بالنسبة لهم لا تعدو أن تكون مسألة العثور على موهوب هاوي . وقد دهش ادغار لهذا الموقف وهو الذي طالما آمن بأن الفنان الحقيقي هو الفنان المحترف الذي يعيش بفنه ومن أجله ، حيث ما لبث أن اضطر الى أن يدير ظهره للجنوب .

غير أن اراء ادغار حول الكتابة لم تكن السبب الوحيد في ذلك الجفاء الذي نشأ بينه وبين جون ألان . فقد كان لدى ألان سبب أهم من ذلك . كان ألان عديم الوفاء لزوجته منذ وقت طويل ، بل وقبل رحيله الى انجلترا . فقد كان لديه على الأقل طفل غير شرعي هو ادوارد كولبير ، ويبدو أنه قد اتخذ من الخيانة الزوجية هواية له بعد عودته الى ريتشموند . سوف تظهر المسز اليزابيت ويليس مع اطفالها الثلاثة الذين يعتقد بأنهم ابناء ألان ، في حياة ادغار لاحقاً . لقد كانت ريتشموند مدينة صغيرة ، وكان من شأن أي علم بتصرفات ألان أن ينتشر في المدينة كلها . ويبدو أن ادغار ، بحكم سعة دائرة اصدقائه ، قد سمع هذه الأشعاعات مما أقلق ألان . لا يمكن التأكد فيما اذا كانت فرانسيس على علم بخيانة زوجها ، غير انها قد قررت كما يبدو عدم اثارة ذلك الموضوع اذ ليس هناك ما يشير الى حدوث مشاكل لها مع زوجها . كان ألان راغباً في الحفاظ على حياته الزوجية حيث كان من شأن اية فضيحة ان تدمر مركزه المهني والأجتماعي ، وذلك بغض النظر عما يمكن أن تسببه لفرانسيس . وقد أيقن كذلك بأنه اذا ما سمع ادغار بتلك الأشاعات ، فان ذلك سيؤدي الى تلك النتيجة ، خاصة وأن

Twitter: @abdulllah1994

الصبي كان شديد التعلق « بأمه » ، كما كان ألان يدرك جيداً حساسية ادغار المفرطة ازاء الشرف ، ولربما يكون ألان قد رمى الى استباق ادغار حين حاول تلطيخ سمعته على النحو الذي فعله في رسالته الخسيسة الى هنري . سوف يعمد ادغار لاحقاً الى تسهيل مهمة ألان بنسج العديد من الأكاذيب عنه .

ليس هناك ما يشير الى المدى الذي بلغه سوء وضع ادغار العائلي في ذلك الحين . غير أنه كان في أمس الحاجة لما ينسبه همومه . وقد سنحت له فرصة تحقيق ذلك في ١٨٢٣ حين دعاه صديقه الأصغر منه سناً ، روب ستاندرد ، المفتون بشخصية ادغار البطولية ، الى منزله لكي يقدمه الى أمه . كانت جين كريغ ستاندرد امرأة في الثلاثين من عمرها ، ذات جمال نادر أشبه بتمثال كلاسيكي شامخ ، لها عينان سوداوان واسعتان وأنف دقيق مستقيم وشفتان ممتلئتان شهوانيتان وبشرة « شاحبة شحوباً متلألئاً ودافئاً كشحوب زهرة الشاي أو اللؤلؤة » . لقد بدت بثوبها الواسع المثير التقليدي ، وفي اطار خلفية منزلها الفخم الأنيق المطل على ساحة الكابيتول ، وكأنها احدى مباهج دروسه الأغريقية ـ الألياذة . فهي هيلين التي لا يستطيع إلّا أن يعبدها كما عبد الأغريق إبنة زفس . كتب لها قصيدة اطلق عليها « الى هيلين » :

هيلين ، إن جمالك بالنسبة لي
أشبه بتلك القوارب « النيسية » القديمة ،
التي حملت الجوال المرهق الذي هده السفر
برقة فوق بحر مضمخ بالعطر
الى شاطىء الوطن .

أنا الذي تعودت الترحال في بحار التيه

Twitter: @abdulllah1994

ها هو شعرك الهيسنثي ، ووجهك الكلاسي ،
واجواؤك النيادية ،
تعيدني الى الوطن
الى المجد الذي كان يوماً اغريقية
والعظمة التي كانت يوماً روما .

هناك في كوة النافذة المتلألئة
أراك تقفين كتمثال
المصباح العقيقي بين يديك !
آه ، سايكي ، من الأقاليم التي ،
هي الأرض المقدسة .

« المجد الذي كان يوماً اغريقية ، والعظمة التي كانت يوماً روما» تلك هي اكثر الكلمات شهرة مما كتب ادغار ألان بو ، وهي ذكرى خالدة للمرأة التي ألهمته بها .

حين ظهرت « الى هيلين » ضمن مجموعة بو الشعرية في عام ١٨٤٥ ، وضع المؤلف ملاحظة قال فيها : « أسباب خاصة ـ بعضها يتعلق بخطيئة الانتحال ، وبعضها بتاريخ قصائد تينسون الأولى ـ قد اقنعتني بعد تردد ، بنشر هذه القصائد التي تضم تأليفاتي الفجة في أوائل مرحلة الصبا . . . انني انشرها حرفياً ـ دون تغيير في صيغتها الأصلية ـ إن تاريخ تأليفها قد اصبح بعيداً الى حد يتعذر تحديده بدقة » . لقد نشرت « الى هيلين » لأول مرة في عام ١٨٣١ ، فهي لم تظهر في مجموعتي بو المبكرتين اللتين ظهرتا في ١٨٢٧ و ١٨٢٩ . غير أن هذا لا يعني بالضرورة انها لم تكن قد كتبت في « أوائل مرحلة الصبا » ، حيث ان بو كان يعمد دائماً الى مراجعة قصائده وتشذيبها ،

Twitter: @abdulllah1994

ولعله لم يعتبر هذه القصيدة مكتملة بشكلها النهائي الا في ١٨٣١ . من جهة ثانية ، حين ظهرت مجموعة عام ١٨٤٥ ، كان بو منهمكاً في الدفاع عن نفسه ضد تهمة تقليد تينسون (أصبح موضوع التقليد كابوساً يقض مضجعه في اواخر ايامه) وهي تهمة دفعته الى محاولة ارجاع قصائده الى ابعد تاريخ مبكر ممكن . غير أنه من المؤكد رغم ذلك ، إن المسز ستاندرد هي ملهمة هذه القصيدة ، حيث تحدث بو فيما بعد عن « الأبيات التي كتبتها في مرحلة صباي العاطفية لأول حب مثالي نقي عرفه قلبي . . . هيلين ستاندرد » .

كانت المسز ستاندرد زوجة لأحد القضاة ، وقد اصبحت صديقة ادغار وموضوع ثقته وملاذة اذا ما ضاق به الحال في البيت ، ومرشده الروحي والناصح له ، كما وجد فيها ادغار صورة أمه ورمزاً للمرأة المثالية . فهي أول تجسيد لأليزابيث أرنولد بو وما احتفظ بذاكرته من جمالها وما اضافت اليه مخيلته . وذلك الحنان الأمومي الذي لازم مخيلته . حقاً لقد وجد ادغار في فرانسيس ألان أماً ثانية ، غير انها لم تكن الأم المثلى التي يبتغيها ، أو لعله لم يجد فيها الأم التي اعتقد بأنه جدير بها . ولدى المقارنة ، فقد كانت جين ستاندرد ربة ذكية وجميلة ، وهي الصورة التي استطاع ان يحلها محل أمه ، وهي صورة جديرة بأحترامه مدى الحياة .

لم تدم سعادة ادغار طويلاً ، حيث ما لبثت جين ستاندرد أن اصيبت بورم في الدماغ أسلمها للجنون ثم ماتت في نيسان ١٨٢٤ . صعق ادغار . ها هو يخوض أول تجربة مباشرة مع الأدب الرومانتيكي ، موت امرأة جميلة ، وسيصور هذا الرعب في بعض اعظم قصصه وفي معظم قصائده . سيقابل بعد سنوات هيليناً اخرى ، ولكنها سوف لا تكون على تلك الصورة المثالية التي وجدها في الأولى ،

Twitter: @abdulllah1994

وسوف يعترف لها بأنه قد قضى ربيع عام ١٨٢٤ وهو يرود قبر المسز ستاندرد. ربما كانت تلك أول محاولة له لسبر تلك العلاقة القائمة بين الحب والموت ، وهي محاولة سوف يتابعها دونما هوادة في اعماله . اما من الناحية المباشرة ، فلعل موت جين ستاندرد كان احد الأسباب التي دعت جون ألان الى القول في رسالته الى هنري في خريف عام ١٨٢٤ بأن ادغار « شديد الابتئاس وحرون وسيء المزاج » .

غير أن معنويات ألان نفسه لم تكن على ما يرام في اواخر ١٨٢٤ . فقد كان على شفا الافلاس وتدهورت اعماله الى الحضيض ، ولولا صدقة عمه لما وجد سقفاً يؤي عائلته . ولا شك بأن تلك الأيام كانت عصيبة . غير ان حدثاً دراماتيكياً مفاجئاً ما لبث أن رافق بداية العام الجديد . ذلك هو مرض عمه وليم غالت الذي فارق الحياة في اذار ١٨٢٥ بعد أن سمىٰ جون ألان وريثه الأول ، محيلاً ألان الى اغنى رجل في ريتشموند : « إنني أعطي ، أورث واهب المدعو جون ألان ، مقاطعاتي الثلاث المسماة « بيرد » بكل عبيدها ومواشيها وكافة الممتلكات العائدة . . . » . جاوزت حصيلة تلك الصفقة ستة الاف أكر من الأراضي الخصبة المتاخمة لنهر جيمس على بعد نحو خمسين ميلاً الى القرب من ريتشموند ، وذلك اضافة الى مساحة من الأرض عليها مجموعة من الشقق في شارع « ي » في ريتشموند ، وقطعة ارض خاوية عند زاوية شارع « ف » والشارع الثاني ، وبعض الممتلكات الأخرى التي كان غالت قد اشتراها من شركة إيليس ـ ألان لدى تصفيتها ، ثم البيت الذي اسكن فيه ألان وعائلته . هكذا اصبح جون ألان بين ليلة وضحاها صاحب اموال ورجلاً ثرياً غير مضطر لممارسة أي عمل ، أو القلق على اسعار التبغ أو من أين سيأتي الدولار الآخر . لقد اصبح ألان سيداً مهذباً « جنتلمان »

Twitter: @abdulllah1994

بفضل ثروته إن لم يكن بفضل خلفيته .

ربما يعتقد المرء بأن ضربة الحظ هذه سوف تدفعه الى الأهتمام بإدغار على نحو أفضل من السابق . غير أن ما حدث هو العكس تماماً ، حيث اصبح اكثر دناءة من أي وقت مضى ، وعمد الى اجبار الصبي على القيام بأعمال من شأنها ان تسيء الى مجمل حياته المقبلة . غير أن نشوة الثراء المفاجيء قد أنسته الصبي الذي لا يقربه ، لفترة من الوقت خلال عام ١٨٢٥ .

أقدم ألان قبل كل شيء على الأنتقال الى منزل اكثر لياقة بموقعه الحياتي الجديد ، وذلك عند زاوية الشارع الخامس والشارع الرئيس على بعد خطوات من الكابيتول . كان منزلاً فخماً غريب الطراز مؤلفاً من طابقين تحيط بكل منهما شرفة واسعة وسط حديقة شاسعة مكتظة بأشجار التين والعنب والمجنبات والأزهار المختلفة . كان قصراً حقيقياً دفع ألان خمسة عشر ألف دولاراً ثمناً له . شهد هذا القصر العديد من العائلات الفيرجينية العريقة التي اخذت تتردد عليه تلبية للدعوات التي تلقتها من المسز ألان ضمن محاولات تسلق السلم الاجتماعي . تعلم ادغار من هؤلاء الضيوف الآداب الجنوبية المنمقة المصطنعة والتي لازمته طيلة حياته (استطاع ادغار بهذه العادات أن يؤثر في بعض الناس والنساء بوجه خاص ، غير انها كانت مدعاة للسخرية في مجتمع نيويورك الذي سيغشاه ادغار في وقت لاحق محاولاً تثبيت موقعه كشخصية أدبية في الشمال) .

أما الضيف الآخر الذي زار القصر وقضى بعض الوقت فيه في عام ١٨٢٥ ، فهو شقيق ادغار ، هنري بو . كان هنري في ذلك الحين ضابط صف في البحرية الأمريكية . وقد جلب معه الى ريتشموند بعض

Twitter: @abdulllah1994

اخبار العائلة البلتيمورية التي لم يلتق ادغار بأحد منها . فقد اصبحت جدته أرملة منذ عام ١٨١٦ ولم يكف راتب زوجها « الجنرال » التقاعدي ، البالغ أربعين دولاراً ، نفقات معيشتها مما اضطرها الى الانتقال للاقامة مع ابنتها ماريا كليم . وقد أدى ذلك الى خلق بعض المشاكل لإدغار في المستقبل .

أفضى ادغار كذلك بما فيه قلبه لهنري . فهو يحب، يحب حقاً فتاة في الخامسة عشرة اسمها سارة ألميرا رويستر. لم يكن هذا الحب حباً نقياً طاهراً كالذي حمله الشاعر لهيلين طروادة (أعترفت ألميرا بعد ذلك بأن ادغار لم يكتب لها أية قصيدة) بل حباً جسدياً قوياً وعارماً مراهقاً . كانا قد التقيا بعد انتقال عائلة ألان الى الشارع الخامس حيث كانت عائلة رويستر تقيم في الطرف المقابل . ويبدو أنهما قد انجذبا لبعضهما على الفور حيث لم يمض على تعارفهما بضعة أشهر حتى اصبحا خطيبين على نحو غير رسمي واضطرا بعد ذلك الى الأفتراق .

كانت ألميرا ، وفق ما رواه معاصروها ، فتاة جميلة ذات وجه شاحب صيني الطفولة ، وعينين سوداوين كبيرتين ووجه متوج بحلقات الشعر . في حديث لها مع إدوارد فالينتاين في عام ١٨٧٥ ، أعطت ألميرا وصفاً لأدغار المراهق ، وقد تم تسجيل هذا الحديث ولا يزال محفوظاً في متحف فالينتاين في ريتشموند :

> كان صبياً جميلاً ـ قليل الكلام . غير أنه كان مثيراً اذا تكلم . مع ذلك ، كان مظهره العام حزيناً ـ كان شديد الحب للمسز ألان ، وكانت هي الأخرى شديدة الحب له . كان كريماً جداً ، وكان يحمل في نفسه احقاداً قوية . كان يكره كل ما هو فظ وغير مهذب . لم يتحدث مطلقاً

Twitter: @abdulllah1994

عن والديه . كان عطوفاً على شقيقته الصغيرة الى اقصى حد . وحميماً ومخلصاً لأية قضية تثير اهتمامه ، شديد الحماس والاندفاع . كنت في الخامسة أو السادسة عشرة حين غازلني وقد أصبحت خطيبته . . .

وقد روت ألميرا حادثة تدلل فيها على مدى كراهية بو لكل ما هو غير مؤدب . كانت بصحبة احدى صديقاتها ذات يوم اذ التقيا بأدغار ، وقد سمع صديقتها تبدي بعض الملاحظات غير المحتشمة ، فما كان منه الاَّ أن أنبها على مصادقتها لمثل تلك الفتاة . نمت الرابطة بينهما باطراد في صيف ١٨٢٥ ، وحين أخذ ادغار يستعد لمغادرة ريتشموند من اجل الألتحاق بجامعة فيرجينيا ، تعاهدا على الاخلاص ،غير أنهما لم يستطيعا التفكير بالزواج الاّ بعد نحو عشرين عاماً .

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الرابع

تعلم الطريق الصعب

سوف يتضح بأن رحيل إدغار الى جامعة فيرجينيا القائمة في مدينة تشارلو تفيل التي تبعد نحو سبعين ميلاً الى الغرب من مدينة ريتشموند ، سيشكل نقطة تحول في حياته ، بل والبداية الفعلية لانحداره نحو التعاسة والبؤس . ثمة فترات من السعادة والأمل منذ ذلك الحين ، غير أن ادغار لن يستطيع انتشال نفسه من المحن التي كمنت في انتظاره منذ أن غادر البيت أوائل ١٨٢٥ . فهو لم يكن يتوقع اذ العربة تهدر به بعيداً عن ريتشموند أن مغامرته العاطفية مع ألميرا رويستر قد انتهت ، كما لم يتوقع أن جون ألان الذي أرسله الى تشارلو تفيل لأسباب سوف نناقشها لاحقاً ، سوف يتخلى عنه نهائياً ، بل وسيسعى الى تحطيمه . بل انه لم يكن يتوقع ايضاً أن يقع فريسة ضعفه الخلقي ومرضه الجسدي .

في الرابع عشر من شباط ١٨٢٦ ، تم تسجيل ادغار في سجل

Twitter: @abdulllah1994

القبول في الجامعة : اسمه ، تاريخ ميلاده ، مكان اقامته واسم ولي امره ، انضم ادغار الى نحو ١٧٧ طالباً معظمهم من ابناء أرقى عائلات فيرجينيا ، لكي يتلقى تعليماً عالياً هو الأول من نوعه في ذلك الحين ، وهو تم تطبيقه وفقاً للتصور الذي وضعه توماس جيفرسون . فقد كان مؤلف « بيان الأستقلال » قد اعتزل الرئاسة في عام ١٨٠٨ بعد ان قضى فيها فترتين رئاسيتين : كان في الخامسة والستين من العمر وقد كرس وقته منذ ذلك الحين من اجل تأسيس تقاليد ثقافية وتربوية وفلسفية على غرار الأسس التي كان قد وضعها في مجال السياسة الاميركية ازاء الديمقراطية والحرية الفردية والتي ما زالت سارية حتى وقتنا الحاضر . كان جيفرسون مثالياً ، غير أنه لم يكن ساذجاً رغم عدم ادراكه لحقيقة أنه لا يمكن تصور جميع الناس قادرين على الألتزام بمبادئه هذه .

كانت جامعة فيرجينيا احدى الثمار التطبيقية لحماس جيفرسون الاصلاحي . فقد آمن ، الى جانب ايمانه بأن توفير التعليم واجب على كل ولاية ، بأن التربية هي جزء اساسي من العملية الديمقراطية . وأي مكان أجدر بتطبيق نظريته هذه من ولايته حيث مسقط رأسه ، وحيث نظام التعليم فيها كان ما زال وفق نظام التعليم الأنجليزي العام ؟ كان هدف جيفرسون من تأسيس الجامعة هو ، كما عرفه بنفسه : « تطوير القابليات العقلية لشبابنا ، توسيع مداركهم وتشذيب اخلاقهم ، وتشريبهم مبادىء الفضيلة والنظام ـ وبشكل عام ، تدريبهم على عادة التفكير والعمل الصائب وجعلهم نماذج الفضيلة للأخرين والسعادة الذاتية لأنفسهم » .

لم يكن تحقيق هذا الطموح أمراً سهلاً ، وقد اضطر جيفرسون الى الانتظار تسعة أعوام كاملة قبل أن يستطيع اقناع دائرة التشريع العام

Twitter: @abdulllah1994

في ولاية فيرجينيا بتخصيص خمسة عشر ألف دولار سنوياً للجامعة الجديدة . اختار جيفرسون المكان في تشارلوتفيل ورسم مخططات الأبنية ـ حيث تنتصب الآن نموذجاً بارزاً للهندسة الكلاسيكية ـ وأشرف على عملية البناء . ثم وضع القوانين الاساسية لادارة الجامعة ونشاطاتها الأكاديمية ، ثم اقنع افضل العلماء الذين استطاع العثور عليهم بالألتحاق بالهيئة التدريسية . حيث فتحت جامعة فيرجينيا ابوابها في أوائل ١٨٢٥ ، كانت أول مؤسسة تربوية تتيح لطلابها تعلم الموسيقى والفنون العامة ، بل واختيار الدروس التي يرغبون دراستها .

درس إدغار اللغات القديمة والحديثة حيث تتلمذ في الأولى على يد البروفسور جورج لونغ ، وهو عميد انجليزي شاب ، بينما تتلمذ في الثانية على يد البروفسور جورج بلاترمان ، وهو عميد ألماني سيء المزاج لم يحجم عن استخدام العنف ضد الطلاب (وقد فصل بعد تزايد احتجاجات الطلاب عليه) . كان ادغار وفق سيرته التي كتبها جورج وودبري في القرن التاسع عشر « متباهياً أكثر مما هو جديّ ، ولم يتعمق في دراسة هذه اللغات » . غير ان ما حصل عليه بوحقاً هو سمعته كسكير ، وهي سمعة لازمته طيلة حياته وأدت الى تلطيخ سمعته بعد موته . يصفه وودبري بقوله :

> كان في السابعة عشرة من عمره في ذلك الحين ، قصير البنية بعض الشيء ، ممتلىء الجسم ، له ساقان مقوستان . كان يمشي بطريقة منخلعة كصبي انجليزي ، [ربما يكون هذا الوصف ناجماً عن مقارنة مشيته بمشية الصبي الأميركي بشكل عام والمتسمة بالخطوات الواسعة غير السريعة] . تحول حياؤه الطبيعي الى تحفظ دائم ، كان وجهه محاطاً بهالة من حلقات الشعر الأسود ومكسواً

Twitter: @abdulllah1994

بتعبير صارم حزين ، وهو تعبير ناجم عن الاستغراق في الأحلام اكثر من كونه ناجماً عن حزن حقيقي . غير ان تقاطيع وجهه كثيراً ما التمعت بالحيوية اذا ما تحمس لقضية ما ، وما اكثر ما فعل . كان يوزع وقته ، شأن بقية الطلاب ، بين قاعة المذاكرة وقاعة الملاكمة وطاولة لعب الورق والألعاب الرياضية والقيام بالمشاوير الخارجية . صادق مجموعة مرحة من الطلاب . أقام أولاً في غرفة مع زميل له يدعى مايلز جورج من ريتشموند ، غير انه ما لبث أن تشاجر معه وخاضا منازلة ملاكمة رسمية (تصافح الأثنان بعد المنازلة) وانتقل الى الجناح الغربي . هناك غطى جدران غرفته بعدة رسوم لبايرون بقلم الفحم ، وصار يدعو اصحابه لتناول شراب « الخوخ والعسل » وهو شراب البنش الجنوبي المعروف في ذلك الحين ، والى لعب الورق . كان يتصرف سواء اثناء الشرب أو لعب الورق بشكل نزوي ، كان شخصاً نزوياً أو ربما كان يتظاهر بذلك .

لقد ساد الاعتقاد وفقاً لمختلف الأساطير التي نسجت حول ادغار بو ، بأن الجامعة قد حولته الى سكير متلاف . وكان الناس على اتم الأستعداد لتصديق ذلك بعد موت بو في ضوء العديد من الأشاعات التي تداولها الناس في أواخر أيام حياته ونتيجة للأكاذيب التي روجها أول كاتب لسيرته ، روفوس غريزوولد الذي كان يعتقد بأن لديه من الأسباب ما يكفي لكي يبغض بو كما سيتضح فيما بعد . أما وودبري ، فقد حاول أن يكتب سيرة متعاطفة مع بو ، كما ادرك قيمة بو جيداً ، غير أنه قد كتب تلك السيرة في زمن كانت فيه المفاهيم البيورتيانية التي

Twitter: @abdulllah1994

طالما انتهكها بو ما زالت سائدة ، ولذلك فهو لم يدقق في مدى صحة الاشاعات المنتشرة .

هناك لحسن الحظ العديد من الأدلة الكافية لتكوين صورة اكثر اتزاناً لبو . أحداها ، وفي هذا المجال بالذات ، صادرة عن مايلز جورج ذاته الذي قال في رسالة مؤرخة في الثامن عشر من ايار ١٨٨٨ موجهة الى ادوارد فالينتاين ، أنه لم يقم في غرفة واحدة مع بو أبداً كما لم يتشاجرا أبداً ، أما نزال الملاكمة ، فلم يكن غير لعبة صبيانية . كذلك اعترض جورج مايلز على الوصف الجسدي الذي قدمه وودبري لبو قائلاً بأن ما يذكره عن بو هو انه كان رقيقاً ونحيلاً ويتراوح وزنه بين مئة وثلاثين ومئة واربعين باوناً ـ وانه اذا كانت ساقاه مقوستين حقاً ، فلا بد وأن ذلك التشويه كان ضئيلاً جداً الى درجة لم يلحظه أحد .

يلقي جورج مايلز اضواء مفيدة اخرى على شخصية بو ، فهو يقول بأن ادغار كان يدعو زملاءه الى غرفته لكي يقرأ شعراً لهم ، وخاصة القصائد التي كان يكتبها هو . وكثيراً ما عمد الى تسليتهم اذ يمسك بقلم الرصاص ويرسم اشكالاً هزلية على جدران غرفته بمهارة فائقة بحيث أن اصدقاءه كانوا يتساءلون فيما اذا كان سيصبح رساماً أم شاعراً . ويقول ايضاً بأن بو كان كثير القلق سريع الأستثارة ، يهتاج حيناً ويخلد للحزن والكآبة في احيان أخرى ، غير انه كان في معظم الأحيان حيوياً ورقيقاً ولطيف المعشر . كذلك ذكر جورج أن بو كان يعاني من التهيج العصبي المفرط ، غير انه اضاف بأنه انما كان يشرب من اجل تهدئة اعصابه وليس من اجل افتعال الانفعال .

أما توماس غودتاكر ، وهو زميل آخر من زملاء بو في الجامعة ، فقد وصف عادة تناول الشراب عند بو بقوله : « كانت اندفاعة بو نحو

Twitter: @abdulllah1994

الشراب القوي مميزة وغريبة شأنه في لعب الورق . لم يكن طعم الشراب هو الذي يؤثر فيه . . كان يمسك بالكأس الممتلئة ومن دون أن يأخذ رشفة أو جرعة منها ، ودونما قطرة سكر او ماء ، يفرغها في جوفه دفعة واحدة . غالباً ما طرحه ذلك طرحاً ، واذا لم يحصل ذلك ، فنادراً ما كرر العملية » . توحي هذه الملاحظة بأشياء مهمة ـ ولكن على غير النحو الذي افترضه وودبري حين وظفها من أجل ان يؤكد على سلوك بو « النزوي » . إن ما يمكن استنتاجه منها هو أن بو لم يكن يحب شراب « الخوخ والعسل » الذي كان الناس يشربونه لطعمه اللذيذ وتأثيره المسكر . بل كان يشربه بهذه الطريقة التبجحية من اجل اخفاء بغضه له ، خوفاً من ان يصبح محط سخرية زملائه فيما لو اكتشفوا كراهيته له . فقد كان بو أحد افراد مجموعة مرحة لاهية من الشباب ، بل اكثر الشباب مرحاً من شباب الأرستقراطية الزراعية . وقد نشأ هؤلاء على الأيمان بتفوقهم ولم يعرفوا ضبط النفس وكانوا يهتمون بالخيول اكثر من اهتمامهم بالتاريخ ، وبورق اللعب اكثر من اهتمامهم بالتراث وبمسرات الشراب اكثر من اهتمامهم بالأدب . لم يكن بمقدور ولد يتيم من أبوين كانا ممثلين أن يأمل في مضاهاة زملائه الطلاب على الرغم من الثروة والموقع الأجتماعي اللذين هبطا فجأة على ولي أمره ـ فالمال ، كما أدرك العديد من متسلقي السلم الاجتماعي ، لا يشكل بديلاً لشجرة العائلة ، والثروة المكتسبة انما تخلق طبقة خاصة بها وليس بمقدور هذه الطبقة أن تندمج بسهولة بالأرستقراطية التقليدية . حقاً ، لقد شهد الجنوب القديم في تلك الفترة بداية انقسام اجتماعي خطير اذ اضطرت ارستقراطية الأرض الى خوض الصراع من اجل البقاء امام تصاعد الطبقة التجارية . غير ان ادغار ، وربما يعتبر هذا موقفاً جاحداً ، ظل على تعاطفه مع الطبقة الحاكمة ، واذا لم يكن بمستطاعه

Twitter: @abdulllah1994

ان يصبح جزءاً منها ، فقد اتاحت له حياته الجامعية على الأقل فرصة مشاركة هؤلاء الأرستقراطيين الشباب حياتهم . جلب عليه ذلك انتقادات كثيرة ، منها ما قاله في وقت لاحق البروفسور لونغ الذي كان قد غادر الجامعة في ١٨٢٨ عائداً الى انجلترا : « كان هناك شباب ممتازون ، وكان هناك بعض أسوأ من عرفت من الشباب » . لم تسر الجامعة على النحو الذي اراده جيفرسون . فالمفهوم الثوري العظيم للديمقراطية قد أقر تمتع الطلاب بالادارة الذاتية ، غير ان أولئك الطلاب المتعجرفين لم يكونوا أهلاً لأي نظام ، ناهيك عن كونهم أهلاً لأي انضباط ذاتي . وما إن شارف العام الأول على الانتهاء حتى عمت الفوضى وبلغت حداً بحيث اصبح لا مناص من وضع زمام القانون في يد الأدارة ، حيث تم فرض القوانين الصارمة التي ما لبثت بدورها ان أدت الى ردة فعل عنيفة من قبل الطلاب . في أيار ١٨٢٦ ، كتب إدغار رسالة الى جون ألان جاء فيها :

> لا بد أنك قد سمعت بأحداث الجامعة ـ فبعد مغادرتك هنا مباشرة ، احتجت « هيئة المحكمين » ووضعت قوانين اثارت الهلع بين الطلاب بحيث لم يعد هناك من يحضر المحاضرات . أما الطلاب الذين سجلت اسماؤهم في قائمة العمدة ، فقد هربوا الى الغابات والجبال حاملين معهم فراشهم وطعامهم . بلغ عددهم نحو خمسين طالباً هكذا يمكنك ان تتخيل الى أي حد تضاءل حجم الجامعة ـ حدث ذلك في اليوم الأول من أيام الرعب ، أما في اليوم الثاني ، فقد اصدرت ادارة الجامعة « بلاغاً » حظرت فيه تحت طائلة العقاب على أي طالب أن يغادر القسم الداخلي بين الثامنة والعاشرة صباحاً (وهو الوقت

Twitter: @abdulllah1994

الذي يتواجد فيه العمداء) أو مقاومة السلطة القانونية للعمداء . لم يلتزم أحد بهذه الأوامر وذلك لأن الهلع من « هيئة المحكمين » يفوق الخوف من ادارة الجامعة . وقد هرب الطلاب المتهمون ثانية الى الغابات ـ ولدى اجراء التفتيش في صباح اليوم التالي من قبل الادارة ، تم توجيه توبيخ لبعض الطلاب وتم تعليق دراسة جيمس ألبرت كلارك (كان معي في مدرسة بيرك) كما علقت دراسة أرمستيد كارتر ، وهو من المنطقة المجاورة ، وذلك حتى نهاية الفصل . أما توماس بيركلي ، فقد فصل نهائياً .

حدثت العديد من المشادات منذ ان كنت هنا . واحدة بين تيرنر ديكسون وبلو ، وهو من نورفوك . وقد كانت هذه المشادة مثيرة اكثر من المشادة السابقة التي شاهدتهاأنت ، حيث لا يعبأ احد بالمشادات التافهة التي تحدث كثيراً . كانت اليد العليا فيها لبلو ، غير ان ديكسون عاجله بضربات دنيئة جداً ، بحيث ان جميع طلاب نورفوك امتشقوا السلاح ، وبقيت هذه المشادة حديث الجامعة لأسبوع ، وامتلأت الأعمدة بالأوراق البيضاء المليئة باتهامات ديكسون وايضاحات بلو ـ وقد قام ديكسون بشن هجوم فعلي على أرثر سميث ، وهو طالب من نورفوك وشاب جيد جداً ، حيث قذفه بحجر كبير على طرف رأسه ، وسارع سميث الى إشهار مسدسه (وتلك موضة سائدة هنا) . ولولا أن الطلقة لم تصب الهدف ، لكان قد تم وضع حد لهذه المشادة . غير ان هذا ما حدث ، فقد اخطأت الرصاصة الهدف ـ وبادر الناظر الى استدعاء المحقق لجمع الأطراف من الجانبين ـ نحو السلام .

Twitter: @abdulllah1994

تكررت مثل هذه الحوادث مئات المرات ، وكثيراً ما اندلعت اضطرابات واسعة ، غير ان ادغار ، كما يبدو ، لم يتورط بمثل هذه المشاكل أبداً ، وقد استدعي مرة للتحقيق في معلومات تفيد بتورطه مع القيمين على شؤون القسم الداخلي . لم يكن القيمون في ذلك الحين على النحو الجاري الآن ، بل كانوا مواطنين بارزين تم تعيينهم كمشرفين لإمداد الطلاب بالطعام والأثاث والقيام بمهام الغسيل وغير ذلك من الخدمات ـ وقد كان جيفرسون قد أمل في ان تناط بهؤلاء القيمين مهمة التوجيه الروحي للطلاب ، غير ان المصلحة التجارية ما لبثت ان سيطرت بالطبع على تصرفات هؤلاء القيمين حيث لم يعودوا مستعدين لتهديد مصير صفقاتهم بمنع الطلاب عن تبذير طاقاتهم بالشراب والمقامرة ، وهما رذيلتان كانتا تعتبران لائقتين جداً بالنسبة للسيد الجنوبي . وبما ان ادغار كان دائم التطلع للوصول الى موقع السيد ديوغدغ رغبة الانتماء التام لذلك الوسط ، فقد القى بنفسه بحماس كبير في خضم تلك الممارسات . واذا كانت كراهيته للكحول قد وقفت حائلاً ، فإن انغماسه في لعب القمار ما لبث ان أوقعه في ورطات كبيرة وانطبق عليه المثل القائل « اذا كنت غير قادر على تحمل الخسارة فلماذا تقامر ! » .

كان جون ألان قد وضع في جيب الصبي حين أرسله الى الجامعة مبلغ مئة وعشر دولارات . وقبل نهاية الأسبوع الأول في تشارلوتفيل ، كان ادغار قد اضطر ، ولأسباب لم يكن مسؤولاً عنها ، أن يستدين تسعة وثلاثين دولاراً . بعد عدة سنوات كتب ادغار موضحاً ذلك :

> بلغت تكاليف الجامعة وفق أقل تقدير نحو ٣٥٠ دولاراً في العام ، منها خمسون دولاراً للتسجيل فيها ، وستون دولاراً

Twitter: @abdulllah1994

لحضور محاضرات استاذين ، وخمسة عشر دولاراً إيجار غرفة . ولا بد من التذكر بأنه يتحتم دفع هذه المبالغ مقدماً . ثم عشرة دولارات ايجار فراش للنوم ، واثنا عشر دولاراً ايجار اثاث الغرفة . . كل ذلك ولم يكن معي غير مئة وعشر دولارات .

بلغ مجموع هذه التكاليف مئة وتسعة وأربعين دولاراً . وقد اضطر ادغار أن يستدين في الحال من قيم القسم الداخلي ، جورج سبوتسوود (وقد اعتبر ذلك مخالفاً لقوانين الجامعة) . كتب ادغار الى ألان طالباً المزيد من النقود ، أرسل له أربعين دولاراً حيث سدد بها ديونه ولم يبق في جيبه غير دولار واحد . تذكر ادغار ذلك بمرارة :

كنت مضطراً لاستئجار خادم ، وشراء الحطب ودفع اجرة الغسيل والاف المصاريف الضرورية الأخرى . لا بد من شراء الكتب اذا ما أردت الأستمرار في دراستك ، وكان يتم شراء الكتب « بالدين » . هكذا تراكمت الديون عليّ ، وكان مبلغ الفائدة على النقود ، التي نستدينها عادة من اليهود في تشارلوتفيل ، خيالياً .

تؤكد الأدلة المختلفة صحة كلام ادغار . فبعد عام من ذلك الحين ، كان جورج سبوتسوود ما زال يحاول استرداد المال من جون ألان ، الذي كان قد ادانه لإدغار من أجل توفير خادم له . وفي نهاية عام ١٨٢٨ كانت هناك قائمة تعود لمجهز الملابس قيمتها ثمانية وستون دولاراً ، بانتظار الدفع . وقد كتب سبوتسوود لألان قائلاً : « لا شك أنك كنت على علم حين ارسلت السيد ادغار الى الجامعة بأنك ملزم بدفع مصاريفه الضرورية على الأقل » . ومن الواضح أن ألان لم يفعل

Twitter: @abdulllah1994

ذلك . ربما لم تكن لدى ألان فكرة واضحة عن تكاليف الجامعة ، غير أنه من الواضح أيضاً أنه كان مقتدراً تمام الاقتدار على الدفع ،ولكنه رفض ذلك بكل بساطة . ولكن ، اذا كان ألان لا يريد ان يدفع هذه التكاليف ، فلماذا أرسل ادغار الى الجامعة ؟ هناك تفسيران محتملان ، أولهما رغبته في إبعاد ادغار عن ريتشموند بسبب اطلاعه على ممارسات ألان اللازوجية والتي ربما يكون قد اطلع فرانسيس عليها . أما الثاني ، فهو ان ما حصل عليه ألان من إرث ضخم قد جعله أحد مواطني ريتشموند البارزين وأصبح ملزماً بتطبيق بعض المعايير الأجتماعية اللائقة بموقعه الجديد والتي منها توفير التعليم العالي « لابنه ووريثه » (لم يكن هناك من يشك في ذلك الحين بأن ادغار هو إبنه الحقيقي) . ولقد كان من المتوقع ان يقوم ألان بأرسال ادغار الى كلية « وليم أند ماري » في وليمزبرغ التي كانت من أكبر وأقدم مراكز التعليم منذ عهد الأستعمار ، وهي الكلية التي تخرج منها جيفرسون نفسه ، غير ان أحد اصدقاء ألان المقربين وأحد انصار مشروع جيفرسون الجامعي ، وهو الجنرال جون كوك ، قد أقنعه بأفضلية جامعة فيرجينيا . ويمكن تصور مدى انجذاب الثري الجديد لهذه الفكرة : ثمة شيء فريد في حقل التعليم يحصل لأول مرة ، شيء من تصميم أحد مؤسسي الأمة وبدعم من أرستقراطيتها . فالمكاسب الأجتماعية التي سيجنيها بأرسال « وريثه » الى تلك الجامعة سوف تعوض الخسارة المالية .

واذا كان ألان قد وقع حقاً تحت تأثير أي من هذين الأحتمالين في بداية الأمر ، فهو ما لبث أن اصبح يتطلع الى هدف واحد ، وهو ، كما سترى ، تحقير ادغار واهانته والإساءة الى سمعته ، ثم طرده نهائياً من عائلته . كان ألان شديد الأهتمام بمكانته الأجتماعية ، وسوف يتضح ذلك في كتابته لوصيته ، حيث أصر على المحافظة على حياته

Twitter: @abdulllah1994

الزوجية رغم علاقته بنساء آخريات ، كما التزم بتأمين مستقبل ابنائه غير الشرعيين . فهناك ادوارد كولبير الذي يعتقد بأنه أول ولد غير شرعي له ، ويعتقد بانه قد إنجب طفلة اخرى من المسز ويليز في عام ١٨٢٦ حيث حاول ألان أن يخصص لها مبلغاً في وصيته . واذا كان ادغار هو الوريث ، فهذا يعني أن الآخرين سوف يظلون في العراء ، وما الذي سوف يقوله الناس عن أبيهم ؟ وما زاد الأمر سوءاً ، هو ان ألان لم يعتقد بأن ادغار سيكون أميناً على تلك الثروة . فهو في نظره انسان متسكع لا يهتم الاّ بكتابة الشعر وقراءة الكتب ، ولم يكن ألان على استعداد للتفريط بثروة محترمة . هكذا وجد ألان أنه لا بد من « تدبير أمر » ادغار . ليس من السهل ايجاد تفسير آخر لتصرفاته .

لم تبدر في أوائل عام ١٨٢٦ أية بوادر فعلية لتلك المأساة التي سوف تنقض على حياة ادغار . حقاً لقد كانت هناك مشكلة شحة المال ، غير ان ادغار استطاع ان يدبر أموره بالاستدانة معتمداً في ذلك على سمعة ولي أمره وصيت ثرائه الواسع . إن شاباً في السابعة عشرة من عمره مثل ادغار ، لا بد وأنه كان معنياً بمهمات اكثر أهمية من التفكير بتصرفات جون ألان ، الا وهي مهمة اقتحام العوالم الجديدة . لم تشكل دراسته الاكاديمية عبئاً عليه ، فقد اقتصرت على محاضرتين في كل يوم من ايام الدراسة الستة ، وذلك من السابعة وحتى التاسعة صباحاً . أما ساعات النهار الأخرى ، فكانت ملهاً له وقد وزعها بين المذاكرة واللهو . لم تكن الدراسة مع ذلك سهلة . فمكتبة الجامعة لم تكن تفتح ابوابها الاّ يوماً واحداً في الأسبوع ، وكانت استعارة أي كتاب تتطلب تقديم طلب خطي قبل اربع وعشرين ساعة . لم يستعر اي كتاب خلال الأشهر الاربعة الأولى من تلك المدة . كان يشتري بعض الكتب بالدين ، ويكتب لولي أمره طالباً تزويده ببعض الكتب الأخرى .

Twitter: @abdulllah1994

غير ان ألان لم يرسل له غير كتابين لا علاقة لهما بمواد دراسته . كذلك لم يكن ادغار شديد المواظبة على دروسه ، وكان النجاح الذي أحرزه ـ كان بين العشرة الأوائل في اللغتين اللاتينية والفرنسية ـ نتيجة لذكائه الطبيعي اكثر من كونه نتيجة الانكباب على الدراسة . حقاً لقد اصبح ادغار فيما بعد كثير التبجح بسعة علم لم يكن يمتلكها ، فعلى الرغم من قابلياته العقلية الواسعة ، الاّ انه لم يكن ذلك العالم الذي تمنى ان يكونه .

بلغت الاشاعات التي نسجت حول حياة بو اللاهية في الجامعة درجة الأساطير ، وقد رد في احدى رسائله الى جون ألان على اتهامه بالأسراف في الشراب والقمار ، قائلاً :

لقد صرت أعتبر شحاذاً . . هكذا انغمست في الملذات ، ما الذي افعله غير ذلك ؟ لم أستطع ان أختلط الاّ بالطلاب الذين هم على هذه الشاكلة ، ولكن لأسباب مختلفة : فهم بدافع السكر والتبذير ، أما أنا فلأن جريمتي الوحيدة هي انه لا يوجد إنسان على وجه هذه الأرض يهتم بي او يحبني . إنني أشهد الله على انني لم أحب الفجور يوماً ، إن من يعرفني حقاً ، يعرف ان اهتماماتي وعاداتي هما أبعد ما تكون عن ذلك . لكن زملائي هم الذين ساقوني الى ذلك الطريق . فمجرد اعلان صداقتهم لي ، على الرغم من تفاهتهم ، كان يمنحني الراحة . هكذا أصبحت يائساً وقامرت . هكذا ورطت نفسي في ما لا عودة عنه .

لا يمكن لهذا الاشفاق على الذات وهذا التبرير النفسي أن يفيد

Twitter: @abdulllah1994

بو . فقد ألقى باللائمة على رفاقه وعلى جون ألان وعلى الجميع دون ان يلقي بأية لائمة على نفسه . وقد اصبحت ردة الفعل هذه صفة ملازمة له . سوف يلقي باللائمة في المستقبل على المؤسسة الأدبية من اجل اخفاء فشله الذاتي ، ونظراً لأنه كان محقاً في بعض هجماته تلك ، أصر على التخلص من مسؤوليته الذاتية ازاء بعض جوانب ذلك الفشل .

لا بد من القول بأن ضعف ادغار الخلقي لم يكن السبب الأساسي للمصاعب التي دهمته في تشارلوتفيل . فإسرافه في الشراب والقمار انما كان في جله نتيجة لبخل جون ألان اكثر منه رغبة في حياة التهتك . ففي قصته « وليم ويلسون » التي يمكن اعتبارها اكثر كتاباته تصويراً لسيرته الذاتية ، يتحدث ادغار في مرحلة نضجه التأملي عن المصير الرهيب الذي ينتظر الكاذب والمقامر والمخادع والسكير ضمن خلفية وصفها بانها « احط جامعة في أوروبا » (طبعاً لم يكن مجنوناً لكي يسمي جامعته بأسمها) ؛ فهو لم يكن في حقيقته انساناً متهتكاً ولن يكون كذلك في المستقبل .

هناك جانب آخر للاسطورة التي نسجت حول بو ، وهو اكثر غرابة ويجدر التوقف عنده نظراً لما يلقيه من ضوء على شخصية ادغار وارائه التي عبر عنها في كتاباته . يتعلق هذا الجانب بوسائل الترويح عن النفس التي وفرتها الجامعة لطلابها ، وهو ما اطلق عليه وودبري برياضة « المشاوير الخارجية » . تقع تشارلوتفيل في واد جميل من وديان نهر ريفانا المحاط بالجبال من جهاته الثلاث ـ السلسلة الزرقاء الأسطورية والجبال الجنوبية الغربية والجبال المسننة . وكثيراً ما تم تصوير بو متجولاً وحيداً كغيمة بين تلك الجبال ، مسحوراً بهيبة الطبيعة التي يشاهدها . غير إن هذه الصورة الجميلة لا تتفق ووصف بو « لسلسلة

Twitter: @abdulllah1994

التلال المقفرة الموحشة الممتدة الى الجنوب والغرب من تشارلوتفيل والتي يتم تبجيلها بتسميتها بالجبال المسننة » . بل استخدم بو هذه الجبال كخلفية لإحدى قصص الرعب والعنف والجريمة . فبطل حكاية « حكاية الجبال المسننة » ، أوغسطس بيدلو ، يتجول بين هذه الجبال ، ويجد نفسه في :

دهليز جديد كل الجدة عليّ . . . فالمناظر التي تجلت فوق كافة الجهات ، كان لها ، رغم أنها لا تستحق صفة الجلال ، مظهر متعذر الوصف ، بينما وجدت فيها منظراً ممتعاً من مناظر الجدب والقفر . فالضباب الغريب الثقيل ، أو الدخان الذي يميز الصيف الهندي ، والذي يتعلق الآن ثقيلاً فوق كل الأشياء ، قد ساعد ، دونما شك ، في تعميق تلك الأحاسيس الغامضة التي خلقتها هذه الأشياء . . . مشيت عدة ساعات ، حيث زاد ثقل الضباب حولي الى ان انتهيت فيه الى تلمس طريقي . تملكني شعور من الاضطراب الغريب ـ نوع من التردد العصبي والارتجاف . خفت ان اخطو كيلا انزلق الى أية هاوية . . تذكرت كذلك قصصاً غريبة طالما رويت حول تلك التلال المسننة وحول اجناس من البشر البرابرة المتوحشين الذين كانوا يقيمون في كهوفهم وبساتينهم . آلاف الأخيلة الغريبة أثقلت عليّ وازعجتني . . أخيلة أشد حزناً ، لأن . . .

يمكن التعرف ، من خلال ما تقدم ، على مفهوم بو للجمال . وهو مفهوم ربما يكون مختلفاً تمام الأختلاف عما هو متوقع من شاعر أعتبر نفسه أحد رومانتيكيي القرن التاسع عشر ، بل هو أقرب في الواقع

Twitter: @abdulllah1994

الى المفهوم الذي عبر عنه أوليفر غولد سميث في عام ١٧٥٣ حين اعترف بأنه يشمئز من النجاد السكوتلندية ذات المناظر الموحشة والبراري القبيحة . فالابتهاج بالمناظر الطبيعية الجبلية الذي نعتبره اليوم امراً مسلماً به هو في الواقع احساس حديث لم يبدأ الّا في أواخر القرن الثامن عشر . يقول اللورد ماكولي في مؤلفه الضخم « تاريخ انجلترا » أن « الصخور والوديان كانت في السابق نفس هذه الصخور والوديان التي يحدق فيها المعجبون الآن . . . غير ان هذه المشاهد لم تكن تملك القدرة حتى وقت قريب على اجتذاب شاعر أو رسام واحد من المناطق الأكثر خصباً وهدوءاً » . وحين زار الشاعر توماس غراي جبال الألب في ١٧٣٩ ، وصف احدى قممها بأنها « قد تمادت في استخدام صلاحية اثارة الرعب الممنوحة للجبال » . وكان أحد الرحالة قد وصف جبال سكوتلندة بأنها « ذلك الجزء من الخليقة الذي ترك عارياً . . . والذي قذف به بعيداً كنفاية حين تم خلق نسيج هذا العالم الرائع » . ذلك هو الشعور الذي صوره بو في « حكاية الجبال المسننة » ، وهو بذلك إنما يعزز الأنطباع بأنه انما كان انساناً خارج عصره ، انساناً تاق الى أمجاد الماضي ولم يتصالح مطلقاً مع متطلبات ومعايير حاضره : لقد مال نحو قيم الأرستقراطية القديمة ونعى نشوء التجارة وانغرست اراؤه في الفن والجمال في جذور القرن الثامن عشر مبتعداً عن قرنه الحاضر .

يبدو ايمان بو بالمفهوم الكلاسيكي ازاء « النظام » اكثر وضوحاً في حكايتيه اللتين تعتبران أقل مرتبة من حكاياته الأخرى ، وهما « مملكة أرنهايم » التي نشرت عام ١٨٤٧ ، اي قبل عامين من وفاته ، «وكوخ لاندور» التي اعتبرها تتمة للسابقة . يقدم يو في « أرنهايم » شخصاً يدعى أليسون حيث يستخدم ثروته الطائلة في سبيل « حل

Twitter: @abdulllah1994

مشاكل بدت لي دائماً لغزاً من الألغاز : أعني بذلك حقيقة انه (لا يجادل فيها غير الجاهل) لا يوجد في الطبيعة أي منظر كذلك الذي ينتجه الرسام العبقري . . . ففي اكثر المناظر الطبيعية سحراً ، هناك ثمة عيب أو تجاوز ما ـ بل عيوب وتجاوزات كثيرة ـ ليس هناك مكان على وجه الأرض كلها لا تجد العين الفنية الثاقبة فيه مصدراً للازعاج في ما يسمى « بتكوين المنظر . . . » . الحل الذي يقدمه اليسون هو الأقتراح بأن يتم توجيه « خطوة ضاغطة » على حاسة الخلق الألهية بحيث تصبح اكثر انسجاماً وتناسقاً مع حاسة الفن الانساني . . » بحيث يتم خلق طبيعة « ليست طبيعة الله ولا هي منبثقة عن الله ، وانما هي طبيعة من نتاج الملائكة التي ترفرف بين الله والأنسان » (اضافة الى عنصر جذب آخر وهو أن هذه الجنة الأرضية انما يتحتم خلقها « على مقربة من مدينة مزدحمة بالسكان » . ولا نجد في كل هذا أي حب للمناطق النائية ذات الطبيعة الوحشية .

يؤكد يو ذلك ثانية في « كوخ لاندور » حيث يعثر الراوية الجوال على ممر كأنه ممر جنيات « تكسوه حشائش شبيهة بقطيفة جنوة ، وتتسلقه كتل فياضة من الزهور البرية . أما الأحجار التي طالما كانت في السابق تعرقل الطريق ، فقد رصفت رصفاً ـ لم تقذف قذفاً ـ بعناية على جانبي الممر لكي تحدد حدود قاعه بطريقة نصف دقيقة نصف عشوائية وعلى نحو كامل الفتنة . . . كلما حدقت اكثر ، كلمة ازداد وضوح شيء ما : إن فناناً ، فناناً نافذ الرؤ ية ازاء الشكل ، لا بد وانه اشرف على كافة هذه الترتيبات . لقد تم بذل أقصى عناية من اجل الحفاظ على معادل ملائم بين ما هو دقيق وأنيق من جهة ، وما هو شبيه بصورة رائعة وفق المفهوم الأيطالي الدقيق من جهة اخرى . . كان ذلك قطعة « تكوين » لا يمكن لأكثر النقاد حذلقة اجراء اي تعديل عليها » .

Twitter: @abdulllah1994

تلك هي الرؤى التي أخذت تتكون في عقل ادغار وهو يستعرض تلك العظمة الكلاسيكية التي اتسمت بها بنايات جامعة فيرجينيا وما يحيطها من ساحات العشب المخططة بدقة ومن الحدائق الغناء ، واذا ما راق له شيء فيما وراء ذلك ، فهو بالتأكيد منظر تلك الأراضي الخصبة الممتدة على مدى البصر والتي تشكل نموذجاً لحلم رسام القرن الثامن عشر ، وليس تلك الجبال الوعرة التي تعتبر اليوم مصدراً للجمال .

غير ان اشياء اخرى كانت تلح على عقل ادغار في ذلك الحين ، حيث ما لبث أن وجد نفسه مع مرور أيام العام الدراسي وقد غرق اكثر فأكثر في خضم الديون . فالى جانب مصاريفه اليومية المتزايدة ، كانت هناك خسارته المستمرة في القمار ، ووفقاً لأحد معاصريه وليم برويل ، فقد قذف إدغار بنفسه قوة طاولة القمار بتهور فائق ودونما اي ضابط للنفس . وما إن شارف العام الدراسي على الأنتهاء ، حيث كانت ديونه قد بلغت نحو ألفين وخمس مئة دولاراً (يتعذر تقدير المبلغ الذي خسره بالقمار من مجموع هذه الديون) . ولعل الغريب في كل ذلك ، هو أن جون ألان لم يكن على علم بذلك ، حيث لا تشير أي من الرسالتين الباقيتين اللتين كتبهما له ادغار في ذلك الحين الى أية مشاكل مالية . لقد أرخت الرسالة الأولى في أيار ١٨٢٦ وهي الرسالة التي تمت الأشارة اليها سابقاً . أما الرسالة الثانية فقد أرخت في أيلول ١٨٢٦ وهي لا تتضمن كذلك أية اشارة . كل ما جاء فيها هو ما يلي :

> . . . لقد سيطر التوتر على اجواء الكلية في ضوء اقتراب الأمتحان ـ حيث سيجري امتحان عام واحد في الأول من كانون الأول ، وسوف ينشغل الطلاب بهذا الأمتحان حتى الخامس عشر ـ وهو موعد انتهاء الدراسة . لم يتقرر بعد

Twitter: @abdulllah1994

فيما اذا كان سيتم منح شهادات دبلوم أم دكتوراه ـ غير انني لا أعتقد ذلك حيث ان هذه السنة هي السنة الثانية فقط على تأسيس الجامعة ، حيث يطلب في الكليات الأخرى قضاء ثلاث أو اربع سنوات من اجل الحصول على اية شهادة ـ ويعتبر مثل هذا الزمن في العادة ضرورياً ، رغم انهم يمنحونها في بعض الأحيان قبل ذلك اذا ما انجز المتقدمون كافة المتطلبات . ومع ذلك ، فأنا اعتقد بأنه ليس من العدل امتحان الطلاب الذين لم يقضوا هنا سوى فصل واحد ، مع الطلاب الذين قضوا فصلين ـ كما إنه بعض هؤلاء الطلاب قد انتقلوا الى هنا من كليات اخرى ـ غير انني اعتقد بأنني سوف اضطر لأداء الأمتحان مع البقية .

انني ادرس كثيراً من أجل ان اكون مستعداً ، واستطيع القول بأنني سأنجح مثل بقية الطلاب ـ هذا اذا لم يتملكني الخوف ـ على كل ، اذا ما طرأ لك عمل هنا ، فيمكنك ان تحكم بنفسك .

لقد أتموا بناء القاعة المستديرة ، كما تم انجاز الأعمـدة والرواق . وقد اصبح المنظر العام افضل كثيراً الآن . كما تم نقل الكتب الى المكتبة ، واصبح لدينا مجموعة جيدة .

حدثت الكثير من المشاجرات مؤخراً ـ طردت الكلية ويكليف مساء امس بسبب سوء التصرف ـ غير ان السبب المباشر هو انه عض ذراع طالب اثناء مشاجرة ـ شاهدت

Twitter: @abdulllah1994

الحادث بأكمله ـ تم ذلك أمام باب غرفتي ـ كان ويكليف
هو الأقوى ، ولكنه لم يقنع بذلك ، فبعد ان وضع الطالب
الآخر تحت رحمته تماماً ، بدأ يعضه ـ رأيت ذراع
الطالب بعد ذلك ـ وكان منظرها مخيفاً بالفعل ـ كانت
معضوضة من الكتف حتى المرفق ، ويبدو انهم
سيضطرون الى قطع كمية من اللحم بحجم يدي ـ الطالب
المذكور من كينتكي ـ وهو نفس الطالب الذي علقت
دراسته حين كنت أنت هنا قبل وقت ـ بلغ حبي الى ماما
والمس نانسي ، وسأبقى .

المخلص

ادغار أ . بو

من غير الواضح فيما اذا كان المقصود بزيارة ألان الى تشارلوتفيل هي زيارته الأولى سابقة الذكر في شهر أيار ، أم أنه قام بزيارة اخرى بعد ذلك . على أية حال ، فقد أرسل الى ادغار في نهاية الفصل الدراسي مبلغ مئة دولار ، غير انها لم تكن غير نقطة في بحر ازاء الديون التي اخذت تهدد الصبي في ذلك الحين . ومن المرجح أن ألان لم يقم بزيارة ثانية ، او أنه قام بذلك دون أن يلتفت الى حقيقة وضع ادغار ، كما يبدو أن احداً من دائني ادغار لم يطالبه بدينه في تلك الأثناء . من المؤكد رغم ذلك أن ألان جاء الى تشارلو تفيل في كانون الأول ١٨٢٦ ، حيث أن الصاعقة التي صعقت كل آمال ادغار انما هبطت عليه في ذلك الحين . فقد هلع السكوتلندي العنيد اذ علم بضخامة ديون ادغار ، خاصة وان القسم الأكبر منها انما تأتي عن طريق لعب القمار بشكل خاص . وقد استغل ألان الموقف الذي كان لدناءته دور كبير في خلقه أبعد استغلال ، حيث وجد بأن الفرصة قد سنحت له

Twitter: @abdulllah1994

الآن لكي يعري ادغار امام العالم وأمام فرانسيس المولهة به . ها هو يملك السلاح القاطع من اجل وضع حد لأي احتمال بقيام ادغار بفضح تصرفاته الخاصة . فمن الذي سيصدق اقوال جاحد حقير يبذر ثروة من يحسن اليه ، بالشراب والقمار ؟

لعب ألان أوراقه بمهارة فائقة . بادر الى تسديد اكثر الديون إلحاحاً ، وترك قسماً ملحوظاً منها دون تسديد من أجل إرباك ادغار ، كما تؤكد ذلك قائمتان مقدمتان من قبل كل من سبوتسوود وليتش ، وكذلك رسالة مؤرخة في ١٨٢٧/٣/٢٥ موجهة الى ألان من «صديقك ادوارد كرمب» يطلب منه فيها تسديد مبلغ كان قد استدانه .

كما بادر ألان الى اتهام ادغار بالكسل لأنه لم يؤد امتحان مادة الرياضيات (كان ادغار قد أخفى ذلك عن ألان) ، على الرغم من ان ألان كان لا بد انه ادرك بأن النقود التي زود ادغار بها لا تتيح له دفع رسوم التسجيل في هذه المادة . وأخيراً ، بادر ألان الى اعادة ادغار الى ريتشموند مدعياً بأنه قد لطخ شرفه في تشارلوتفيل الى درجة لا تسمح له بأعادته اليها .

لم يكن ذلك كل ما في جعبة ألان . ومع ذلك ، فإذ عاد ادغار الى ريتشموند ، وجد صدمة اخرى بأنتظاره ، وهي تتعلق بألميرا رويستر ، حيث كان أهلها قد أرسلوها الى خارج المدينة ، كما طردوه ببرود حين قام بزيارتهم ، كما علم بأن رسائله لم تكن تصل اليها حيث كان أهلها يتلفونها . هكذا استلب ادغار للمرة الثالثة من المرأة التي أحب : أمه وجين ستاندرد وألميرا رويستر . غير أن ألميرا ، التي ستتزوج بعد بضعة أشهر من رجل يدعى باريت شيلتون ، سوف تلعب دوراً هاماً في حياة ادغار بعد فترة طويلة .

Twitter: @abdulllah1994

تحولت حياة بو خلال الأشهر التي تلت عودته من الجامعة الى جحيم لا يطاق . هدده الدائنون برفع قضاياهم الى المحاكم ، وأخذ شبح السجن يطارده . فأي عار يلحقه سوف يجعله غير قادر على مواجهة اصدقائه . بل إن ألان لم يدخر وسعاً في التشهير به حتى أمام خدم البيت ، وهو ما بينه ادغار في رسالته التالية التي كتبها الى ألان في اذار ١٨٢٧ . ربما كانت فرانسيس تواسيه سراً ، غير أن تنكيل ألان بلغ حداً أضطر ادغار الى الرد عليه . ها هو ادغار يشرح ما حدث :

ريتشموند ، الإثنين

سيدي ،

بعد معاملتي تلك أمس ، وما حدث بيننا هذا الصباح ، لا أعتقد بأنك سوف تدهش لما تحتويه هذه الرسالة . لقد استقر رأيي بعد تفكير طويل ، على مغادرة منزلك ، ومحاولة ايجاد مكان في هذا العالم الواسع ، تتم فيه معاملتي ـ ليس على النحو الذي عاملتني أنت ـ إن هذا القرار ليس قراراً متسرعاً ، وانما هو قرار فكرت فيه طويلاً ـ وبما أنني فكرت فيه على هذا النحو ، فهو قرار لا عودة عنه ـ ربما تعتقد بأنني قد غادرت تحت تأثير عاطفي ، وبما أنني ربما اكون راغباً في العودة . غير أن الأمر ليس كذلك ـ سوف أشرح الأسباب التي دفعتني الى ذلك ، فلتحكم أنت .

منذ أن اصبحت قادراً على التفكير في أي موضوع ، فقد تطلعت ، وهذا ما تعلمته منك أنت ، الى الوصول الى مكانة اجتماعية رفيعة ـ لا يمكن تحقيق ذلك

Twitter: @abdulllah1994

دون تعليم جيد ، ولا يمكن الحصول على ذلك في مدرسة ابتدائية ـ لذلك كان أقصى ما تمنيت هو الحصول على التعليم الجامعي ، وقد أوحي إليّ بأنني سأحصل على ذلك في يوم ما . غير أنك بادرت في لحظة غضب الى تحطيم أملي ـ وذلك لأنني اختلف معك في الرأي حقاً ، وهو الرأي الذي اضطررت الى التعبير عنه ـ كذلك فقد سمعتك تقول (كنت تتصور بأنني لم اكن اسمع ما تقول ، ولذلك فأنت جاد في ذلك) بأنك لا تحمل أية مودة لي . ثم انك قد أمرتني بمغادرة بيتك ، ولم تكف أبداً على التنديد بأنني إنما آكل خبز الكسل ، في الوقت الذي كنت انت فيه الشخص الوحيد القادر على تلافي الشر من خلال توجيهي الى عمل ما . إنك تجد متعة في تشويه سمعتي أمام من تعتقد بأن في مقدورهم تقديم مساعدة لي تخدم مصلحتي في هذا العالم . إنك تضعني في موقع يجعلني عرضة لأهواء ونزوات ليس عائلتك البيضاء فحسب ، وانما لهيمنة السود التامة ايضاً ـ انني لا استطيع الخضوع لهذه الأهانات ، ولهذا فقد غادرت . انني ارجو منك أن ترسل لي حقيبة ملابسي وكتبي ـ واذا كنت ما زلت تحتفظ بأقل قدر من المودة لي ، فإني اتوجه بآخر نداء لسخائك ، وذلك للحيلولة دون تحقيق تلك « النبوءة » التي ذكرتها أنت هذا الصباح ، بأن ترسل لي مقداراً من المال بحيث يكفي لتغطية مصاريف سفري الى اي من المدن الشمالية ، وأن تعيلني لمدة شهر واحد ريثما استطيع ايجاد مصدر رزق لي وأدخر منه جزءاً لكي اعود

Twitter: @abdulllah1994

في يوم ما الى الجامعة ـ ارسل لي حقيبتي واشيائي
الأخرى الى فندق كورت هاوس ، وارسل لي ، اتوسل
اليك ، بعض المال حالاً ـ حيث انني في أمس الحاجة ـ
واذا لم تستجب لطلبي ، فإنني لأرتجف من هول النتائج .

(أمر رؤ يتي أو الكتابة اليك ثانية انما يعتمد عليك
أنت) .

المخلص
ادغار أ . بو

يمكن قراءة ما بين السطور في هذه الرسالة ، رغم أن « الرأي الذي اضطررت للتعبير عنه « سيبقى مجهولاً ». من الواضح أن ادغار قد قصد نانسي فالينتاين بقوله « عائلتك البيضاء » ، حيث يبدو بأنها كانت تكن بعض الحب لزوج اختها (وقد بقيت في البيت بعد موت فرانسيس) وربما تكون قد وقفت الى جانب ألان في معركته مع ادغار ، وربما كانت تتطلع الى الحصول على حصة من ميراث ألان في المستقبل . أما « النبوءة » التي ذكرها ألان ، فمن الأرجح ان تكون اشارة الى مصير السجن الذي يمكن أن ينتهي اليه انسان منحل ومتهور وناكر للجميل مثل ادغار في رأي ألان . ومن الواضح ان الدائنين كانوا قد اخذوا يلحون في طلب نقودهم ـ حيث وجدت ملاحظة في اوراق ألان جاء فيها أن ادغار قد انتحل اسم « هنري لورينيه » لدى ذهابه الى فندق كورت هاوس ، وذلك يفسر سبب عودة ادغار الى الكتابة الى ألان في ١٨٢٧/٣/٢٠ رغم ما أورده في حاشية رسالته السابقة :

إنني في أمس الحاجة ، لم أذق الطعام منذ صباح
الأمس ، وليس هناك مكان أنام فيه ، سوى التجول في

Twitter: @abdulllah1994

الشوارع ـ انني مرهق الى درجة كبيرة ـ أتوسل اليك ، فأنت لا ترغب في تحقق نبوءتك ، ان ترسل لي دونما تأخير حقيبة ملابسي ، وأن تقرضني اذا كنت لا تريد أن تعطيني ، ما يكفي من النقود لتغطية نفقات سفري الى بوسطن (١٢ دولاراً) وما يكفي لاعالتي الى حين حصولي على عمل ما . سوف أبحر يوم السبت . . .

أياً كانت الثغرات التي حصلت في تعليم ادغار بسبب انتزاعه المبكر من الجامعة ، فهو قد تعلم درساً واحداً لن ينساه أبداً . انه : كيف يستجدي المال . ففي ذلك العام الذي قضاه هناك ، نبتت جذور مأساة ادغار اللاحقة ، وكذلك السمعة السوداء التي ستلاحقه . لقد نما في اعماقه منذ ذلك الحين ، ذلك الاحساس بالاضطهاد ، بأن العالم كله انما يعاديه ، وهو احساس سوف يتمرغ فيه كثيراً . من جهة ثانية ، هناك في جامعة فيرجينيا ، بدأ استسلام بو للشراب الذي سوف يلحق أفدح الضرر بخياله وعقله وصحته . إن ما ذكره توماس غودتاكر من أن كأساً واحدة كانت كافية «لطرحه» ، فيه اشارة كافية الى ان التكوين الأيضي لجسد بو قد تفاعل على نحو سيء مع الكحول ،وربما يكون ذلك هو البداية المبكرة للمرض العضال الذي سيؤدي به الى الموت . فعلى الرغم من رفض ادغار للكحول ، إلّا انه استمر في تعاطيها . وقد شكل ذلك نمطاً آخر في حياته . لقد ظن بو انه ربما يجد في الكحول ، رغم ادراكه بأنها تؤدي الى مرضه ، سنداً له ومهدئاً لأعصابه في أوقاته العصيبة التي نال منها اكثر مما يستحق . هكذا جمع بو بين اصابعه خيوط الشراب والاشفاق على الذات والمرض والشعور بالخديعة ، والتي سوف تتحول الى حبل يلتف حول رقبته ويخنقه .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الخامس

الجندي الجيد بيري

كان الشاب الذي هرب من ريتشموند في اذار ١٨٢٧ شاباً مسكوناً بالذهول والخوف ، تغلي اعماقه بالإهانة التي لحقت به بانتزاعه من الجامعة ، لم يفق بعد من الصدمة التي تلقاها بتصرفات ولي أمره ، فيما يطارده شبح القبض عليه بسبب ديونه بين لحظة واخرى . لقد تمكن بطريقة ما أن يحصل على النقود (ربما توسل سراً بفرانسيس) التي نقلته بالقارب الى بوسطن ، تلك المدينة التي رسمت لها اليزابيت بو صورة صغيرة كتبت عليها « الى ولدي الصغير ادغار الذي سيحب بوسطن على الدوام ، مسقط رأسه ، والمدينة التي لقيت فيها أمه أفضل اصدقائها واكثرهم مودة » . غير أن بوسطن كانت أفضل بالنسبة لبو من ريتشموند من ناحية واحدة على الأقل ، وهي أن دائنيه لم يكونوا فيها لكي يمسكوا بتلابيبه بين لحظة واخرى . لا نعرف كيف دبر ادغار أموره في تلك المدينة الشمالية الأنيقة المتعجرفة المجردة من أي تعاطف ـ

Twitter: @abdulllah1994

قيل بأنه جرب حظه على المسرح شأن والده من قبل ، وفشل مثله ، كما قيل بأن مؤهلاته التعليمية ربما ساعدته على الحصول على عمل ما في مكتب تجاري . غير أن كلا القولين غير محتملين ، وذلك لأن ادغار ما لبث بعد وصوله بوسطن بنحو شهرين أن تطوع في جيش الولايات المتحدة الأميركية : الأسم : إدغار أ . بيري ، العمر : اثنان وعشرون ، الطول : خمسة اقدام وثماني بوصات ، لون العينين : رمادي ، لون الشعر : بني ، البشرة : فاتحة ، مدة التجنيد : خمس سنوات .

لقد تم ذلك بدافع الرعب ، اذ ليس هناك ما يدعو شاباً يحمل صفات السيد الجنوبي أن يتخذ قرار الالتحاق بحياة الجندية القاسية . انتحل ادغار اسماً غير إسمه ، وأعطى عمراً يفوق عمره الحقيقي من اجل اخفاء اثاره وستر عاره . وقد نجحت الحيلة . فقد أعتقد ألان أن ربيبه قد هرب الى البحر لكي يجرب حظه فيه . كان ادغار قد تدرب في كتيبة المدفعية خلال تجربته القصيرة في « سرية متطوعي ريتشموند » وقد ساعده ذلك على سرعة التقاط تدريباته العسكرية ، كما ساعده ذكاؤه الفطري على استيعاب فنون تعبئة واطلاق بندقية الميدان ، ولعل الصعوبة الوحيدة التي جابهته هي التأقلم مع خشونة حياة الثكنة العسكرية . ربما لم تكن تلك الحياة اشد قسوة من التجربة التي خاضها في تشارلوتفيل ، غير أن زملاءه هنا لم يكونوا على غرار أولئك الذين طالما اعتاد الأختلاط بهم . ومع ذلك ، فقد اغتبط ادغار بمجهولية اللباس العسكري والمأوى الذي وفرته له الحكومة ، إضافة الى ان ما اتسمت به صداقات الجنود الأنفار من دفء وسذاجة قد ساعدته ولا شك على اقامة احسن العلاقات . فقد شعر بأن الجيش يمكن أن يكون ملاذاً ، شأن كل من سبقه ولحقه من التعساء .

Twitter: @abdulllah1994

غير أن « النفر بيري » كان الى جانب حياته العسكرية ، يمارس من خلال شخصيته الأخرى وظيفة الشاعر . ففي اوائل صيف ١٨٢٧ ، صدرت له في بوسطن أول مجموعة شعرية صغيرة بعنوان « تامرلين وقصائد اخرى » بقلم « بوسطوني » . نشر المجموعة شخص يدعى كالفين توماس ، وقد اصبح هذا فيما بعد محرراً وناشراً معروفاً ، غير أنه لم يكن في ذلك الحين غير صاحب مطبعة صغيرة مجهولة ، ولا نعرف ما الذي دفعه لإنجاز ذلك المطبوع . وعلى الرغم من أن ذلك الكتيب الصغير لم يدر أي ربح ولم يكتب عنه أحد في أية صحيفة ، فقد كان سرور ادغار عظيماً وهو يرى أول نتـاج له وقد طبع على شكل كتاب . إتسمت مجموعة « تامرلين » بالنفس البايروني ، وافتقدت القوة التي اتسمت بها بعض اعمال بو الشعرية اللاحقة ، غير أنها تميزت بغنائية غير معهودة في الشعر الأميركي في ذلك الحين .

ربما تكون القصيدة التالية اكثر دلالة في هذه المجموعة ، وذلك من وجهة نظر كاتب سيرة :

رأيتك يوم زفافك
وقد غمرك تورد متوهج
السعادة مستلقية من حولك
والعالم كله حب أمامك

في عينيك ضياء متقد
(ليكن أي ما يكون)
كان أوجع ما يمكن أن أرى
من الجمال في الأرض كلها

ذلك التورد ، بما كان خجلاً عذرياً

Twitter: @abdulllah1994

إن كان ذلك ، فلا بأس
غير أن ذلك التوهج قد أوقد لهيباً أشد ضراوة
في صدره ، هو ، واحسرتاه !

من ذا الذي رآك في يوم زفافك
وقد غمرك ذلك التورد المتوهج
السعادة مستلقية من حولك
والعالم كله حب أمامك .

لقد تزوجت ألميرا رويستر في ذات الفترة التي التحق فيها ادغار في الجيش ، ومن المرجح أن ادغار لم يشاهدها في يوم زفافها ، غير أن هذه القصيدة التي اطلق عليها ادغار عنوان « أغنية » انما تؤكد بأن ألميرا ما زالت في قلب الشاعر .

غير أن بو كان في ذلك الحين قد تزوج الجيش ، وقد اثبت بأنه جندي كفوء . واتضح لرؤسائه بأنه يتمتع بقدر من الذكاء والثقافة يفوقان مستوى الجندي العادي . وفي خريف ١٨٢٧ ، تم نقل ادغار الى مخازن الجيش للقيام بمهام كتابية ، مع الوعد بترقيته . وفي تشرين الثاني ، نقل فوجه الى بوسطن الى قلعة مولتري في كارولينا الشمالية ، وبعد رحلة بحرية استغرقت أحد عشر يوماً ، وجد ادغار نفسه في الجنوب ثانية ، وفي موقع مسؤول ككاتب سرية . تمت ترقية ادغار خلال الأشهر الستة التالية الى رتبة « فني » وقد صحب ذلك زيادة في راتبه اضافة الى منحه اوقات فراغ اضافية . لقد اصبحت حياة ادغار العسكرية أقل سوءاً .

بل كانت الحياة في قلعة مولتري ممتعة حقاً . فقد وقعت القلعة في قلب جزيرة سوليفان حيث يمتد الأطلنطي أمامها كما تمتد

Twitter: @abdulllah1994

منخفضات ساحل كارولينا الجنوبية شبه الاستوائية خلفها . وعلى مسافة قريبة منها ، حيث يتدفق نهرا كوبر وأشلي نحو البحر ، انتصبت مدينة تشارلستون الجميلة ، الشهيرة في ذلك الحين كما هي الآن بأناقتها الأرستقراطية وكرمها الجنوبي وتقاليدها الحميدة . وبما أن بو قد نشأ نشأة جنوبية ، فقد وجد في تشارلستون مجتمعه الأفضل ، وعلى الرغم من موقعه الأجتماعي المتواضع كجندي ، فقد استطاع بسرعة أن يحظى بالعديد من الأصدقاء ، وكان أحدهم هو الكولونيل المتنفذ وليم درايتون ، وكان سياسياً ناشئاً تطلع الى الحصول على موقع في الإدارة الديمقراطية في حالة فوز أندرو جاكسون في انتخابات الرئاسة لعام ١٨٢٨ . كذلك كان هناك الدكتور ادموند رافينيل ، وهو طبيب طبيعي اقام في جزيرة سوليفان ، وهو الذي أوحى لبو بإحدى افضل قصصه « الحشرة الذهبية » التي نشرت لأول مرة في عام ١٨٤٣ في صحيفة « الدولار نيوزبيبر » في فيلاديلفيا .

بطل « الحشرة الذهبية » طبيب طبيعي مثل رافينيل ، ينتمي لعائلة قديمة تقيم في جزيرة سوليفان :

> هذه الجزيرة فريدة جداً ، فهي لا تكاد تحتوي على أي شيء الّا رمل البحر . طولها نحو ثلاثة أميال ، ولا يزيد أقصى عرض لها عن ربع ميل . يفصلها عن اليابسة الرئيسة جدول صغير لا يكاد يرى ، يشق طريقه عبر هور من القصب والوحل ، منتجع أمثل لدجاجات المستنقعات . الخضرة فيها نادرة كما هو متوقع ، واذا ما وجدت فهي قميئة . ولا ترى فيها أية اشجار من أي حجم كان . في الطرف الغربي الأقصى ، حيث تقع قلعة مولتري ، وحيث توجد بعض هياكل البنايات المزرية التي

Twitter: @abdulllah1994

تؤجر في الصيف للهاربين من غبار وحرارة تشارلستون ، هنا توجد حقاً اشجار النخل المروحية الكثة ، غير أن الجزيرة بأكملها ، باستثناء ذلك الطرف الغربي والخط الساحلي ذي البياض الشديد والمتاخم للبحر ، مغطاة بكثافة فائقة بنبات الآس الفواح الذي يثمنه علماء البستنة البريطانيين تثميناً عالياً . يبلغ طول شجيرته في أغلب الأحيان نحو خمسة عشر الى عشرين قدماً ، وهو على شكل أيكة غير قابلة للنفاذ ، مثقلة الهواء بعطرها .

هذا هو وصف بو للجزيرة في « الحشرة الذهبية » . لقد حفل ذلك الساحل بقصص القراصنة الذين طالما أرتادوه في عهد الاستعمار ـ وقد خضعت مدينة تشارلستون يوماً للتهديد من قبل « ذو اللحية السوداء » سيء الصيت ونظيره ستيد بونيت الذي تم شنقه هناك في ١٧١٨ . وقد كان من الطبيعي أن تنتشر الحكايات حول الكنز المدفون الذي اتخذه بو محوراً لقصته ، حيث اختار أشهر القراصنة قاطبة ، وهو الكابتن كيد ، بطلاً لقصته ، على الرغم من أن كيد لم يصل الى مدينة تشارلستون مطلقاً وفق المعلومات المتوفرة . تدور « الحشرة الذهبية » حول رسالة رمزية مكتوبة على قطعة من الرق القديم كان قد اكتشفها وليم لوغراند ورسم عليها خنفساء غريبة الشكل كان قد عثر عليها . تتمحور أحداث القصة حول فرضية واحدة وهي أن الخنفساء تشبه جمجمة بشرية وذلك لأن الجمجمة هي التي تحدد موقع الكنز المدفون . وتترجح هنا صحة ما قيل من ان بو قد تخيل حشرته الأسطورية من صفات نوعين من الخنافس كثيرة الانتشار في جزيرة سوليفان ، وبأن الدكتور رافينيل هو الذي أطلعه عليها . لم يكن ذلك هو كل ما تعلمه ادغار من الدكتور ـ حيث ما لبث أن وظف جملة من

Twitter: @abdulllah1994

المعلومات التي جمعها عن محار البحار في حكاية اخرى أقل شهرة .

من بين الحكايات الأخرى التي حيكت حول بو ما أشاعه هواة بو في مدينة تشارلستون بأنه قد كتب قصيدته الشهيرة « أنابيل لي » في جزيرة سوليفان :

أنابيـل لـي

منذ زمان بعيد بعيد
في مملكة قريبة من البحر
عاشت هناك فتاة ، ربما تعرفونها
بأسم أنابيل لي .
وهذه الفتاة ، لم يكن هناك في حياتها
ما يشغل بالها
غير أن تحب وأن تحب من قبلي

كنت طفلاً وكانت هي طفلة
في تلك المملكة القريبة من البحر
لكننا أحببنا حباً يفوق الحب
أنا وأنابيل لي
حباً جعل ملائكة السماوات المجنحة
تحسدها وتحسدني

ولأجل ذلك ، منذ زمان بعيد
في تلك المملكة القريبة من البحر
هبت ريح من غيمة
مثلجة جميلتي أنابيل لي

Twitter: @abdulllah1994

وجاء أهلها ذوو المحتد الكريم
لكي يحملوها بعيداً عني
ثم يغيبونها في قبر
في تلك الجزيرة عند البحر

لم يضيء القمر منذ ذلك الحين
الّا محملاً بأحلام جميلتي أنابيل لي
ولم تطلع النجوم منذ ذلك الحين
الّا واحسست ببريق عيني أنابيل لي
وهكذا . . ما زلت أستلقي على مدى الليل الطويل
الى جانب حبيبتي وحياتي وعروسي أنابيل لي
هناك في ضريحها الذي يجاور البحر
هناك في قبرها المتاخم للبحر .

كانت هذه القصيدة ذات البناء الرائع آخر ما كتب بو ، وذلك في ربيع عام ١٨٤٩ . وقد اختلفت الآراء منذ ذلك الحين حول المرأة موضوع القصيدة . فأهالي تشارلستون يعتقدون بأنهم قد عثروا على الجواب بعد أن عثروا قبل سنوات على شاهد قبر نقشت عليه الأحرف أ.ل.ر. حيث يقولون بأنها اختصار اسم « أنابيل لي ريكوايسكات » ، بينما يتشبث اخرون بفكرة ان ما قصده بو « بالأهل ذوي المحتد الكريم » ربما يكون عائلة هيوغونوت الأرستقراطية حيث تتفق الأحرف هنا مع اسم « أنابيل لي رافينيل » ! وربما يكون هذا الربط المثير أقرب لهوى معجبي بو الرومانتيكيين ، رغم أن الأرجح هو أن «أنابيل لي» إنما كتبها بو لزوجته بعد موتها .

فلنعد الآن الى الجندي « الفني بيري » في مملكته الواقعية

Twitter: @abdulllah1994

القريبة من البحر ، حيث بدأ الملل بالتسرب اليه من حياة الجندية . ها هو الآن على اعتاب المجتمع الجنوبي الذي طالما أحس بأنه ينتمي إليه ، وربما يكون قد كشف عن شخصيته الحقيقية لبعض اصدقائه الجدد ، حيث من المؤكد ان الكولونيل درايتون قد بقي على اتصال معه بعد ذلك ، وفي ضوء احساس بو بأنه قد أسيئت معاملته ، فمن المحتمل كذلك أن يكون درايتون قد اطلع على تفاصيل القطيعة التي حلت بين ادغار وجون ألان . ويبدو أن قصة الفتى المغدور الذي هرب من البيت للإلتحاق بالجيش قد وجدت صدى في نفس الشاب الجنوبي ، وخاصة اذا كان ادغار قد كشف هويته كشاعر له قصائد منشورة . غير أن وضع بو كجندي في الجيش ، وبرتبة أقل من رتبة ضابط ، لم يكن مشجعاً رغم كل ما امتلك من مميزات شخصية جذابة . في أواخر عام ١٨٢٨ ، قرر إدغار أن يفضي بكل ما في نفسه لأحد ضباطه هو الليفتينانت هوارد ، طالباً مساعدته . وقد أشفق هوارد على الشاب الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر ، وبعث برسالة الى ألان الذي لم يكن على علم بمصير أدغار حتى ذلك الحين . مال بعض كتاب السيرة السابقين الى الاعتقاد بأن ادغار ربما يكون قد اتصل بألان قبل الإفضاء بسره الى هوارد ، غير أن التدقيق في كافة المراسلات التي تلت ذلك يؤكد عدم حدوث ذلك .

كان ألان مريضاً حين تسلم الرسالة . وقد رد برسالة الى هوارد لم يظهر فيها أي تعاطف مع ربيبه ، ويتضح ذلك في الرسالة التي بعث ادغار بها الى ألان في الأول من كانون الأول ١٨٢٨ :

سيدي العزيز ،

توضح رسالة الليفتينانت التي سلمها المستر جون إليك سبب

Twitter: @abdulllah1994

كتابتي اليك من قلعة مولتري . أن مذكرتك الموجهة للمستر جون ، والتي سلمها بدوره الى الليفتينانت هوارد ، قد سلمها بدوره إليّ . إن ما أقلقني بشكل رئيس في تلك المذكرة هو انني علمت بمرضك ـ وأنا على استعداد لكي أتفهم وأغفر الفكرة التي عبرت عنها بقولك « من الأفضل أن يبقى حيثما هو الى حين انتهاء فترة تجنيده » . وبما كان ذلك بدافع اعتقادك بأن الحياة العسكرية إنما تروق لي وبأنه من الممكن (رغم مخالفة ذلك للقوانين) الحصول على منصب عسكري لشخص لم يتلق تعليمه في « الويست بوينت » . غير أنني لم أستطع ان اتخلص من التفكير بأنك تعتبرني انساناً منحطاً ومجلبة للعار ، وبأن أي شيء سيكون أفضل من عودتي الى البيت ، هذه العودة التي ستلحق بك شيئاً من عاري . غير أنني لم أشعر في حياتي بمثل ما اشعر به الآن من الرضى ـ ولربما سيأتي اليوم (وآمل أن يأتي بسرعة) الذي ستتبدد فيه كل الشكوك . ولن أتردد في الظهور أمام معارفي السابقين ـ لا أنوي القيام بأي شيء كهذا في الوقت الحاضر ، ولن يثنيني شيء عن غايتي هذه الاّ أوامرك القاطعة . لقد قضيت في الجيش الأميركي الفترة التي تتفق وغاياتي وميولي ، وقد حان الوقت الآن كي اغادره ـ وقد أخبرت الليفتنانت هوارد بذلك ، ووعد بتسريحي شرط ان يتم التصالح بيني وبينك ـ وقد حاولت عبثاً أن أقنعه بأن مشاعرك نحوي (كما تؤكد ذلك رسالتك) قد كانت على الدوام مشاعر الوالد ، وأنك كنت دائماً على استعداد للصفح عن اكبر إساءة مني ـ لقد أصر على الكتابة اليك ، وفي حالة حدوث المصالحة ، فسوف يستجيب الى رغبتي ـ وكان ذلك بدافع طيبة قلبه ورغبته في تقديم خدمة مزدوجة لي ـ كان دائماً شديد اللطف معي ، وكثيراً ما اضطرني الى تذكر العديد من خصالك الشخصية . تبلغ مدة التجنيد خمس

Twitter: @abdulllah1994

سنوات ـ هكذا ستذهب زهرة شبابي سدى ـ واذا ما رفضت مساعدتي ، فسأضطر لاتخاذ اجراءات حازمة . ليس هناك ما يدعو الى قلقك على نجاح مستقبلي ـ فلقد تغيرت كثيراً عما عرفتني ، وانا لست الآن ذلك الصبي المتسكع في العالم دونما هدف أو قرار ـ إنني أحس بأن هناك في داخلي ما سيجعلني أحقق كل رغباتك الطموحة ، وكل ما أرجوه منك هو أن تؤجل حكمك علي الى ان تراني ثانية . سوف ترى بأنني أتكلم بثقة ـ بل متى كان بمقدور أي طموح ان يتحقق أو أية موهبة ان تزدهر من غير الإيمان المسبق بالنجاح ؟ ها أنذا أقذف بنفسي الى قلب العالم مثل ذلك الفاتح النورماندي على شواطىء بريطانيا ، وبفضل تصميمي على الأنتصار ، ها أنذا أحطم سفن رجعتي الخائبة ـ لا بد من النصر أو الموت ، النجاح أو العار . إن رسالة منك الى الليفتنانت هوارد تتضمن مصالحتك لي (وهذا ما ترفضه حتى الآن) ورغبتك في تسريحي ، هو كل ما احتاج . إنه يعرفك الآن جيداً من خلال ما سمع عنك ومن اطراء المستر جون عليك . أكتب لي ثانية إن كنت حقاً غافراً لي ، دعني اسمع أخبار صحة « ماما » واخبار العائلة . إنني لا أنشد مساعدة مالية إلّا اذا كان ذلك بدافع رغبتك التامة ، واختيارك الصريح ـ إنني قادر على مصارعة مصاعبي . حبي الكبير « لماما » ـ إن المرء لا يدرك قيمة صديق مثلها إلّا بعد الفراق ـ آمل أنها لم تسمح لتصرفاتي الرعناء بأن تقلل من حبها إلي .

مع التقدير والأحترام
إدغار أ . بو

ليس مستغرباً أن لا يرد ألان على هذه الرسالة المزعجة التي تنضح بعدم الأتزان والتهديد والتملق وغرور انسان يطلب المساعدة ، وما انتهت به من استدرار لعطف المرأة التي طالما حمت ادغار في

Twitter: @abdulllah1994

السابق . غير أن ادغار لم ييأس ، حيث ما لبث ان بعث برسالة ثانية الى ألان في الثاني والعشرين من كانون الأول ، وذلك في قلعة مونرو في أولد بوينت كومفرت التي كان قد انتقل اليها ، والواقعة على طريق هامبتون عند مصب نهر جيمس على بعد نحو سبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من ريتشموند :

« سيدي العزيز » ،

لقد كتبت اليك قبل فترة وجيزة ، وذلك قبل أن اغادر قلعة مولتري ، وقد تألمت كثيراً لعدم تسلمي أي رد منك ـ ربما تكون رسالتي لم تصلك ، وفي ضوء هذا الأفتراض ، فسوف أوجز ما تضمنته . . . » .

أستمر بو في رسالته ، وانما بلهجة اكثر تواضعاً ، مضيفاً انه في ضوء تواضع طلبه ، فهو متألم لأن ألان قد رفض الأجابة (لم يكن ادغار يعتقد حقاً بعدم وصول رسالته الأولى ، غير أنه اراد ايجاد عذر له للكتابة ثانية) . غير أن التواضع لم يكن من شيم ادغار ، حيث ما لبث أن استطرد قائلاً : « لدى وصولي الى قلعة مولتري ، قدمين الليفتبنانت هوارد الى الكولونيل جيمس هادس من فوج المدفعية الأول ، الذي عرفني في السابق كجندي في فوجه . تحدث إلي بلطف وأخبرني بأنه كان يعرف جدي الجنرال بو شخصياً ، وبأنه كذلك يعرفك . وأكد لي بأنه سوف يسرحني حال وصول موافقتك . لقد تملكني الأسى حين وجدت بأنني القى الأهتمام بنجاحي من الأغراب ، بينما انت الذي اعتبرتني ابناً لك ترفض حتى القيام بالرد على رسالة على سبيل المجاملة . اذا كنت راغباً في أن تنسى بأنني كنت إبنك في يوماً ما ، فأنا أعتز بتذكيرك بذلك . كل ما أرجوه هو ان تتذكر بأنك انت الذي

Twitter: @abdulllah1994

غذيت مسألة مغادرتي البيت ـ الطموح ـ اذا لم يتخذ الطريق الذي رغبت انت فيها ، فهو ليس أقل وتوقاً من هدفه . إن ريتشموند ، بل الولايات المتحدة كلها انما هي مكان صغير جداً بالنسبة لي . فالعالم كله هو الذي سيكون مسرحي . لقد بينت في رسالتي التي لم تتسلمها أنت (لا بد انك كنت قد أجبت عليها لو تسلمتها) أنك تعتقد بأنني انسان منحط ـ ولكن لا تعتقد ذلك ـ فهناك في قلبي ما لا علاقة له بالأنحطاط ـ انني قادر على السير وسط الجراثيم دون ان اتلوث . لم يطفح قلبي في حياتي بما يطفح به الان من رضى عميق ازاء نفسي وتصرفاتي (بأستثناء قيامي بجرح مشاعرك) . يا أبي ، لا تلفظني بعيداً ومهاناً . انني سوف أرفع رأسك عالياً . بلّغ حبي « لماما » والأصدقاء . واذا كنت مصمماً على التخلي عني ـ فلنلق تحية الوداع ـ منبوذ ـ سوف يتضاعف طموحي ، وسيسمع العالم خبر الأبن الذي أعتقدت بأنه غير جدير برعايتك . ولكن اذا ما أفسحت مجالاً للحب الذي تحمله لي ، كي يتغلب على الأساءة التي سببتها لك ، فلتكتب لي يا أبي بسرعة . إن رغبتي الملحة الآن هي الخلاص من الجيش ـ حيث انني قد برهنت بخلقي أنني قادر على الصبر كما تمتعت بتقدير ضباطي . . . . . » .

كانت جملة بو الأخيرة صحيحة تماماً ، حيث تم ترفيعه في الأول من كانون الثاني ١٨٢٩ الى رتبة رقيب أول ، وهي أرفع رتبة يمكن أن يصلها ضابط صف ، وكان في ذلك الحين سيبلغ العشرين من عمره بعد ثلاثة اسابيع . كان ادغار جندياً جيداً ، وكان فخوراً بنجاحه حيث ما لبث أن استمع باهتمام لنصيحة الليفتيناتت هوارد ، وربما الكولونيل ايضاً ، بشأن التقدم بطلب لدخول كلية الضباط . لعل في هذا خلاصه ، حيث سيتاح له أن يصبح سيداً (جنتلمان) ثانية ، حيث سيقبله المجتمع الراقي ، كما سيوفر له ذلك دخلاً ثابتاً ووقتاً كافياً

Twitter: @abdulllah1994

للكتابة . بل إن مثل هذا الطموح ربما يساعده على الحصول على رضى جون ألان . ها هو يكتب ثانية في الرابع من شباط :

سيدي العزيز ،

كنت قد كتبت اليك قبل فترة ما دون ان اتلقى منك اي رد حتى الآن . كما كتبت خلال ذلك رسالة الى جون ماكينزي طالباً منه ان يقابلك شخصياً وينقل اليك رجائي في ان تساعدني في الحصول على قبولي كطالب في الأكاديمية العسكرية . لم أتسلم أي رد بهذا الشأن ، ولا أستطيع تفسير ذلك ، حيث أن ماكينزي كان قد كتب إليَّ قبلاً وأعرب عن اهتمامه بنجاحي . لقد تقدمت بطلب للحصول على موقع طالب (بعد أن علمت بأن عمري لن يحول دون ذلك) ، حيث علمت بأمعان تحقيق ذلك من خلال معرفتك الشخصية بالمستر وارت [النائب العام للولايات المتحدة ، وكان بو قد قابله في جامعة فيرجينيا] ، أو الجنرال سكوت أو حتى بعض ضباط قلعة فورت . هذا من جهة ، أما من الجهة الثانية ، فإن رغبتي في الالتحاق بالكلية العسكرية ، سوف توضح لك طبيعة الأتجاه الذي أسير فيه لتحقيق « آمالي وتطلعاتي » . لا يمكنك تصور مدى الفوائد التي سأجنيها من عملي الحالي في الجيش اذا ما اصبحت طالباً عسكرياً . سيكون ذلك أول حدث من نوعه في الجيش الأميركي . وبما أنني قد أتممت الآن الجانب العملي ، بل والجانب الأكبر من جناح المدفعية ، فإن دراستي العسكرية سوف تكون بمثابة متمم ضروري . وانا واثق بأنني سوف انجز ذلك خلال ستة أشهر . هذا هو الوضع الآن . وهو رأي الكثيرين هنا . إن مساعدتك مفيدة جداً ، واذا لم تكن مستعداً لذلك (حيث بت أشك في ذلك) فسيتحتم علي الأنتظار الى أن يسعفني الحظ أو أن يتدخل أحد الأصدقاء لمساعدتي . في خضم توقعاتي بسماع انباء مسرة

Twitter: @abdulllah1994

من البيت، فقد تورطت بمصروفات لايستطيع دخلي الحالي تغطيتها. لقد أشرت لذلك في رسالتي السابقة ، وأنا الآن في حالة من الضيق . انني اتذكر الآن زمناً كنت لا تطيق أن تراني في حالة من الضيق . ومهما كانت تحفظاتك بشأن اخطائي ، غير أنني لم أكن في اي يوم جاحداً لما قدمته إلي من مساعدة . غير انك تلومني على الطريق الذي سلكته دون ان تقدر الظروف الشديدة التي اضطرتني لذلك ـ لا بد أن تتذكر مقدار ما عانيت بعد عودتي من الجامعة . انني لم افكر مطلقاً في أن اجد عذراً لتصرفاتي المشينة التي ارتكبتها أنا والاخرون هناك . فالمشاكل التي تورطت فيها انذاك انما حدثت في بداية ذلك العام ، غير ان سلوكي الجيد بعد ذلك ، والذي يشهد به الجميع ، لم يستطع ان يخلصني منها . لم أحس بحرارة فراق البيت كما أحس بها الآن . اكرر قولي بأنني لا أملك اي عذر لتصرفاتي الاّ ذلك العذر العام الذي هو تهور الشباب ـ ولكني اكرر ثانية بأنه لم يكن بمستطاعي تحمل نتائج تلك التصرفات على شكل اهانات وتجريح ، حتى ولو كلفني ذلك حياتي ، وحتى لو كان ذلك من أقرب اصدقائي . سوف انتظر جواباً منك بفارغ الصبر ؛ حيث ان اموراً كثيرة ذات علاقة بمستقبلي انما تعتمد على ذلك ـ ذلك هو ضمان مستقبل مشرف كبير النجاح لي في بلدي ، أو التعرض لضياع المنفى في بلد آخر .

بلغ حبي الى « ما »
المخلص
ادغار أ . بو

لقد اقتبست هذه الرسائل ذات الجانب الواحد ، بكاملها ، نظراً لما تلقيه من ضوء سيء على بو ولأنها تظهر بوضوح تلك القطيعة التي حلت بين الصبي وولي أمره . ربما يكون من السهل تصور ألان بأنه

Twitter: @abdulllah1994

وحش أناني لم يتورع عن التخلي عن ربيبه وهو لا يملك أي مال في جيبه . ولا شك انه لا يستحق أي عطف ازاء تلك المعاملة الدنيئة والفظة التي عامل بها ادغار خلال فترة تشارلوتفيل والفترة التي أعقبتها مباشرة . من جهة اخرى ، لا بد من الاعتراف بـأن ادغـار لم يكن قديساً (لا بد من الأعتراف مع ذلك ان التحاق ادغار بالجيش وما حققه من نجاح فيه انما يؤكد شجاعة وصلابة ادغار) . أما ألان ، فقد رأى بأن الغلام قد اطاح بكافة الفرص التي اتاحها له وعض على اليد التي اطعمته وانقاد عن عمد وراء تصوراته بأن هناك دائماً من سيدفع فواتيره - بل إن ادغار قد اعترف في رسالته الأخيرة بانه تورط ثانية بديون بسبب توقعه « سماع انباء مسرة من البيت » . ربما يمكن القول بأن ألان هو الذي دفع الصبي الى طريق التهور ، وأن ثمة اسباباً معينة قد أملت على ألان ذلك التصرف . غير ان تصرفات ادغار وسلوكه ازاء العائلة التي تبنته لم تكن صالحة ، حيث يبدو بأنه لم يظهر أي اهتمام بها الاَّ اذا كان بصدد طلب شيء ما . ولعل ما أثار ألان هو اصرار ادغار على القاء تبعة اعماله وما ينجم عنها من مشاكل على أي شخص آخر غير نفسه ، أو القيام في احسن الظروف ، بإلقاء تبعة ذلك على ظروف خارجة عن نطاق ارادته (وهو اسلوب طالما أعتمده أبوه كما يتذكر) .

يتضح من الرسائل التي كتبها ادغار من قلعة مولتري وقلعة موترو أنه كان دائم الأستعداد للقيام بدور الولد المطيع اذا ما كان في حاجة ماسة للمساعدة وانه كان يتوقع دائماً ان يتم استقباله استقبال عودة الولد الضال . غير أنه لم يحجم في ذات الوقت عن الأشارة بالتهديد والتوبيخ في محاولة منه لتحقيق مآربه ، أو عن الأنحدار الى مستوىَ التذلل المسرف . يمكن القول في معرض الدفاع عنه بأن الحياة لم تكن رحيمة معه ، وبأن الأمور قد تمخضت دائماً على عكس ما توقع .

Twitter: @abdulllah1994

غير أنه من المسلم به كذلك ، أن مواقف ادغار قد أسهمت في خلق قسط كبير من المتاعب التي لحقت به . فألان مسؤول عن جزء منها ، كما إن خصال ادغار الموروثة مسؤولة عن الجزء الآخر .

ربما لم يعرف ادغار شيئاً من خصال أبيه . غير أنه ما لبث ان اكتشف في سنواته اللاحقة ، ذلك الدافع الكامن في اعماق نفسه الذي كان قد قاد ديفيد بو الى الهلاك . ففي حكايته « عفريت الولد الضال » ، يقول بو : « بقدر ما أنا واثق من أنني أتنفس ، بقدر ما أثق بأن أي خطأ أو زلل نرتكبه انما هو بفعل تلك القوة التي لا تقهر ، التي تدفعنا ، وهي وحدها التي تدفعنا ، لأرتكابه . إن ذلك الميل الكاسح نحو ارتكاب الخطأ من اجل الخطأ ذاته ، لا يسمح بأي تحليل أو ارجاع لأية عوامل اخرى . انه دافع بدائي حاسم » .

هذا هو حال ادغار في رسائله التي بعث بها الى ألان بين نهاية ١٨٢٨ وبداية ١٨٢٩ . كان ادغار بحاجة الى المساعدة ، يريد المصالحة ، ومع ذلك فهو لم يستطع مقاومة الرغبة في اضافة لمسات الغرور وكيل الأتهامات المضادة الكفيلة بأبتعاث اثر متناقض تمام التناقض مع ما كان يبغي تحقيقه .

ومن المرجح أن ألان لم يكن على استعداد لتقديم أية مساعدة لأدغار لولا ذلك الحدث الذي ما لبث أن بدل الأوضاع عامة ـ ذلك هو موت فرانسيس ألان في الثامن والعشرين من شباط ١٨٢٩ . لم يتح لأدغار أن يرى فرانسيس قبل موتها (لم يصل ريتشموند إلّا بعد الدفن) ، غير أنه يمكن الأفتراض بأن فرانسيس قد تذكرت وهي على فراش الموت ، ذلك الطفل اليتيم الذي أسر قلبها قبل نحو عشرين عاماً ، ولربما تكون قد توسلت بزوجها كي يتصالح معه ويمد له يد

Twitter: @abdulllah1994

المساعدة كي تموت وهي مرتاحة . يتأكد هذا الأفتراض اذا ما علمنا بأن ادغار قد استقبل استقبالاً لائقاً ، وإن يكن ليس حاراً تماماً ، لدى وصوله ريتشموند ، كما تم تزويده بطقم ملابس جديدة . لم يكن ألان عديم الضمير تماماً حيث أثرت فيه توسلات زوجته ، فوافق على مساعدة ادغار في الحصول على اذن بالتسريح من الجيش من أجل تقديم طلب لدخول « الويست بوينت » ، كما وعد بدعم طلبه هذا . وحين عاد ادغار الى قلعة موترو في العاشر من آذار ، كتب الى ولي أمره بأسلوب ودي قائلاً : « يا والدي العزيز ، وصلت بورت كومفرت هذا الصباح بصحة جيدة ، ولولا تلك الأحداث الأخيرة لكنت أسعد من أي وقت مضى . . . » .

في نهاية اذار ، بعث الكولونيل هاوس بكتاب الى رئيسه يرجوه فيه « الموافقة على تسريح الرقيب أول في فوج المدفعية الأول إدغار أ . بيري من الجيش بعد أن يتم توفير بديل له » (حظر قوانين الجيش في ذلك الحين تسريح أي متطوع قبل تأمين بديل يحل محله) . واستطرد الكولونيل هاوس اذ قدم تقريراً محرفاً عن الرقيب بيري حيث جمعه من المعلومات المتفرقة التي زوده بها كل من ادغار وألان :

> المدعو بيري هو أحد افراد أسرة من اليتامى الذين ذهب والداهما ضحية حريق كبير شب في مسرح ريتشموند في عام ١٨٠٩ . وقد اصبح الموما اليه في رعاية شخص يدعى المستر ألان ، وهو سيد غني ومحترم في تلك المدينة ، حيث تبناه كما علمت كولد ووريث له . ورغبة منه في منحه تعليماً عالياً ، فقد أدخله جامعة فيرجينيا ، غير أنه ما لبث بعد فترة أن غادرها في لحظة من التهور الصبياني ، وانقطعت اخباره عن ولي أمره لعدة سنوات .

Twitter: @abdulllah1994

وقد اضطر الشاب في تلك الفترة ، وبدافع الحاجة الماسة ، الى التطوع في الجيش ، حيث تم قبوله كجندي في فوجي في قلعة الاستقلال . وقد اتصل في عام ١٩٢٧ بولي أمره وأطلعه على حاله بعد انتقال سريته الى هنا حيث سمح له بزيارته ، وتمت المصالحة بينهما حيث أعاده المستر ألان الى عائلته ومحضه رعايته . وقد تسلمت منه رسالة يرجوني فيها أن يتم تسريح ولده عند ايجاد بديل له . هناك جندي مدرب ومرضي عنه على استعداد لأن يحل محله . لذلك فإن تسريحه لن يلحق أي ضرر مادي بمصلحة الجيش .

أخطأ ادغار في تقرير عملية ايجاد البديل الذي سيحل محله . فقد جرت العادة أن يدفع الجندي الذي يرغب في التسريح مبلغ اثنتي عشر دولاراً (وهو المبلغ الذي يدفع عادة كمنحة للجندي من قبل الجيش) لرئيس فوجه حيث يقوم الأخير بمنحها لأول مجند جديد لكي يعتبر بديلاً للجندي المسرح . اعتقد ادغار إن ذلك الأجراء ينطبق عليه حيث بادر الى ابلاغ ألان بذلك . غير أن الأمور لم تسر على هذا النحو لسوء حظ ادغار حيث ما لبث أن وجد نفسه مضطراً الى الطلب الى ضابط صف آخر بتحديد مدة خدمته لكي يحل بديلا له ، وذلك لقاء خمسة وسبعين دولاراً (يبدو أن الكولونيل هاوس قد اقترح بأن ايجاد بديل برتبة ضابط صف سوف يدعم موقف ادغار) . يبدو أن ادغار قد تردد في اطلاع ألان على ذلك حيث منح البديل خمسة وعشرين دولاراً وورقة اعتراف بأنه مدين له ببقية المبلغ . سوف يؤدي ذلك الى نشوب مشكلة له مع ألان في وقت لاحق .

تم تسريح ادغار في الخامس عشر من نيسان وعاد الى ريتشموند

Twitter: @abdulllah1994

حاملاً في جيبه رزمة الكتب الموقعة من قبل رؤسائه في الجيش تشهد بأن بيري وبو هما شخص واحد ، من أجل تقديمها الى وزارة الحربية في واشنطن . كذلك كتب الكولونيل هاوس توصية جاء فيها ان اخلاق بو « فوق النقد والشبهات . . وسلوكه جيد ولا يتعاطى الكحول مطلقاً» . كذلك كتب الكابتن غريزوولد، مساعد الكولونيل هاوس، بأن بو « مثال يحتذى في تصرفاته ، دقيق ومخلص في اداء واجباته ، وهو جدير بالثقة » . وقد قام الليفيتنانت وارث بكتابه توصية غيابه عن الكولونيل هاوس الذي كان متغيباً عن ذلك الحين ، جاء فيها : « يتمتع بثقة عالية ويبدو أنه بعيد عن أية عادات سيئة ، وقد تم ترشيحه للقبول كطالب عسكري من قبل بعض اصدقائه ، وأنا لا أتردد في ترشيحه حيث أجد بأنه قادر على القيام بواجبات موقعه الجديد بكل جد واخلاص » .

تعثر قبول ادغار في الكلية العسكرية « الويست بوينت » بعض الوقت ، وذلك لأنه على الرغم من فوز الديمقراطيين في انتخابات ١٨٢٨ ووصول جاكسون الى الرئاسة ، فقد خاب أمل صديق ادغار ، الكولونيل درايتون ، في أن يصبح وزيراً للحربية ، حيث تم تعيين الميجر إيتون في ذلك المنصب . كان من شأن وصول درايتون الى وزارة الحربية أن يجعل أمر قبول ادغار في الويست بوينت أمراً منتهياً ، غير أن مجيء إيتون قد عقد الأمور بعض الشيء . وقد تدخل العديد من المتنفذين في ريتشموند ممن عرفوا ادغار صغيراً ، راجين إيتون في رسائلهم بأن ينظر بعين العطف الى ادغار ، وكان بين هؤلاء بريستون أحد اعضاء مجلس النواب ووالد زميل ادغار القديم في جامعة فيرجينيا ، جون بريستون ، وكذلك القاضي جون باربر والميجر كامبل والميجر غيبون . كما تدخل جون ألان نفسه ، رغم أن الرسالة التي

Twitter: @abdulllah1994

كتبها الى الوزير إيتون كان من شأنها أن تسيء الى قضية ادغار بدلاً من تذليلها . وهذا نصها :

ريتشموند ١٨٢٩/٥/٦

سيدي العزيز ،

حامل هذه الرسالة هو نفسه الذي حدثكم عنه كل من الليفتينانت هوارد والكابتن غريزوولد والكولونيل وارث وممثلنا النائب بريستون وفخامة أندرو ستيفنسون وصديقي الميجر كامبل . لقد غادرني بسبب انغماسه في لعب القمار في جامعة فيرجينيا في تشارلوتفيل ، وذلك لأنني رفضت الانصياع ، كما أعتقد ، لقانون يتبناه اصحاب الدكاكين وآخرون ، جاعلين من كل اشكال الأستهتار « ديون شرف » . لا بد من الاعتراف بأنه قد أدى امتحاناته في نهاية العام بنجاح فائق . تاريخه الشخصي قصير . فهو حفيد الضابط الصغير (الجنرال) بو من ميريلاند الذي أعتقد بأن أرملته ما زالت تتلقى راتباً تقاعدياً بسبب ما لحق زوجها من اضرار . أود أن أبين بصراحة يا سيدي ، أنه لا يمت اليّ بأية صلة قرابة ، وأنني قد رعيت العديد من الناس وسعيت لتأمين مستقبلهم دون أن يكون لي أي غرض من ذلك . فكل انسان هو محط رعايتي اذا ما تعرض للضيق . انني لا أطلب شيئاً من أجلي أنا ، غير أنني ارجو عطفك لمساعدة هذا الشاب على تحقيق آمال مستقبله . وسوف يسعدني كثيراً اذا ما تفضلت بمد يد العون له . إغفر لي صراحتي ولكنني اعرف بأنني أخاطب جندياً .

Twitter: @abdulllah1994

يبدو واضحاً بأن ألان لم يكن على استعداد لأن يلزم نفسه بأي موقف محدد . فقد قرر في ضوء تصرفات ادغار السابقة في تشارلوتفيل أن لا يورط نفسه بأي التزام آخر . غير أنه قد اصبح مقتنعاً بأنه قد أدى واجبه ازاء ادغار وفقاً لرغبة فرانسيس ، كما اغتبط لفكرة ذهاب ادغار بعيداً الى الويست بوينت حيث سيتم تأمين مستقبله بعيداً عنه . وانطلاقاً من هذه الآمال ، فقد وجد أن بمقدوره أن يكون اكثر كرماً وتسامحاً حيث زود ادغار بقدر من المال وأرسله الى واشنطن لكي يقدم اوراقه .

هكذا أنتهت حياة الجندي إدغار أ . بيري الى غير عودة ، رغم أنها بقيت مصدر احراج مستمر له . فحين طلب الى بو بأن يقدم نبذة عن حياته لنشرها في كتاب « شعر وشعراء من اميركا » في عام ١٨٤١ ، اخترع بو اسطورة بايرونية لتلك الفترة العسكرية « المفقودة » من حياته ، حيث قال بأنه بعد مغادرته الجامعة ، توجه نحو اليونان للاشتراك في النضال التحرري الدائر فيها (كان بايرون قد توفي في ميسولونغي إبان اشتراكه في ذلك النضال في عام ١٨٢٤) . واستمر بو في سرد « سيرته » قائلاً : « فشلت في الوصول الى اليونان ، غير انني توجهت الى مدينة بطرسبرغ في روسيا . واجهتني مصاعب كثيرة ، ثم تخلصت منها بمساعدة القنصل الأميركي فيها ، المستر ميدلتون . عدت سالماً الى الوطن في ١٨٢٩ لأجد بأن المسز ألان قد توفيت . . . التحقت مباشرة بكلية الويست بوينت كطالب عسكري » .

تم قبول هذهِ الخرافة على نحو جدي لسنوات عديدة قبل أن يظهر تاريخ بو العسكري للعيان . ما زال هناك العديد من عشاق ادغار ممن يعتقدون بوجود ثمة علاقة له بسانت بطرسبورغ ، حتى ولو كان ذلك في غير الوقت الذي ادعاه ادغار ، وذلك بحجة معرفته بالاسم الصحيح

Twitter: @abdulllah1994

للقنصل الأميركي فيها (كان ميدلتون قنصلاً في بطرسبورغ بين عامي ١٨١٩ و ١٨٣٠) . غير أنهم ينسون أن بو قد قضى حياته منهمكاً في جمع تلك النتف من المعلومات التي لا يعيرها الآخرون أي اهتمام ، كما إن عمله الدائم في مجال الصحافة قد وفر له فرصة واسعة للحصول على المعلومات التي يريدها .

ولعل الغرض الأساسي الذي دعا بو الى ابتكار تلك السيرة الخيالية هو احساسه بأن العالم سوف لن يرحم « سيداً » أديباً مثله اذا ما علم بأنه قضى بعض سني حياته كجندي عادي . كما لم يتفق ذلك مع الصورة التي كونها بو لنفسه . إن كونه طالباً عسكرياً فهو أمر مختلف كل الأختلاف . غير أنه على الرغم من الآمال العريضة التي بناها بو في ١٨٢٩ . فسيمضي وقت طويل قبل أن يستطيع الوصول الى ذلك الموقع .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل السادس

ورطة الضابط

شكل موت فرانسيس صدمة قاسية لإدغار . ها هو يقول الى ألان : « لقد تملكني شعور مخيف ، ولعلها المرة الأولى التي أتعرف فيها على معنى الأسى » . فقد اختطف الموت أمه وجين ستاندرد قبل أن يعرفهما معرفة حقيقية ، بينما كانت فرانسيس جزءاً من حياته لسبعة عشر عاماً أحبته فيها ورعته في طفولته وصباه وكانت دائمة الحضور كلما احتاج اليها . وعلى الرغم من مشاكله الدائمة مع جون ألان ، فقد كانت فرانسيس مصدراً دائماً للراحة والأطمئنان بأنها لن تخذله أبداً وبأنها معجبة به كرجل . ربما لم تكن فرانسيس أفضل أم بالنسبة لأدغار ، وذلك في ضوء ما ملكته من قسط متواضع من الثقافة والادراك ، اضافة الى خجلها وحالتها العصبية . غير أنها كانت امرأة لطيفة وحنونة ، ثم إنها كل ما امتلك من هذه الدنيا . لا توجد رسائل متبادلة بينهما ، وذلك إما لأنهما لم يتبادلا الرسائل ، أو أن فرانسيس لم

Twitter: @abdulllah1994

تحتفظ بها ، وذلك على العكس من زوجها المتمسك جدا بأهداب النظام . غير انه من الواضح أن ادغار قد اعتبر « ما » أمراً مسلماً به (يبدو أنها كانت من ذلك النوع من الأشخاص الذين يؤخذون كأمر مسلم به ، حيث أن جون ألان نفسه قد اعتبرها كذلك) ، وكما هو الحال دائماً ، فإن ادغار لم يدرك أهميتها الاّ بعد موتها .

ثمة فجوة في حياة ادغار الآن . فقد أدرك بأن جون ألان لا يريده حقاً (رغم أن ادغار لن يكف عن السعي وراء مساعدته والحصول على رضاه) . ولم يكن بمقدوره أن يسعى وراء مساعدة نانسي فالينتاين حيث كانت دائمة التطلع الى مصلحتها الشخصية ، وعمدت الى مساندة ألان دائماً ـ بل قيل بأن ألان قد طلب الزواج منها ورفضت طلبه رغم عدم توفر ما يدعم هذا الاعتقاد . هكذا يمم ادغار شطر عائلته الحقيقية ، عائلة بو البلتيمورية التي لا يعرف عنها الاّ النذر اليسير . كانت بلتيمور أول محطة ، على أية حال ، في الطريق الى واشنطن حيث سيقدم أوراقه ، ويبدو أن رغبة ادغار في التعرف على أقاربه الذين لم يقابل أحداً منهم حتى ذلك الحين ، قد لقيت تشجيعاً من ولي أمره . كان جون ألان قد بدأ بالتغلب على احزانه بفضل مساعدة المسز اليزابيت ويلز التي كان على علاقة سابقة معها كما يبدو ، والتي ستنجب منه بعد ذلك ولدين توأمين ـ حيث سارع في ارسال بو الى واشنطن بعد أن وضع في جيبه خمسين دولاراً ، وأتبع ذلك بشيك بمئة دولار قابل للصرف في مصرف بلتيمور ، ثم بحوالة أخرى بمبلغ خمسين دولاراً . وفي الثالث عشر من أيار ١٨٢٩ ، كتب الى ادغار في بلتيمور قائلاً : « حاول وأنت في ميريلاند أن تحصل على وثيقة تثبت أن جدك قد خدم في الجيش إبان الحرب الثورية ، وأن يذكر فيها مكان خدمته والرتبة التي حصل عليها وما الى ذلك ، حيث يمكن أن تفيدك في

Twitter: @abdulllah1994

المستقبل ، وليس هناك أي ضرر من استخراجها » . رأى البعض بأن هذا الطلب انما هو بمثابة اهانة متعمدة من جون ألان الى ادغار واجداده ، غير انني اعتقد بأن الأحتمال الأقرب للواقع بالنسبة للغاية المقصودة من هذه الرسالة هي أنها محاولة للابقاء على ادغار أطول وقت ممكن في بلتيمور . واذا كان هذا هو هدف ألان ، فمن الواضح أنه فشل في ذلك ، حين رد عليه ادغار بكبرياء قائلاً : « إن حقيقة كون جدي قد شغل موقع الأمين العام للامدادات والتموين في الجيش الأميركي كله خلال الحرب الثورية ، انما هي حقيقة ثابتة ـ ونظراً لأن هذه الحقيقة معروفة جداً في واشنطن ، فليس هناك ما يدعو الى الحصول على مثل هذه الوثيقة » . ومع ذلك ، فقد كان هناك ما يدعو الى بقاء ادغار في بلتيمور لمدة أطول .

لم تكن بلتيمور مجرد مدينة بحرية مزدهرة ومزدحمة وذات حيوية طالما افتقدتها ريتشموند المبتلية بمصيبة الطبقات الأجتماعية ، بل إن اسم « بو » قد تمتع فيها بأهمية ما . كتب ادغار قائلاً : « تعرفت بالعديد من الشخصيات الاجتماعية البارزة ممن كانوا على معرفة بجدي ، وقد عاملوني معاملة محترمة » . غير أن السمعة الجيدة لا تكفي وحدها لتوفير الخبز ، حين كانت عائلة بو في اوضاع مالية لا تحسد عليها . فقد كانت جدته قد أصيبت بالشلل ، وكانت تصرف راتبها التقاعدي المتواضع في البيت الذي تقيم فيه مع ابنتها الأرملة ، ماريا كليم وطفليها اليتيمين هنري وفيرجينيا البالغين أحد عشر عاماً وستة اعوام على التوالي ، وذلك اضافة الى شقيق ادغار ، هنري بو الذي كان قد هجر عمله في البحرية ، وأصبح وفق وصف ادغار له « قد استسلم للخمرة وغير قادر على إعالة نفسه » . كيف دبرت هذه العائلة أمر معيشتها ، فهو أمر مدهش ، ولربما تكون المسز كليم قد عملت كمعلمة

Twitter: @abdulllah1994

في مدرسة ما . غير أن ما هو أكيد بالطبع ، فهو استحالة قدرة هذه العائلة على إعالة ذلك القريب الجديد الذي ظهر فجأة من عالم الغيب .

لم يكن ادغار في بادىء الأمر بحاجة لمن يعينه ، فلديه نحو مئتي دولار . وقد استطاع أن يقيم في نزل ما ، كما استغل أسمه استغلالاً تاماً من أجل ولوج المجتمع البلتيموري . تعرف بشخص يدعى وليم وارث ، وكان قد رشح في السابق لإشغال كرسي القانون في جامعة فيرجينيا ورفض ذلك ، ثم شغل منصب النائب العام للولايات المتحدة واصبح منذ عام ١٨٢٩ زعيماً سياسياً في بلتيمور . إهتم بو بأمر وليم وارت بصفته كاتب سيرة « باتريك هنري » ومؤلف كتاب « رسائل جاسوس بريطاني » . قدم الشاعر الناشىء آخر نتاجه إليه ، وكان قصيدة طويلة بعنوان « الأعراف » . أصيب وارت بحيرة تامة ازاء هذه القصيدة الغريبة ، غير أنه عزا حيرته الى عدم معرفته بأساليب الشعر الحديث ، مضيفاً أن القصيدة ربما تلاقي الأستحسان لدى القارىء العصري ونصح ادغار بتقديمها شخصياً الى روبرت والش ، رئيس تحرير « الأميريكان كورترلي ريفيو » في فيلاديلفيا .

ليس من الصعب تفهم اسباب حيرة وارت ومشاركته مشاعره . فقصيدة « الأعراف » قصيدة غامضة ، وقد افتقدت سحر تلك البساطة التي اتسمت بها قصائد بو القصيرة ، ويحس المرء أحياناً وكأن بو أراد بها أن تكون عرضاً عاماً لجزء كبير من معلوماته المتفرقة التي جمعها من خلال مطالعاته . فهي تبدو وكأنها قصيدة « فكرية » متعمدة ، وهي لذلك صعبة الأستيعاب . يبدأ القسم الثاني من الصبغة النهائية لهذه القصيدة على النحو التالي :

في أعالي جبل مطهم الرأس ـ

Twitter: @abdulllah1994

كأنه راع مثقل بالنوم يستلقي بأسترخاء ،
فوق فراش من المراعي العملاقة ،
يرفع جفنيه ويثب ليرى ،
وهو يهمهم « بأمل الغفران » ،
متى يتربع القمر في السماء ـ
وردي الرأس ، متطاول نحو الأثير المضاء بالشمس ،
يقتنص أشعة الشموس الغاربة عند المساء ـ
في ظهيرة الليل ، اذ يرقص القمر مع الضوء الفاتن الغريب ـ
فجأة ، في ذلك العلو الشاهق
ارتفعت تلة من أعمدة هائلة من هواء خفيف
أرسلت مع بريقها الرخامي « الپاري » ابتسامتها التوأم
فوق الموجة الملتمعة هناك
وهدهدت الجبل الصغير في عرينه .
رصيفها حشد من النجوم المتوهجة ،
كالخريف عبر الهواء الأبنوسي ،
وهي تكون بالفضة نعش فنائها ، اذ تموت ـ
مزركشة مساكن السماء ،
جلست فوق تلك الأعمدة قبة من ضوء أطلقته السماء ،
كأنه تاج ـ
ألقت نافذة من ماسة مدورة بنظرها ،
الى الهواء البنفسجي
وانطلقت اشعاعات من الله ،
صوب سلسلة النيازك المتهاوية
مانحة القدسية ثانية لكل ذلك الجمال

Twitter: @abdulllah1994

غير أن روحاً متلهفة صفقت بجناحي الغروب . . . . . .

وهكذا . . الى ما لا نهاية . ليس لهذه القصيدة بالطبع مكان بين شعر اللغة الانجليزية الخالد ـ وقد اضطر بو الى اضافة شروحات عديدة . فهو مثلاً يشرح الفكرة التي أوحت له بهذه القصيدة بقوله : « الأعراف نجم اكتشفه تيكو براهيه حيث ظهر فجأة في السماء ـ احتفظ لبضعة ايام ببريق هائل فاق بريق جوبيتر ـ ثم اختفى فجأة ولم يظهر ثانية منذ ذلك الحين » . أما الفكرة الأساسية للقصيدة ، فيشرحها بقوله(*) : « يؤمن العرب بوجود مرحلة وسيطة بين الجنة والنار ، حيث لا يتعرض البشر فيها لأي عقاب ، ولكنهم لا يحصلون كذلك على تلك الطمأنينة أو السعادة التي يعتقدون بأنها صفة ملازمة للبهجة السماوية . . الأسى موجود في « الأعراف » ، غير أنه ذلك النوع من الأسى الذي يرغب الأحباء في الأحتفاظ به ازاء الأموات ، والذي يشبه هذيان الأفيون عند البعض . . فانفعالات الحب العاطفية وبهجة الروح التي ترافق عملية الخدر انما هي مسرات الحب الأقل قدسية ـ إن ثمن ذلك بالنسبة لأولئك الذين يختارون الاعراف مكاناً لإقامتهم بعد الموت هو الموت النهائي والفناء » . يبدو أن بو لم يكن واثقاً من أن القصيدة قد أفصحت بشكل واضح عما كان يريد قوله . وكان محقاً في شكوكه هذه .

مع ذلك ، هناك في « الأعراف » بعض الأبيات الغنائية الجيدة :

ليجيا ! حيثما تكون صورتك
لن يفضل أي سحر بين موسيقاك وبينك
لقد طوقت بالنوم الحالم عيوناً كثيرة

---

* يعتقد بأن بو قد اطلع على القرآن من خلال النسخة التي ترجمها جورج سيل ونشرت لأول مرة في عام ١٧٣٤ ـ ـ المترجمة .

Twitter: @abdulllah1994

غير أن الألحان
ما زالت تنبعث من يقظتك المستمرة ـ
إن صوت المطر اذ ينقض على الزهرة
كلي يرقص ثانية في إيقاعه الزخة
والهمهمة المنطلقة من العشب اذ ينمو
هي موسيقى الأشياء
ولكنها مجرد تقليد ، واأسفاه !
هيا ، بعيداً ، يا أعز الأعزاء
هيا ، بعيداً
نحو أصفى الينابيع المستلقية تحت أشعة القمر
نحو البحيرة المستوحدة المبتسمة ،
اذ تحلم بالراحة العميقة ـ
لجزر النجوم العديدة التي ترصع صدرها . . .

لدى النظر الى قصيدة « الأعراف » نظرة شاملة ، فسنجد بأنها قصيدة غير ناجحة ، حتى اذا ما أردنا ايجاد عذر لها بفقدان جزء منها ـ وهو جزء لم ينشره بو مطلقاً ـ. غير أن حلاوة المقاطع الغنائية فيها ، وذلك الاستخدام التجريبي للكلمات على النحو الذي يستخدم فيه الموسيقار الأصوات الموسيقية للتعبير عن ارائه ومشاعره ، وحقيقة انها « بدت » وكأنها مهمة ـ حيث كثيراً ما يفسر الغموض بأنه عمق في المعنى ـ قد أدت مجتمعة الى اعتقاد وليم وارت والآخرين بأن القصيدة جديرة بالأهتمام .

عمل بو بنصيحة وارت وسافر الى فيلاديلفيا يحدوه أمل كبير بالنجاح الأدبي . شعر بأن لديه من الجرأة والمال ما يكفي لكي يقيم في فندق «هايسكيلنر إندبان كوين » في الشارع الرابع . ويبدو أن

Twitter: @abdulllah1994

روبرت والش قد أيد رأي وارت في « الأعراف » حيث بادر بو الى تقديم قصيدته الى دار نشر كاري أند لي مع رسالة توضيحية للقصيدة أشار فيها الى رأي وارت ووالش ، وقال بأنه انما يقدم الجزء الأول والثاني والثالث من القصيدة وأن لديه من الأسباب ما يدعوه الى عدم الرغبة في نشر الجزء الرابع في ذلك الحين . ولأجل أن يوفر مادة كافية لإصدار مجلد كامل ، فقد ارفق تلك الأجزاء بمجموعة مختارة من قصائده القصيرة . كان كبير الأمل ، غير أن ذلك لم يعميه عن واقع الطبيعة التجارية للناشرين حيث بادر الى الكتابة الى جون ألان في التاسع والعشرين من أيار ١٨٢٩ قائلاً : « انني أدرك صعوبة نشر قصيدة في هذا البلد ـ حيث نبهني كل من المستر وارت والمستر والش لذلك ـ غير أن هذه الصعوبة يجب أن لا تشكل عقبة أمام الهدف المحدد الذي انتظر تحقيقه . واذا رفض السادة كاري أند لي بالقيام بعملية النشر ـ وليس هناك ما يدعوني الى الأعتقاد بأنهم سوف يفعلون ذلك حيث انهم رفضوا نشر اعمال كافة شعرائنا الأميركيين ـ حيث يشكل ذلك مجازفة لهم ، لذا فإنني اقترح ما يلي أن تزودني أنت برسالة الى كاري أند لي تقول فيها بأنهم اذا ما تعرضوا لأية « خسارة » نتيجة نشر « الأعراف » فإنك على استعداد لتعويضهم . تبلغ كلفة نشر أي عمل على غرار منشوراتنا الأميركية نحو مئة دولار . وسيكون هذا المبلغ بالطبع هو أقصى ما يمكن أن تبلغه الخسارة ، وذلك لدى افتراض عدم بيع أية نسخة من المنشور . ولدى اعتقاد بأن منشوري سيدر ربحاً ، بل واعتقد بأنني ربما جنيت بعض المال منه ، حتى ولو كان ذلك نذراً يسيراً » .

كان بو راغباً في ارضاء ألان ، وربما تذكر كل تلك الأهانات التي تلقاها منه في السابق ، حيث يستطرد قائلاً : « لقد تخليت منذ زمن بعيد عن بايرون كمثال لي ، واعتقد بأنني استحق الثناء على

Twitter: @abdulllah1994

ذلك » . واضاف قائلاً : « في هذه الفترة من حياتي ، من المهم جداً أن اكون امام عيون العالم ـ فإذا ما لحظني العالم مرة واحدة ، فسأشق طريقي بسهولة نحو الشهرة . . . رغم أن ذلك لن يقف عثرة في طريق اهدافي الأخرى » . ما يريد بو قوله هو أنه ما زال قادراً على النجاة من قبضة ألان ، وذلك بالالتحاق بكلية الويست بوينت ، وأن ما يطلبه حالياً ولي أمره ، هو التوقيع على مئة دولار أخرى كبداية لتكوين دخل خاص به . بدت الأمور في نظر الشاب ابن الأعوام العشرين ، الطامح في أن يكون شاعراً ، شديدة السهولة . غير أن ألان رأى غير ذلك ، فهو رجل لا يسهل اقناعه ، وها هو يجيب بو في الثامن من حزيران برسالة توبيخ يعلن فيها رفضه تقديم المساعدة ـ لم تكن رسالة بو في رأيه غير عملية تسول جديدة .

ما لبثت آمال بو العريضة أن انهارت وأمسك الافلاس بخناقه ثانية . وبما أن اقاربه غير قادرين على مساعدته ، فليس هناك من مفر من الكتابة الى جون ألان : « إن ما أخشاه هو أن تعتقد بأنني انما افرض نفسي عليك مستغلاً طيبتك . وما كان لي لولا اضطراري ، أن اطلب المال منك ثانية . غير أن ما احتاجه الآن هو مبلغ ضئيل » . وذكر في رسالته هذه أن أحد اقاربه ، ويدعى جيمس موشر بو قد سرق منه ستة واربعين دولاراً اثناء اقامته معه في الفندق ، وانه قد استرد عشر دولارات منها بعد أن فتش في جيوب ابن عمه في الليلة التالية ، وقد اعترف موشر بالسرقة ورجاه بأن لا يعرضه للأهانة . واضاف قائلاً بأنه قد دفع خمسين دولاراً اخرى لبديله في الجيش مبيناً أن غياب الكولونيل هاوس في ذلك الحين قد اضطره الى تدبير أمر البديل بنفسه ، « دفعت خمساً وعشرين دولاراً وتعهدت بدفع خمسين اخرى [ستعود هذه المشكلة لكي تقض مضجعه من جديد حيث سيتضح بأنه لم يقم بدفع

Twitter: @abdulllah1994

هذا المبلغ الأخير للبديل] . كما قال بو في الرسالة ذاتها : « لم أترك باباً الّا وطرقته من أجل دخول الويست بوينت ، واذا ما فشلت في ذلك ، فسأكون قد برهنت لك بأن ذلك ليس نتيجة تقصير مني » . كذلك أعرب عن رغبته في العودة الى ريتشموند ، وبأنه سوف يمر في طريق عودته بواشنطن للسؤال عن مصير طلبه « حيث أميل الى الأعتقاد بأنه قد تم قبولي » . لم يتزحزح ألان عن موقفه قيد شعره ، لم يرسل أية نقود ، ولم يرد بأية رسالة . وفي الخامس عشر من تموز ، كتب بو ثانية :

والدي العزيز ،

كتبت لك مرتين ولم تجبني ـ لم اكن أرغب في ازعاجك برسالتي هذه لولا اعتقادي بأنك ربما كنت خارج المدينة ولم تتسلم رسالتي . انني تواق جداً للعودة الى البيت عن طريق واشنطن ، حيث لديّ أمل كبير بأنني سوف أقبل في الكلية في أيلول القادم ، كذلك فإن بقائي الطويل في بلتيمور قد كلفني مصاريف كثيرة ، خاصة وأن جدتي ليست في وضع تستطيع فيه توفير اقامتي معها . أخشى احياناً أن تكون غاضباً مني ، وربما يكون لك عذر في ذلك ، ولكن اذا ما وثقت قليلاً بي ، فسأبذل جهدي كي اكون جديراً بهذه الثقة . أؤكد لك بأنه ليس هناك من هو أكثر رغبة منى في إعالة نفسي بنفسي ودون مساعدتك لو امتلكت الوسيلة لذلك . إنني لا أملك شيئاً ـ انني مستعد للعمل بإرشاداتك التي أتمنى لو كنت اعرفها . سوف تنقذني من الكثير من القلق فيما لو كتبت الي قريباً ـ أعتقد بأنني قد تلقيت من الصعاب ما يكفي بالنسبة لإنسان صغير السن مثلي .

انني ، يا والدي العزيز

المخلص

إدغار أ . بو

Twitter: @abdulllah1994

رمى بو في رسالته الذليلة هذه الى مس شغاف قلب ألان . وقد قام ألان فعلاً بإرسال بعض النقود لأدغار مع رسالة مقتضبة . ومن المرجح أن ألان قد هدف من وراء ذلك الى ابقاء ادغار بعيداً عن ريتشموند قدر المستطاع . يبدو بأن رسالة ألان قد اتسمت بالود ، حيث كتب ادغار في السادس والعشرين من تموز قائلاً :

والدي العزيز ،

تسلمت رسالتك المؤرخة في التاسع عشر في الثاني والعشرين من الشهر الحالي . انني شديد الامتنان لك على ما أرسلته من نقود ، بغض النظر عما رافق ذلك من سخرية كقولك « يتحتم على العباقرة أن لا يتقدموا بطلب المساعدة منك » ، إن حاجتهم لتلقي بعض المساعدة الصغيرة بين حين وآخر سوف تحول دون تقديم مثل هذه الطلبات ـ . لم أجب على رسالتك حالاً بسبب مغادرتي الى واشنطن في الصباح التالي ـ ولكن قبل أن اطلعك على مصير طلبي هناك ، أحس بأن من واجبي أن اقول شيئاً بصدد الشكوك والأتهامات التي تضمنتها رسالتك ـ » .

يبدو أن ألان لم يصدق ما رواه ادغار عن الدين المترتب عليه لبديله السيرجنت غريفر ، حيث أن ادغار لم يجرؤ في حينه على اطلاع ألان على ما حدث ، وبقي يعتقد بأن عملية ايجاد البديل لم تكلف غير اثني عشر دولاراً . غير أن ادغار شرح له في رسالته المؤرخة في السادس والعشرين من تموز كافة تلك الملابسات . . » لقد اخبرتك في حينه أن ذلك لن يكلف سوى اثني عشر دولاراً ، وقد ارتأيت بعد ذلك أن لا أثقل عليك . . وحين اعطيتني مئة دولار ، وجدت أنني املك اكثر من حاجتي وبأن الفرصة سانحة للإيفاء بديني ـ وهذا ما فعلت » .

Twitter: @abdulllah1994

تلك هي المرة الثانية التي يجد فيها ادغار نفسه مضطراً لتبرير تصرفاته . وقد دفع به ذلك اكثر فأكثر للأنزلاق. استطرد في رسالته قائلاً: «اذا ما أخذت بعين الأعتبار طول الوقت الذي قضيته بعيداً عن البيت دون أن اتلقى منك أية رسالة (كنت متردداً في مغادرة المدينة دون ذلك) ، اضافة الى المصروفات الأخرى ، فستجد بأنه كان مستحيلاً علي أن امارس التبذير أو الصرف غير اللائق ـ وحتى لو افترضت بأنني لم أفقد ستة واربعين دولاراً ـ بلغت الفترة بين رسالتي وجوابك اثنان وعشرون يوماً ـ بينما بلغت الفترة الثانية شهراً واربعة أيام ـ حيث لم اتوقع أن لا تجيبني ، كما انني لم أشعر بأنني قد اسأت اليك ، ولذا فقد شعرت بأنه من غير اللائق أن اغادر المدينة قبل تسلم ردك ـ هكذا لم يكن بإمكاني تلافي تلك المصروفات . أما بالنسبة للنقود التي سرقت مني ، فقد كنت قد بعثت اليك بالدليل الوحيد على صحة ما حدث ، وهو رسالة موشر التي اعترف فيها بسرقته ـ ليس لدي أي دليل آخر . . » .

شرح ادغار بعد ذلك قصة رحلته الى واشنطون ، تلك الرحلة التي قطعها مشياً على الأقدام (نحو ٨٠ ميلاً ذهاباً واياباً) بسبب حاجته للمال الذي أرسله ألان اليه ، لإعالة نفسه في بلتيمور : « قابلت المستر إيتون ـ ناداني بإسمي ، وقال رداً على اسئلتي أن هناك سبعة وأربعين طلباً زائداً عن الحاجة ـ تم رفض ١٩ طلباً منها ، كما تم فصل تسعة طلاب واستقال ثمانية آخرون ، وأن هناك الان عشرة طلبات قبل طلبي . ولدى السؤال عن رسائل التوصية الخاصة بي والتي ربما تكون ذات فائدة لي في مكان آخر ، أخبرني بأن سحب تلك الرسائل سيؤدي الى اعتبار طلبي مسحوباً ، ونصحني بقوة بعدم القيام بذلك قائلاً ان الأمل ما زال قائماً بشأن قبولي في أيلول ، حيث يتم تقديم العديد من الاستقالات خلال فترة إقامة المعسكرات كل عام . واذا ما زاد عدد

Twitter: @abdulllah1994

المستقيلين عن عشرة فسيتم قبولي بالتأكيد ، وتنتفي الحاجة للتقديم ثانية في أيلول . واذا لم يتم ذلك ، فسأكون ضمن أول المرشحين للقبول للسنة القادمة وسيكون قبولي مؤكداً . وحين ذكرت خشيتي أن لا يكون عمري ملائماً في ذلك الحين ، قال بأن سن الحادية والعشرين هو الحدود وبأنه يمكنني القول بأنني في الحادية والعشرين طيلة العام الذي اكون فيه في الثانية والعشرين . لدى مغادرتي المكتب ناداني ثانية لتسجيل صندوق بريدي ـ كتبت عنوان ريتشموند . قال لي « يجب أن تتأكد بأنني سأتصل بك » وعبر عن أسفه لتكبدي مشاق السفر الى واشنطن دون فائدة . تلك كانت كلماته بالحرف الواحد .

أصبح ادغار في حيرة من أمره : فبقاؤه في يلتيمور سوف يضطره خلال فترة قصيرة الى استجداء النقود من ألان الذي لا يقدمها الّا بشق النفس ، كما إن ألان لا يرغب في عودته الى ريتشموند . ها هو يكتب ثانية : « بعد أن شرحت كافة الظروف التي تتطلب الشرح وبينت بأنني لم أدخر جهداً في السعي وراء ما أبتغيه ، ها أنذا اكتب ثانية لكي ترشدني الى الطريق الذي ينبغي علي أن اسلكه ـ كنت أود أن اعود الى البيت حالاً لولا ما ورد في رسالتك بأنك«غير متلهف»لرؤيتي ـ لا أدري كيف أفسر ذلك ـ لم أملك نفسي عن التفكير بأن ذلك انما يرقى الى درجة منعي من العودة ـ لو كان لدي أية وسيلة أعيل بها نفسي الى حين قبولي في الكلية ، لما أزعجتك ثانية أبداً . انني نادم على الأساءة اليك في السابـق ـ شديد الندم ـ غير انني كنت أعتقد بأن ذلك قد أصبح « طي النسيان » ـ أنت نفسك على الأقل قلت ذلك ـ وأنا واثق بأنني لم أرتكب منذ ذلك الحين ما يزعجك ـ فيما يتعلق بالقصيدة ـ فقد أسأت اليك فقط حين طلبت موافقتك ـ يمكنني نشرها وفق الشروط التي اقترحتها أنت ، غير انني لن أقوم بأية خطوة قبل موافقتك التامة ـ سوف

Twitter: @abdulllah1994

انتظر جوابك بفارغ الصبر ـ لا بد أنك تدرك مقدار ما أعلق من أهمية على ذلك ـ حيث انني لا أدري كيف اتصرف ـ

المخلص لك :

ادغار أ . بو

لم يكن ما قاله بو حول القصيدة غير تمويه للواقع ، حيث ما لبث بعد يومين اثنين أن بعث برسالة الى كاري أندلي يطلب فيها اعادة القصيدة اليه ويطلب رأيهما حول أفضل السبل لنشرها في احدى المجلات . قال بأنه غير مطلع على مثل تلك الأجراءات بسبب اقامته حتى وقت قريب « خارج البلاد » ، وذلك وسيلة لإخفاء أثر الفترة التي قضاها في الجيش ، على الرغم من صعوبة ادراك هدف ادغار من اخفاء مسألة ليس للناشرين أي سبيل لمعرفتها أو اكتشافها . ولعل الأقرب للصواب هو أنه وجد غضاضة في الظهور بمظهر المستجد في عالم النشر .

ادرك ادغار كذلك أنه سيصبح مفلساً تمام الافلاس عما قريب . وفي الرابع من آب بعث برسالة الى ألان يلومه فيها بلطف على عدم قيامه ببذل جهد اكبر في سبيل قبوله في الويست بوينت ويلوح قائلاً : « إن هناك في البيت اعذاءً كثيرين ممن يتخيلون أن مصلحتهم تقتضي تقليل قدري عندك (ربما يقصد نانسي فالينتاين) ، وكرر الأعراب عن رغبته في العودة«للبيت»ـ ولعل من الغريب أنه ما زال يعتبر بيت ألان « بيته » رغم كل ما حدث له من محن ، وانه بحاجة الى ارشاداته بشأن مستقبله ، وانتهى الى القول : « اذا كنت مصمماً على عدم القيام بأي مسعى آخر من أجلي ، فلا أقل من أن تكون منصفاً وتقول لي ذلك بصراحة ـ انني كبير الثقة بأن يتم قبولي في الكلية في أيلول القادم ، ومتأكد تماماً من حصولي على القبول في حزيران الذي يليه . اذا ما

Twitter: @abdulllah1994

استطعت تدبير أموري حتى ذلك الحين ، فلن أشكل أي عبء عليك بعد ذلك . . ربما سيأتي اليوم الذي تكتشف فيه بأنني لا أستحق نصف ما لقيت من المتاعب وبأنك قد أسأت الظن بي دون حق » .

لشد ما يثير الأزعاج منظر ادغار وهو يلوم وينذر ويعنف من أجل الحصول على المال من ألان . لقد أراد أن يكون مستقلاً ، أن يتحرر من عبء الحاجة المستمرة لتبرير نفسه امام ولي أمره . غير أنه لم يكن مستعداً للسعي من أجل استقلاله . فهو ما زال يعتبر نفسه«سيداً»ولم يكن على استعداد للتقليل من شأن نفسه بالبحث عن عمل ما . غير أن توسلاته المستمرة ما لبثت أن أثرت في ألان ، ولربما يكون سبب ذلك هو تخوف ألان من ظهور إدغار المفاجيء على بَاب داره ، حيث سارع الى إرسال بعض المال له . عبر إدغار حالاً عن امتنانه : « تسلمت هذا الصباح رسالتك التي انقذتني من مشاكل أعظم بكثير مما تتصور ـ كنت خائفاً من أن اكون قد أسأت اليك رغم يقيني بأنني لم اقم بما يستحق غضبك . كنت في أسوأ حال ـ دون أي « فلس » في جيبي ، وفي خضم مصاعب جديدة بعد تلك الأوضاع السيئة التي لم اكد اتخلص منها . لست على استعداد أن اكون عنيداً بشأن موضوع البديل [يبدو أن ألان لم يقتنع بتفسيرات ادغار] ولذلك فإنني لن أقول شيئاً آخر بشأنه ـ سوى أنهم قد امتنعوا مؤخراً عن تجنيد أحد كبديل لجندي آخر كما كان الحال في السابق ، وبهذا فقد اصبحت مدة خدمة بديلي خمس سنوات بدلاً من ثلاث . شرحت في رسالتي السابقة (التي اعيدك اليها) أن المستر منحني آمالاً كبيرة بشأن أيلول ، كما وعدني وعداً قاطعاً بالنسبة لحزيران ـ سوف يتوفر لي الحصول على مسكن ومأكل لائقين ، اضافة الى خدمات الغسيل وتصليح الملابس وغير ذلك من الخدمات مقابل خمسة دولارات أو اربعة دولارات ونصف فقط ـ

Twitter: @abdulllah1994

واذا تم قبولي في أيلول ، فستبلغ قيمة التكاليف نحو ثلاثين دولاراً في حدها الأقصى ، واذا ما خذلني الحظ وتأجل قبولي حتى حزيران ، فسوف لا أرغب في أن ترسل لي هذا المقدار كل اسبوع ، حيث بمستطاعي الاقامة في نزل رخيص يتيح لي الأكتفاء بقدر أقل من ذلك بكثير ـ ربما تكفيني عشرة دولارات ، أو ربما ثمانية فقط في الشهر ـ أو أي مبلغ تعتقد أنت بأنه كاف لابقائي على قيد الحياة ـ انني افضل الأحتفاظ برضاك اكثر من الحصول على المال . لشد ما أرغب في أن تؤمن بأنني لم أحاول أن افرض نفسي عليك ـ سوف أكتب لك خلال ذلك (هذا اذا رغبت أنت بذلك) ، ولكنني اعاهدك بأن لا أطلب أية مساعدة اخرى غير ما تراه أنت مناسباً . تركت ورائي في ريتشموند حقيبة صغيرة بها بعض الكتب والرسائل ـ هل يمكنك ارسالها الى بلتيمور على عنوان . . . . واذا لم تجد بأنني اطلب الكثير ، فحبذا لو وضعت فيها بعض الملابس حيث أنني اكاد أن اكون بدون أي شيء . بلغ حبي للآنسة نانسي ، ياوالدي العزيز .

المخلص

ادغار ا. بو

لقد أدرك إدغار هذه المرة مزاج ألان ادراكاً حقاً ، حيث ما لبث أن حصل بعد أقل من اسبوع على خمسين دولاراً لضمان بقائه بعيداً عن ريتشموند . أما وقد ولت الأزمة المالية في الوقت الحاضر ، فقد اصبح ادغار قادراً على المضي قدماً في نشر قصائده . حظي ادغار لأول مرة بالترحيب الفوري حيث قام جون نيل ، رئيس تحرير « يانكي أند بوسطن ليتراري غازيت » بنشر قصيدة « السماء » لأدغار في عدد أيلول ١٨٢٩ ، وهي القصيدة المعروفة حالياً باسم « أرض الجنيات » :

Twitter: @abdulllah1994

هي الوديان المعتمة ـ والفيضانات المبهمة
والغابات التي تبدو غائمة
والتي لا نستطيع تمييز اشكالها
لأن الدموع تنقط فوق كل الأشياء
هناك الأقمار تتعاظم ثم تتضاءل
مرة بعد أخرى
في كل لحظة من لحظات الليل
أبداً تغير مواقعها
بنفثة من وجوهها الشاحبة . . . .

وقد علق عليها جون نيل ـ وهو مواطن أميركي حديث من أصل انجليزي تمتع بقسط كبير من النجاح من خلال قصائده ورواياته واصبح شخصية أدبية نافذة في البلاد ـ بقوله : « لو أنصف ا.ا. بو البلتيموري نفسه لاستطاع أن ينتج شعراً جميلاً وربما عظيماً ـ فهناك الكثير هنا ما يرجح مثل هذا الأمل . . . وعلى الرغم من أن القصيدة « تافهة » ، الا انها تافهة على نحو فاتن » . وصف بو هذا التعليق بأنه « أول كلمات تشجيع حقيقية أذكر انني سمعتها » . غير أن هذه الكلمات قد تضمنت اكثر من ذلك ، فلقد أوجز نيل في كلماته هذه الحكم على مجمل نتاج بو الشعري : تافه ، ولكنه تافه على نحو فاتن .

اتخذ النقد الأدبي في تلك الأيام كل سمات الحرب الأهلية : هجمات وهجمات مضادة ، تقدم وتراجع ، اغارات مفاجئة وتحصينات ومعارك شاملة . فإذا قامت مجلة من المجلات الأدبية التي لا حصر لها ، بأطراء شاعر أو مؤلف ما ، سرعان ما تبادر مجلة أخرى للهجوم عليه والسخرية به بأقذع الألفاظ وأعنفها . لقد قام نيل ، بفضل ما حمل من ذكريات طيبة عن بلتيمور وحرصه على تدشين ما يمكن أن يوصف

Twitter: @abdulllah1994

بالمكانة الأدبية لهذه المدينة ، باطلاق تلك الكلمات التشجيعية التي كان بو في أمس الحاجة لها . غير أن مجلة منافسة أخرى ، هي «أميريكان منثلي ماغازين»بادرت الى القول بأن قصيدة السماء «لاتعدو أن تكون مجرد حشد من القوافي السقيمة » .

يقال عادة بأن كل اشكال الدعاية هي دعاية جيدة ، وها قد بدأ ادغار يحصل على نصيبه منها . غير أن الشهرة بحد ذاتها لا تشبع بطناً خاوياً أو تدفع أجرة منام . ولم يكن بمستطاع ألان أن يعتبر كتابة الشعر عملاً ، حيث ما لبث في أواخر تشرين الأول أن بعث الى ادغار برسالة مليئة بالنقد ، وقد اجابه ادغار قائلاً :

والدي العزيز ،

تسلمت رسالتك هذا المساء ، وأنا حزين لأنني لا أستطيع أن اعطيك أي دليل مادي على حماسي وحرصي الشديدين على التحاقي بكلية الويست بوينت . لعلك تستطيع أن تكتب للمستر إيتون نفسه الذي يذكرني جيداً كما يذكر خصوصية طلبي . غير أنك قلق نتيجة سوء فهم أرجو أن يتم تصحيحه بالرجوع الى رسائلي السابقة ـ فقد ذكرت بأن المستر إيتون قد اخبرني باحتمال قبول طلبي في أيلول في حالة رفض عدد كاف من المتقدمين لدى اجراء الامتحانات في حزيران وأنه أبدى أسفه لأنني لم أقدم أوراقي قبل ذلك ، وأنه على الرغم من ذلك ، وفي ضوء التوصيات المهمة التي جلبتها معي . فإن قبولي سيكون مضموناً في الفصل الثاني ، أي في حزيران القادم . واذا لم يكن لدي شك في ذلك سابقاً ، فأنا الآن واثق بذلك قدر ثقتي بأنني موجود ـ واذ اتضح لك عدم صحة ما أقول ، فلك الحق في أن تدينني . أما اذا تبين لك العكس ، فستعتبرني بريئاً من أية نية لاستغلال طيبتك ـ وانا واثق تمام الثقة بأنني أرفع من ذلك . لقد قررت فور تسلمي رسالتك أن اتوجه

Twitter: @abdulllah1994

الى واشنطون ، واطلب من المستر إيتون ـ رغم مخالفة ذلك للأجراءات المعتادة ـ أن يزودني بكتاب يؤكد فيه قبولي منذ الآن ، ويتضمن دعوة للحضور الى الويست بوينت في حزيران للاشتراك في الامتحان ـ حيث سأضع تلك الرسالة أمامك من اجل ازالة كافة الشكوك التي تساورك ـ سوف أشرح له سبب حاجتي لتلك الرسالة في الوقت الحاضر وأعتقد بأنه سوف يلبي طلبي . ثم أنهى رسالته بقوله : « لشد ما يحزنني أن رسائلك إلي ما زالت تنضح غضباً ، وكأن اخطائي السابقة لم تغفر بعد ـ لو استطعت فقط أن اعرف كيف استرد مودتك ، لما ترددت ، والله يعلم ، في القيام بأي عمل من أجل ذلك » . خاب أمل ادغار في هذه المرة حيث أن رسالته لم تمس شغاف قلب ألان . هاهو يضطر للكتابة ثانية في الثاني عشر من تشرين الثاني ، وانما بأسلوب آخر : « كتبت اليك قبل اسبوعين ولم أتلق منك جواباً . أخشى أن تكون قد نسيتني ـ لم اكن لأثقل عليك على هذا النحو المتكرر لو لم اكن اعاني من ضيق لا مثيل له ـ فأنا أكاد لا أملك أية ثياب ـ وبما أنني ادفع اجرة منامي شهرياً ، فإن صاحبة النزل تلح في طلب نقودها ، وأنت تعلم بأنني لم اتسلم منك أي شيء منذ شهر آب . . . » . حصل ادغار هذه المرة على شيك بمبلغ ثمانين دولاراً . ويبدو أن ألان لم يرد التخلي تماماً عنه في ذلك الوقت الذي كان أمل التحاقه بالويست بوينت ما زال قائماً . هناك ثمة اخبار جيدة اخرى . فقد ذكر ادغار في رسالة مؤرخة في الثامن عشر من تشرين الثاني . . « سيتم طبع قصائدي من قبل الناشرين هاتش أند دانينغ في هذه المدينة وفق شروط جيدة بالنسبة لي . فهم سيطبعون المجموعة ويعطونني ٢٥٠ نسخة من الكتاب . . . » .

هكذا أصبح إسم إدغار في بؤرة الضوء ، رغم أن هذا الضوء لم

Twitter: @abdulllah1994

يتجاوز ضوء الشمعة . غير أن ادغار قد اقتنع الآن ، وبفضل مطبوعين شعريين له ، بأنه قد اصبح قادرا على تسمية نفسه « شاعراً » . أسرف نيل في اطراء المطبوع الجديد « الأعراف ، تامارلين وقصائد ثانوية » في عدد كانون الأول من مجلته ، وذلك الى جانب رسالة ادغار التي قال فيها بأنه قد كتب الجزء الأكبر من هذه القصائد قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وفي معرض كلامه حول تعليق نيل السابق ، قال بأنه لم يكتب حتى الآن « قصيدة جميلة وعظيمة » ، غير أنه على يقين بأنه سوف يحقق ذلك اذا كان الرأي العام والنقاد على استعداد للتحلي بالصبر . وقد أتبع محرر « اليانكي » ذلك بتعليق ملائم قال فيه إن « المؤلف الشاب » بحاجة الى قدر كبير من التصميم على تحمل الحاضر انطلاقاً من الإيمان بحتمية الانتصار في المستقبل .

ومع ذلك ، فقد كان الحاضر اكثر رحمة ببو مما كان يتوقع . فنشر مجموعته المؤلفة من اثنين وسبعين صفحة في عام ١٨٢٩ قد أقنع ألان كما يبدو ، بأن هناك بعض الجدوى في العمل الأدبي . وقد تم استقبال ادغار في ريتشموند وتم تزويده بثياب وحاجات اخرى بأمل التحاقه القريب بكلية الويست بوينت .

قضى ادغار معظم وقته في تلك الفترة يكتب الشعر ويحلم بالمجد القادم . ومن المرجح أنه قد كتب قصيدته « الى هيلين » المكرسة لجين ستاندرد في أوائل ١٨٣٠ ، وليس كما ادعى بأنها كتبت في « زمن مبكر من أيام الصبا». في نهاية اذار وصل كتاب قبوله في الويست بوينت ، وقد وقع ألان موافقته على التحاق ربيبه في الكلية العسكرية لمدة خمس سنوات كطالب عسكري . لقد بدت كافة الأمور مرضية تماماً بالنسبة للجميع . غير أن المشاكل ، وكما هو الحال بالنسبة لادغار دائماً ، كانت له بالمرصاد ، أولها رسالة من بديله

Twitter: @abdulllah1994

العسكري ، السيرجنت غريفز ، يطالب فيها بتسديد المبلغ المترتب له على ادغار . يوضح جواب ادغار الذي كتبه في الثالث من أيار ١٩٣٠ أن غريفز كان قد حاول الاتصال به عدة مرات وبأنه اتصل بألان كذلك. وفي ضوء ادعاء ادغار السابق بأنه قد سدد دينه لغريفز ، فإن ما يتبادر للذهن هو أن طلب غريفز انما يتعلق بدين آخر . غير أن جواب ادغار يزيل هذا الشك : « حاولت الحصول على المال من المستر ألان لكي ابعث به اليك ، عدة مرات ـ غير انه كان يردني دائماً على اعقابي خائباً ـ انني شديد الأسف اذ لم يكن بمستطاعي حتى الآن أن أسدد ديني ودين المستر«غريفيث » . وعلى الرغم من أن الأمور تبدو دائماً معاكسة لي ، فأنا أعتقد بأنك تعرفني جيداً بحيث لا يمكن أن يجول في خاطرك أبداً بأنني لا أنوي السداد . . .

ربما يكون صحيحاً أن ادغار لم ينو التهرب من سداد دينه ، غير أن ادغار لم يحاول القيام بذلك على نحو جدي . وعلى الرغم من قناعتنا بأن ألان طالما تركه بدون نقود وهو في بلتيمور ، غير أن ادغار لم يطلب أي مال من ألان من أجل سداد دينه ، بل إن ما فعله هو أنه كذب على ألان وادعى بأنه قد سدد الخمسين دولاراً لغريفز . فقول ادغار بأن ألان كان يرده « على اعقابه خائباً » هو افتراء محض . لم يقف الأمر عند ذلك الحد ، فقد أصبح ادغار عدوانياً على نحو سافر في معرض الدفاع عن نفسه امام غريفز . ويبدو أن ألان كان قد رد على رسالة غريفز اليه بقوله إن ادغار قد بعث اليه بالنقود من بلتيمور وفق معلوماته التي زوده بها ادغار نفسه . غير أن ادغار ما لبث أن ردَّ في رسالته آنفة الذكر : « يبدو مؤكداً أن المستر ألان قد اساء فهمي ، وأود أن تعلم بأنني لم أبعث لك بأي مبلغ من المال ، إن المستر ألان كثيراً ما يكون فاقداً لتوازنه ، وهذا هو تفسير ذلك » . لم تكن هذه الملاحظة

Twitter: @abdulllah1994

مجرد ملاحظة شريرة ، بل وغبية كل الغباء ، وذات عواقب وخيمة ، حيث سيصل ألان الى قناعة بأن ادغار انما هو حالة ميئوس منها .

غادر ادغار ريتشموند في اواسط أيار ١٨٣٠ بقارب بخاري متجهاً نحو بلتيمور ، أول محطة في طريقه الى الويست بوينت الواقعة على نهر الهدسون على بعد خمسين ميلاً الى الشمال من نيويورك . وصل الأكاديمية في أواخر حزيران ووجد هناك بأن ألان قد بعث اليه بعشرين دولاراً . وفي الثامن والعشرين من حزيران ، كتب له رسالة شكر معبراً عن أمله في النجاح كطالب عسكري جيد . سوف لا يكون ذلك سهلاً بالتأكيد : فقد كانت الويست بوينت مركزاً عسكرياً استراتيجياً إبان الحرب الثورية ، وقد اقترنت انذاك بأسم الخائن الأميركي سيء الصيت ، بينيديكت أرنولد الذي حاول بيع هذا المركز للبريطانيين . ولأجل محو تلك الذكرى المخزية ، فقد تم في عام ١٨٠٢ تحويله الى مدرسة نموذجية لتربية الضباط المتفوقين،ووضعت شروطاً لقبول اكثر الطلاب لياقة من الناحيتين البدنية والعقلية ، وكان عدد الطلاب الذين يتخرجون منها لا يزيد عن ثلث الطلاب الذين يدخلونها والبالغ في ذلك الحين نحو مئة وثلاثين طالباً ، حيث يتم فصل بقية الطلاب ، وفق كلمات ادغار ، « بسبب سوء سلوكهم أو ضعف قابلياتهم . . . لقد تم رفض العديد من الطلاب من ابناء العائلات المرموقة » . وقد نصت تعليمات الكلية أن يكون الطالب المقبول قادراً على القراءة والكتابة على نحو جيد ، ومتمكناً من اداء العمليات الحسابية بعملياتها الأربعة الرئيسة : الطرح والضرب والجمع والقسمة ، وأن يتواجد الطالب في الكلية منذ الأول من حزيران لكي يتمكن من الأشتراك في الامتحان العام الذي يجري في الأسبوع الأخير من الشهر المذكور . وقد اعطيت فترة تدريب للطلاب في مادة الحساب تم ارسالهم بعد ذلك الى معسكر

Twitter: @abdulllah1994

صيفي لممارسة تمارين السير والاطلاق واستعمال بعض قطع السلاح والقيام بأعمال الميدان وتهيئة الذخيرة . كانت الأيام طويلة حيث تبدأ تمارين السير قبل الافطار وتليها التدريبات الأخرى التي تتخللها فترات للدرس ، ثم اداء واجبات الحرس . كان ادغار قد مارس كل هذه التدريبات ، بل إن معلوماته حول المدفعية والهاون والقذائف لم تكن ، بفضل تلك الفترة التي قضاها في الجيش ، تقل عن معلومات المشرفين عليه ، ولا شك انه لم ينس أصول السير . كذلك لم يجد ادغار صعوبة في الدروس النظرية بفضل خلفيته الجامعية . وقد كتب الى جون ألان قائلاً : « أعتقد بأنني امتلك العديد من الميزات » .

تم توزيع الطلاب على ثكناتهم في نهاية آب ، وكان جدول الواجبات مكتظاً وأعطيت الأولوية فيه للجانب الأكاديمي : الاستيقاظ في الخامسة صباحاً ـ مذاكرة حتى السابعة ـ فترة الأفطار ـ درس في الرياضيات ـ مذاكرة ـ فترة الغداء ـ درس في اللغة الفرنسية في الساعة الثانية بعد الظهر ـ تدريبات رياضية من الرابعة حتى الخامسة والنصف باستثناء يومي السبت والأحد ـ استعراض عسكري من السادسة والربع حتى التاسعة والنصف ـ ثم النوم . يجري يوم الأحد تفتيش عام ثم الصلاة في الكنيسة وتخصص ساعة في المساء للترفيه . اعتاد بو بسرعة على ذلك وبدت الأمور سهلة في جانبيها العسكري والأكاديمي . حصل على المرتبة السابعة عشرة في الرياضيات (الهندسة والجبر) وعلى المرتبة الثالثة في اللغة الفرنسية ، وكتب في السادس من تشرين الثاني ١٨٣٠ الى البيت قائلاً : « أحتل مرتبة ممتازة بين طلاب صفي ـ فأنا ضمن المجموعة المتقدمة في كل درس ولدي امل كبيرة في النجاح . اقضي وقتاً ممتعاً هنا . غير أن الدروس مكثفة والقوانين صارمة جداً . . . أنا مرتاح جداً من الكولونيل ثيير (المدير العام) بل

Twitter: @abdulllah1994

ومن جميع من في المعهد » . كما تضمنت الرسالة مقطعاً طالما وجدناه في رسائلة السابقة : « حبذا لو أرسلت الي علبة أدوات هندسة وكتاب رياضيات كمبردج حيث سيكون ذلك كرماً كبيراً منك وتسهيلاً لأوضاعي العامة ، أو أن تبعث للمستر ثيير بما يوفر لي الحصول عليها منه ، وذلك لأن عدم وجود رصيد لي هنا ، فقد اضطرتني المصروفات الضرورية الكثيرة للاستدانة » . يبدو أن ما حدث في تشارلوتفيل سوف يتكرر ثانية . كان طلاب الكلية يتقاضون راتباً مقداره ستة عشر دولاراً في الشهر (اضافة الى جرايتين في اليوم) يستقطع منها أربعة دولارات كثمن كتب . وكان على الطلاب أن يدفعوا ثمن ملابسهم العسكرية ومستلزماتهم الأخرى التي لا تدخل ضمن نطاق الجراية اليومية . كان معظم طلاب الكلية من ابناء العائلات الثرية حيث يتلقون مساعدات مستمرة من أهاليهم . أما ادغار ، فيبدو أن المساعدة الوحيدة التي تلقاها منذ دخوله الكلية هي الدولارات العشرين التي ارسلها ألان قبل وصول ادغار الى الكلية . هناك في رسالة ادغار اشارة اخرى ذات دلالة رغم عدم ذكر الحادثة التي أملت كتابتها . يقول ادغار لألان : « كنت انتظر بفارغ الصبر قدومك الى الويست بوينت في طريق عودتك من نيويرك ، وقد خاب ظني حين علمت بعودتك للبيت دون أن تتصل بي». لقد ذهب ألان الى نيويورك من أجل اتمام حدث معين ، وهو زفافه . فعلى الرغم من بلوغه الخمسن من العمر ، ورغم علاقته الغرامية بالمسز ويلز التي انجبت منه في الآونة الأخيرة طفلين توأمين ، فقد تزوج ألان من لويزا غابرييلا باترسون ، ابنة احدى العائلات المرموقة جداً في نيويورك وعاد ألان بعروسه الى فيرجينيا.لا نعرف كيف علم ادغار بهذا الحدث حيث من المؤكد جداً أن ألان لم يطلعه عليه . ومن الواضح أن ذلك الحدث لم يرق لأدغار ، فهو لم يشر الى

Twitter: @abdulllah1994

الحدث السعيد في رسالته هذه ، غير أنه بعث بتحياته الى « المسز أ» . سوف يتضح فيما بعد أن المسز ألان الجديدة لم تستسغ ادغار ألان بو . ويرجح بعض كتاب سيرة بو أن ألان قد أطلع زوجته على تفاصيل مغامراته الغرامية السابقة ، غير أن الفضيحة الكبيرة التي ستثيرها لويزا فيما بعد اذ تكتشف أمر وصية زوجها ، يدحض ذلك . غير أن ما هو مؤكد هو أن دخول لويزا الى عائلة ألان قد أنذر بخروج ادغار منها .

انهمك ادغار ، اثناء ذلك ، في حياته الجديدة في الويست بوينت ، وقد واجه نظاماً شديد الصراحة قوامه نحو ثلاثمئة مادة تحكم مختلف مجالات الطلاب ، وخاصة تلك الفترة القصيرة المخصصة لتصرفهم الخاص . كان من الطبيعي حظر المشروبات الكحولية والتدخين ولعب الورق ، وكذلك الشطرنج والنرد (ربما تخوفاً من استغلالهما للعب القمار) . كذلك حظر على أي طالب أن يحتفظ في غرفته بأي كتاب غير كتبه المدرسية الاّ بموافقة من عميد الكلية . وقد مال كتاب سيرة بو السابقين الى الأعتقاد بأن ذلك البند الأخير قد شكل ازعاجاً لقارىء شره مثل بو ، غير أن هؤلاء الكتاب قد قفزوا الى النتائج قفزاً . فقد ضمت مكتبة الكلية في عام ١٨٣٠ ما يزيد على ثلاثة الاف كتاب بينها سبعمائة كتاب ثقافي لا يمت للعلوم العسكرية بصلة ـ رحلات ، تاريخ ، سير حياتية ، فلسفة ، علوم طبيعية ، وما الى ذلك . وكان بمستطاع بو أن يجد في تلك الكتب ما يثير اهتمامه . غير أن إسمه لم يرد في قوائم الأستعارات . ربما قدم بعض طلبات لأستعارة بعض الكتب اللامنهجية ، غير أن المرجح هو أنه ، شأنه في تشارلوتفيل ، لم يستفد من الفرصة المتاحة . ولعله قضى بعض الوقت في المطالعة في قاعة المكتبة التي كانت تفتح ابوابها لسبع ساعات في اليوم بأستثناء يوم الأحد ، غير أنه لم يحد ، كما يبدو ، عن التمسك

Twitter: @abdulllah1994

بهدف تكريس نفسه للأدب .

ترى ما الذي فعله ادغار في أوقات فراغه ؟ نعرف انه اقام في الغرفة المرقمة ٢٨ من الثكنة الشمالية مع زميلين هما توماس غيبسون وتيموثي جونز . وقد ذكر كلاهما في ذكرياتهما التي نشرت بعد عدة سنين أن بو كان يميل للمشروبات الكحولية . وقد تحدثا عن بعض التسللات بعد أن يتم « اطفاء الأنوار » الى مكان يدعى « بينيز » لشراء البراندي . كان العديد من طلاب الكلية يتناولون الشراب سراً ، واذا كان بو قد اشترك في ذلك ، فيبدو أنه كان أكثر دهاء واوفر حظاً من بقية زملائه حيث لم يرد إسمه في قائمة الطلاب المتهمين بهذه المخالفة . اضاف غيبسون وجونز بأن ادغار كان محبوباً ومحط اعجاب الكثيرين بفضل قابلياته العلمية وموهبته في كتابة القصائد الساخرة الموجهة بشكل رئيسي ضد المدرسين. غير أن غيبسون ذكر في مقالة نشرتها له مجلة « هاربر » في ١٨٦٧ أن علائم التذمر وعدم الرضى كانت بادية على الدوام على وجهه الذي لم يكن من السهل ان ينساه«اصدقاؤه » . أما ألان ما غرودر ، وهو زميل آخر لبو ، فقد قال : « كان شديد الخجل والتحفظ في علاقاته مع زملائه الطلاب ـ وقد اقتصرت صداقاته على الفرجينيين » . لم يرد أي ذكر في كل تلك الذكريات لعلاقة بو بمجموعة نشطاء الويست بوينت الشهيرة المعروفة بأسم « الجمعية الديناميكية » (تشكلت عام ١٨٢٤ وما زالت قائمة حتى الآن) ، حيث كان الأعضاء يقدمون اوراقاً مغفلة التواقيع ويقوم « القارىء » المعين رسمياً من قبل اعضاء الجمعية بقراءتها في الأجتماع العام . ويحتمل بأن بو قد كلف الجمعية بجمع اشتركات له ، وهي الأشتراكات التي اتاحت له طبع مجموعة شعرية في عام ١٨٣١ ، وربما يكون قد حضر بعض هذه الأجتماعات التي حقدها الكثيرون في ذلك الوقت .

Twitter: @abdulllah1994

إن الصورة العامة التي يمكن تكوينها من جملة المعلومات المتناثرة المتوفرة لنا عن بو في تلك الفترة هي صورة انسان نزوع الى الكآبة والأنقباض والأنزواء . ولربما عمد الى الشراب في بعض الأحيان ودونما إكثار بحيث أنه لم يلفت انتباه أحد من مسؤولية ، ولربما أحس في بعض الأحيان بحيوية دفعته لأستخدام نكاتة ومرحه ، غير أن غيبسون يذكر بأن بو لم يكن يتحمل النكات الموجهة ضده ، وبأن الأنطباع العام الذي اعطاه عن نفسه هو انطباع انسان أقـض القلق مضجعه . فثمة مشاكل عديدة لا بد وأنها قد سيطرت على افكاره ، وفي مقدمتها ذلك الأمل الذي بناه بشأن حصوله على ميراث ما من جون ألان ، حيث ما لبث هذا الأمل أن تبخر بظهور لويزا إبنة الثلاثين عاماً القادرة على انجاب الأطفال . كذلك هناك حياته في الويست بوينت والتي أثارت امامه صعاباً مختلفة وان تكن مترابطة . فهناك شحة المال الناجمة عن تقتير ألان ، وهناك مشكلة الأكاديمية ذاتها . لقد تفاخر بو بأنه قادر على انجاز المواد المقررة خلال ستة أشهر يستطيع بعدها أن يكون في موقع يؤهله للحصول على موقع ضابط براتب تام بحيث لا يعود بحاجة لأستدرار جيب ولي أمره . غير أن نظام الويست بوينت لم يجز قفز المراحل ، ولا بد من تطبيق كل فقرة من النظام تطبيقاً حزفياً . وقد ترتب على ذلك ضرورة البقاء ما لا يقل عن اربع سنوات على اقل تقدير قبل أن يستطيع الحصول على حريته . لقد تضافرت كل هذه المشاكل لكي تطبع بو بالكآبة والتذمر .

ولعل القرار الذي ما لبث أن اتخذه بشأن مغادرته الويست بوينت انما اتخذه نتيجة لكل هذه المشاكل . ففي نهاية عام ١٨٣٠ ، تسلم جون ألان رسالة من بديل بو العسكري ، غريفيز يطالب فيها بنقوده ويذكر فيها كل ما قاله ادغار عن ألان في رسالته المؤرخة في أيار

Twitter: @abdulllah1994

١٨٣٠ . ليس من الصعب تخيل مقدار غضب ألان اذ يكتشف بأن ادغار قد كذب عليه طول الوقت ، ويقرأ كلماته الحرفية « إن المستر ألان كثيراً ما يكون فاقداً لتوازنه » . وها هو ادغار يتسلم رسالة من ألان يخبره فيها بقطع علاقته به نهائياً . من المعتقد بأن هذه الرسالة هي آخر رسالة تلقاها ادغار من ألان .

صعق ادغار . وفي الثالثة من كانون الثاني ١٨٣١ (وضع ادغار تاريخ ١٨٣٠ على رسالته) اجاب متحدياً : « سيدي . . اعتقد على الرغم من رغبتك بقطع صلتك بي ، أن ذلك لا يرقى الى درجة عدم وجود حق لي في الأجابة على رسالتك. هل كنت أنا ، حين كنت طفلاً صغيراً ، الذي نشد صدقتك وحمايتك أم كان ذلك بمحض ارادتك ، أنت الذي عرضت خدماتك من أجلي ؟ إن كل شخص محترم في بلتيمور وغيرها يعلم جيداً بأن جدي (ولي أمري الطبيعي في ذلك الوقت الذي تدخلت أنت فيه) كان رجلاً ثرياً وانني كنت حفيده المفضل . غير أن وعودك بأن تتبناتي وتوفر لي التعليم والثقافة التي عرضتها أمامه في رسالة ما زالت محفوظة عند عائلتي ، قد اقنعته بالتنازل عن رعايتي حيث أسلمني الى يديك . في ضوء كل ذلك ، هل يمكن القول بأنني لا أملك أي حق في توقع أي شيء مما يتوفر لديك ؟ ربما تصر على القول بأنك منحتني تعليماً عاماً عالياً ، غير انني سوف اترك الأجابة على ذلك لمن يعرفون ما هو مقدار التعليم الذي يمكن أن يحصل عليه أي شخص خلال ثمانية أشهر في جامعة فيرجينيا . ستقول هنا بأنني انا الذي أخطأت اذ لم أعد الى الجامعة . إنك انت الذي منعتني من العودة بسبب أن قوائم قد قدمت اليك لتدفعها ، وهي قوائم لم أطلب منك أن تدفعها . لو كنت قد سمحت لي بالعودة ، لكنت قد اصلحت سيرتي ، وهذا ما تأكد من سلوكي خلال الأشهر الثلاثة

Twitter: @abdulllah1994

الأخيرة ، وكان من شأن ذلك أن لا تسمع مطلقاً بأي تبذير من جانبي . غير انني لست على استعداد لكي أعلن بأنني مذنب ازاء كل ما الصق بي من اتهامات ، والذي طالما تحملته بسبب كبريائي التي حالت دون ردي على تلك الأتهامات . سوف اقول بكل جرأة أن بخلك الشديد هو المسؤول عن كل ما لحق بي من مصاعب في تشارلوكفيل . . . » . استمر ادغار في شرح متطلباته المالية والمشاكل الناجمة عنها في الجامعة ، ثم أستأنف هجومه : « أما وقد اصبحت مهدداً في كل يوم بأنذار جديد وما الى ذلك ، فقد غادرت البيت ـ وبعد عامين كاملين لم تبدر مني خلالهما أية هفوة ـ جندياً عادياً في الجيش ـ فقد حصلت على أسباب معيشتي بأشد اشكال الحرمان مهانة ـ كان يمكن ان احصل على رتبة ضابط صف بمجرد طلب منك . في ذلك الحين فقط ، وجدت أن بمستطاعي المجازفة بأن أطلب مساعدتك لكي تزودني ببدلة . وكما تذكر ، جئت الى البيت في الليلة التالية للدفن ، لو أنني رأيتها فقط قبل موتها لما كان هناك ما أتحسر عليه . إنني لم أثمن حبك لي في يوم ما ـ ولكنني اعتقد بأنها قد أحبتني كولدها . وعدتني بأن تغفر لي كل شيء ـ غير أنك سرعان ما نسيت وعدك . أرسلتني الى الويست بوينت وكأنني شحاذ . إن نفس المشاكل التي واجهتني في تشارلوتفيل ها هي تهددني هنا ثانية . ويتحتم عليّ أن أستقيل . أما بشأن أمرك لي بأن لا أزعجك بالأتصال بك ثانية ، فتأكد يا سيدي ، أنني سوف التزم بذلك بكل تقوى . فحين افترقت عنك اذ ركبت القارب البخاري ، كنت على يقين بأنني لن أراك ثانية . أما بالنسبة للسيرجنت غريفز ، فقد كتبت له تلك الرسالةحقاً . وبشأن حقيقة ما ورد فيها ، فأتركه لله ولضميرك ، لقد كتبت له تلك الرسالة بعد نصف ساعة فقط من قيامك وتحت سقف بيتك بالذات ، بأستثارة كل ذرة من مشاعري ضدك حيث

Twitter: @abdulllah1994

قذفت بشتمائك علي شخصياً وعلى أهلي ، وفي وقت كنت تدرك فيه تماماً بأنني كنت على وشك الأنهيار. ليس لدي ما أقوله غير هذا ـ سوى أنني سوف أقضي حياتي المقبلة ـ وأحمدُ الله لأنها لن تدوم طويلاً ـ بالفاقة والمرض . فلم يعد لديّ أية قوة أو صحة . وإن كنت قد استطعت حتى الآن تحمل مشاق هذا المكان وكافة المصاعب الناجمة عن حاجتي الدائمة للمتطلبات الضرورية ، فقد اتخذت قراري بالأستقالة كما أخبرتك سابقاً ـ ولأجل تحقيق ذلك ، فسيكون من الضروري أن تقوم أنت (بصفتك ولي أمري) بتقديم موافقتك الخطية على ذلك . لا جدوى من رفضك هذا الطلب الأخير ـ حيث يمكنني أن اغادر المكان من غير أي إذن ـ غير أن رفضك هذا سيحرمني فقط من المبلغ الصغير الذي استحقه لتغطية نفقات سفري . سوف أهمل منذ الآن كل دراستي وواجباتي ، واذا لم أتسلم جوابك خلال عشرة ايام ، فسوف اغادر الويست البوينت بدون ذلك ـ حيث سأعرض نفسي الى الفصل ـ أ.أ.بو » .

لم يكن بمستطاع ذلك المزيج من التوبيخ والأشفاق على الذات ان يسد الهوة القائمة بين الأثنين ، حيث أنها كانت قد اتسعت على نحو لا يمكن التغلب عليه . كتب ألان ملاحظة على رسالة بو جاء فيها : « تسلمت هذه الرسالة في العاشر ، واستنتجت مما جاء فيها أن ليس هناك ما يدعوني الى الأجابة . . اكتب هذه الملاحظة في الثالث عشر ولا أرى ما يدعوني الى تغيير رأيي . . لا أعتقد بأن الصبي يملك صفة واحدة جيدة ، يمكنه ان يفعل ويتصرف كيفما شاء . ربما كان بمقدوري أن أنقذه ، وانما وفق شروطه ومقاييسه هو حيث انني لا أصدق كلمة واحدة مما يقول . إن رسالته صارخ على الحقيقة ذات الجانب الواحد » .

Twitter: @abdulllah1994

غير أن ادغار التزم على الأقل بقراره ، حيث أخذ يتغيب عن دروسه ولا يؤدي واجباته بعد خمسة أيام فقط من تاريخ رسالته ، ويبين ذلك انه لم يكن يتوقع جواباً . وفي الثامن والعشرين من كانون الثاني ، تم استدعاء بو للمثول أمام محكمة عسكرية ، وقد وجهت اليه التهم التالية :

« التهمة الأولى : اهمال فاضح في اداء الواجبات . التفاصيل : تغيب الموما اليه الطالب العسكري بو عن حضور الأستعراضات ونوبات التفقد بين السابع والسابع والعشرين من كانون الثاني ١٨٣١ [وقد شمل ذلك كافة التفقدات الليلية والأستعراضات وواجبات الحراسة والكنيسة] . ثانياً : تغيب الموما اليه الطالب العسكري بو عن حضور كافة الدروس الأكاديمية بين الخامس عشر والسابع والعشرين من كانون الثاني ١٨٣١ . .

التهمة الثانية : عدم اطاعة الأوامر . التفاصيل : تخلف الموما اليه الطالب العسكري بو عن حضور الأستعراض الكنسي يوم الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٨٣١ رغم المناداة عليه من قبل الضابط المسؤول . ثانياً : تخلف الموما اليه الطالب العسكري بو عن الحضور في الأكاديمية يوم الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٨٣١ بعد المناداة عليه من قبل الضابط المسؤول . . . » .

اعترف بو بالتهمة الثانية وبالتفصيل الثاني من التهمة الأولى ، ولأجل أن يضمن ادانة المحكمة له ، فقد ادعى ببراءته من التفصيل الأول من التهمة الأولى دون ان يقدم أي دفاع عن نفسه . كان إثبات التهم الموجهة اليه أمراً سهلاً بالطبع ، حيث أصدرت المحكمة قرارها الذي جاء فيه : « بعد المداولة المستفيضة بشأن الشهادات المقدمة من

Twitter: @abdulllah1994

قبل المحكمة ، فقد وجدت المحكمة بأن السجين مذنب فيما يتعلق بالتفصيل الأول من التهمة الأولى ، وتصادق على اجابته على بقية التهم وتفاصيلها ، وتقضي بفصل الطالب أ.أ.بو من خدمة الولايات المتحدة الاميركية » . تمت المصادقة على القرار المذكور من قبل وزارة الحربية في الثامن من شباط ، وغادر الويست بوينت بعد ذلك مباشرة رغم أن فصله لم يصبح نافذاً الاّ في السادس من آذار .

لا شك أن ادغار قد شعر بالراحة وهو يغادر الويست بوينت ، غير أن المرء ليتساءل فيما اذا كان لديه أي تصور بشأن حياته المقبلة . فقد اتسمت حياة بو دائماً بالمراوحة بين فترات من التفاؤ ل الأعمى وفترات من اليأس القاتل ، وكثيراً ما دفعه الأمل في تحقيق انقلاب مفاجىء في حياته الى وهم الأعتقاد بأن ذلك الأنقلاب قد حدث فعلاً .

كان ادغار قد تمكن من اقناع ناشر في نيويورك يدعى ايلام بليس بطبع مجموعة شعرية له مقابل اشتراكات كان قد جمعها من زملائه العديدين في الويست بوينت بقيمة خمسة وسبعين سنتاً للنسخة الواحدة ، ولعل بو قد تطلع للنجاح كشاعر وهو يغادر الويست بوينت . من جهة ثانية ، فقد وضع ما حدث بينه وبين جون ألان حداً لأي أمل جديد ، ولربما كان في حالة من الحيرة التامة وهو يلقي نظرة الوداع على الويست بوينت في التاسع عشر من شباط ويتجه ميمماً شطر بنيويورك .

بعد يومين فقط ، وبقدر ما يبدو الأمر غريباً ، اذ بأدغار يعود للكتابة ال جون ألان طالباً بعض المال . فقد اقام على ما يبدو في نزل رخيص في نيويورك واكتشف بأن المال الذي جمعه في الويست بوينت سوف لن يبقى منه شيء بعد أن يدفع تكاليف طبع مجموعته

Twitter: @abdulllah1994

الشعرية . لقد تبخرت آخر قطرة من التفاؤل ، وها هو يقع مريضاً طريح الفراش . رسالته الى ألان يائسة ومحزنة :

« سيدي العزيز ،

رغم كل تصحيحي ، ها أنذا اجد نفسي مضطراً الى اللجوء اليك ثانية لمساعدتي . ستكون هذه على أية حال آخر مرة أزعج فيها أي انسان . فأنا الآن على فراش المرض الذي أحس بأنني لن أنهض منه . انني الآن لا أناشد فيك مودتك التي فقدتها ، وانما اناشد فيك عدلك . كنت كتبت اليك طالباً موافقتك على استقالتي حيث كان من المستحيل أن أبقى ـ إن « أذني » لترتجف رعباً من سماع أي وصف ـ إنني آخذ في الأنهيار يوماً بعد يوم ، هذا اذا لم يقض مرضي الأخير علي . كتبت اليك ، كما قلت ، من أجل موافقتك على استقالتي حيث لم يكن ممكناً قبول استقالتي الاّ بموافقتك . وكان دافعي الى ذلك هو الحصول على نفقات السفر البالغة ثلاثين دولاراً وخمسة وثلاثين سنتاً وفق قوانين الكلية . إن دولاراً واحداً في ظروفي الراهنة لأكثر أهمية بالنسبة لي من عشرة الاف دولار بالنسبة لك . ولكنك رفضت الأجابة عن عمد . لقد قمت بأهمال واجباتي ، كما قلت لك ، حيث وجدت استحالة قيامي بها . وكانت النتيجة بالطبع متوقعة ـ الفصل . لقد تم فصلي في وقت كان بمقدور سطر واحد منك أن ينقذ الوضع ـ لقد أهتمت الأكاديمية كلها بأمري ، وذلك لأن جريمتي الوحيدة هي المرض ـ ولكن ما الفائدة . يمكنك الأتصال بالكولونيل ثيير للأطلاع على سجل سلوكي وتصرفاتي وسمعتي وموهبتي ـ غير أن كل ذلك عديم الجدوى طالما أنك لم تمنحني موافقتك على الأستقالة ـ كان يمكن تلافي كل ذلك ـ لم يعد لدي من القوة والحول لكي اكتب نصف ما أحس به ـ سوف يأتي اليوم الذي ستدرك فيه كيف عاملتني . تركت

Twitter: @abdulllah1994

الويست بوينت قبل يومين ورحلت الى نيويورك ولم يكن لدي معطف أو أية ملابس أخرى ذات شأن . وقد أصبت ببرد شديد وها أنا الان طريح الفراش . ليس لدي أية نقود ـ ولا أصدقاء ـ كتبت لأخي ، ولكنه لا يستطيع مساعدتي . لن انهض من فراش المرض . فبالأضافة الى البرد الشديد الذي اصاب رئتي ، هناك دم وصديد يخرج من أذني بشكل مستمر ، وصداع شديد يفقدني صوابي ـ اكاد لا أعرف ما الذي اكتبه الآن ـ سوف لا اكتب لك ثانية ـ أرجوك ان ترسل الي بعض النقود بسرعة ، وأنس ما قلته عنك . وليباركك الله ـ أ.أ.بو ـ لا تذكر شيئاً أمام أختي ، سوف أرقب البريد كل يوم » .

لا تتوفر أية معلومات عن المرض الذي يقول ادغار بأنه اصابه وهو ما زال في الويست بوينت ، ولربما يكون على غرار ذلك المرض الذي كان يصيبه بعد تناول الكحول وهو في جامعة فيرجينيا . وقد كان ذلك نذيراً مبكراً بالمرض الذي سيلازمه فيما بعد ، وربما يكون قوله ذاك مجرد ادعاء لأستدرار عطف ألان الذي فشل في تحقيقه ، حيث لم يجبه ألان اطلاقاً . بعد وقت طويل ، سوف يعثر ألان بين اوراقه على رسالة ادغار هذه ويكتب عليها : « الثاني عشر من نيسان ١٨٣٣ . لقد مضى الآن نحو عامين منذ أن تسلمت هذه التركة الثمينة من صاحب اكثر القلوب سواداً وأشد الناس نكراناً للجميل . . إن افتقاره للشرف والمبادىء في كل يوم من أيام حياته قد شكل برهاناً على طبيعته المنحطة ـ يكفي أن أقول بأن أسفي الوحيدهو الأشفاق على فشله ـ إن مواهبه هي من النوع الذي لا يمكن أن يمنح الراحة لمن يمتلكها » . لم يعلم ألان مطلقاً الى أي حد كانت ملاحظته الأخيرة صحيحة .

لقد وصفت علاقة ادغار بجون ألان من قبل كتاب السيرة السابقين بأنها إحدى الغاز حياة بو . وكان السؤال الذي يتردد دائماً

Twitter: @abdulllah1994

هو : « كيف تم لتلك البداية الواعدة ان تنتهي الى الفشل الذريع ! » . لم يكن الجواب على ذلك ، كما اعتقد ، هو تصارع إرادتين بقدر ما كان تصارع شكلين من اشكال الضعف . كان ألان موزعاً بين رغباته الجنسية (وربما الحاجة للأطفال) وبين ضميره ، اضافة الى اهتمامه الكبير برأي الآخرين فيه ، بينما اصطرعت داخل ادغار قوى الكبرياء والرغبة الملحة في الأستقلال وعجزه عن تحقيق « حريته » بنفسه ، وذلك ما قاده الى ارتكاب الأفعال المتهورة . لقد تصارعت مشاكل الأثنين ، وتفاقمت على نحو بدا وكانه نوع من الأفتقار التام الى التفاهم والتسامح بينهما . لقد استثار الواحد الآخر ، وكأنهما يمارسان لعبة ما ، ولم يربح في النهاية أي منهما .

سوف يحاول بو أن يبقي على هذه الصلة لأسباب بعضها عاطفية وبعضها مالية . غير أن هذه الصلة ستصبح بحكم المنتهية خلال الأشهر الأولى من ١٨٣١ .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل السابع

لقـاء الأهــل

في أذار ١٨٣١ ، تسلم الكولونيل ثيير ، عميد كلية الويست بوينت ، رسالة عجيبة تقول : « سيدي ، نظراً لعدم وجود ما يشدني بعد الآن الى وطني ـ حيث لا مشاريع ولا أصدقاء ـ فقد قررت الأمساك بأول فرصة تتيح لي الوصول الى باريس من اجل الحصول على وظيفة ما (إن أمكن) في الجيش البولوني من خلال مساعي الماركيز لافاييت . . . ويمكن تحقيق ذلك بسهولة اذا ما تدخلت فرنسا من أجل مساعدة بولونيا على أية حال ، ذلك هو مشروعي الوحيد القابل للتنفيذ في الوقت الحاضر . إن الغرض من هذه الرسالة هو الرجاء اليك بكل احترام أن تقدم لي أية مساعدة تكون في مقدورك ضمن هذا المجال . إن أقصى ما أجرؤ على طلبه هو الحصول منك على شهادة تبين « مرتبتي » في الصف . إن أية مساعدة أخرى ـ كرسالة الى صديق في باريس أو الى الماركيز ـ ستشكل جميلاً لن انساه أبداً . . مع احترامي

Twitter: @abdulllah1994

الفائق . . خادمك المطيع ، إدغار أ. بو » .

لا يتوفر ما يشير الى تصرف الكولونيل ازاء هذه الفكرة العجيبة ، حيث يبدو بأنه لم يجب على الرسالة . غير أنه يمكن الأستنتاج بعد كل تلك السنين الطويلة انه رغم كل تأكيدات بو السابقة لجون ألان بأنه قد تخلى عن بايرون كمثال له ، فإن روح ذلك الرومانتيكي العظيم كانت ما زالت تتدفق في قلب الشاعر الشاب . فالأنتفاضة البولونية في عام ١٨٣٠ قد أثارت مخيلة العديد من المثاليين ، وعلى الرغم من أن مصير تلك الأنتفاضة كان محكوماً عليه بالفشل منذ البداية بسبب ما اتسمت به من طبيعة زمرية وافتقار للتنظيم ، فقد بدا في ربيع عام ١٨٣١ أن قدراً من المساعدة ربما يمكن البولونيين من طرد أسيادهم الروس . هكذا أصبحت بولونيا بالنسبة لبو على النحو الذي كانت عليه اليونان بالنسبة لبايرون « غير أن مشروع بو ما لبث أن تلاشىٰ مخلفاً ادغار في زاوية منسية من زوايا نيويورك بينما كان المقاتلون البولونيون المدافعون عن الحرية ينحدرون نحو حمام الدم في وارسو .

كانت أمام بو مهمة انجاز مطبوعه الشعري الثالث . وقد استطاع في أواخر الشهر أن يراجع المسودات في مكتب ايلام بليس في شارع برودواي . وفي نيسان ، ظهر كتاب « قصائد » (طبعة ثانية) على شكل مجلد صغير مؤلف من مئة واربع وعشرين صفحة . وقد جاء الأهداء على النحو التالي : « أهدية بكل احترام الى سلك الطلاب العسكريين في الولايات المتحدة » . لم يعد الكتاب بأية ارباح تذكر ، كما لم يثر الاّ قدراً ضئيلاً من الأهتمام في مجال النقد . غير أن « النيويورك ميرار » اعتبرته فاشلاً رغم أنها أطرته اطراء خفيفاً حيث قال محررها : « ينم الشعر في هذا المجلد الصغير عن خيال جدير بالملاحظة ، غير أنه لا يتساوق مع ضبابية الأفكار . كل شيء في اللغة يدل على إلهام

Twitter: @abdulllah1994

شعري ، ولكنه أشبه ما يكون بأوراق « سيبيل » ـ Sibyl ـ وقد تقاذفتها الرياح » . ومع ذلك ، فقد دلت القصائد الجديدة على تقدم ملحوظ لدى مقارنتها بأعمال بو السابقة . فهناك أولاً قصيدة « الى هيلين » بصيغتها المعدلة (راجع الفصل الثالث) حيث افتقدت الصيغة الأولى للقصيدة سحر البيتين « الى المجد الذي كان يوماً إغريقيه . . والعظمة التي كانت يوماً روما» اللذين اشتهر بهما بو،حيث كانت الصيغة السابقة « لجمال إغريقية الفاتنة . . وعظمة روما القديمة » . فقد اختار بو بعد ذلك ، لحسن حظ اللغة الأنجليزية ، أن يثري هذين البيتين بذلك الأجاز الذي منحه الشهرة .

كذلك ضمت هذه المجموعة قصيدة جيدة اخرى هي « المدينة الهالكة » التي عرفت فيما بعد بـ « المدينة التي في البحر » :

ألا أنظر ! ها هو الموت قد أقام لنفسه عرشاً
في مدينة غريبة ، تستلقي وحيده
بعيداً في أعماق الغرب المعتم
حيث الجيد والسيء والأسوأ والأجود
قد أنتهى كله الى رقدة أبدية .
تلك قلاعها وقصورها وقبابها
(قباب تآكلت دون أن ترتجف)
لا تشبه أي شيء لنا .
في طرف ما ، نسيته الريح الجاذبة ،
تحت السماء
تستلقي المياه الحزينة مستسلمة .

ليس ثمة اشعاع هابط من السماء المقدسة

Twitter: @abdulllah1994

فوق تلك المدينة ذات الزمن الليلي الطويل
ليس الاّ الضوء المنبعث من البحر المكفهر
اذ يتدفق بصمت فوق الأبراج
اذ يلتمع فوق الذرى البعيدة حيثما شاء
فوق قصور الملوك والأبراج والقباب
فوق الكنائس ـ فوق أسوار بابلية الأشكال
فوق العرائش الظليلة المنسية
فوق زهور الحجر المنحوت واللبلاب
فوق القبور المهيبة ،
حيث الأفاريز المكللة تضفر الفيولة ،
والبنفسجة والدالية .

تحت السماء
تستلقي المياه الحزينة مستسلمه
بينما تختلط الأبراج بالظلال
وحيث تبدو الأشياء كلها معلقة في الهواء
بينما يلقي الموت ، من قلعة في اعالي المدينة
نظراته الجبارة .

يستخدم بو اللغة والوزن في هذه القصيدة على نحو جديء يتجاوز استخدامه لهما في قصائده اللاحقة الأعظم شأناً ، مثل « الغراب » و « أنابيل لي » . ومن المؤكد أن القارىء الأميركي في عام ١٨٣١ لم يلحظ ذلك ، وكان لا بد من مرور سنوات عديدة قبل أن تظهر مثل تلك الأستخدامات ثانية في الشعر . غير أن النجاح الحقيقي الذي حققه بو في ديوانه الأخير انما كان في قصيدة « إسرافيل » الرائعة والجديدة كل الجدة رغم تأثرها بعض الشيء بأسلوب توماس مور :

Twitter: @abdulllah1994

تقطن في السماء روح ،
أوثار قلبها عود
لا أحد يغني بمثل تلك الروعة ،
روعة غناء الملاك اسرافيل
النجوم المتسارعة (هكذا في الأسطورة)
تكف عن الترتيل
وتتوقف مصغية ،
مشدوهة ، بصوته .

والقمر العاشق
مترنحاً في الأعالي
يتورد حباً
في عز الظهيرة

يتوقف البرق الأحمر
مع بنات أطلس السبع المتسارعات
منصتاً في كبد السماء
أما المقطعان الأخيران ، فيعبران عن حالة بو الأنسان :
أجل ! هي السماء لك
غير أن هذا العالم
هو عالم الحلو والمر
وأزهارنا مجرد أزهار
وظل سعادتك الكاملة
هو اشراقة شمس سعادتنا

لو أستطعت أن أقيم حيث يقيم إسرافيل

Twitter: @abdulllah1994

ويقيم اسرافيل حيث أقيم أنا
فلربما لا يغني بمثل تلك الروعة
أغنية فانيسه
ولربما انطلقت قيثارتي
هناك في السماء
بأغنية أشد روعة .

غير أن أفضل ما جاء في مجموعة بو الشعرية لعام ١٨٣١ ، إنما هو النثر وليس الشعر . ففي مقدمة بعنوان « رسالة الى المستر . . . » ، يعرض بو لأول مرة موقفه من الشعر . يقول موجهاً كلامه الى المستر « ب » (ربما يكون المقصود هو الناشر بليس) إن نقد الشعر سيظل عديم الجدوى بإن لم يكن صادراً عن شاعر ، « فكلما كان الناقد أقل شاعرية كان النقد أقل عدلاً » . . . فرأي العالم إنما هو رأي إنسان معتوه يقول له جاره ـ الأرقى درجة في سلم العقل ـ أن شكسبير هو أعظم الشعراء ، ولذلك ، « وبما أنه لا يوجد إلّا القليلون من أمثال المستر « ب » ، فسأكون خجلاً بالرأي الجيد الذي يحمله العالم لي بقدر افتخاري برأيك أنت » . وبعد ان يشطب بو غالبية الجمهور القارىء ، يستمر في التحسر على « تلك العقبة الهائلة التي تعترض طريق الكاتب الأميركي » الذي يقرأه الناس « اذا ما قرأوه » وفق افضليات الذوق العام المتأسس » . فالأسم الأدبي اللامع والمعترف به انما هو « شأن القانون والأمبراطوريات . . ملكية اقطاعية أو عرش ممتلك » . حقاً ، غير أنه لا بد لهذا الأسم ان يفرض نفسه قبل ذلك ، غير أن بو يقول : « حقاً ، يمكن القول بأن الكتب تصبح أفضل مما هي عليه ، شأنها في ذلك شأن مؤلفيها ، من خلال السفر ـ فأجتياز البحر هو امتياز عظيم بالنسبة لنا . . فشباب الموضة المتأنقون يقلبون

Twitter: @abdulllah1994

أغلفة الكتب من أول حاشية الجلد الى أسفل صفحة العنوان لأجل أن يعثروا على تلك الشخصيات الملغزة التي تدهش لندن وباريس وجنوة بفضل العديد من رسائل التوصية » .

ها هو ادغار قد بدأ بالتورط ، حيث يمكن للمرء أن يتساءل : وما شأننا بما يقرأه شباب الموضة طالما أن اراءهم لا قيمة لها ؟ ثم إن ادغار يرفض الرأي العام من جهة ، ولكنه يسعى من جهة أخرى نحو الشهرة العامة . بل ها هو يتورط اكثر اذ يقول : « ذكرت قبل قليل خطأ مبتذلاً في مجال النقد . . ولكنني أعتبر عدم قدرة أي شاعر على تكوين رأي صحيح بما يكتبه هو نفسه ، انما هي مسألة اخرى . . فالشاعر الرديء له رأي زائف حيث ان حبه لذاته يدفعه الى التحيز كل التحيز لصالحه الشخصي . أما الشاعر الحقيقي ، فهو لا يمكن أن يعجز ، كما اعتقد ، عن تكوين رأي نقدي عادل . . . » .

يجدر التذكر هنا بأن بو لم يكن قد جاوز الثانية والعشرين من العمر لدى صدور « قصائد » (طبعة ثانية) . ولعل الأهم من ذلك ، هو أنه لم يحظ بأي تعليم أكاديمي جدير بالذكر . وتلك حقيقة من شأنها أن تفسر سبب الأخطاء الواردة في اعماله ، وخاصة في مقالاته . ففي الوقت الذي كان يحاول فيه تجاوز نفسه محققاً في بعض الأحيان نجاحاً باهراً ، الاّ انه لم يقدر المزالق التي اعترضت طريقه حق قدرها ، بل كثيراً ما انزلق اليها . تتضمن بقية « المقدمة » بعض المديح الى كولريدج ، اضافة الى بعض الأنتحالات منه (وخاصة من « البيوغرافيا ليترارياً ») كما تتضمن هجوماً على وورذورث ، وهو هجوم يعبر عن رأي النقاد الشائع في ذلك الحين والذي كان قد انتشر قبل ذلك بنحو عقدين . ويمكن القول بشكل عام أن « رسالة الى المستر . . » قد شكلت جهداً مبتسراً عديم النضج حيث حل الأفتراض الأعتباطي ، بل

Twitter: @abdulllah1994

والمتسم بالغرور ، محل الحجة الهادئة . غير انه على الرغم من ذلك ، فقد كانت هذه الرسالة بمثابة أول صفعة يكيلـها بو دفاعاً عن الأدب ، ولقد كانت أميركا بحاجة ماسة لذلك ، غير أن سنوات عديدة سوف تمر قبل أن يتم وصول تلك الرسالة .

كان واضحاً في عام ١٨٣١ أن أميركا لم تكن بحاجة الى شاعر مثالي شاب ، واذ أخذ ادغار يعد الدولارات التي قبضها لقاء الاشتراكات في كتابه الجديد ، توصل الى قناعة تامة بأنه لن يكون قادراً على إعالة نفسه في نيويورك ، كما بدا واضحاً انه لن يتسلم أية معونة من جون ألان بعد الآن ، خاصة وان ألان كان في ذلك الحين ـ ربما لم يعلم ادغار بذلك ـ بانتظار أول طفل شرعي له ، والذي ما لبث أن ولد في الثالث والعشرين من آب ١٨٣١ . لم يعد أمام ادغار سوى التوجه للمكان الوحيد الذي يمكن أن يقدم له يد المساعدة . هكذا اشترى بما بقي معه من دولارات تذكرة سفر الى بلتيمور بالقارب البخاري عبر طريق ترينتون ونيوجيرسي وفيلاديلفيا .

لم يكن قد طرأ أي تحسن على أمور العائلة في بلتيمور . فجدته قد اصبحت قعيدة الفراش بينما أخذ شقيقه هنري يذوي شيئاً فشيئاً تحت وطأة الشراب والسل . اما ابن المسز كليم ، الذي سمي هنري أيضاً ، فكان بشهادة أمه « لا فائدة ترجى منه » ، وكانت فيرجينيا أصغر من أن تستطيع تقديم أي عون للبيت . غير أن ماريا كليم ، فقد كانت امرأة رائعة . كانت أصغر سناً من أخيها والد ادغار ببعض السنوات ، وقد تزوجت وهي في السابعة والعشرين من وليم كليم الذي ما لبث أن مات بعد تسع سنوات بعد أن خلف لها طفلين ، هنري وفيرجينيا ، ودون أن يترك وراءه أي مال تعيلهما به . دبرت ماريا أمرها بالعمل الشاق والصدقات ، باستجداء أي شيء من أي كان . غير أن ذلك لم

Twitter: @abdulllah1994

يكد يسد الرمق ، خاصة وان عدد افراد العائلة ما لبث ان ازداد بمجيء أمها للأقامة معها ، ثم هنري . وها هو الآن ادغار ينضم الى العائلة .

أقام ادغار بعد وصوله في علية البيت مع شقيقه المريض هنري وباشر السعي من أجل ايجاد عمل ما . ونظراً لأن ادغار لم يتردد أبداً في طلب المساعدة من هنا وهناك ، فقد كتب أولاً الى وليم غوين ، صاحب ورئيس تحرير « الفيدرال غازيت » ، حيث يبدو أن ادغار كان قد أساء اليه اثناء اقامته السابقة في بلتيمور :

« سيدي العزيز ،

لشد ما يخجلني أن أطلب المساعدة منك بعد ذلك التصرف الأحمق الذي ارتكبته بحقك في وقت سابق ـ ولكنني واثق بطيبتك . انني راغب في البقاء والاقامة في بلتيمور حيث ان المستر ألان قد تزوج ثانية ولم أعد اعتبر ريتشموند مكان اقامتي . وقد اتفقت رغبتي هذه مع رغبته هو . أرغب في الطلب اليك ان تساعدني في الحصول على عمل أو وظيفة في هذه المدينة . سوف لا أقيم اعتباراً كبيراً لمقدار الراتب ، ولكنني لا أرغب في في البقاء عاطلاً . ربما . . تتكرم بتعييني في مكتبك بوظيفة ما . واذا ما تم ذلك ، فسأبذل كل جهدي كي اكون موضع ثقتك » .

كان ادغار على علم بوجود عمل شاغر في مكتب غوين حيث كان أحد اقربائه ، نيلسون بو ، قد ترك العمل فيه بكل وقت قصير . غير أن غوين كان ما زال حافظاً على ادغار تلك الاهانة التي الحقها به والتي نجهل طبيعتها ، فرفض اسناد ذلك العمل لادغار ، ولربما كان ادغار في وضع أفضل لو أنه لم يتظاهر بأنه « لا يقيم اعتباراً كبيراً لمقدار الراتب » . قام ادغار بعد نحو اسبوعين بمحاولة ثانية مع ناثان

Twitter: @abdulllah1994

بروكس ، وهو شخص على هامش الحياة الأدبية ، وكان قد افتتح مدرسة في ضواحي بلتيمور . غير أن ادغار فشل ثانية .

خف العبء العائلي بعض الشيء في الأول من آب ، حيث مات هنري ، في الرابعة والعشرين من عمره . غير أنه ما زالت هناك خمسة افواه بحاجة للطعام ، وشعر ادغار بمسؤوليته ازاء كسب العيش ـ فلقد خلف وراءه ثلاثة كتب ولا بد أن يكون بمستطاعه كسب العيش بقلمه . في حزيران ، توفرت امام ادغار فرصة جديدة وذلك حين أعلنت «الفيلاديلفيا ساترداي كوريير»عن مسابقة في القصة القصيرةمقدارها مئة دولار خلال فترة تنتهي في الأول من كانون الأول . جلس ادغار للعمل في العلية الصغيرة التي أصبحت الآن خاصة به .قدم خمس قصص للمسابقة . تلك كانت نقطة التحول .

كان كانون الأول ما زال بعيداً ، والحاجة ماسة . وقد أودى موت هنري والصراع اليومي من أجل البقاء بمعنويات ادغار حيث استسلم لذكريات طفولته الهائنة الآمنة مقارناً بينها وبين العذاب والقلق الذي يعيشه . كثيراً ما يتمنى المرء في اوقات ضيقة وتحت تأثير الاعتقاد بأن الماضي هو دائماً افضل من الحاضر ، بان يعود الى عالم الأمان الذي عرفه في طفولته . وقد سجل ادغار مثل تلك الأفكار في رسالة بعث بها الى ألان في السادس عشر من تشرين الأول ١٨٣١ .

« لقد مضى زمن طويل منذ أن كتبت اليك الاّ طلباً للمال أو المساعدة . أنني آسف لأنني لا أتسلم منك رسالة ولا اسمع عنك شيئاً ـ حيث يبدو أن كل اتصال قد انقطع بيننا . وحين أتذكر السنوات الواحدة والعشرين التي ناديتك فيها « يا أبي » وناديتني فيها « يا ولدي » ، فإنني أبكي كطفل صغير اذ أرى ان كل ذلك قد انتهى الى

Twitter: @abdulllah1994

مثل هذه النهاية . إنك تعرفني معرفة تامة بحيث لا يمكنك التفكير بأنني كنت أهدف لمصلحة ما ـ واذا كان ذلك ، فلماذا رفضت حبك وعطفك الذي مددته الي آلاف المرات ؟ حقاً ، انني كنت دائماً الجأ اليك حين اكون في أقصى الضيق ـ حيث لم يكن لدي صديق آخر ، غير أن الآن ، والآن بالذات ، هو الوقت الذي أستطيع أن اكتب لك فيه وانا أدرك كل الأدراك بأنني لا أتقدم بطلب أية مساعدة ، وهو الوقت الذي أجرؤ فيه على فتح قلبي أو قول كلمة واحدة عن المودة السابقة . انني اذ اعود بذاكرتي الى الماضي ـ واذكر كل ما حاولت ان تفعله من أجلي ـ صبرك وكرمك رغم كل ما بدر مني من جحود فاضح،لا أملك الّا ان اعتبر نفسي اكبر مجنون في الوجود ـ وعلى استعداد أن العن اليوم الذي ولدت فيه . غير انني الآن مدرك تمام الأدراك ان كل هذه المشاعر الطيبة قد جاءت متأخرة . لست بالوغد الملعون كي أطلب منك أن ترد الي جزءاً من عشرين من المودة التي خسرتها بحق ، وأنا الآن مستسلم للقدر الذي هو نصيبي . إنني اكتب اليك لأنني الآن وحدي ، وقد تملكني التفكير بتلك الأيام السابقة وبأصدقائي القدامى ، الى أن فاض قلبي ـ في مثل هذا الحال ، يكون الكلام مع الأصدقاء الجدد بارداً كالثلج ، وها أنا أفضل الكتابة اليك رغم يقيني بأنك لا تهتم بي وربما لن ترد عليّ . ليس لدي ما أقوله اكثر من ذلك ـ وأنا الآن لا اطلب أي معروف ـ رغم انني معدم بما فيه الكفاية ، الّا انني قد تمكنت من التخلص من المصاعب التي تحدثت عنها في رسالتي السابقة وأنا الآن لست مديناً لأحد على أية حال .

فليباركك الله

أ.أ.بو

ألا تكتب كلمة واحدة

Twitter: @abdulllah1994

لا نعرف بالطبع بأية حالة عقلية كان بو حين كتب هذه الرسالة . ولربما يقول شخص ذو طبيعة ساخرة ان هذه الرسالة الأخيرة لم تكن غير محاولة للتأثير في قلب ألان بعد كل تلك السلسلة الطويلة من رسائل الاستجداء ، من أجل أن يعود ثانية لطلب المال . غير انه كان بمقدور العائلة في بلتيمور أن تلجأ في الحالة القصوى للتبرع الجماعي ، كما إن رسالة ادغار هذه قد اتسمت بنبرة صادقة . وعلى الرغم من تكرار قوله بأنه لا يطلب المساعدة والذي ربما يوحي بأنه قد تمادى في توجعه ، الاّ أن بقية مضمون الرسالة لا ينم عن دهاء ، بل إن تلميحاته واضحة على نحو فج ، ويمكن القول انه لو أراد طلب المال حقاً ، لقال ذلك مباشرة ، وهو ما سيضطر اليه بعد شهر واحد .

ربما يكون ادغار قد اعتقد بأنه قد اصبح « غير مدين » ، غير أنه ما لبث ان اكتشف بأن هناك دائناً في انتظاره . وها هو يلح طالباً نقوده التي يبدو بأن ادغار قد استدانها في عام ١٨٢٩ من أجل دفع فواتير دواء كان قد اشتراه لأخيه ادغار . في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٨٣١ ، كتب الى ألان : « اذا رفضت مساعدتي فلا أدري ما الذي سأفعله » ، وذكر بأنه قد القي القبض عليه بسبب « الدين » وانه « في حالة صحية سيئة وغير قادر على تحمل أية مصاعب على النحو السابق » ، وأنه بحاجة ماسة الى ثمانين دولاراً قبل الأربعاء التالي .

لم يوجد أي تسجيل لحادثة القاء القبض على ادغار ، ولعله قد وقع في ذلك الحين تحت وطأة الخوف من دخول السجن ، خاصاً وان عدم تسديد الديون كان سبباً شائعاً من اسباب السجن في ذلك الحين .

لم تصل الدولارات الثمانون . وفي الخامس من كانون الأول ، كتبت المسز كليم الى ألان تناشده وتقول بأنها حزينة جداً على حال

Twitter: @abdulllah1994

ادغار ، « وقد حصلت بجهد فائق على عشرين دولار من أجل مساعدته ومن كل قلبي . . غير أنها ليست كافية لتخليصه ـ انني اتوسل اليك بأن تساعده للخروج من مشكلته ، وأنا واثقة بأن هذا الموقف سيشكل درساً لن ينساه طيلة حياته بحيث لا يتورط في المستقبل بأي دين ـ وأنا مقتنعة بأنه غير مدين بفلس واحد في العالم باستثناء هذه الحالة ، وسوف يتحسن وضعه كثيراً اذا ما ساعدته . . . » .

لم يجب ألان على رسالة المسز كليم . وفي الخامس عشر من من كانون الأول ، كتب ادغار رسالة مفعمة باليأس بدأها بقوله « يا والدي العزيز » :

« أنا واثق بأنك لن ترفض مساعدتي لو كنت مطلعاً على حقيقة المحنة التي أمر بها . كم من مرة قمت بتخفيف آلام اناس غرباء تماماً في ظروف أقل الحاحاً مما أنا عليه الآن . ومع ذلك ، فحين استحلفك بالله بأن ترسل لي معونة، ها أنت ما زلت ترفض مديد المساعدة لي . أعرف أنني قد أسأت اليك الى حد لا يحتمل الغفران ، كما اعرف بأنني لا آمل في الحصول على رضاك . ولكنني استحلفك بالمسيح ان لا تتركني أهلك من أجل مبلغ من المال سوف لا تحس أنت بفقده بينما يمكن ان ينقذني من أعظم شقاء أرضي ، خاصة وانني أعد بكل ما هو مقدس بأنني سوف لن أنشد مساعدتك ثانية تحت طائلة أي ظروف اخرى . آه لو علمت اي عذاب اعانيه في هذه اللحظة لما غفرت لنفسك رفض مساعدتي . انك تتمتع بكل ما يمنحه المال والسعادة من رخاء وأنا اعاني أقصى حدود الفاقة والبؤس دونما أمل في الخلاص ، ودون صديق الجأ اليه للعون . فكر لحظة واحدة ، وانا واثق من ان طبيعتك واحساسك السابقين لا بد وان يعودا وسوف لن تستمر في رفض مساعدتي ، إن لم يكن من أجلي ، فمن أجل

Twitter: @abdulllah1994

الأنسانية ، اعرف بانك لم ترد شحاذاً عن باب بيتك ، وانني اتقدم اليك كذلك . استجدي بعض العون منك . استحلفك بكل ما كان عزيزاً عليك ، وآمل انك سوف تسعفني . واذا كنت راغباً في أن أذل نفسي أمامك ، فأنا ذليل ـ فالمرض والتعاسة لم يتركا لي ذرة من كرامة . أعترف بأنني بائس ، وغير جدير باهتمامك ، ولكن لا تتركني أهلك ، دون ان تترك لي ملجأ واحداً للخلاص . أحس من اعماق قلبي بأنني لو كنت أنا مكانك وأنت مكاني لكان تصرفي مختلفاً كل الاختلاف . .

المحب لك
آ . آ . بو

سيتضح فيما بعد أن ألان قد فكر بادىء الأمر في الأستجابة لنداء المسز كليم ، حيث عثر على ورقة مرفقة برسالة ادغار الأخيرة وقد كتب عليها ألان انه قد بعث برسالة الى صديق له في بلتيمور يطلب منه فيها تسليم ادغار مئة دولار لكي يسدد دينه ويدبر أمره بالباقي لفترة من الزمن وبأنه قد وعد الصديق المذكور بان يرسل المبلغ له . غير أنه يقول بعد ذلك بأنه قد « أهمل إرسال الرسالة ». هل تراه نسي أن يرسلها ام انه تراجع عن فكرته بهدف معاقبة ادغار ؟ لعل التفسير الأخير هو الأقرب للصواب ، خاصة وان رسالة ادغار الأخيرة لم تحرك فيه ساكناً ، وكذلك رسالة اخرى كتبها ادغار في في التاسع والعشرين من كانون الأول قال فيها : « من اجل الحب الذي حملته لي يوماً حين كنت أجلس على ركبتيك وناديك بأبي ، لا تتركني وحيداً هذه المرة ـ ولسوف يذكرك الله من اجل ذلك » . على أية حال ، لم تصل مساعدة ألان لأدغار الاّ في الثاني عشر من كانون الثاني ، ولعلها كانت آخر ما تلقاه رغم ان ادغار لم يكف عن طلب المال من ألان ، رغم كل ايمانه

Twitter: @abdulllah1994

المغلظة وبكل « ما هو مقدس » ان لا يعيد الكّرة .

ظهرت في تلك الأثناء نتائج مسابقة «الكوريير » ، لم يفز ادغار بالجائزة ، حيث قرر المحكمون الستة اختيار قصة عاطفية بعنوان « شهيد الحب » لكاتبة مجهولة تدعى ديليا بيكون . لم يكن ذلك مفاجئاً ، وذلك لأن حكايات ادغار الخمسة قد تمحورت حول السخرية بالذوق الأدبي المعاصر ـ « فالدوق اومليت » و « الصفقة الخاسرة » كانتا حول بشر يخوضون معركة ضد الشيطان ، اما « الخسارة المقررة » فحول رجل ينقطع نفسه حقاً وهو يقوم بشتم زوجته ، بينما سخرت « حكاية القدس » بذلك النوع من القصص الذي كان دارجاً على صفحات « بلاكوودماغازين » . ومع ذلك ، فقد تم نشر كافة حكايات بو في « الكوريير » خلال عام١٨٣٢ ، ومن بينها أفضل حكاياته ـ « ميتز ينغيرنشتاين » التي تقدم بها للمسابقة ، وهي حكاية تستأثر بالحواس ، غير واقعية ، وتدور حول عالم ما فوق الطبيعة . وقد قصد بو بهذه الحكاية ان تكون بمثابة عمل ساخر على غرار قصص الرعب القوطي للكاتب الألماني ي. ت. آ . هوفمان (١٧٧٦ـ ١٨٨٢) . وبعقدة خرافية حول نظرية التناسخ ـ انتقال الروح بعد الموت الى جسد آخر ـ وذلك من خلال علاقة بارون هنغاري شرير بحصان شبحي يظهر في لوحة نسيجية تصور عملاً وحشياً ارتكبه احد أجداد البارون . كان ذلك النمط من القصص الخيالية المرعبة كتلك التي كتبها هوفمان ، قد استحوذ بالفعل على مخيلة الأوروبيين والأميركيين . وفي ضوء احتقار بو المعلن للذوق العام ، فقد وجد في الأسلوب القوطي مجالاً جديراً بمهارته . تعلم بو الكثير من نموذجه الألماني ، وقد اتسمت « ميتزينغير نشتاين » بصفة الاقناع ، شانها في ذلك شأن العديد من قصص الرعب التي كتبها لاحقاً ، وذلك بواقعيتها وبساطتها الهوفمانية ، بحيث بدا

Twitter: @abdulllah1994

وكأن الكاتب انما يصف الأحداث الرهيبة التي واجهته بخبرة المجرب .

تبدأ « ميتزينغيرنشتاين » بمناقشة نظرية التناسخ مع نبذة عن تاريخ العداء القائم بين عائلتي « بيرليفيتزينغ » و «ميتزينغيرنشتاين » والنبوءة القائلة بأن « الأسم الشهير سوف يمنى بسقطة كبيرة كسقطة فارس من فوق جواده وذلك حين تتغلب الصفة الفانية لميترينغيرنشتاين على خلود بيرليفيتزينغ : يتواصل بناء عنصر التشويق بدقة تامة الى أن :

« في ليلة عاصفة ، استيقظ ميتزينغيرنشتاين من نوم عميق ، وهبط كمجنون من غرفته حيث اعتلى جواده بسرعة فائقة وانطلق الى متاهات الغابة . لم يثر ذلك الحدث العادي أي اهتمام معين . غير ان خدم البيت ما لبثوا ان انتظروا عودته بقلق عارم ، حيث لم تمض بضع ساعات على غيابه ،الا واخذت شرفات قصر ميتزينغيرنشتاين ذات الفخامة والبهاء بالتصدع والتمايل من اعماق اسسها بفعل كتلة من اللهب الأزرق الكثيف الذي لا سبيل الى السيطرة عليه . . . . » .

ثم يعود البارون الشاب :

في اعلى الطريق المحاط بأشجار البلوط الهرمة ، الممتدة بين الغابة والبوابة الرئيسة لقصر ميتزينغيرنشتاين ، شوهد جواد يحمل راكباً فارع الرأس مضطرب الشكل ، يتقافز بعنف يفوق عنف « شيطان العاصفة » ، كان واضحاً جداً ان الفارس لم يكن قادراً بذاته على الامساك بالأمر، فالألم الذي يغطي وجهه ، وصراع قوامه التشنجي قد نما عن

Twitter: @abdulllah1994

جهد يفوق طاقه البشر . لم يكن ثمة صوت ، باستثناء صرخة وحيدة هربت من بين شفتيه المفرحتين وهو يعض عليهما في خضم هلعه البالغ ، لحظة ، واذ بصدى الحوافر المصلصة بحدة ثاقبة يتعالى فوق زئير اللهيب وصراخ الريح ـ لحظة ثانية ، واذ بالجواد ، وبوثبه واحدة عبر الخندق المائي والبوابة ، يقفز عالياً فوق سلالم القصر المتهاوية ، مختفياً براكبه في لجة النيران المتصاعدة . ثم فجأة، هدأت غضبة العاصفة ، وانتشر سكون مطبق . ثمة لهب أبيض ما زال يجلل البناء كالكفن ، نحو الهواء الساكن ، انطلق بعيداً وهج من ضوء خارق ، بينما حطت غيمة من دخان ثقيل فوق الشرفات متخذة هيئة عملاق على شكل . . . حصان .

يتضح من التعليق الذي كتبه بو حول قصة « ميلموث الجوال » لتشارلس روبرت ماتورين ، في مقدمة مجموعته الشعرية الصادرة في ١٨٣١ ، انه لم يقم أي وزن للحكايات الجرمانية الطويلة الفضفاضة الدارجة في ذلك الحين ، فقد قال : « يجهد الشيطان في « ميلموث » على امتداد ثلاثة مجلدات من القطع الثماني في سبيل القضاء على روح او روحين ، بينما يكون أي شيطان عادي قد قضى في اثناء ذلك على آلاف الأرواح . . . » . وحين بدأ بو يترجم سخريته هذه الى حيز الفعل ، عمد الى تكثيف مادته ضمن حيز قليل بحيث أدى الى تصعيد حالة التوتر وتعزيز الصدمة بحيث اصبح استاذاً في هذا المجال ـ غير انه ظل يعتقد في عام ١٨٣٢ ان مهارته ككاتب ساخر هي التي اقنعت « الكوريير » بنشر « ميتزينغيرنشتاين » .

كان نشر حكايات بـو الخمسة مصـدراً للأعتـزاز والأمل

Twitter: @abdulllah1994

بالمستقبل ، غير انه لم يعد بأية فائدة مالية عليه كما يبدو ، حيث كانت العادة ، ان تؤول المواد المقدمة لأية مسابقة ملكاً للمجلة صاحبة الشأن ، وليس هناك ما يدل على ان ادغار قد تسلم أية مكافأة عليها . اما كيف عاش ادغار خلال عام ١٨٣٢ ، وكيف دبر أمره وامر عائلته ، فهذا ما نجهله ـ رغم انتشار شائعات دراماتيكية حول اقتحامه ريتشموند وفرض نفسه على ألان، وهي شائعات اخذ بها بعض كتاب سيرة بو السابقين ـ ففي شهر آب من العام المذكور ، نشرت مجلة « البلتيمور سنداي فيزيتر » خبراً جاء فيه ان المستر إدغار آ . بو قد قدم للمجلة عدداً من الحكايات ، وأن « الفيزيتر » تأمل في نشرها في وقت لاحق ، كما إن آخر رسالة كتبها بو الى ألان ، كما يعتقد ، والمؤرخة في الثاني عشر من نيسان ١٨٣٣ انما تعزز الاعتقاد بعدم قيامه بتلك الزيارة ، حيث يقول ادغار فيها : « لقد مضى الآن اكثر من عامين منذ ان مددت لي يد العون آخر مرة ، كما مضت اكثر من ثلاثة اعوام منذ ان كتبت الي ، لدي أمل ضئيل في ان تعير رسالتي هذه اي اهتمام ، ومع ذلك فأنا لا املك نفسي عن القيام بمحاولة ثانية كي أثير اهتمامك بي . لو فكرت فقط بالحال الذي أنا عليه لاشفقت علي ـ من غير اصدقاء ، من غير أي مورد مالي ، ومن غير أية امكانية للحصول على وظيفة ما . . إنني هالك ـ هالك تماماً بسبب حاجتي الماسة للعون . . . ومع ذلك ، فأنا لست كسولاً ولست مدمناً على أية رذيلة ، ولم ارتكب أي إثم ازاء المجتمع الذي يسلمني الى هذا المصير القاسي . استحلفك بالله ان تشفق علي وأن تنقذني من الدمار » . فهذه الرسالة تؤكد بان العلاقة بين الاثنين قد قطعت منذ زمن ، وان ألان الذي كان قد اصبح أباً لطفل شرعي ثاني ، لم يقم بأي عمل من شأنه احياء تلك العلاقة .

هناك حكاية اخرى غير قابلة للتصديق عن مغامرات بو في عام

Twitter: @abdulllah1994

١٨٣٣ ، وهي تتعلق بمغامرة عاطفية قيل بأنه خاضها مع امرأة بلتيمورية تدعى ماري ديفيرو . وقد تقبل كتاب سيرة بو السابقين هذه الحكاية استنادا الى مقالة نشرتها « الهاربر ماغازين » في عام ١٨٩٩ نقلاً عن اشاعات سابقة . وهي تصور مغامرة لأدغار مع المس ديفيرو هـذه حيث يحاول اقتحام غرفة نومها بعد مشادة بينهما ، ثم يهاجم عمها . وقد نقل عن المس ديفيرو قولها بان بو كان ملحداً لا يحترم قيم السماء ولا الأنسان وانه « يفضل ان يعيش بالخطيئة » مع امرأة بدلاً من ان يتزوجها . لا تستحق هذه المقالة أن يتم نقلها كاملة وذلك لانها تتناقض مع كافة الأدلة الأخرى حول شخصية بو ، وخاصة تلك التي تتعلق بعلاقته بالنساء اللواتي عرفهن ، اضافة الى أنها مليئة بالأكاذيب المختلفة ، غير انه من الممكن ان تكون الآنسة ديفيرو قد عرفت بو وانجذبت اليه ، فالكثيرات من النساء قد انجذبن اليه . لا نعرف بالضبط كيف كانت علاقة بو بالنساء في تلك الفترة المعينة ، غير انه في سنواته اللاحقة لم يقاوم مغازلة النساء الجميلات ، ولعله غازل الآنسة ديفيرو رغم استبعاد تورطه معها على ذلك النحو الذي وصفه كاتب مقالة « الهاربر » . غير ان ما هو جدير بالذكر هو الوصف الذي قدمته الآنسة ديفيرو لشكل بو ، وهو وصف يتفق مع ما ذكره الآخرون ومع صورة المتوفرة : «بلغ طول المستر بو نحو خمسة اقدام وثماني بوصات ، كان له شعر أسود فاحم وكان يتركه طويلاً ويمشطه الى الخلف فوق اذنيه كالتمشيطه الطلابية . كان شعره ناعما كالحرير ، عيناه واسعتان ورماديتان جداً ونافذتان ، كان دائماً حليق الذقن تماماً . انفه مستقيم وطويل وتقاطيعه دقيقة . حمل تعبيراً جميلاً حول فمه . كان شاحباً ودونمالون، بشرته زيتونية اللون صافية وجميلة، نظرته حزينة وكئيبة . كان نحيفاً جداً . ولكن قوامه لطيف وعسكري الاستقامة

Twitter: @abdulllah1994

وخطوته سريعه . غير ان سحره الحقيقي كان في هيئته العامة . فهي هيئة انيقة ، وتظن اذا ما نظر اليك بانه قادر على قراءة افكارك . كان صوته لطيفاً وموسيقياً ، ولكنه لم يكن عميقاً . كان يلبس دائماً بدلة « فراك » مزررة ذات قبة عسكرية ، وقميصاً له قبة قصيرة مطوية ، وربطة عنق سوداء رخية العقدة . لم يتبع الموضة، ولكنه كان ذا ذوق خاص به » .

ان ما يؤكد بقاء ادغار في بلتيمور في عام ١٨٣٢ هو ما رواه لا مبرت ويلمر ، المحرر الأدبي في صحيفة « الفيزتير » في الفترة الواقعة بين كانون الثاني وتشرين الأول من ذلك العام . فقد أصبح الأثنان صديقين بعد نشر اعمال بو في « الكوريير » ، وقال ويلمر بانهما اعتادا ان يتناقشا طويلاً خلال مشاوير كانا يقومان بها معاً . كما ذكر بأن بو كان منغمراً في تلك الفترة بالعمل الدائب « على امتداد الساعات » ، وربما يكون في ذلك الحين قد انشغل بكتابة بقصصه القصيرة ، كما يحتمل بأنه قد عمد الى اعالة العائلة بالعمل ككاتب عادي بأجور يومية في الصحف المحلية . ففي بداية عام ١٨٣٣ ، كان قد انجز احدى عشرة قصة من المجموعة التي عرفت باسم « حكايات الفوليو كلاب » والتي اطلق بو عليها في حينه « احدى عشرة حكاية ارابيسك » . وقد حاول عبثاً نشر احداها على الأقل في مجلة « نيوانغلند ماغازين » . ولعل ما اتسمت به هذه الحكايات من روح الهزل والسخرية ، انما يؤكد بان بو لم يدرك قيمة ما أبدعه في قصة « ميتزينغيرنشتاين » . فقد أبلغ الصحيفة بان هذه الحكايات مخصصة للقراءة حول طاولة من قبل جمعية ادبية بحيث تتبع كل حكاية جملة من التعليقات الكاريكاتيرية المكرسة للسخرية بالنقد . وقد بعث بحكاية « إيبيمانيس » كنموذج ، وذلك مع افتراض ان الحكاية قد كتبت من قبل احد اعضاء نادي

Twitter: @abdulllah1994

« كرونولوجوس كرونولوجي » المعجب بهوراس سميث ذي الأنف الطويل الذي يصل الى آسيا الصغرى » . وكان هوراس سميث كاتباً انجليزياً محبوباً اشتهر بكتابة الروايات التاريخية ، وقد امتهن الكتابة بعد ان كون ثروة طائلة من خلال عمله كسمسار في البورصة . وقد اختاره بو هدفاً لسخريته في حكاية « حكاية من القدس » وفي « إيبيمانيس » التي تصطحب القارىء في رحلة عبر الزمن مستنداً في ذلك على عمل سميث الأخير « حكايات العصور القديمة » الذي نشره في عام ١٨٣٢ (كان بو في الواقع قارئاً نهماً لأعمال سميث حيث استوحى من مقالته البارعة « خطاب الى مومياء في معرض بلزوني » فكرة « كلمات مع مومياء » وهي قطعة ساخرة بالاستنتاجات المرتجلة للأبحاث التاريخية التي ظهرت لاول مرة في« الأميريكان ريفيو » في ربيع ١٨٤٥ .

في عام ١٨٣٣ ، لم يكن الجمهور ، بل ورؤساء تحرير المجلات ، على استعداد لتقبل « ايبيمانيس » التي هي على اية حال احدى اقل قصص بو جودة ، رغم ان رفضها في ذلك الحين لم يكن بسبب مستواها بقدر ما كان بسبب النقد الجارح الموجه فيها لفكرة الديمقراطية السائدة في الولايات المتحدة في عهد الرئيس جاكسون . غير انه سوف يتضح بان هناك قصة اخرى اكثر اهمية في مجموعة « الفوليو كلاب » . ففي حزيران ١٨٣٣ ، اعلنت مجلة «الساترداي فيزيتر » عن مسابقة في الشعر والنثر « بجائزة مقدارها خمسون دولاراً لافضل حكاية وخمسة وعشرون دولاراً لافضل قصيدة . . . » ، قدم بو قصيدة واحدة وخمس قصص قصيره . وفي الثاني عشر من اكتوبر ، ظهرت نتيجة المسابقة حيث ربح جائزة الشعر شخص يدعى هنري ويلتون . اما جائزة القصة القصيرة ، « فقد قررنا منحها لحكاية بعنوان

Twitter: @abdulllah1994

« إكتشاف م. س في قنينة » . . وهي من انتاج ادغار آ بو البلتيموري ». كان ذلك بداية شهرة بو كمؤلف لقصص الرعب ، رغم انه كان لا بد من مضي عدة سنين قبل ان يتم تقدير القيمة الحقيقية لتلك القصص .

كان هناك ثلاثة محكمين لمسابقة « الفيزيتر » هم جـ ـ لاتـروب والدكتور جيمس ميللر وجون ب. كنيدي ، وقد روى لاتروب فيما بعد ذكرياته عما جرى في جلسة التحكيم :

> كانت اللجنة قد اوشكت على اتخاذ قرار بعدم جدارة اية مادة من المواد المقدمة لنيل جائزة ، حين لفت نظري كتيب صغير من قطع الربع كان قد غاب عن ناظر اللجنة ، وربما يكون ذلك بسبب اختلاف شكله الخارجي اختلافاً كبيراً عن بقية المخطوطات المقدمة للمسابقة ، فتحته ، فوجدت فيه مغلفاً يحمل شعاراً على غرار الشعار الموجود على الكتيب . هكذا وجدنا بان عملنا في مجال النثر لم ينتـه بعد ، بدلاً من الكتابة العادية ، فقد كتبت المخطوطة بأحرف رومانية ـ أشبه بالطباعة .

كان هناك عدد من حكايات « الفوليو كلاب » : « إيبيمانيس ، الأستئساد ، الحالم ، سيوب ، اكتشاف م. س. في قنينة ، وربما « الهبوط في لجة الدردور (حيث ان ذاكرة لاتروب قد خانته) . اما وقد أسر المحكمون بذلك الخط النادر ، فقد « استرخوا في مقاعدهم ثانية » بينما اخذ لاتروب يقرأ بصوت مرتفع . يقول لاتروب : « لم أكد أقرأ قليلاً حتى اشتد انتباه زملائي على النحو الذي اشتد فيه انتباهي أنا . انتهت القصة الأولى ، وبدأت الثانية ، ثم الثالثة ، ولم اتوقف الاّ بعد

Twitter: @abdulllah1994

ان انتهيت من المجموعة كلها ، ولم يقاطعني احد خلال قراءتي الاّ بعبارات التعجب مثل « عظيم » ، « ممتاز » . ثمة عبقرية في كل ما استمعوا اليه ، لم تكن هناك اية زلة في قواعد اللغة او أية جملة ركيكة ، او اي خطأ في النقط والفواصل او أية بدهية مبتذلة او فكرة ضعيفة في لباس قوي . لقد تضافر المنطق والخيال في تجانس نادر » .

إرتأت اللجنة أول الأمر ان تمنح الجائزة لقصة « الهبوط الى لجة الدردور » ، غير أنها قررت في النهاية ، كما قال لاتروب ، إن قصة « إكتشاف م . س . في قنينة » أفضل من حيث طرافة فكرتها وحجمها ، « وليس لأية افضلية في الأداء » .

ما لبثت اللجنة ان اكتشفت ان بو قد قدم قصيدة أيضاً ـ هي قصيدة « الكولوسيوم » :

يا رمز روما اثرية
أيها الكنز المفعم بالتأملات الرفيعة التي ،
أسلمتها قرون الخيلاء والسلطان الدفينة للزمان
أخيراً ، أخيراً ـ بعد ايام عديدة ،
من الحجيج المرير والعطش المحرق
(العطش للينابيع القديمة النائمة فيك)
ها أنذا أركع
انساناً متغيراً ومتواضعاً
وسط ظلالك
أشرب في اعماق روحي
جلالك وعتمتك وبهائك !

لم ينته كل سلطاننا ، لا ولا كل جاهنا ـ

Twitter: @abdulllah1994

لا ولا كل سحر مجدنا الرفيع
لا ولا كل العجب الذي يلفنا
ولا كل تلك الألغاز الكامنة فينا
ولا كل تلك الذكريات التي تتشبث بنا
وتتعلق حولنا ومن حولنا مثل رداء
تكسونا بثوب يفوق المجد

يستطرد لاتروب في ذكرياته : « لست مستعداً للقول بأن اللجنة لم تكن متحيزة حين قررت منح الجائزة الشعرية لهنري ويلتون وذلك بسبب حصول بو على جائزة النثر » . غير ان هناك سبباً آخر لذلك التحيز ، وهو ان هنري ويلتون كان الأسم القلمي لجون هيويت ، رئيس تحرير مجلة « الفيزيتر » ، وقد قال لاتروب : « تم الاتفاق بيننا انه في ضوء الوضع القائم ، فإن قصيدة المستر هيويت تستحق جائزة ، هكذا منحناه الجائزة بدون تأنيب ضمير » . وقد اعترف لاتروب ان قصيدة بو كانت ، أفضل من قصيدة هويت ، ولكنه قال بان اللجنة لم ترغب في منح جائزتين لشخص واحد .

« إكتشاف م. س. في قنينة » ، قصة على غرار «ميتزينغيرنشتاين» فهي مزيج غير عقلاني لما هو طبيعي وما فوق الطبيعة ، غير انه يتسم بالواقعية التامة بفضل مهارة الكاتب الوصفية ومبالغاته المنضبطة ، فهو يستفيد من الاهتمام العام المعاصر بروايات الرحلات الخيالية ، لبقاع مجهولة ، غير انه يتخذ خطوة اخرى « الى ما خلف ذلك ، وذلك هو المجال الذي برع فيه بو . فقدرته على التقاط ما يروى من احداث وخلفيات هذه الأحداث ، ثم احاطتها بجو غريب من القدر المشؤوم وشيك الوقوع ، انما هي احدى أبرز مباهج قصص بو . لقد رأى بان هناك قوى شريرة ذات قوة هائلة تقود البشرية

Twitter: @abdulllah1994

التافهة نحو مصير مخيف ، فرؤ ياه للانحلال العام ، وقدرته وصف ذلك الأنحلال هو الذي يجعل بو كاتباً فريداً .

تتخذ « اكتشاف م . س . في قنينة » ، كما يوحي عنوانها ، شكل رسالة من عالم الموتى وقد ألقى بها في آخر لحظة بحار سيء الحظ يجد نفسه بعد عاصفة مدمرة على ظهر سفينة ضخمة مرعبة تدعى « الأكتشاف » ، حيث ما يلبث تيار غريب تستحيل مقاومته ان يقود السفينة نحو الهلاك :

الآن ، ما زالت الريح في مؤخرتنا ، وبما اننا نحمل
العديد من الاشرعة ، فكثيراً ما يقذف بالسفينة برمتها فوق
البحر ! يا له من رعب فوق رعب ! ــ ينفتح الجليد فجأة
الى اليمين ثم الى اليسار ، ونحن ندور مشدوهين في
دوائر عديدة متمركزة حول جوانب مدرج هائل اختفت ذروة
جدرانه في الظلام والمدى . غير انه ليس ثمة وقت
للتفكير بمصيري ! ها هي الدوائر تتقلص ثم تتقلص
بسرعة فائقة ـ ها نحن نغوص بجنون في قبضة الدوامة ـ
وفي خضم زئير وجؤار ورعد المحيط والعاصفة ، ها هي
السفينة ترتجف ـ يا إلهي ! و . . تغوص ! .

تبدأ القصة ، شأن « ميتز ينغيرنشتاين » بأسلوب هادىء بل ومنطقي ، ثم ينمو ويزداد الاحساس بالرعب شدة . فبحارة السفينة السوداء الضخمة « يتزالقون جيئة وذهاباً كاشباح القرون الدفينة » ، فالقبطان ، « رغم ان جبهته قليلة التجاعيد ، الاّ انها تبدو محملة بآثار آلاف السنين . . شعره الرمادي سجل الماضي ، وعيناه الرماديتان أكثر عرافتا المستقبل » ـ ها هو في قمرة ارضها « مغطاة باكداس من ملفات

Twitter: @abdulllah1994

غريبة مدبسة بملاقط حديدية ، وقوالب ادوات علمية وخرائط قديمة عفا عليها الزمن » . كان« يحدق بعينين قلقتين متقدتين في ورقة اعتقدت بانها تتضمن التفويض ، فهي على كل حال قد حملت توقيع الملك » ، هكذا استطاع الفنان ببعض ضربات من الفرشاة ان يضفي على صورته ظل الكفن . وليس غريباً ان يستغرق كل من ميللر وكيندي في التفكير بينما كان لاتروب مسترسلاً في القراءة في غرفة المحكمين المريحة ، بين سحب دخان السيجار ورائحة النبيذ المعتق .

من الجدير بالذكر ان القصة الأخرى التي اشار اليها لاتروب ، « الهبوط الى لجة الدردور » ، تعالج موضوعاً مماثلاً ، غير ان الرادي ينجو فيها من المحنة الرهيبة . لم يتم نشر هذه الحكاية الاّ في عام ١٨٤١ . وربما يكون لاتروب قد خلط بينها وبين « اكتشاف م . س . في قنينة » وهو يسترجع تفاصيل تلك المسابقة بعد نحو ثلاثين عاماً .

على أية حال ، ها هو إدغار يحرز النجاح لأول مرة في حياته ، ولم تسعه فرحته ، كانت العائلة في ذلك الحين مكدسة فوق بعضها في بيت صغير جداً في أميتي ستريت في بلتيمور ، وها هو ادغار يحصل الآن على خمسين دولاراً دفعة واحدة ، والفضل في ذلك هو بالطبع « لادي » الذي حشر نفسه للكتابة في العلية ذات السقف الواطىء الى حد لا يستطيع أي شخص معتدل الطول ان يقف منتصباً فيها .

لقد أرتأت كياسة ادغار الجنوبية ان يعبر عن امتنانه على ذلك الحظ الجيد الذي أتاه ، حيث توجه في يوم الاثنين الذي تلا نشر قصته الفائزة في « الفيزيتر » لزيارة اعضاء لجنة التحكيم كلاً على حدة . يتذكر لاتروب ذلك اللقاء : « يمكن القول بانه كان متوسط الحجم ، فهو لا يوصف بانه رجل صغير ، شكله العام جيد الى حد ملفت

Twitter: @abdulllah1994

للنظر ، منتصب القامة بحيث يبدو وكانه قد تدرب على ذلك ، كان يلبس ثياباً سوداء ، معطفه مزرر حتى الرقبة التي لفها بلفاع اسود شائع في كل مكان في ذلك الحين . بدت أثار العز الزائل على معطفه وقبعته وحذائه وقفازه ، غير ان آثار التنظيف والتصليح الواضحة قد منحتها شكلاً مقبولاً . ولربما تبدو مثل تلك الملابس رثة ومزرية على معظم الناس ، غير ان شيئاً ما في هذا الرجل قد حال دون انتقاد ملابسه ، ولم اتذكر مثل تلك التفاصيل الاّ في وقت لاحق . ولعل الانطباع الذي يمكن الخروج به هو ان الجائزة التي منحت للمستر بو لم تكن في غير محلها . فقد نم كل شيء فيه على انه سيد مهذب (جنتلمان) ذو تصرف طبيعي وهادىء . ورغم انه قد جاء لكي يعبر عن امتنانه على شيء اعتبر نفسه بانه يستحقه ، فلم يصدر عنه اي قول او فعل ينم عن الخنوع . . . لا استطيع وصف تفاصيل وجهه : فجبهته عالية وتتميز بتضخم عند الصدغين ، ولعل تلك هي العلامة المميزة لرأسه حيث يلحظها المرء حالاً ولم انسَـها أبداً . إتسم وجهه بتعبير صارم ، بل وحزين ، الا اذا انهمك في الحديث حيث يتقد وجهه حالاً بالحيوية وتتبدل تعبيراته بسرعة فائقة . كان صوته كما اذكر لطيفاً متزن النبرات ، لا بل يكاد يكون ايقاعياً ، وكلماته مختارة وغير مترددة .

ذلك هو ادغار في ذروته ـ واثق ومستقيم ، ارستقراطي بعض الشيء ، قابله لاتروب مقابلة واحدة بقيت حية في ذاكرته بعد نحو ثلاثين عاماً ، لم يكن رجلاً عادياً ، لقد شق بو طريقه ككاتب في مجال النثر بدلاً من الشعر ، حيث ما لبثت تلك الاخيـلة السوداء التي انتجت « اكتشاف م. س في قنينة » ان اصبحت ادوات صنعته . سوف لا يكون الطريق امامه سهلاً ، ولعل المفارقة هي ان إحدى قصائده وليست قصصه ، هي التي سوف تمنحه ذلك القدر الضئيل من التقدير الذي

Twitter: @abdulllah1994

حظي به إبان حياته . وسواء توقع بو ذلك ام لا وهو يتسلم جائزته من « الفيزيتر » ، فقد استطاع ان يبتكر تكنيكاً في الكتابة لم يضاهِـه منذ ذلك الحين أي كاتب آخر من حيث الأصالة والتأثير . غير ان الثمن الذي دفعه بو من أجل ذلك الخلود كان ثمناً باهظاً .

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثامن

العودة الى فيرجينيا القديمة

جون ألان على فراش الموت ، فقد أخذت صحته بالتدهور منذ اواخر عام ١٨٣٢ ، غير ان افضل الأدوية التي استطاعت ثروته توفيرها قد ابقته في صراع مع المرض حتى كانون الثاني من عام ١٨٣٤ ، وهو الوقت الذي حملت فيه لويزا بطفلها الثالث ووقع فيه فريسة لداء الاستسقاء ، اصبح ألان منذ ذلك الحين لا يستطيع النوم في سريره حيث قضى ايامه ولياليه جالساً على كرسي ، باستثناء فترات قصيرة كان يستند فيها على الآخرين للمشي في غرفته .

في كانون الأول ١٨٣٢ ، كان ألأن قد ايقن بان مرضه لن ينتهي ، حيث عمد الى كتابة وصيته التي عاد فاضاف اليها ملحقاً في عام ١٨٣٣ ، لم يستشر أياً من المحامين ، وربما كان ذلك بسبب اعتقاده ان هناك جوانب من شأنها ان تثير المتاعب، حيث فضل عدم التورط بالاعتراضات القانونية على بعض الفقرات التي وضعها بهدف

Twitter: @abdulllah1994

خاص هو حماية سمعته بعد موته ، والتي اتضح فيما بعد بانها لا تتمتع بأية صفة قانونية .

من الواضح ان إدغار كان شديد الأهتمامبأملاك ألان ، ولا بد انه على الرغم من القطيعة التي حلت بينهما ، قد هدهد بعض الآمال في الحصول على إرث ما : فلقد نادى ألان « يا أبي » ، لأكثر من عشرين عاماً ، وهو الآن على عتبة الشهرة ككاتب ، ولا بد ان تذهب خطاياه السابقة طي النسيان وسيحصل على شيء ما . . . كما إن ألان لن يصل به الأمر الى حد السخرية منه من خلف جدران القبر .

ربما يكون ادغار قد علم بمرض ألان في اوائل عام ١٨٣٤ حيث قيل بانه توجه الى ريتشموند في شباط او نحوه في محاولة اخيرة للتصالح مع ألان ، ويروي توم إيليس ، وهو ابن شريك ألان السابق ، انه بينما كانت المسز ألان تعبر صالة البيت في احد الأيام ، دق جرس الباب ، ففتحته لتجد امامها « رجلاً ذاه هيئة ملفتة للنظر » حيث طلب منها مقابلة المستر ألان ، لم يذكر إسمه ، وقالت له بان زوجها في وضع لا يسمح لها بمقابلة زائرين ، غير ان الرجل اندفع الى الداخل واتجه مباشرة الى السلالم المؤدية الى غرفة ألان. ماإن وقع نظر ألان عليه حتى مد يده الى عصاً كانت بجانبه ورفعها مهدداً إياه بمغادرة البيت حالاً ، حيث انسحب الضيف . كان ذلك الزائر ، كما يقول إيليس ، هو إدغار ألان بو .

لا يتوفر ما يدعم صحة هذه الرواية ، بل ان توم إيليس يعترف بان معلوماته عن اللقاء المذكور إنما استقاها من روايات اخرى ، كما لم يخف حقيقة انه قد نشر هذه المعلومات في عام ١٨٨١ دفاعاً عن لويزا ألان التي وصفها بقوله : « انها احدى افضل النساء اللواتي

Twitter: @abdulllah1994

قابلتهن في حياتي » ، وقد ذكرت المسز الان انها لم تقابل ادغار الاّ مرتين حيث اضاف إيليس بانه يعتقد بان المرة الثانية قد تمت بعد وفاة ألان ، غير ان ذكريات لويزا قد اتسمت بالتحيز والتشوش ، حيث ادعت من جهة بانها وألان لم يتحدثا عن ادغار مطلقاً بينما ذكرت في مجال آخر ان زوجها قد« حرم بو من عطفه » بعد تلك الرسالة المهينة التي بعث بها الى السيرجنت غريفز . وربما تكون لويزا قد سعت الى حماية نفسها من الاتهامات التي وجهت اليها بانها هي التي حرضت ألان ضد بو .

ومع ذلك من الممكن اعطاء هذه الرواية بعض المصداقية انطلاقاً من عدم إمكان نفيها . فتحركات بو فيعام ١٨٣٤ تكاد تكون مجهولة شان تحركاته ونشاطاته في عام ١٨٣٢ ، وليس بعيداً ان يكون قد سمع باشراف ألان على الموت حيث كان الاسكوتلندي مواطناً بارزاً في ريتشموند ، ولا بد ان بعض معارف بو في بلتيمور ممن لهم علاقات بريتشموند قد اوصلوا الخبر إليه ، ولعل ادغار ، في ضوء ما حققه من نجاح بنشر قصته في « الفيزيتر » ، اضافة الى انه قد اصبح قادراً على شراء تذكرة سفر بفضل الدولارات الخمسين التي تسلمها كجائزة ، قد توجه فعلاً الى ريتشموند لكي يجرب حظه الأخير مع ألان . واذا كان قد قام بذلك فعلاً ، فقد أصيب ولا شك بخيبة عظيمة .

مات ألان في السابع والعشرين من آذار١٨٣٤ ،وعلى الرغم من ان وصيته ما لبثت ان اثارت العديد من المشاكل ، الاّ ان ادغار لم يكن طرفاً فيها . فلقد عانى « الأب » من وخز الضمير ازاء المسز ويلز واطفالها ، غير ان الجليد لم يذب بالنسبة لربيبه :

أتمنى على منفذي وصيتي ان يوفروا من بقية تركتي ـ

Twitter: @abdulllah1994

تعليماً انجليزياً جيداً لولدي المسز ويلز التي تقول بانهما ولداي . لا اعرف اسميهما ، غير ان الجزء الخامس المتبقي ـ حيث قد أتممت توزيع الأجزاء الأربعة الأولى ـ يجب ان يعطى بحصتين متساويتين لهما او لمن يبقى حياً منهما . اما اذا توفي الأثنان قبل بلوغهما الحادية والعشرين ، فيجب ان تؤول حصتهما الى ابناء شقيقتي فولدز بحصص متساوية ، باستثناء ثلاثة الاف دولار تعطى الى المسز ويلز وابنتها على مدى الحياة .

جون ألان ، كانون الاول ١٨٣٢/٣١

إن هذه المذكرة المكتوبة بخط يدي ، يجب ان تعتبر كملحق بوصيتي ، ويمكن لأي من اصدقائي ان يثبت صحتها . لقد ولد التوأمان في نحو الأول من تموز ١٨٣٠ ، تزوجت في الخامس من تشرين الاول في نيويورك ، لذلك ، فان زلتي هذه قد وقعت قبل ان اقابل زوجتي الحالية ، ولم اخف عنها ذلك . في حالة بلوغ هذين التوأمين سن الحادية والعشرين ، واذا حالت اي من الاسباب دون تسلمهما حصتيهما من الخمس المخصص لهما في التركة ، فيجب ان ياخذ كل واحد منهما مبلغ اربعة الاف دولار من مجمل تركتي وذلك لمساعدتهما على اتخاذ عمل او مهنة او حرفة شريفة . في اليوم الخامس عشر من آذار ١٨٣٣ ، علمت ان احد توأمي المسز ويلز قد مات ، ولذلك فان ولداً واحداً سوف يكون مشمولاً بهذه الوصية . يجب ان تأخذ زوجتي كل اثاثي وكتبي وفراشي واغطيتي واوانيّ وخموري وكحولي . . الخ

Twitter: @abdulllah1994

وكذلك الاواني الخزفية والزجاجية . . . . » .

إشتعلت لويزا غضباً لسبب ما ورد وفي وصية زوجها الذي ترك لها « ثلث دخل تركتي الكلية الصافي مدى حياتها . او الى حين بلوغ ولدنا الاكبر سن الرشد » ، مدعية بانها لا علم لها بالتزامات ألان الأخرى رغم مابينه في ملحق وصيته . وقد انتشرت فضائح غراميات ألان بعد ان طعنت لويزا بوصية زوجها امام محكمة الولاية ورفضت القيام بدورها كأحد منفذي الوصية تاركة امر النظر فيها الى المحاكم . وقد مضت عدة سنوات قبل ان يتم البت بامر الوصية ، وقد ربح المحامون خلال تلك المدة مبالغ طائلة بينما لم ينل ادغار اي شيء . فالرجل الذي تبناه وكفل به وعمل منه سيداً ها هو ينفيه بعيداً عن العائلة وكأنه لم يكن في يوم ما احد افرادها . ولعل حال ذلك الانسان الذي خلفه ابواه الممثلان لليتم وهو صغير ما كان اسوأ مما هو عليه الآن لو لم يتبنه ألان بل يمكن القول انه قد اصبح الآن في حال اشد سوءا مما كان يمكن ان يكون عليه ، وذلك لانه قد عاش في ظل وهم الآمال العريضة التي لم تتحقق ، لقد كان ألان رجلاً مستقل الرأي عنيداً ، بل ومستبداً ، غير ان الصبي قد رفض الخضوع لذلك الأستبداد ، حيث ما لبث ان اصبح خارج دائرة رضا ولي امره ، وكان الان انما يبعث اليه ببعض الدولارات بين حين وآخر بهدف حماية سمعته الشخصية امام المجتمع ، والتظاهر بانه قد فعل كل ما في وسعه من اجل انقاذ انسان فاسد جاحد للجميل وصل الأمر به الى الحاق وصمة السكر بولي امره . وعندما حان وقت كتابة الوصية ، لم يكن الان بحاجة الى اقامة اي اعتبار لادغار ، وذلك لأن لويزا ، وكما ثبت فيما بعد ، كانت على اتم الاستعداد للدفاع عن زوجها ازاء اية اتهامات ، ولقد كان امر المسز ويلز اهم بكثير بالنسبة لألان الذي عمد الى الحيلولة دون توجيه اي

Twitter: @abdulllah1994

طعن بسمعته بعد مماته باتهامه بالاساءة اليها ولولديها(بل إن اشارة ألان الى ابنة المسز ويلز في الوصية انما يرجح بانه والد تلك الفتاة) .

ولعل تحديد الوغد في قصة بو ـ ألان قد اصبحت ملكاً للتاريخ حيث انه من الصعب الآن ، وبعد نحو مئة وخمسين عاماً ان يشار باصبع الاتهام الى ألان من غير تردد ، فتصرفاته من على هذا البعد انما تبدو غير مكتنهة . لقد استطاع بدهائه ان يدفع ادغار الى ارتكاب حماقة بعد اخرى ، مستغلاً بذلك ضعف ادغار الخلقي وغطرسته وعناده ، ولعل ما يمكن قوله الآن هو انه لو تصرف ألان على غير هذا النحو مع ادغار ، لو كان اكثر كرماً وتسامحاً ، لجعل حياة ادغار اقل شقاء ، بل وأقل مأساوية ، رغم ان المرء لا يملك نفسه من التساؤ ل فيما اذا كان من شان ذلك ان يحرم العالم بعض الادب الجيد ، فمن العسير تصور ان يكتب بو بالطريقة التي كتب بها لولا ذلك الشقـاء والحرمان والمعاناة التي عاشها . فمواهبه ، كما قال ألان نفسه ، « هي من ذلك النوع الذي لا يمكن ان يمنح الراحة لمن يمتلكها » .

مع ذلك ، فقد لاح في عام ١٨٣٤ ان مواهب بو ستعود عليه ببعض الراحة . فالنجاح الذي لقيه على صفحات « الفيزيتر » قد اكسبه صداقة احد المحكمين الثلاثة في لجنة المسابقة . ذلك هو جون بندلتون كنيدي الذي كان شخصية مرموقة وذات نفوذ في بلتيمور . كان كنيدي في تلك الفترة في الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد أسس سمعته الادبية بفضل زواية كتبها بعنوان«بيت السنونو» (كتب بعد ذلك رواية كلاسيكية عن الثورة بعنوان« حدوة الحصان روبنسون »ـ شجع كنيدي بو على ارسال مجموعة قصص « الفوليو كلاب » الى الناشرين كاري اند لي ، وكان ادغار قد حاول في عام ١٨٢٩ ان يبيعهما بعض قصائده دون جدوى ، كذلك اطلعه كنيدي على بعض الدوريات التي يمكن ان

Twitter: @abdulllah1994

تتقبل قصصه ، غير انه سيتضح فيما بعد ان كل تلك المحاولات لم تسفر الا عن نشر قصة واحدة هي « الحالم » التي تعرف الآن باسم « المهمة » ، وهي حكاية مقتبسة عن حكاية هوفمان الشهيرة «دوغ اوند دوغاريسا » ، كذلك ما لبثت الدولارات الخمسون ان نفذت وسيطرت الفاقة من جديد على البيت الصغير الذي ضم ادغار وبقية افراد العائلة ، في تشرين الثاني من العام المذكور كتب بو الى كنيدي قائلاً :

سيدي العزيز ،

هناك جميل أود طلبه منك ، وقد وجدت ان من الافضل ان اكتب اليك بذلك ، حيث انني واقولها بصدق ، لم اجد الشجاعة الكافية في نفسي لكي اطلب ذلك منك شخصياً ، انني مدرك تمام الادراك بانك غير مطالب بالاهتمام بامري قيد شعرة ، كما ان الطريقة التي تم تقديمي بها اليك لم تكن مباشرة ، لقد طرأ تحول كبير في حياتي المادية منذ ان رأيتني لاول مرة . كنت في ذلك الحين اتطلع للحصول على ارث ضخم وكنت اتلقى معونة سنوية تعينني في معيشتي ، وكان مصدر ذلك سيد من فيرجينيا هو المستر جون ألان الذي تبناني منذ ان كنت في الثانية من عمري (بعد وفاة والدي) ، وقد ظل يعاملني معاملة الاب حتى وقت قريب . غير ان قيامه بالزواج ثانية ، اضافة الى بعض الحماقات من جانبي ، قد أديا الى التخاصم . وقد مات اخيراً دون ان يترك لي شيئاً ، هكذا اسلمت امري لمواردي الخاصة ، وحيث لا مهنة لي وحيث الاصدقاء قليلون جداً ، ولعل اسوأ ما في الأمر هو انني الآن مفلس تمام الافلاس ، واود ان اقول بأنه لو لم تكن ظروفي بهذا السوء ، لما تجرأت على المجازفة بصداقتك بازعاجك بضائقتي ، غير أنني لم أملك نفسي عن التفكير في انني لو شرحت وضعي لك ـ فلربما يمكنك شرح ذلك الى كاري اندلي ، ولربما

Twitter: @abdulllah1994

يدفعهما ذلك الى اسعافي بمبلغ صغير من المال في ضوء ان حكايتي « م. س. » هي بين ايديهم الآن . سيسد ذلك حاجتي الماسة في الوقت الراهن ، وسيتاح لي بذلك التطلع بثقة نحو الأيام المقبلة ، على كل حال ـ ارجو ان تتاكد من امتناني لكل ما قمت به من اجلي في السابق .

مع احترامي ، خادمك المطيع
إدغار ألان بو

لم يكن هدف ادغار من ذلك الكلام الرومانسي بشأن علاقته بألان غير توفير الانطباع لدى كنيدي بان ادغار هو « سيد » أسلمته الايام للشقاء. ولعل الاشارة الى زواج الان الثاني هي التي دفعت توم ايليس بعد سنوات الى التصدي دفاعاً عن لويزا ، مع ذلك ، فقد تأثر كنيدي برسالة ادغار واتصل بالناشرين ليرى ما الذي يمكن عمله ، وفي الثاني والعشرين من كانون الأول ، كتب الى بو قائلاً بان المستر كاري قد اعرب عن شكه ازاء وجود اية فائدة مالية من طبع مجموعة « الفوليوكلاب » ، واضاف كنيدي مستدركاً ، « . . . ليس لعدم جدارتها ، وانما لأن كتب القصص القصيرة ، رغم كل ما تتمتع به من جودة ، نادراً ما تعود بما يكفي بائع الكتاب لشراء حقوق النشر » . غير انه ما زال هناك امل ما فقد سعى كاري للحصول على اذن ببيع بعض الحكايات لبعض المجلات السنوية الرائجة ، واضاف كنيدي وهو يعمل فكره : « اعتقد بانك سوف لا تعترض على ذلك ، خاصة وان نشر الحكايات بكتاب سيظل حقاً محفوظاً لك (وهو ما رغب بو فيه) ، ولذلك ، فقد ارسل كاري اليك مبلغ خمسة عشر دولاراً مقابل بيع قصة لمجلة«اتلانتيك سوفينير» . . . واذا ما تم بيع حكايات اخرى على هذا النحو ، فسوف تحصل من هذه العملية على اكثر مما يمكن ان تحصل

Twitter: @abdulllah1994

عليه من نشرها في كتاب واحد » ، لم يذكر كنيدي عنوان الحكاية التي يفترض بانها بيعت ، كما لم تظهر اية حكاية لبو في « السوفينير » ، مما يرجح الاستنتاج بأن كنيدي قد ارتأى تقديم معونة منه لبو ، والجدير بالذكر ان كاري اندلي لم ينشرا الحكايات بعد ذلك رغم تأكيدات كنيدي .

ذهب كنيدي أبعد من ذلك في عطفه على ادغار ، وقد كتب ادغار في وقت لاحق قائلاً : « لقد كان المستر كينيدي على الدوام صديقاً حقيقياً لي ـ بل كان الصديق المخلص الوحيد لي . . إنني مدين له بحياتي ذاتها » . كما كتب كنيدي في مذكراته بانه كان يعطي بو «الملابس . . وكان يتناول الطعام على مائدتي في اي وقت شاء ، ويستخدم حصاني للتنزه متى شاء ، بل انني قد انتشلته في الواقع من حافة اليأس » . بل إن مساعدة كنيدي لم تقتصر على الجوانب المادية ، فقد استطاع بالفعل ان يغير مجرى حياة بو برمتها ، حيث شجعه على تقديم بعض قصصه الى مجلة جديدة ، وهي مجلة اسسها توماس ويليس وايت في عام ١٨٣٤ باسم « سوثيرن ليتراري ماسينجر » بدافع تطوير نوعية الثقافة الجنوبية وزيادة الاهتمام المحلي بالأدب ، كان وايت صاحب مطبعة وليس محرراً ، حيث عهد بأدارة امور المجلة لصحفيين ادباء ، وفي ربيع ١٨٣٥ ، باشر بو بنشر قصصه في الماسينجر ، وكتابة مراجعات للكتب . كانت هناك افكار اخرى لدى كنيدي . ففي الثالث عشر من نيسان ١٨٣٥ ، كتب الى وايت مشيراً الى ان بو « فقير جداً » ، واقترح عليه ان يوفر له عملاً دائماً في المجلة . . « إنه بارع القلم . . كلاسيكي عالي الثقافة . . واسع الخيال ويميل بعض الشيء نحو ما هو مرعب . . لقد شجعته على العمل في اي مجال يمكن ان يعود عليه بالمال ، وليس لدي اي شك

Twitter: @abdulllah1994

في ان كل واحد منكما سيجد فائدة في الآخر » .

أسرف بو في التعبير عن امتنانه من وايت ، وكتب اليه شاكراً له ما تلقاه من مبالغ تافهة لقاء ما نشره عنده . . . « إن خدماتي الضئيلة لا تضاهي ما منحتني من مقابل » . غير ان مقابلاً اكثر جزاء كان في انتظار بو ، ففي حزيران من العام المذكور ، تسلم بو رسالة من وايت يتساءل فيها فيما اذا كان بو على استعداد للقدوم الى ريتشموند للعمل في« الماسينجر » حيث انه (أي وايت) هو الذي يقوم حالياً بمهام التحرير ، لم يكن هناك أي شك في استعداد بو ، وكتب قائلاً :«ليس هناك ما يسرني اكثر من ذلك » . وفي السابع من تموز ، اصبح امر حصول ادغار على عمل دائم أمراً في غاية الألحاح ، فلقد ماتت جدته وحرمت العائلة بموتها من الراتب التقاعدي البالغ مئتين واربعين دولارا في العام الذي كانت تتقاضاه من الدولة لقاء خدمات زوجها (الجنرال) ابان حرب الأستقلال . وفي أوائل آب ، سافر ادغار الى ريتشموند لتسلم عمله الجديد في مكاتب « الماسينجر » كمساعد لوايت وبراتب مقداره عشر دولارات في الاسبوع ، وعلى الرغم من ان المبلغ لم يكن مغرياً ، حيث ترتب على ادغار دفع اربعة دولارات في الأسبوع لقاء مسكنه ومأكله ، فقد كان على الأقل دخلاً ثابتاً ، كما اصبح بمستطاعه ان يبعث للمسز كليم ببعض النقود بين حين وآخر ، وذلك في ضوء استمراره الحصول على المكافآت الأخرى لقاء كتاباته الخاصة في المجلة ، هكذا بدأ بو يحلم بالحياة الأفضل ، ببيت صغير له حديقة في احدى زوايا ريتشموند النائية ، يضمه مع فيرجينيا كليم كزوجة له .

كانت علاقة بو بابنة عمته الرقيقة الجميلة احدى اعظم الغاز حياته . غير انه من اليسير تتبع بداياتها . كانت فيرجينيا في السادسة من العمر حين ظهر ادغار لأول مرة في بيت العائلة في بلتيمور كغريب

Twitter: @abdulllah1994

غامض مغناطيسي حيث ما لبث ان اصبح فرداً من افراد هذه العائلة . وقد وجد بو امامه طفلة مكتنزة جميلة ذات خصلات بنية وعينين سوداوين وفيض من المودة الطبيعية التي لا تقاوم . ربما ذكرته فيرجينيا في بادىء الأمر بشقيقته روزالي ، ويبدو انه قد تعهد بعد عودته للاقامة في بلتيمور بعد محنة الوبست بوينت ، بان يتولى أمر تعليمها . يذكر صديقه لامبرت ويلمر بانه وجده ذات يوم احد « وقد انهمك في تعليم فيرجينيا درساً في الجبر »، غير ان صورة اخرى مالبثت ان ارتسمت في مخيلة بو على ما يبدو حينما تحولت الطفلة الى امرأة ، تلك هي صورة حبه الضائع ، ألميرا رويستر ، ولعل المشاعر التي حملها ادغار في يوم ما لألميرا مالبثت ان تحولت نحو فيرجينيا ، ابنة عمته ، ويبدو ان قلقاً قد انتاب ادغار ازاء احتمال نشوء اية علاقة له مع قريبة مقربة جداً له بحيث بدا مثل ذلك الاحتمال وكأنه سفاح . تتجسد مشاعر بو هذه في قصته « بيرينيس » ، وهي قصة كتبها اثناء اقامته في بيت عمته المسز كليم :

كنت وبيرينيس ابني عم ، ونشأنا معا في رحاب أبي . غير أننا كبرنا مختلفين ـ أنا ذو صحة عليلة دفين الكآبة ، وهي رشيقة وانيقة طافحة بالحيوية . لها التقافز فوق جوانب التلال ، ولي الدرس في المحراب ـ أعيش في اعماق قلبي مكرساً جسدي وروحي للتأمل العميق المؤلم ، وهي جوالة بدون مبالاة عبر الحياة ، لا يعتريها اي تفكير بالظلال التي تعترض طريقها او بانسلال الساعات ذات الاجنحة الغرابية . بيرينيس ! ـ انني انادي اسمها ـ بيرينيس ـ ومن ركام الذكريات الشائخة ، ترتجف آلاف الذكريات المضطربة اذ تسمع الصوت ـ آه ـ ها هي

Twitter: @abdulllah1994

صورتها امامي الآن بكل وضوح كما في تلك الأيام
القديمة ، ايام لهوها وفرحتها ! أواه . . . يا لبهاء ذلك
الجمال رغم غرابته . . . ! .

التطابق واضح ، فالراوي هو ادغار المثقل بالهموم التي لا يستطيع الفرار منها . وبيرينيس هي فيرجينيا ، تلك الطفلة السعيدة التي لم تعرف الهموم والتي لم تعرف من العالم غير انه جديد ومثير . ومع ذلك ، ثمة علاقة غريبة غير سوية تنشأ بينهما . . . » ، لقد أحبتني بيرينيس طويلاً . . غير انني لم أر بيرينيس الحية التي تتنفس ، وانما بيرينيس الحلم ـ لم أر ذلك الكائن الذي ينتمي الى هذه الأرض ، كائنا أرضياً ، وانما تجريد ذلك الكائن . . . » . ثم تصاب بيرينيس بمرض قاتل ، وتتصاعد مع المرض حدة مشاعر الراوي نحوها الى ان تتحول الى شكل من اشكال المس الأحادي (المونومانيا) المسمر فوق اسنانها ـ « كانت هنا ، هناك ، في كل مكان أمامي بوضوحها ونبضها ، طويلة ، ضيقة ناصعة ، البياض ، بينما تلتمع الشفتان الشاحبتان حولها وكأنها في لحظات نموها الرهيب » ، ها نحن بكل بساطة ، امام مجنون ، وقد تشبث عاطفياً ، وعلى نحو غير طبيعي ، بأنسان آخر مريض ، ها هو الراوي يتساءل : « كيف تسنى انني استخلصت من الجمال شكلاً من اشكال عدم الجمال ؟ـ ومن ميثاق السلام صنوا للاحزان ؟ غير ان الشر ، في علم الاخلاق ، هو نتيجة الخير ، والحزن إذن ، انما يولد من الفرح » . إن ما تتمخض عنه هذه العلاقة هو الرعب الخالص ، ها هي بيرينيس تنحدر الى غيبوبة ، ويسود الاعتقاد بانها قد ماتت ، ثم يتم دفنها ، ما زال مشهد اسنانـها يرود الراوي الذي ما يلبث ان ينحدر هو الآخر الى غيبوبة بفعل ايحائه الذاتي :

Twitter: @abdulllah1994

ثمة نقرة خفيفة على باب المكتبة ، ثم دخل خادم شاحب كانه أحد سكان القبور ، على رؤوس اصابعه . نمت نظراته عن هلع فائق . . ثم . . اخبرني عن صرخة راعبة مزقت سكون الليل . . عن ركض باتجاه الصوت . . عن قبر منبوش ـ عن جثة مشوهة ملفعة بكفن ما زالت تتنفس ، تنبض ، . . ما زالت حية ـ

أشار الى ملابسي : ـ كانت ملطخة بالوحل وبكتل من الدم المتخثر ، لم أتكلم وقادني بلطف من يدي : ـ كانت مجرحة بعلامات اظافر بشرية ، لفت انتباهي الى شيء معلق فوق الجدار . . كانت مسحاة . قفزت الى الطاولة صارخاً ، وامسكت بصندوق كان قد وضع فوقها . غير أنني لم استطع أن افتحه ، وفي خضم اضطرابي ، انزلق فجأة من يدي نحو الأرض ، وتهشم قطعاً ، ومنه . . تدحرجت آلات جراحة الأسنان، فيما تناثرت بينها جيئة وذهاباً فوق الأرض ، اثنتان وثلاثون قطعة صغيرة ناصعة البياض ، اشبه بالعاج .

ليس من الحكمة بالطبع أن يتم الربط بين عمل كاتب ما وبين ظروفه الحياتية ربطاً حرفياً ، وقد وصف بو حكاية « بيرينيس » بأنها « عملية الارتقاء بما هو سخيف ومضحك الى مرتبة الخيال المفعم بالبشاعة الغريبة » ، لهذا يجب ان لا تؤخذ ماخذ الجد بشكل تام ، ومع ذلك ، فإن الجملة التي تقول : « كنت وبيرينيس ابني عم ، ونشأنا معا في رحاب أبي»، انما كتبت بينما كان ادغار وفيرجينيا«يكبران معاً» تحت سقف واحد ، وفي الوقت الذي كان فيه بو ينظر اليها كاخت وزوجة في آن واحد ، ففي رسالة بعث بها الى المسز كليم من

Twitter: @abdulllah1994

ريتشموند في آب ١٨٣٥ ، يتحدث ادغار عن فيرجينيا « صغيرتي الجميلة سيسي » و « زوجتي الصغيرة الحبيبة » ، كما إن موضوع العلاقة غير الطبيعية بين رجل وامرأة يتردد كثيراً في اعمال بو ، وخاصة في علاقة الأخ باخته في قصة « سقوط بيت آل أشر » . ويبدو أنه من الصعب تفادي الأستنتاج بان بو كان قلقاً ازاء مشاعره الجنسية ، وخاصة اذا ما تذكرنا بأن مثل تلك العلاقات التي يصفها في حكاياته انما تنتهي دائماً بالموت .

ولعل أوضح وأدق معالجة لموضوع « السفاح » انما ترد في حكاية « إلينورا » التي نشرت اول مرة في ١٨٤٢ يجدر هنا ملاحظة الخلفية العائلية :

> كانت تلك التي احببتها في صباي . . الابنة الوحيدة للأخت الوحيدة لأمي التي رحلت منذ زمن طويل . كان اسم ابنة خالتي هذه الينورا ، اقمنا معاً على الدوام تحت شمس استوائية في « وادي العشب المتعدد الألوان » . لم تطأ ذلك الوادي أية قدم عابرة حيث كان بعيداً بين سلسلة من التلال الشاهقة التي تعلقت نتوءاتها فوق كل جوانبه ، مقصية ضوء الشمس بعيداً عن اجمل مكامنه . لم تطأ قدم ممراته المجاورة ، وكنا لكي نصل الى بيتنا السعيد ، نضطر ان نزيح بقوة اوراق الاف الاشجار الغابية ، وان ندوس حتى الموت بهاء ملايين الزهرات العطرة . هكذا عشنا ، وحيدين ، لا نعلم شيئاً عن العالم الذي وراء ذلك الوادي ـ أنا وابنة خالتي وأمها .

حقاً لقد عاش ادغار مع فيرجينيا والمسز كليم في انقطاع تام عن

Twitter: @abdulllah1994

العالم الخارجي غير ان ذلك الانقطاع قد فرضه الفقر .

يبلغ عمر الراوي في « إلينورا » عشرين عاماً بينما يبلغ عمر أبنة خالته خمسة عشر عاماً ، وذلك حين « دخل الحب الى قلبينا . . وقد أحسسنا بأننا قد اضرمنا في اعماقنا نيران ارواح اسلافنا . . هكذا تدفقت كل تلك العواطف التي تميز بها جنسنا البشري لقرون طويلة مفعمة بأخيلة طالما اشتهروا بها ، ملقية بانفاسها العطرة فوق الوادي . . . » ، لقد اعتزل الزوجان وكأنهما قد أسرا « داخل سجن سحري من الشموخ والبهاء» ،لا يدوم هذا الحال بالطبع ،حيث سرعان ما تدرك إلينورا ان«إصبع الموت قد حط على صدرهاوانها شان كل ما هو سريع الزوال ، انما صيغت على ذلك النحو من الجمال الكامل من أجل ان تموت . . . ألقيت بنفسي على قدمي إلبنورا وأقسمت لها وللسماء بأنني لن أربط نفسي بزواج مع أية ابنة من بنات الأرض ـ بانني لن اخون ذكراها العزيزة أبداً . . . وقالت لي بعد ايام وهي تموت في هدوء ، بانها بسبب ما بذلته من أجل راحة روحها ، فانها سوف تسهر علي بروحها بعد رحيلي ، واذا ما سمح لها ، فستعود لكي تتجسد لي في هزيع الليل . . كانت تلك الكلمات ما زالت على شفتيها حين اسلمت روحها البريئة ، وإضعة بذلك نهاية لأول حقبة من حياتي أنا » ، لقد نكث الحبيب بوعده ـ غير ان ذلك سوف لا يكون قبل ان يغادر وادي البراءة متجهاً نحو « المغريات الراعبة » و « الانتصارات القلقة » للعالم الخارجي ، وبهذا يكون قد احل نفسه « لأسباب سوف تعلمين بها في السماء » من الوعد الذي قدمه الى إلينورا .

هكذا يبدو بأن حب الأقرباء ، اذا ما اردنا ان نربط « بيرينيس » ، و « إلينورا » بظروف حياة بو ، لا يمكن ان يزدهر الا في « الجنة » التي تسبغ عليه البراءة والطهارة ، اما اذا ما انطلق مثل هذا الحب في العالم

Twitter: @abdulllah1994

المادي ، فإنه يغدو مريعاً ومشوهاً ولا بد ان يقود الى الكارثة ، ولن يكون مصيره الاّ الموت ، ربما تكون تلك الأفكار هي التي انتابت ادغار حين تململت عواطفه نحو فيرجينيا ذات الأثني عشر عاماً . لقد كانت هناك ثمة متعة في مشاعره نحوها« كأخت » ، غير أن الأحساس بالذنب قد أخذ ينخز رغبته « بالزوجة » .

لم يشعر أحد من أقرباء ادغار بهذه المشاعر في بادىء الأمر ، وفيما كان ادغار يعد العدة لتسلم عمله الدائم في ريتشموند ، فقد صارح عمته المسز كليم برغبته في الزواج من فيرجينيا ، كان من الطبيعي ان لا تفكر العائلة بهذا الأمر على نحو جدي ، وذلك لمجرد ان فيرجينيا لم تتجاوز الثانية عشرة في ذلك الحين ، اما نيلسون بو ، وهو احد ابناء عمومة ادغار ، فيبدو انه اوجس خيفه ، كان نيلسون قد تزوج اخت فيرجينيا من أبيها ، جوزيفين كليم ، ويعتقد بانه كان كثير التردد على العائلة في أميتي ستريت ، ولعله كان يقدم بعض المعونة المالية بين حين وآخر ، واذ وصلته ابناء خطط ادغار ، ادرك نيلسون ان الحب الذي تكنه المسز كليم لأبن اخيها ربما يظرها الى الموافقة حيث سارع الى التدخل للحيلولة دون اتمام ذلك الزواج غير المتجانس ، كان ادغار قد باشر البحث عن منزل لاستئجاره في ريتشموند حين تسلم رسالة من عمته المسز كليم تقول فيها بان نيلسون قد اقترح ان ياخذ فيرجينيا للاقامة في بيته خارج بلتيمور من أجل ان يثقفها ويعدها لدخول المجتمع البلتيموري ، نزلت هذه الرسالة على ادغار نزول الصاعقة ، وهو المقطوع عن العائلتين اللتين إنتمى اليهما في حياته ، فقد اختفت من حياته كل من أمه وجين ستاندرد وأمليرا رويستر ، وها هو الآن مهدد بفقدان فيرجينيا ، في التاسع والعشرين من آب ١٨٣٥ ، بعث للمسز كليم بأكثر رسائله فضحاً لحقيقة مشاعره :

Twitter: @abdulllah1994

يا عمتي العزيزة جداً ،

الدموع تغشى عيني فيما أكتب لك هذه الرسالة ـ ليست لدي أية رغبة في ان اعيش ساعة واحدة اخرى ، وصلتني رسالتك وانا في خضم حزني وقلقي ـ وأنت تعرفين جيداً الى أي مدى يبلغ انهياري تحت وطأة الأسى ـ إن ألد اعدائي ليشفق علي الآن فيما لو قرأ ما في قلبي ـ ها أنذا أحرم الآن من آخر ، آخر ملاذ ، ملاذي الوحيد في الحياة ـ ليست لدي رغبة في أن أحيا ، وسوف لن ، ولكني سأؤدي واجبي ، إنني أحب ، وأنت تعرفين بأنني أحب فيرجينيا بكل عنف واخلاص . انني لا استطيع التعبير بالكلمات عن ذلك الحب العارم الذي أكنه لأبنة عمتي العزيزة الصغيرة ـ حبيبة قلبي ، غير أنه ما الذي يمكنني قوله . آه . . . فكري بدلا عني ، فأنا غير قادر على التفكير . إن كل افكارى منشغلة بفكرة انكما ، أنت وهي ،سوف تفضلان الذهاب مع نيلسون بو ، إنني اتمنى يصدق ان تكون كل حاجاتك مؤمنة في الوقت الحاضر ـ إنني لا أستطيع التحدث عن تمتعك بالهناء والسعادة . أنتما تملكان قلبين رقيقين ، وسوف تتذكران دائماً ان العذاب الذي ألاقيه هو فوق ما أتحمل ـ وانكما انتما اللتان دفعتا بي الى القبر ـ ذلك لأن حباً مثل حبي لا يمكن التغلب عليه ، لا جدوى من القول بأنه اذا ما رحلت فيرجينيا الى بيت نيلسون ، فلن أراها بعد ذلك ـ ذلك شيء مؤكد ، إرحميني يا عمتي العزيزة ، ارحميني ، ليس لدي الآن احد استطيع اللجوء اليه . فأنا بين

Twitter: @abdulllah1994

الأغراب ، وتعاستي تفوق طاقة تحملي ، ليس ثمة فائدة من أية نصيحة اقدمها لك ـ ما الذي استطيع قوله ، هل بمستطاعي القول بصدق وشرف ـ فيرجينيا ! لا ترحلي ! لا ترحلي الى حيث زبما تتمتعين بالراحة ، ولربما السعادة ـ ومن جهة اخرى ، هل يمكنني ان ارخص حياتي نفسها بكل هدوء ! لو أجبتني حقاً ، اما كانت رفضت مثل ذلك العرض بكل ازدراء ؟ أوه . . . إرحمني يا ربي ! اذا ما رحلت مع نيلسون ، ما الذي تفعلينه انت ، يا عمتي ؟ لقد عثرت هنا على بيت صغير جميل في بقعة نائية فوق تشيرش هيل ـ حديث البناء وله حديقة كبيرة وفيه كل وسائل الراحة ـ وذلك بخمسة دولارات فقط في الشهر ! كنت ، كنت احلم كل ليلة بتلك السعادة التي سأحس بها اذ أرى اصدقائي الوحيدين ـ كل من أحب على وجه هذه الأرض ، معي هنا ، بالفخر الذي سأشعر به اذ اقوم بتوفير الراحة لكما ، واذ اناديها « يا زوجتي » ، غير أن الحلم قد انتهى ، وليرحمني الله ، ترى ما الذي سوف أحيا من أجله ، بين الغرباء، وحيث لا يوجد انسان واحد يحبني . . . » .

استمر ادغار في القول بأن امله في ان يصبح محرر « الماسينجر » قد تلاشت حين تم تعيين شخص آخر يدعى برانش سورندرز لذلك المنصب ، لم يكن وايت قد وعد ادغار بمثل ذلك المنصب أو غيره ، غير ان افكاره المغرضة دائماً هي التي اوحت له بذلك ، بل إن وايت ، من جهة أخرى ، قد :

بادر الى جعل راتبي ستين دولارا في الشهر ، حيث سيكون

Twitter: @abdulllah1994

بمقدورنا ان نعيش في بحبوحة وسعادة ـ كما ان الدولارات الاربعة التي ادفعها الآن للنزل الذي اقيم فيه سوف تسهم هي الأخرى في زيادة دخلنا ـ وهذا يعني انني سوف احصل على خمسة عشر دولارا في الأسبوع ، وهل يمكن ان نحتاج اكثر من ذلك ؟ لقد فكرت في ارسال مقدار من المال في كل اسبوع اليك . . . ثم سيكون بمقدورنا شراء بعض الاثاث كبداية . بعد ذلك ، سيكون كل شيء على أحسن حال ، لا اعتقد بان البيت سوف يؤخذ مني بهذه السرعة .

وتنتهي الرسالة الى القول :

« إن اسلوب رسالتك ، قد جرحني حتى اعماق روحي ـ آه يا عمتي ، يا عمتي ، لقد أحببتني يوماً كيف يمكن لك ان تكوني قاسية على هذا النحو علي ! تتحدثين عن حصول فيرجينيا على بعض التهذيب ودخول المجتمع ـ إنك تتحدثين بلهجة مسرفة في الدنيوية . هل انت واثقة بانك ستكونين اكثر سعادة ـ هل تعتقدين بان هناك من سيحبها اكثر من حبي لها ؟إن فرصة دخولها المجتمع ستكون هنا أفضل بكثير مما لو كانت مع نيلسون بو . فالجميع هنا يستقبلونني باذرع مفتوحة . وداعا يا عمتي العزيزة ، لا استطيع ان انصحك بشيء ، إسألي فيرجينيا ، اتركي الامر لها . دعيني اتسلم رسالة بخط يدها ، رسالة تقول لي فيها « وداعاً » ـ الى الأبد ـ وربما سوف أموت ـ سوف يتحطم قلبي ـ ولكنني لن أقول شيئاً آخر .

آ . آ . بو

Twitter: @abdulllah1994

قبليها عني ـ ملايين المرات
الى ڤيرجينيا ،
يا حبي ، يا حلوتي سيسي ، يا زوجتي الصغيرة الحبيبة ، فكري جيداً قبل أن تحطمي قلب ابن خالك ، إيدي .

لقد تدفقت هذه الرسالة من قلب ادغار مباشرة معبرة عن كل ما يعتريه من ضعف وعجز عن التصرف ازاء الأزمات العاطفية ، واندفاعه نحو التضحية بالذات واعتماده التام على الآخرين على نحو يثير الشفقة ، مع ذلك ، أرفق بو رسالته هذه بورقة كان فيها متماسكاً تمام التماسك اذ طلب من المسز كليم ان تبعث له بنسخة من مجلة « الريبابليكان » ، التي نشرت اعلاناً عن مجلة « الماسينجر » ، أي عقل غريب هذا ، وأية شخصية غير متزنة هي شخصية بو . فهو في لحظة على أتم الاستعداد لكي يموت محطم القلب وهو في لحظة أخرى وقد تحولت جملة افكاره نحو اعتبارات عملية صرفة . وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على تلك القوة الغريبة الكامنة في اعماق بو والتي أعانته رغم كل عوامل ضعفه الأخرى على مواصلة الكتابة حتى في تلك الاوقات التي يغرق فيها في خضم الأنهيار حتى اذنيه . فلو لم يمتلك بو ذلك الانفصام الغريب ، فلربما لم يكن هناك من سمع بشخص اسمه ادغار آلان بو .

غير ان اليأس كان دائماً كامناً تحت جلد بو ، وفي الحادي عشر من أيلول ، كتب الى جون كيندي في بلتيمور قائلاً :

سيدي العزيز ،

تسلمت بالأمس رسالة من الدكتور ميلر يقول فيها بأنك الآن في المدينة ، وها أنا أسارع للكتابة اليك ـ لكي أعبر في رسالة عما عجزت

Twitter: @abdulllah1994

دائماً عن التعبير عنه وجهاً لوجه ـ ذلك هو إحساسي العميق بالأمتنان لكل ما أسديته لي من مساندة وعطف . فلقد تم بفضل مساعيك أقناع المستر وايت بتعييني لمساعدته في شؤون تحرير مجلته براتب مقداره ٥٢٠ دولاراً في العام ، إن الوضع الحالي مناسب لي لعدة اسباب ـ ولكن ، واأسفاه ! يبدو أن ليس هناك ما يمكن أن يمنحني البهجة بعد الآن ـ أو حتى أقل ما يمكن من الرضا . أعذرني يا سيدي العزيز ، اذا ما لحظت بعض الأضطراب في رسالتي هذه ، فمشاعري في الوقت الحاضر تدعو للشفقة حقاً ، فأنا اعاني من هبوط معنوياتي الى درك لم أعانيه قبلاً . ناضلت عبثاً للتغلب على هذه الغمة ـ سوف تصدقني حين أقول بأنني ما زلت تعيساً رغم كل ما طرأ من تحسن على ظروفي العامة . أقول بأنك سوف تصدقني ، ولأجل هذا السبب بالذات ، حيث أن رجلاً يكتب بهدف التأثير ، لا يكتب على هذا النحو ، إن قلبي مفتوح أمامك ، واذا ما وجدت بأنه جدير بالقراءة ، فاقرأه ، إنني بائس ، ولا أدري لماذا ، إمنحني العزاء ـ فأنت قادر على ذلك ـ وليكن ذلك سريعاً ، وإلا فسيكون الأوان قد فات . أكتب إلي حالاً . أقنعني بجدوى ، بل وبضرورة الحياة ، وسوف تبرهن بذلك أنك صديق لي . أقنعني بأن افعل الصواب . إنني لا اعني هذا ـ أعني انه يجب ان لا تعتقد بأن ما اقوله الآن هو مزاح ـ آه ـ إرحمني ! لأنني احس بان كلماتي مضطربة ـ ولكنني سوف استرد نفسي . سوف لا تعجز عن الملاحظة بأنني اعاني من الكآبة التي ستدمرني اذا طال امدها . أكتب الي اذن ، وبسرعة ، حثني على القيام بما هو صائب ، سيكون لكلماتك أثر اكبر بكثير من كلمات الآخرين ـ فلقد كنت أنت صديقي حين لم يكن لي أي صديق آخر ـ لا تتوان ـ إن كنت تقدر أهمية راحة بالك فيما بعد » .

Twitter: @abdulllah1994

أضاف بو الى هذه الرسالة ملحقاً شرح فيه شؤون عمله ، كما وجه تهمة الانتحال الى كاتب آخر .

غير أن سبباً خارجياً ما لبث في صيف ١٨٣٥ ان لعب دوراً في تخليص بو من جنون الكآبة والتشوش وحوله الى انسان هادىء صافي النفس ، فقد عاد الى الشراب ثانية ، توحي الرسالتان اللتان بعث بهما الى المسز كليم وكينيدي أن بو لم يكن قادراً على التغلب بنفسه على انتكاساته الطبيعية ومصاعبه الحياتية ـ لقد لجأ الى طلب المساعدة من أي مصدر يمكن ان يوفرها على نحو مباشر وشخصي . وقد اضطر بحكم وجوده في ريتشموند الى الاكتفاء بالرسائل التي لم تمنحه الاّ راحة مؤقتة في وقت كان فيه بأمس الحاجة الى شخص يقف الى جانبه على الدوام ويمنحه الشجاعة والثقة بالنفس ، هكذا وفي لحظة من لحظات اليأس ، امتدت يد ادغار الى الكحول ، المضرة جداً له في ضوء ضعف بنيته . ولعلنا نذكر تلك الآثار العنيفة التي كانت تحدثها فيه أقل كمية من الكحول ـ هكذا لم يمض وقت طويل قبل ان يوصم بو بأنه سكير وان يتم طرده من مجلة « الماسينجر » ، ففي التاسع والعشرين من أيلول ، قرر توماس وايت مصارحة ادغار برسالة جاء فيها :

عزيزي ادغار ،

لشد ما كنت أتمنى أن يكون في مقدوري مصارحتك بما في صدري باللغة التي اتمنى ان اعبر بها في هذه المناسبة ، انني عاجز عن ذلك ، ولذلك فسوف اكتفي بالتحدث اليك بطريقة بسيطة .

إنك مخلص في كل وعودك ، هذا ما اعتقده تماماً ، ولكن ، يا ادغار ، حين تعود ثانية الى السير في ذلك الطريق ، فإن ما اخشاه هو ان وعودك سوف لا تستطيع الصمود ـ وبأنك سوف تستمر في رشف

Twitter: @abdulllah1994

الشراب الى ان يسلبك كل حواسك. اذا اعتمدت على قوتك فسوف تهلك ، أطلب العون من خالقك وسوف تنجو ، إن مقدار اسفي على فراقك لا يدركه احد على وجه الأرض غيري . انني متشبث بك ، وما زلت على استعداد تام ان اقول : عد ، لولا خوفي من ان ساعة الفراق مرة ثانية ستكون قريبة ، اذا ما وجدت في نفسك الاستعداد لكي تقيم معي ضمن عائلتي ، او مع اية عائلة اخرى ، بحيث لا تمد يدك الى الشراب ، فأنا اعتقد بان الأمل في انقاذ نفسك قائم ، ولكن ، اذا ما ذهبت الى اية حانة ، او الى أي مكان يوجد الشراب فيه على المائدة ، فلن تكون في مأمن ، إنني اقول هذا عن تجربة ، إنك يا ادغار تمتلك مواهب جيدة ، وعليك ان توفر الاحترام لمواهبك ولشخصك . تعلم كيف تحترم نفسك ، وسوف تجد عما قريب بان الجميع يحترمونك ، ابتعد عن القنينة وعن رفاق القنينة ، الى الأبد . قل لي ان كنت قادراً على ذلك ، وبانك ستقوم بذلك ـ ولأسمع منك بان غرضك المحدد هو عدم الاستسلام للأغراء . لو عدت الى ريتشموند ثانية ، وأصبحت مساعد مكتبي مرة ثانية ، فمن الضروري ان تفهم بان كافة التزاماتي ستصبح لاغية في اللحظة التي تصبح فيها سكراناً . لا يمكن لأي انسان ان يكون في مأمن اذا شرب قبل الأفطار . لا يستطيع اي انسان ان يفعل ذلك ويؤدي عمله على الوجه الصحيح .

إنني صديقك المخلص حقاً

ت . و . وايت

لقد انهزم بو ثانية بسبب ضعفه . ففي اللحظة التي بدأ فيها بالابتعاد عن مستنقع الفقر واليأس ، اذا به يواجه نكسة يعجز عن معالجتها بنفسه . وقد دفعته هذه المشكلة الى مشكلة اخرى سوف تدمر كل آماله ، لقد أدى به الخوف من مواجهة خسارة واحدة الى خسران كل شيء .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل التاسع

شيطان الخمـــرة

يشكل طرد بو من « الماسينجر » على النحو الذي وصفه وايت في رسالته أول دليل مادي على الأسطورة القائلة بادمان بو . لقد أتسمت رسالة وايت بالحزم رغم ما تضمنته من عطف ، كما يتضح بأنها إنما كتبت بدافع القلق والرغبة في انقاذ نفس من شيطان الخمرة وبدون أي دافع مغرض . وقد يبدو للوهلة الأولى بأن ذلك غير قابل للدحض . غير أن هناك عاملين من شأنهما أن يؤديا الى الحيلولة دون التسليم بادمان بو فيما لو اخذا بعين الأعتبار . أولهما أن أميركا ثلاثينات القرن التاسع عشر قد شهدت بعثاً دينياً اتخذ عدة اشكال لا علاقة لها بالضرورة بالمسيحية . فقد انتشرت الحملات ضد تناول اللحوم والملابس الضيقة والتفوق الذكوري والكحول . ففي عام ١٨٢٦ تأسس « إتحاد ضبط النفس الأميركي » الذي تبنى شعار « جيش الماء البارد » ضمن حملة قادها الالاف من الممتنعين عن شرب الكحول الذين سعوا

Twitter: @abdulllah1994

بكل حماس ليس للحد فقط من عادة شرب الكحول ، بل والى استئصالها استئصالاً . وقد استطاع هؤلاء في اقناع مئات الالاف بالتوقيع على « تعهد » بشأن ذلك ، كما ظهرت في بعض الولايات حركات داعية الى اصدار حظر قانوني على بيع الخمور . في ذلك الوقت بالذات ، لم يلق « اتحاد ضبط النفس الأميركي » نجاحاً ملموساً في الجنوب حيث تسود التقاليد الأرستقراطية المتسمة باطلاق العنان للأهواء والرغبات . غير أنه يبدو بأن « الممتنعين» قد وجدوا لهم نصيراً واحداً على الأقل في شخص توماس وايت كما يتضح ذلك من رسالته .

أما العامل الثاني ، فلم يتم العثور عليه الّا بعد فوات الأوان ، وهو يتعلق بظروف لم يكن وايت قد أطلع عليها . فهي تتعلق بشخصية بو ذاته وحالته الصحية العامة . لقد أشرت في الفصل الرابع أن بو لم يكن يميل الى الشراب القوي ، وبأنه قد انغمس فيه خلال وجوده في الجامعة بدافع اعتقاده أن ذلك هو ما تريده مجموعة زملائه ، اضافة الى اكتشافه بأن الشراب انما يمنحه الثقة بالنفس ويغيب عنه حقيقة أنه لا ينتمي حقاً الى تلك المجموعة . ولعل من يشرب الكحول يلاحظ تلك الآثار المؤقتة من الثقة بالنفس والانتعاش التي يمنحها الشراب . واذا ما أخذنا ضعف ارادة بو بعين الأعتبار ، فسنجد بأنه قد لجأ الى الشراب لكي يستمد منه القوة بين حين وآخر . وقد اعترف بو صراحة في مرحلة متأخرة من حياته انه قد اعتمد على الخمر الى درجة اصبح فيها لا يميز فيما اذا كان اكثر تعقلاً وهو في حالة سكره أم في حالة صحوه . غير أنه أكد بأنه قلما لجأ الى ذلك وبأنه لم يفعل ذلك الّا في تلك اللحظات التي بلغ فيها توتره حداً لا يطاق ، كما نفى عن نفسه تهمة الأدمان بل والأكثار من الشراب . ترجح كافة الدلائل غير المتحيزة صحة هذا

Twitter: @abdulllah1994

الأدعاء ، حيث لا يشار مثلاً الى عادة الشراب هذه في أي من الذكريات التي رويت عن فترة حياته الواقعة بين مغادرته للويست البوينت والتحاقه بالعمل في « الماسينجر » ، وذلك الى حين رسالة وايت . ومن الواضح أن لجوء ادغار الى الشراب الذي استفز وايت انما كانت بدافع الأزمة الحادة التي واجهته : لقد نعم ادغار بمساندة المسز كليم وأحس بالأمان الى جانبها لأربع سنوات متتالية ، غير أنه ما لبث ذلك الأمان وذلك السند مع انتقاله الى ريتشموند في صيف ١٨٣٥ . ثم هناك مشكلة فيرجينيا التي اضطر الى مواجهتها بمفرده ، خاصة وأنه لم يستطع الاتصال بالمسز كليم الاّ بواسطة الرسائل ، وفي وقت ساورته الشكوك بأنه لا يستطيع الاعتماد عليها بشكل حاسم امام احتمال انجذابها للعرض الذي تقدم به نيلسون .

فلننظر الآن الى أثر الكحول في ادغار ، وكيف تفاعل ذلك الأثر مع صحته العامة . لقد حرص جميع أولئك الذي تذكروا ادغار خلال اقامته في جامعة فيرجينيا على التأكيد بأن كمية قليلة جداً من الكحول كانت كافية لأن تعود بالوبال عليه ، وأن كأساً واحدة من « الخوخ والعسل » كانت كافية « لطرحه » . من المعروف جيداً أن تحمل بنية الأنسان للكحول انما تختلف من شخص لآخر ، غير أن واقع تأثر بو السريع والحاد بالكحول إنما يوحي بوجود علة جسمانية أو عقلية . لقد عرف الطب الحديث حالة أطلق عليها اسم « الجنون الكحولي » حيث تؤدي جرعة صغيرة من الشراب القوي الى ردة فعل عنيفة لدى الأشخاص العصابيين المعرضين للجنون بفعل الوراثة . ربما يمكن القول أن بو كان عصابياً ، غير أنه لا علم لنا بوجود أثر للجنون في عائلته . لقد أسرف والده في الشراب وكثيراً ما استفزه ذلك الى حالات الغضب الشديد . غير أن مثل تلك الحالة غير كافية لكي تتواصل في

Twitter: @abdulllah1994

ولده . على أية حال ، فالجنون الكحولي إنما يتمخض عادة عن حالة من التوتر والغضب الشديدين ، حيث ما يلبث ذلك أن يتخذ شكل العنف كالشروع في القتل أو الأنتحار . وتشير المعلومات المتوفرة لدينا أن بو لم يكن عرضة لأي من الحالات العاطفية العنيفة والشاذة اثناء تناوله الكحول (حاول الانتحار في حالة واحدة ، غير أن هناك ما يرجح ان ذلك كان يهدف لفت الأنتباه اليه وليس محاولة جادة لقتل نفسه) .

ولربما يكون التفسير الأكثر احتمالاً لعدم قدرة بو على تحمل اثر الكحول هو وجود خلل ما في عملية تمثل جسمه للمواد (التمثيل الأيضي) ، سواء كان ذلك الخلل قائماً بحد ذاته أم نتيجة لتعاطي الكحول بالذات ، وهو الذي أدى الى اصابته بالاضطراب العقلي في سنواته الأخيرة . لقد كان بو في طفولته وصباه صحيح الجسم قوي البنية . وكان يمارس السباحة والألعاب الرياضية المختلفة . غير أن رسائله التي كتبها في فترة لاحقة كثيراً ما تشير الى اعتلاله الدائم وتزايد قلقه على صحته . ويبدو أن المرض قد أصابه خلال أيامه الأخيرة في الويست بونيت . ففي كانون الثاني ١٨٣١ ، كتب الى جون ألان قائلاً : « سوف أقضى حياتي المقبلة (وأحمد الله على انها لن تدوم طويلا) بالفاقة والمرض . . فلم تعد بي أية قوة أو صحة » . وبعد شهر من ذلك ، ندب بو حظه لأن « جريمتي الوحيدة هي انني مريض » . ومع نهاية العام المذكور ، كان قد أصبح في « صحة سيئة وغير قادر على تحمل المشاق كالسابق » . ثمة شيء قد حدث لبو في الفترة الواقعة بين مغادرته قلعة مونرو وفصله من الويست بوينت ، لقد حدث خلل ما في التمثيل الايضي في جسده ـ ولربما تكون اقامته مع المسز كليم حيث التغذية أسوأ ما تكون وحيث لم يكن يعلم متى سيحصل على الوجبة التالية قد أسهمت في تردي صحته . قبل انتقاله الى

Twitter: @abdulllah1994

ريتشموند بفترة قصيرة . كتب بو الى توماس وايت معتذراً عن عدم تمكنه من ايفاء رواية جون ب. كيندي « هورس ـ شو روبنسون » حقها ، واضاف قائلاً : « كنت أنوي اعداد مراجعة وافية ودراسة تفصيلية لها ، ولم يحل بيني وبين ذلك الاّ المرض . فحين بعثت اليك بالمطالعة السريعة ، كنت في مرض شديد بحيث لم اكن استطيع رؤية الورق الذي كنت اكتب فوقه ، وكنت في حالة من الأرهاق الشديد عندما انتهيت منها » .

كتب جورج وودبري في عام ١٨٨٥ ، وهو أحد كتاب سيرة بو المبكرين ، أنه « بعد تلك الرسالة التي بعث بها بو الى وايت في أيار ١٨٣٥ ، أخذ بو يشكو من الأرهاق العصبي الذي لا يمكن أن يكون الا نتيجة تأثير المخدرات والمنبهات على جسده الآخذ في التداعي » . إن كل الدلائل المتوفرة تشير الى عدم ادمان بو على المخدرات . أما بالنسبة للمنبهات ، فأعتقد بأن الأمر قد اختلط على وودبري . فالكحول ليست هي التي اضعفت جهاز بو الجسدي أو ادت به الى ذلك الأرهاق العصبي ، بل إن ضعف جهازه الجسدي هو الذي أدى بكميات قليلة من الكحول الى ترك ذلك الأثر المدمر فيه . وبكلمات اخرى ، كان بو مريضاً في البدء ، فريسة لخلل في التمثيل ، ولم يكن الشراب غير عامل مساعد على زيادة حدة مرضه .

يبقى أن نتساءل . ما هو الخلل التمثيلي الذي أصاب بو ؟ من الواضح أنه مرض ابتدأ معه في وقت مبكر ثم ازداد سوءاً مع الأيام ، ولعله ذا علاقة بدرجة او بأخرى بنوعية غذائه ، وهو نوع يبدو بأن الكحول قد عملت على تصعيده . وهو مرض لا بد وأنه ذو طبيعة قاتلة اذا لم يتداركه العلاج . لقد توصلت بعد اجراء العديد من البحوث والاستشارات الطبية الدقيقة الى نتيجة مؤداها أن بو كان مصاباً بمرض

Twitter: @abdulllah1994

« السكر » (ديابيتيس) ، ولأجل الدقة ، بمرض (الديابيتيس ميليتوس) وهناك نوع آخر اكثر ندرة من هذا المرض ، ويعرف باسم (ديابيتيس إنسيبيدوس) .

تفسر إصابة بو بمرض السكر الكثير من أمور حياته وشخصيته . يظهر هذا المرض عادة في سن متقدمة حيث يأخذ الجسم بالوهن على امتداد فترة طويلة ثم ما يلبث ان يؤدي الى الموت اذا لم يتم علاجه . وهو ينتج عادة عن نقص في هورمون الأنسولين الذي يفرزه البنكرياس لتنظيم حاجة الجسم من السكر . وينجم المرض إما بسبب عدم قيام البنكرياس بأفراز ما يكفي من الأنسولين ، واما بسبب عدم استفادة الجسم من ذلك الهرمون على نحو صحيح بحيث يصبح بحاجة الى كمية اضافية تفوق ما يفرزه البنكرياس . ويعرف المرض الذي يصيب الأطفال والأحداث « بمرض سكر الأحداث » ، وليس ثمة معلومات عنه أو عن أسبابه ، باستثناء أنه ينتقل في افراد العائلة . لقد عرف هذا المرض لأول مرة في القرن الثاني للميلاد ، غير أن اكتشاف خصائصه الرئيسة لم يتم الاّ في القرن التاسع عشر ، كما لم يتم اكتشاف علاج له الاّ في عام ١٩٢١ حيث تم التوصل الى عزل مادة الأنسولين وحقنها في المريض .

أهم اعراض مرض السكر هي العطش الحاد وتزايد كمية البول الذي يحتوي نسباً عالية جداً من السكر . أما آثارة الثانوية فتبدو في الهزال وضعف العضلات وتسمم الجهاز المنتج للحوامض ثم الغيبوبة وتقلص المناعة ضد الالتهابات البكتيرية . كثيراً ما يؤدي هذا المرض في سن متقدمة الى ضعف البصر وربما العمى والتهاب الأعصاب الخارجية التي تسبب آلاماً كالوخز في الاعضاء . اكثر ما يحتاجه المصاب بهذا المرض هو اتباع نظام حمية معينة في الطعام . واذا تناول

Twitter: @abdulllah1994

المريض ، الذي لا يخضع للمعالجة ، المشروبات الكحولية ، فهو يصبح عرضة لحدوث تغيرات في شخصيته يطلق عليها اسم « مجموعة اعراض كورساكوف » وذلك نتيجة لنقص فيتامين ب ، وتشمل فقدان الذاكرة حتى بالنسبة للأحداث القريبة ، وكثيراً ما يلجأ المريض الى ابتكار الأكاذيب الضخمة لتغطية ذلك النقص .

لقد اصبح بمستطاعنا الامساك بطرف الخيط الذي سيقودنا الى ما هو معقول من اجل اثبات نظرية صغيرة . ولا بد لي من الأعتراف انني طالما اعتقدت سابقاً بأن بو لا بد وأنه قد عانى من مرض عضال اصاب جسده وأفقده توازنه العقلي ، وذلك هو السر الذي يلقي الضوء على موته المأساوي . غير أنه الى جانب كل ما يمكن بذله عادة من جهد موضوعي ، فإن هناك من الأدلة المادية التي نعرفها او بمقدورنا اكتشافها ما يكفي للأقتناع بأن بو كان مريضاً بمرض السكر ، وبأنه على الرغم من عدم معرفته بماهية ذلك المرض ، قد أدرك بأنه مقضي عليه بالموت المبكر . وقد خلف ذلك الادراك اثراً عميقاً في نتاجه .

سوف يتم الكشف عن تطورات مرض بو في سياق حياته ، غير أنه من الجدير هنا تلخيص تلك القرائن التي أدت الى تشخيص مرض بو . لا نعرف شيئاً بالطبع عن طبيعة تبول ادغار كما لا نعرف فيما اذا كان دائم العطش . غير أن هناك روايات عديدة عن هزاله المستمر عبر السنوات بحيث اصبح بالغ الضنى في اواخر أيامه . كما كان كثير الصداع الذي يحتمل بأنه قد نجم عن ضعف في عينيه ، كما كان يصاب دائماً بتشنجات عقلية ونوبات من الحمى والأضطرابات المعدية وفترات فقدان الوعي ـ وكلها اعراض مرتبطة بمرض السكر . اما تعرضه للوهن العقلي فمعروف جداً ، وكذلك التباس ذاكرته . كما اشتهر باكاذيبه المركبة ، ولربما تشكل هذه الصفات تجسيداً لما يعرف الان

Twitter: @abdulllah1994

« بمجموعة اعراض كورساكوف » ، وذلك اضافة الى التغيرات التي طرأت على شخصيته واصبحت بادية الوضوح في أواخر أيام حياته .

أما بالنسبة للعوامل الوراثية لمرض السكر ، فليس هناك من الأدلة ما يكفي وذلك لأن الزمان والظروف التي احاطت بموت ديفيد بو مجهولة . وقد وردت في بعض سير بو المبكرة فكرة أنه قد ورث ميله للكحول عن أبيه ، وتم اطلاق صفة « الضعف القاتل » على ذلك . ربما يكون هذا الضعف هو مرض السكر ذاته ، وإن يكن ذلك مجرد افتراض ، فهناك بعض الأدلة المادية التي يمكن اسناده به . فقد عانى شقيق ادغار ، هنري ، من مشكلة كحولية . واذ يبدو بأن هنري قد فاق اخاه ادغار في الأسراف في الشراب الى درجة اصبح فيها مدمناً ، فمن المحتمل أن التدهور السريع الذي اصاب صحة هنري وأدى الى موته المبكر انما كان بفعل تأثير الكحول في ضعف وراثي معين فيه ، كمرض السكر مثلاً . ويمكن تعزيز هذا الأفتراض بحقيقة موت هنري نتيجة اصابته بالسل . فحين قطعت أولى الأشواط في التعرف على مرض السكر خلال القرن التاسع عشر ، لوحظ بأن المصابين بهذا المرض كثيراً ما وقعوا فريسة مرض السل وانتهوا الى موت مبكر . ومن الممكن أن ادغار وهنري كانا مصابين بمرض السكر الموروث ، وأن موت هنري المبكر وهو في الرابعة والعشرين كان نتيجة ضعف تمثيله الأيضي الذي تفاقم بفعل الكحول ، بينما استطاع ادغار أن يعيش اكثر من أخيه بثمانية عشر عاماً بسبب تلك الفترات الطويلة التي لم يقترب فيها من الكحول ، رغم تدهور صحته المستمر . بل إن موته المبكر في التاسعة والثلاثين ربما يكون قد تم بفعل عوامل مساعدة اخرى كأضطراب حياته وسوء غذائه .

غير ان كل هذا هو مجرد استباق للمستقبل . ففي صيف

Twitter: @abdulllah1994

١٨٣٥ ، لم تكن هناك أية مخاوف جادة ازاء صحة ادغار ـ بل إن ادغار قد سخر بالدكتور بكلي في يلتيمور حين « أكد لي بأنه ليس في مقدور أي شيء أن ينقذني غير رحلة طويلة في البحر » . وقد عزيت تصرفاته الغريبة في ذلك الحين الى انغماره في تناول الشراب القوي . كان بو منقبض النفس حين غادر ريتشموند في ذلك الصيف متجهاً الى بلتيمور لانقاذ ما يستطيع انقاذه من آماله المحطمة . وقد استقبلته المسز كليم استقبالاً ودياً ، وكانت في ذلك الحين قد توصلت كما يبدو الى قرار بعدم ذهاب فيرجينيا للاقامة في بيت نيلسون بو ، كما اقتنعت بأن إدغار لن يكون في أمان اذا ما ترك بمفرده . وقد اخبرته بأنها على استعداد للذهاب معه هي وفرجينيا الى ريتشموند اذا ما تصالح مع وايت ووعد بأن يحسن التصرف لقاء عودته للعمل في « الماسينجر » . بادر ادغار الى اعادة الأمور الى مجراها مع وايت ، وفي العشرين من تشرين الأول كانت المسز كليم وفيرجينيا قد استقرتا مع بو في نزل في الجانب الجنوبي الشرقي من كابيتول سكوير وعلى مسافة قريبة من البيت الذي كان قد اقام به سابقاً في جادة التبغ .

لا نعرف بالضبط طبيعة الموقع الذي تسلمه ادغار في الماسينجر . فقد أخبر وايت أحد اصدقائه أن بو قد انهمك في الكتابة للمجلة ، غير أنه لم يسـمِّه محرراً . كان ادغار يفكر بأشياء أخرى ، ويرجح بأنه حل في بعض الفترات محل وايت في الاشراف الكامل على شؤون تحرير المجلة ، غير أننا نجهل متى تم ذلك وفيما اذا كان بتكليف رسمي . أسهم ادغار في عدد أيلول ١٨٣٥ بكافة المراجعات وبقصتين هما « انقطاع النفَس » و« الملك وباء الأول » ، إضافة إلى قصيدة بعنون « أبيات كتبت في ألبوم » . كان وايت بحاجة تامة لبو ، غير أن المالك لم يكن على استعداد أن يسمح له بالتحكم المطلق في

Twitter: @abdulllah1994

أمور المجلة ، وهو ما أراده بو ، والذي سوف يؤدي الى خلاف بينهما .

لم يصدر أي عدد من المجلة خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني ، غير أن إفتتاحية عدد أيلول قد تضمنت خبراً مفاده أن سيدا ذا مواهب أدبية لامعة يقوم الآن بمساعدة صاحب المجلة ، ووصفت بو بالذات بين مجموع الذين أسهموا في الكتابة للمجلة بأنه يمتلك « مسحة فريدة من الخيال المبدع والمرح والسخرية الرقيقة » . وقد تضمن ذلك العدد كذلك أول وآخر عمل درامي لبو بعنوان « مشاهد من دراما غير منشورة » وهي التي تعرف اليوم بعنوان « السياسي » . ويدور هذا العمل حول جريمة قتل شهيرة حدثت في كنتاكي قبل عشر سنوات ، غير أن بو قد حولها الى مأساة تاريخية بالشعر المرسل مما أساء للعمل اساءة كبيرة .

كان وايت شديد السرور بمواهب ومواظبة مساعده . وكان بو متحمساً للاقامة في ريتشموند بشكل دائم. غير انه على الرغم من ان الراتب الذي تقاضاه من «الماسينجر» كان اكثر مما اعتاد عليه، فهو لم يكن كافياً لإعالته والمسز كليم وفرجينيا. يمكن تخيل ادغار وهو يتناقش مع عمته حول سبل الحصول على المال ، ويتطلعان الى حياة افضل من تلك التي عاشا فيها لسنوات طويلة . وقد خطر ببالهما أخيراً أنه بدلاً من اقامتهما في نزل ، فلماذا لا يقومان هما بإدارة نزل خاص بهما ، أو أن تقوم المسز كليم بإدارة النزل بينما يتفرغ بو لبناء سمعته الأدبية . سوف يحتاج مثل هذا المشروع الى رأس مال بالطبع . وفي الثاني عشر من كانون الثاني ١٨٣٦ ، كتب ادغار الى أحد أقاربه ، جورج بو الأصغر (وهو ابن جورج بو الذي سعى والد ادغار للحصول على مساعدته)وكان يعمل محاسباً في أحد مصارف موبايل في ألاباما :

Twitter: @abdulllah1994

سيدي العزيز ،

أغتنم هذه الفرصة كي اكتب اليك بالنيابة عن قريبة مشتركة لنا هي المسز كليم التي كانت تقيم في بلتيمور ، وبرجاء حار منها . لا بد أنك على علم بأنها قد عانت منذ سنوات طويلة من المصاعب والحرمان الذي يفوق الوصف . وأعرف أنك كنت قد قدمت لها بعض العون في وقت سابق ، كما انها تسلمت بعض العون بين حين وآخر من قريبيها وليم وروبرت بو المقيمين في أوغستا . وكذلك فقد قمت أنا بقدر ما تسمح به امكانياتي المتواضعة . أما وقد أقمت مؤخراً في ريتشموند حيث تسلمت مهمة تحرير مجلة الماسينجر الأدبية ، وفي ضوء تحسن اوضاعي ، فقد أقدمت على توفير مأوى لعمتي . وها هي الآن مع ابنتها فيرجينيا هنا في ريتشموند حيث نقيم حالياً في نزل للمستر يارينغتون . يبلغ راتبي حالياً ثماني مئة دولار في السنة ، ويبلغ مقدار أجرة النزل الأسبوعية (لي وللمسز كليم وابنتها) تسعة دولارات . وقد حرصت على شرح حالتنا الراهنة لكي يكون في مقدورك تفهم الدافع الذي حدا بي الى التقدم بالرجاء الذي سأطرحه الآن ، والمتعلق بالمسز كليم .

لقد تم التوصل الى قناعة بأنه اذا ما تم الحصول على ما يكفي لأفتتاح نزل تديره المسز كليم نفسها في المدينة ، فسيوفر ذلك لها امكانية إعالة نفسها وابنتها على نحو مريح مع توفير مبلغ ما . غير أن مثل هذا الأمر انما يحتاج الى (رأس مال) صغير. فالكثيرات من أرامل اسلافنا يعملن في هذا المجال ، ويجدنه مريحاً . انني على استعداد للمساهمة من جهتي بمبلغ مئة دولار ، كما اعتقد بأن وليم وروبرت بو سوف يقدمان مئة دولار اخرى ، واذا ما قمت أنت بأقراضها مئة دولار اخرى ، فسيتم توفير المبلغ الكافي كبداية . وأتعهد أنا شخصياً بتسديد

Twitter: @abdulllah1994

هذا المبلغ لك خلال عام من هذا التاريخ ، اذا ما وجدت من المناسب أن تستجيب الى رجائها . إنني ارجوك يا سيدي أن تعير هذا الموضوع اهتمامك . انني أشعر بالألم العميق ازاء ما تعانيه المسز كليم ، وأنا واثق بأنك حريص على تخفيف معاناتها .

ملاحظة / أنا ابن ديفيد بو الأصغر ، شقيق المسز كليم . »

بلغ اهتمام جورج حداً دفعه الى ارسال شيك بمئة دولار ، كما فعل ذلك وليم وروبرت بو . بدت الأمور وكأنها تسير نحو الأفضل . وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني ، كتب ادغار الى كنيدي قائلاً : « لقد حاربت العدو برجولة . . وها أنذا الآن مرتاح وسعيد بكل معنى الكلمة » . وقد تحسنت صحة بو على نحو لم يشهده منذ سنوات عديدة ، وانهمك في العمل الدائب واختفت مصاعبه المالية ، وها هو الآن « يتطلع للنجاح » . وسواء كان بو والمسز كليم جادين في مشروع النزل أم لا ، فتلك مسألة قابلة للجدل ، غير أن ما هو مؤكد في هذا المجال ، هو أن هذا المشروع لم ير النور، كما تم تبذير كافة النقود التي توسل ادغار للحصول عليها .

أما في مجال عمله ، فقد أخذت افاق بو بالتوسع السريع ، وخاصة من خلال النقد الأدبي الذي باشر بتقديمه على صفحات « الماسينجر » ، بحيث ما لبث أن استأثر باهتمام العديد من الشخصيات الأدبية مثل جيمس كلارك وبولدينغ وناثانيان بيفرلي تكر . كان بولدينغ صديق وشريك واشنطون إيرمينيغ ، وأحد أهم أركان المؤسسة الأدبية في نيويورك ، وكان قد بنى سمعته الأدبية من خلال مثالاته السياسية الفكاهية ـ « أوراق سالاماغوندي » المناهضة لبريطانيا ، وكذلك من خلال السيرة التي كتبها في عام ١٨٣٥ عن جورج

Twitter: @abdulllah1994

واشنطون ، اضافة الى عدد من الكتب الأخرى وبعض القصائد التي اتسمت بالرشاقة ، رغم رداءة مستواها الشعري . وقد امتدت كراهيته للبريطانيين ، وهي كراهية ورثها عن والده الثوري ، الى الصعيد الأدبي حيث حرص على تشجيع المواهب الأميركية ، المحلية من أجل القضاء على هيمنة الوطن الأم . وقد وجد بولدينغ في بو كاتباً جديراً بالتشجيع كما اعجب بمجموعة « الفوليوكلاب » التي طالما رفضتها دور النشر حيث بادر بولدينغ الى تقديمها الى دار نشر « الأخوة هاربرز » في نيويورك . غير أن « الأخوة هاربرز » لم يظهروا الاستعداد لنشرها متذرعين بالقول أن فرص النجاح لرواية واحدة متكاملة اكبر بكثير من مجموعة حكايات متفرقة ، اضافة الى أن معظم تلك الحكايات قد نشرت في المجلات وبأنها تتسم « بالحذلقة والغموض » . وقد ارتأى بولدينغ أن يقوم بو « بتأليف حكاية بحجم مجلدين . . . حيث أن ذلك هو الحجم السحري » ، مشيراً الى أن الفرد الأميركي العادي غير قادر على ادراك السخرية التي تضمنتها مجموعة « الغوليو كلوب » .

غير أنه على الرغم من عدم تقدير « الأخوة هاربرز » لمجموعة « الفوليوكلاب » فقد كان لديهم ما يقولونه بشأن بو الناقد . فقد اعجبوا بأسلوبه « المتسم بالجرأة والحزم والحيوية » واعدين بارسال بعض كتبهم الجديرة بالملاحظة اليه . كذلك لفت بو الناقد انتباه بيفرلي تكر رغم أن هذا الأخير لم يكن يتحدث من موقع القوة التي تحدث بها بولدينغ. كان تكر فرجينيا من ويلمز بورغ وذا سمعة جيدة في الأوساط الجنوبية . وقد أعجب بأسلوب بو الجديد كل الجدة وقال في رسالة وجهها الى وايت « إن مثل هذا الأبداع قد كان في أمس الحاجة « لذلك الصولجان الأسود ، صولجان سيد الشعائر ـ النقد » لكي يحافظ على نظامه . وقد فرح بو باهتمام الشيخ وتبادل الرسائل معه حول الصواب

Twitter: @abdulllah1994

والخطأ في مجال النظم ، حيث لا بد من الأعتراف بأن بو لم يكن متمكناً فيه .

اعتمد بو تكنيكاً في النقد منطلقاً من افتراض تمتعه الشخصي بتفوق في الذوق وربما بالقدرة العقلية التي لا يتمتع بها البشر العاديون . وقد أدى به ذلك الافتراض الى أن يفوض نفسه حق شن هجوم لا هوادة فيه ضد أي عمل أدبي لا يرقى الى مستوى مبادئه ـ ولم تكن تلك المبادىء غير محاولات لتبرير جملة من الأهواء التي اعتمدها مرتكزاً لحملته . وبكلمات اخرى ، فقد ابتدأ بو بالنتيجة ثم باشر عمله بالرجوع الى الخلف بحثاً عما يدعم تلك النظرية وفق منظاره الفكري ، بدلاً من رؤ يتها على حقيقتها . بعض الهوى (حقاً كثيراً ما يكون هذا الهوى صحيحاً) او نظرية صغيرة مبنية على العاطفة والبديهة والغريزة أو أي شيء آخر . ولربما يعود ذلك الى أن ادغار بو «نصف المثقف» قد ادعى العلم والمعرفة . فبو لم يقنع مطلقاً بالاعتماد على قدراته الأدبية الطبيعية العالية ، بل أضاع وقتاً طويلاً وهو يحاول أن يشرح لنفسه وللعالم من حوله ودونما جدوى ، تلك الأسباب التي دفعته الى الكتابة . لقد شرح بو شرحاً وافياً تكنيك العودة الى الخلف في مقالته « فلسفة التأليف » التي نشرها في ١٨٣٢ ، غير ان ذلك الشرح قد اقتصر على مجال الأدب الروائي :

> يقول تشارلز ديكنز في رسالة موجزة ما زالت أمامي الآن ، مشيراً الى دراسة كنت قد قمت بها حول التقنية في « بارنابي رادج » ـ « بالمناسبة ، هل لاحظت بأن غودوين قد كتب « كاليب وليامز » بالرجوع الى الخلف ؟ فقد وضع بطله أولاً في أحبولة من المصاعب مؤلفاً بذلك الجزء الثاني ، ثم رجع الى الجزء الأول لأجل أن يحيط بطله

Twitter: @abdulllah1994

بنوع من التعليل لما حدث » . . لا أعتقد بأن غودوين قد اعتمد هذه الطريقة بالذات ـ بل إن ما يقوله هو نفسه لا يتفق تمام الاتفاق مع فكرة المستر ديكنز ـ غير أن مؤلف « كاليب وليامز » كان فناناً جيداً جداً بحيث لم يجهل الفوائد التي يمكن أن تجنى من عملية شبيهة بذلك على أقل تقدير . ليس هناك ما هو أوضح من أن عقدة جديرة بهذا الأسم لا بد وأن يتم ايصالها الى نقطة الحل قبل أن يمسك الكاتب بقلمه . اننا لا نستطيع منح العقدة ذلك الجو الضروري لتتابع الأحداث والمسببات الاّ اذا كان حل هذه العقدة واضحاً أمامنا ، حيث يتسنى لنا حينئذ أن نوجه الأحداث وأسلوب مختلف النقاط بشكل خاص ، نحو تحقيق الغاية .

هذه وجهة نظر ، رغم أننا لا نتفق جميعنا معها اليوم وخاصة اذا تعلق ذلك بكتابة الرواية . غير أننا نجدها بالتأكيد في مجال النقد ، حيث يصبح حل العقدة هو النتيجة التي يتوصل الناقد اليها ، والتي تنعكس بوضوح في اسلوب وسياق مقالته النقدية . لا بد من التذكر هنا أن مثل هذا التكنيك النقدي لم يكن معروفاً خارج صفحات كبرى المجلات البريطانية كمجلة « بلاكوود » و« كورترلي ريفيو » و« إدينبرغ ريفيو» . وبهذا يمكن القول أن ادغار إنما كان يكشف أرضاً جديدة في عالم الصحافة الأدبية الأميركية . ولعل الفارق بين دهاقنة المجلات البريطانية وإدغار بو هو أنهم كانوا يعملون بحذر ودقة ووفق قواعد ثقافية راسخة بينما لم يكن لدى ادغار غير نظرياته البدهية الغامضة . ومع ذلك ، فقد كان التأثير الذي أحدثه الفريقان متماثلاً ، وذلك لأنه اذا كان بو قد افتقد الخلفية الثقافية ، الاّ أنه كان كاتباً من الدرجة الأولى ،

Twitter: @abdulllah1994

وقد تجاوزت مهارته مجرد التعويض عما كان يعانيه من نقص في ثقافته الأكاديمية . بل إن مقالاته النقدية كانت ذات تأثير كبير بحيث أن مجلة « الماسينجر » ما لبثت ان أصبحت محط انظار اكبر المجلات الأدبية الشمالية ، وهو أمر سوف يقود الى المشاكل .

بدأ ذلك بصدور عدد أيلول ١٨٣٥ ، وذلك حين دبج بو نحو أربعة آلاف كلمة حول رواية بعنوان « نورمان ليسلي » نشرت مغفلة من الأسم رغم أن مؤلفها كان ثيودور سدغويك ، وهو محرر مساعد في مجلة « النيويورك ميرار » ـ التي اعتبرت في ذلك الحين أفضل مجلة أدبية اسبوعية . لم يكن ثمة ما هو مجهول بشأن هذه الرواية بالنسبة لمجلة « الميرار » ، حيث كانت قبل نحو أربعة أشهر من صدور الرواية ، قد خصصت عمودين في احدى صفحاتها بعنوان « رواية المستر فاي ـ نورمان ليسلي » ، تحدثت فيهما عن « مهارة المستر فاي في تصوير مشاعر الشفقة والرثاء وقابليته على مس شغاف القلب » . وقد أعادت زمرة « الميرار » الكرة بعد نحو شهر حيث نشرت مقطعاً كاملاً من الرواية مع ديباجة أشد زخماً يقولها : « إن المقطع الأخير الذي اقتبسناه من رواية المستر فاي قد انتشر على نطاق واسع ، وأطرى زملاؤ نا الصحفيون عليه اطراءً جماً ، وقد تم اقناعنا بتقديم مجموعة مختارة اخرى من المقاطع الواردة في تلك المجلدات الجميلة حيث سنقوم بنشرها بين حين وآخر الى أن يتم صدور الرواية » . هذا ما كان يجري : تقوم المجلة التي تساند كاتباً معيناً بالنفخ بعمله ، ثم توغر لبعض المجلات الأخرى بترديد ما تكتبه هي . وقد جرت العادة بأن تعود المجلة الأولى باعادة نشر تعليقات المديح التي دبجته تابعاتها (تعتقد تلك المجلات الصغيرة بأن قيام مجلة كبيرة بمديح عمل ما إنما يدل على أهمية ذلك العمل) . وإذ يتم صدور العمل المذكور تكون

Twitter: @abdulllah1994

عملية الدعاية قد أخذت كل ابعادها من اقتباس ومديح بحيث يصبح أمر نجاحه محتماً . في آب ١٨٣٥ ، نشرت « الميرار » مقطعاً ثالثاً من « نورمان ليسلي » ، ثم اقتبست مقاطع أخرى في أيلول ، ومقطعاً آخر في تشرين الأول . وحين أصدر « الأخوة هاربرز » الكتاب في تشرين الثاني ، أنبرت مجلة أخرى مرتبطة بعصابة نيويورك هي مجلة « النيكربوكر » لمراجعته قائلة : « بغض النظر عن بعض الأخطاء الواردة سهواً ، فإن عمل المستر فاي قد وصف من قبل النقاد الذين قرأوه بأمعان بأنه (وتلك متعة حرمنا من المشاركة فيها بسبب غيابنا عن المدينة) يتضمن مشاهد ذات قوة فائقة ، وكثيراً ما يتصف بسلاسة الأسلوب الهادىء وصفاء الكلمات . ويمكن اعتبار ذلك بمثابة دليل قاطع على القوة التي تتمتع بها الرواية ، وما أثارته من اهتمام بحيث أنه قد نَفِذَت كافة نسخ الطبعة الأولى بعد أسبوعين فقط من صدوره » .

ذلك هو النفخ في أسوأ صوره ـ مع العلم أن كاتب هذه الديباجية لم يكن قد قرأ الرواية ! وها هو الفارس بو يجد أمامه قلاعاً فاسدة لا بد من محاصرتها . وها هو يتلقى الأشارة من جنرالات الأدب في لندن وإدنبرة ، ثم يطلق قذيفته المدمرة :

حسناً ـ ها هو بين أيدينا ! ذلك هو « الكتاب » ، الكتاب الذي لا ينازع ـ الكتاب المنفوخ ، الملمع ، المعكوس ، في المرآة ، الكتاب الذي يعزى الى المستر لا أحد ، ويقال بأنه نتاج قلم المستر « علامة النجمة » ، الكتاب الذي كان « على وشك الظهور » ـ « تحت الطبع » ـ « قيد الأنجاز » ـ « تحت التحضير » ـ « قادم » : الكتاب « النابض بالحياة » ـ « المنتظر » ـ « موهبة » لا جدال فيها ، والله يعلم ما الذي نحن بأنتظاره ـ بحق كل ما هو

Twitter: @abdulllah1994

منفوخ ، والقابل للنفخ ، فلنختلس النظر الى محتوياته !
نورمان ليسلي ، أيها القارىء العزيز ، هي حكاية عن « الزمن الراهن » ، ولم يكتبها أحد في العالم الاّ تيودور س . فاي . وتيودور س . فاي ، هو لا أحد في العالم ، ولكنه « أحد محرري النيويورك ميرار » .

بعد أن شق بو طريقه بهذه المقدمة ، عمد الى تشديد الحصار على الرواية من كافة جوانبها . فحص عقدة الرواية بتفصيل واف ووصفها بأنها « قطعة رهيبة من التفاهة والتنافر » . أما شخصيات الرواية ، فقال بأنها « لا شخصية لها » ، والاسلوب « غير جدير بتلميذ مدرسة » . خلاصة القول : انها نتاج من الهراء نمت به اهانة ذوق الناس الطيبين في اميركا إهانة لم يسبق أن تعرض لها هذا الذوق على هذا النحو الخسيس الساخر من قبل .

صعقت مجلتا «الميرار» والنيكربوكر صعقة أسلمتهما لصمت مطبق ، بينما الفرحة لم تسع زملاء بو الجنوبيين ، وانتشرت التعليقات المؤيدة لما قاله على صفحات المجلات ، ومن بينها مجلة « لينشبورغ فيرجينيان » ومجلة « بيترسبورغ كونستليشن » . بل إن بعض المجلات الشمالية أثنت على بو أيضا ، وصاحت مجلة « النيويوركر » قائلة : « فليعش بو ألف سنة » ، بينما أتهمته مجلات أخرى بالحقد الشخصي على فاي أو « بالقسوة المفرطة » . أحس بو الزهو ازاء الشهرة التي احاطت به ، وطلب من وايت أن يوافق على إصدار ملحق خاص بعدد كانون الثاني ١٨٣٦ من مجلة « الماسينجر » يتضمن كافة التعليقات التي صدرت عن المحررين المختلفين ، حول مقالته . وبعد نحو شهرين ، أثنى « الأخوة هاربرز » على أسلوب بو النقدي ، ولربما كان ذلك انطلاقاً من اعتبار أية دعاية جيدة لمجرد أنها دعاية . ومن المؤكد

Twitter: @abdulllah1994

أن بو لم يلحق أي ضرر فعلي برواية « نورمان ليسلي » حيث ما لبثت أن صدرت بطبعتها الثانية ، كم تم تحويلها الى مسرحية ناجحة . غير أن هجوم بو على زمرة نيويورك ما لبث أن دفع الأخوة هاربرز الى رفض نشر حكاياته . وفي نيسان ، نشرت « النيويورك ميرار » تعليقاً جاء فيه : « إن من قرأ الملاحظات المنشورة حول الكتب الأميركية في احدى الشهريات الجنوبية الساعية للحصول على السمعة السيئة عن طريق ارتفاع صوت شتائمها ، سيجد تسلية في الرسوم المعنونة « الرواية الناجحة » في صفحة اخرى ، إن الماسينجر » تدرك الآن « بالتجربة » ما الذي يعنيه كتابة رواية فاشلة » .

كان ذلك التعليق تنويهاً واضحاً برفض « الأخوة هاربرز » ، رغم أن ما قدمه بو لهم هو مجموعة حكايات وليس رواية . ثم ما لبثت العصابة أن بادرت الى رص صفوفها ، حيث انبرت مجلة «النيويورك كوميرشال أدفايزر » الى اتهام بو « بالتخبطات الفاحشة » ، واضافت بنفاق أن واجب الناقد هو التصرف كحكم وليس كعدو للكاتب » ، ثم انضمت « الفيلاديلفيا غازيت » الى الجوقة ، مطلقة صفة « الشعوذة التامة » على أسلوب بو النقدي . اضطر بو للتحرك لتبرير موقفه في عدد نيسان من « الماسينجر » ، مثلاً :

كان هناك وقت كنا نئن فيه حقاً تحت وطأة الفكر الأجنبي ـ ولنقل أيضاً بأننا طالما قدمنا فروض الطاعة المهنية لمأثورات النقد البريطاني . وكانت فكرة وجود اي كتاب أميركي جدير بالقراءة تكاد تكون غير مقبولة على امتداد البلاد . واذا ما تم اقناعنا بقراءة بعض نتاجات كتابنا الوطنيين . فلم يكن ذلك الّا بعد وصول التأكيدات المتكررة من انجلترا بأن هذه النتاجات لا تستحق الازدراء

Twitter: @abdulllah1994

التام . لقد اختلفت حماقاتنا الحالية عما كان في السابق .
ها نحن الآن قد اصبحنا اكثر غروراً وصخباً في خضم
اعتزازنا بالحرية الأدبية التي حققناها بسرعة تفوق ما
يجب . ها نحن الآن بكل غرور وادعاء غير مبرر ، نتخلى
عن كل شكل من اشكال الأحترام للرأي الأجنبي ـ وننسى
في خضم ذلك التضخم الأهوج في غرورنا بأن العالم
بأسره هو المسرح الحقيقي للتاريخ المقدس ـ ها نحن نطلق
الصيحات حول ضرورة تشجيع كتابنا الموهوبين ،
ونتخيل بغباء بأننا قادرون على القيام بذلك من خلال
النفخ في الجيد والرديء والعادي ، دون أن نجشم انفسنا
عناء التفكير في أن ما نقوم به من تشجيع لبعض ما
نختاره ، انما يؤدي في تطبيقه العام الى نتائج معاكسة
تماماً . وبكلمة ، وبقدر ما أنا بعيد عن الشعور بالخجل
ازاء العديد من مظاهر الفشل التي هي نتيجة مغالاتنا في
الغرور ، وسوء فهمنا لمعنى الوطنية ، وبقدر ما أنا بعيد
عن الندب المسرف على حقيقة كون هذه المظاهر
الصبيانية اليومية هي نتاج وطني ، فأننا انما نلتزم اليوم
بعناد ، بتلك الفكرة الأولى التي أرتأيناها بغباء تام ، حيث
كثيراً ما نجد انفسنا متورطين في تناقض كبير وذلك من
خلال تفضيل كتاب تافه لمجرد أنه ، وبالتأكيد تفاهة
أميركية » .

هذا المقطع هو جزء من أفضل مقالة نقدية متوفرة كتبها بو « للماسينجر » ، وهي معنونة بـ « مراجعة دريك ـ هيليك » ، التي ما لبثت في حينها أن سعرت غضب نخبة نيويورك الأدبية بسبب تصديها

Twitter: @abdulllah1994

بالدرجة الأولى لاثنين من شعرائهم الشباب المفضلين : فيتزغرين هيليك وجوزيف رودمان دريك ـ وبسبب تصديها من جهة اخرى « لنظام النفخ » ، بل إن بعض الجنوبيين لم يتحملوا هذه المقالة ، وانطلقت الهجمات على بو من كارولينا الجنوبية وكارولينا الشمالية وبلتيمور وحتى من ريتشموند نفسها بسبب طريقته الفظة في المراجعة . دافع بو عن نفسه بحماس ، غير أنه بادر في ذات الوقت الى تقطيع أوصال رواية اخرى بعنوان « صروف حياة سيد مكروب التي صدف وأنها كانت من تأليف الكولونيل ل . ستون ، مسؤول تحرير مجلة « النيويورك كوميرشال أدفيرتايزر » .

عادت كل تلك المعارك بغاية الفائدة على مجلة « الماسينجر » ، بل إن مبيعاتها قد ارتفعت منذ أن باشر ادغار عمله فيها حتى غادرها من خمس مئة الى ثلاثة الاف وخمس مئة نسخة في الشهر ، كما ذاع صيتها في انحاء أميركا ، بحيث أن المجلات التي انتقدت طريقة ادغار قد اضطرت الى الاعتراف « بالماسينجر » كاحدى المجلات الأدبية الفضلى في البلاد ، واغدقت ثناءها على ما تميزت به ، « ضمن اشياء اخرى » ، من شكل وطباعة واخراج . غير أن وايت ، رغم سروره بالأرباح الكبيرة التي درتها عليه المجلة ، قد رأى أنها قد أخذت بالاتجاه نحو الاحتراف ، وذلك عكس ما رمى اليه . فقد اعتمدت المجلة في بداية أمرها على المساهمين من الهواة الناشئين ممن يكتبون الشعر العاطفي الصبياني والنثر الرنان المفعم بمشاعر الحنين وبأسماء مستعارة أو اسماء قلمية . لقد كانت ذات عالم صغير دافىء وحميم ، وكان آخر ما يتمناه اعضاء ذلك العالم هو التعرض لرياح الاحتراف الباردة القاسية . ثم كيف يمكن لمحاولاتهم الصغيرة هذه أن تجد لها فرصة النشر اذا ما تحولت « الماسينجر » الى مؤسسة قومية قادرة على

Twitter: @abdulllah1994

انتقاء مادتها من بين اكثر الكتاب شهرة في تلك الأيام ؟

تعاطف بو الى حد ما مع مشاعر مساهميه . وكان صبوراً ومؤدباً ورقيقاً مع الشاعرات وأبناء الطبقة الراقية . ولم يكن من قبيل المصادفة أن كافة القصائد التي اختارها بو للنشر خلال اشرافه على التحرير قد عالجت موضوع « موت الجمال » ، وهو موضوع مفضل لدى الجنوبيين بشكل عام ، ويتردد باستمرار في اعمال بو نفسه . فقد كان ادغار جنوبياً قبل كل شيء ، وقد تعاطف مع السادة المزارعين كما أشرت من قبل . من جهة ثانية ، فقد كان يسعى للنجاح كمحترف ، بل كان في أمس الحاجة لمثل هذا النجاح الذي بدا بأنه الوسيلة الوحيدة لضمان حياة مريحة من الناحية المادية . ولأجل احراز هذا النجاح ، فلا بد من التقاط أبرز الشخصيات الأدبية في البلاد ، والانهيال عليها بالضرب . كان يتمنى أن يكون جزءاً من النظام القديم ، غير أنه ما لبث أن ادرك بأن الأفول قد أخذ يجمع خيوطه حول أولئك الأرباب . كما أدرك أيضاً أن موت جون ألان دون أن يخلف له أي ميراث قد حرمه نهائياً من فرصة الانتماء لذلك العالم . يعبر بو عن ذلك الانفصام الذي أصاب مواقفه في تعليق كتبه حول خطاب ألقاه أحد السياسيين الجيفرسونيين ، لوسيان ماينر ، الذي كان يعمل محامياً في فيرجينيا :

> إن أقل الأصدقاء حماساً في صداقتهم للدولة ، لا بد وأن يدرك ـ اذا استطاع الادراك حقاً ـ أن مجد الدومنيون القديم آخذ في الأفول ـ بل هو في حالة النزع . لقد أصبح ذلك الأسم العظيم الآن في الشمال مجرد رمز للبلاهة ، بينما أصبح على امتداد الجنوب رمزاً لتلك الأشياء التي « كانت » . ومن السذاجة أن يتحسر المرء على ما فات دون أن يستعد لمواجهة الحاجات الحاضر والمستقبل .

Twitter: @abdulllah1994

الذكرى لن تساعدنا . ذكريات عزنا السابق لن تفيدنا . . .

والجدير بالذكر أن لوسيان ماينر كان صديقاً حميماً لتوماس وايت ، وكان وايت قد عرض عليه تسلم رئاسة تحرير « الماسينجر » قبل مجيء بو . غير أن كل ذلك لا يفسر تلك الأفكار غير المتجانسة مع بو . فرئيس التحرير بو (سواء كان ذلك بصفة رسمية أم لا) قد قرر أن يعلق علمه على صارية جديدة ، هي الطبقة الوسطى الصاعدة ، حيث رأى في نجاحه كمحترف فرصة للتوفيق بين مثله وحاجاته المادية . غير أن هذا الطريق ، سوف يقود بو ثانية الى الفشل كمحترف .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل العاشر

العروس الطفلة

« اعرف كل البشر بهذه الهبات . نحن إدغار أ . بو وتوماس و . كليلاند ، ملتزمان ومرتبطان إزاء ويندهام روبرتسون ، نائب حاكم والقائم بأعمال ولاية فيرجينيا ، بمبلغ محدد وكامل مقداره مئة وخمسون دولاراً تدفع كاملة للقائم بالأعمال المذكور لمنفعة الولاية المذكورة ، نلزم أنفسنا وكل واحد منا على حدة ، وورثتنا وورثة كل منا ، منفذين واداريين ، مجتمعين ومنفردين ، بهذه الهبات . ختم بأختامنا وأؤرخ في السادس عشر من أيار ١٨٣٦ . سبب هذا الألتزام هو أنه ، اذا كانت هناك نية بالقيام قريباً بعقد زواج مصدق بين المتعهد أعلاه ، إدغار أ . بو وفيرجينيا ي . كليم من مدينة ريتشموند . واذا لم يوجد أي سبب قانوني للحيلولة دون هذا الزواج ، فإن

Twitter: @abdulllah1994

التعهد أعلاه يصبح لاغياً ، والاّ فإنه يبقي ساري المفعول والنفاذ . »

هذه هي وثيقة الزواج التي سجلها ادغار لدى محكمة هستيتغز في ريتشموند . كان هناك بالطبع « سبب قانوني للحيلولة دون هذا الزواج » . فقد كانت فيرجينيا كليم أقل من الرابعة عشر من عمرها ، ومع ذلك ، فقد شهد توماس كليلاند شهادة زور بأن العروس المقبلة قد « بلغت تمام الحادية والعشرين » . وقد تم تصديق الزواج فعلاً في مساء السادس عشر من أيار في نزل المسز هارينغتون ، وعقد القداس كاهن يريسبيتيري هو الأب أمازا كونفيرس ، الذي تم اقناعه كما يبدو ، بأن يكم فمه ، أو أن فيرجينيا قد بدت فعلاً كامرأة ناضجة ، كما يمكن الأفتراض بأنها بدأت امرأة في الحادية والعشرين مع بعض التخلف النضجي . وسواء دار شيء في خلد الأفراد القليلين الذين حضروا حفل الزواج أم لا ، فقد اصطحب ادغار زوجته وانطلقا لقضاء شهر العسل في منزل هيرام هينز ، صاحب مجلة « الكونستليشن » في بيترسبورغ ، الواقع بين سلسلة من التلال على بعد عشرين ميلاً الى الجنوب من ريتشموند . في تلك الليلة ، فارقت فيرجينيا أمها لأول مرة في حياتها ، ولا يمكن التكهن فيما اذا كانت تلك الليلة ليلة زفاف حقيقية أم لا .

لا تتوفر أية معلومات عن علاقة ادغار الجنسية بفيرجينيا ، وإن يكن هذا الأمر قد خضع للعديد من الأقاويل والأشاعات ، حيث أشاع البعض فكرة إصابة بو بالانحراف الجنسي ـ مستخلصين كافة انواع النتائج الفرويدية من حقيقة أن ادغار كان ينادي عروسه بأسم « سيسي » ، بينما روج البعض فكرة اشمئزاز بو غير الطبيعي من العلاقات الجنسية بما فيها العلاقة الزوجية ، مستندين في ذلك الى

Twitter: @abdulllah1994

حقيقة أن فيرجينيا لم تنجب طفلاً أبداً . حقاً ، هناك شيء غريب في زواج شاب في السابعة والعشرين من عمره بفتاة في الثالثة عشرة ، غير أن استمرار تخوف ادغار من قيام فيرجينيا بالذهاب الى بيت نيلسون بو ، ومن ثمة فقدان امرأة اخرى من النساء اللواتي شغلن حياته ، ربما يكون هو الذي اضطر ادغار الى الالحاح على المسز كليم للموافقة على إتمام ذلك الزواج كحل وحيد لضمان استمرار تلك العلاقة . وكما تقول كلمات الأغنية : « البنات الصغيرات يكبرن في كل يوم » ، فقد كبرت فيرجينيا بالفعل واصبحت امرأة ، حيث يفترض بأن العلاقة بينها وبين ادغار قد تطورت هي الأخرى . لم تختلف حياة فيرجينيا كثيراً عن السابق خلال السنوات الأولى من زواجها ، فقد بقيت تعيش في ظل رعاية أمها ، وربما يكون زواجها بإدغار كان زواجاً شكلياً ـ رغم عدم وجود ما يبرر استمرار تلك الحالة ، أو القول مثلاً بأن الحب الجسدي لم يلعب الدور الذي يلعبه عادة في حالات الزواج الطبيعية لدى بلوغ فيرجينيا سن السابعة عشرة أو التاسعة عشرة .

لا توجد في كتابات بو المنشورة أية اضاءة لذلك الجانب الغامض من حياته . ففي قصة « إلينورا » التي تكاد تطابق في تفاصيلها تفاصيل علاقة ادغار بفيرجينيا ، يقول الراوي : « إنني انحدر من جنس تميز بقوة الخيال وعنف العاطفة » ، ثم يتحدث بعد ذلك عن رب الحب « إيروس » الذي اضرم « في اعماقنا نيران ارواح اسلافنا » بحيث « تدفقت كل تلك العواطف التي تميز بها جنسنا البشري لقرون طويلة » . ثم تستمر القصة :

حدث تغير في كافة الأشياء . فالأزهار الغريبة اللألاءة
ذات الشكل النجمي انبثقت فوق الأشجار التي لم تزهر

Twitter: @abdulllah1994

من قبل أبداً . أصبحت ظلال السجادة الخضراء داكنة ، وحين ذوت زهور الربيع البيضاء ، انطلقت لكي تحل محلها عشرات وعشرات من زنابق الأسفوديل عقيقية الحمرة ، واستيقظت الحياة في طرقاتنا . وجاء طائر البشروس طويل القامة الذي لم نره من قبل ! ونشر مع كافة الطيور المرحة المتلألئة ريشه القرمزي أمامنا ، وغزا السمك الذهبي والفضي النهر ، وانطلقت من اعماق صدره شيئاً فشيئاً همهمة تعالت قليلاً قليلاً الى نغم مهدهد أكثر قدسية من قيثارة عوليس ـ أجمل من كافة الأصوات إلا صوت إلينورا . ثم تهادت غيمة هائلة طالما كنا نرمقها وهي في أقاليم هيسبر ، محملة ببهاء القرمز والذهب ، وحطت بسلام فوقنا ، وانحدرت ، يوماً بعد يوم ، أعمق فأعمق ، الى أن لامست حافاتها قمم الجبال ، محيلة كل عتمتها الى لألاء ، وأسرتنا كما لو كان ذلك الى الأبد ، داخل سجن سحري من الشموخ والبهاء . »

في هذا العصر ، حيث أصبح الوعي بالأحاسيس الجنسية درجة أدت الى تغلغلها في كل مظهر من مظاهر الحياة ، فإن هذا المقطع السابق ، سوف يبدو للقارىء المعاصر وكأنه عمل خالص من الكتابة الجنسية . بل يمكن النظر اليه كوصف رمزي للعملية الجنسية ذاتها ، بكل ما ترمز له الأزهار النجمية المنبثقة في ارجاء المكان ، واستيقاظ الحياة في « طرقاتنا » ، والغيمة الذهبية القرمزية التي تحط فوق المكان . فالنظرة المعاصرة لبو ربما ترى فيه كاتباً عمد الى ترجمة مشاعره الجنسية شعراً في عصر لم يجرؤ فيه أحد على الكتابة عن

Twitter: @abdulllah1994

الحب الجسدي . كما يمكن القول أنه طالما أن القصة تدور حول فيرجينيا ، فمن المرجح أن مشاعر بو تجاهها كانت على ذلك النحو . غير أن هاجس البحث عن دلالاتنا الجنسية ، ذلك الهاجس الذي لقي التشجيع في علم النفس الفرويدي ، ربما يمنعنا عن التعرف على الرموز ذات الدلالات المختلفة . وكمثل على ذلك ، فإن زهرة الأسفوديل التي ذكرها بو هي نوع من الزنابق اقترنت عند الإغريق القدامى بفكرة الموت . فقد كانت زنابق الأسفوديل (وربما يكون أسم زهرة الدافوديل الحالي تحريفاً لأسم اسفوديل) توضع دائماً على القبور ، وكانت ارواح الموتى تقيم بعد مغادرة اجسادها كأشباح في حقول الأسفوديل . ثم هناك الغيمة القادمة من أقاليم هيسبر ـ وهيسبر هو النجم الذي اقترن بفكرة نهاية النهار . هكذا يتخذ المقطع السابق أبعاداً جديدة ، خاصة وأنه بعد فقرتين قصيرتين ، ما تلبث الينورا أن تكتشف بأن « إصبع الموت قد حط على صدرها . . وأنها ، شأن كل ما هو سريع الزوال ، انما صيغت على ذلك النحو من الجمال الكامل من أجل أن تموت » . فتلك التغيرات التي تطرأ على وادي الأعشاب متعددة الألوان ، إنما تجسد نذر الموت اكثر مما تجسد بهجة الحب الجنسي . ويتعزز هذا الإنطباع بإشارة بو في هذه القصة الى « شاعر اسلامي » ، وهو الشاعر حافظ الذي عاش في القرن الرابع عشر وتناولت قصائده الحب والجمال والطبيعة الزائلة لكل ما هو بشري .

إن هذه الحكاية التي طالما اعتبرت أكثر قصة « غرامية » في أدب القرن التاسع عشر الأميركي والتي يمكن من خلالها تتبع حب ادغار لفيرجينيا على نحو مباشر ، انما تضع رغم ذلك ، علامة سؤال على حقيقة علاقة بو الجسدية بعروسه . ليس هناك شك في حب بو العظيم لفيرجينيا ، غير أن كيفية حبه لها مسألة غامضة . إن ما أحس

Twitter: @abdulllah1994

به ، وهو مجرد إحساس يستند الى الصورة التي كونتها في مخيلتي لبو ، هو أن ذلك الزواج كان زواجاً شاذاً بعض الشيء ، ليس لمجرد أن فيرجينيا كانت صغيرة جداً ، وانما لأن ادغار يوضح في حكاياته مدى خضوعه لهاجس الفناء الجسدي ـ المرض والموت ، ولربما يكون ذلك قد أثار في نفسه بغضاً خاصاً للأتصال الجنسي ـ ولربما أدى به ذلك الأحساس الى حالة من العجز الجنسي الذي يصيب المرء عادة نتيجة عوامل نفسية . يضاف الى ذلك حقيقة أن اطباء القرن التاسع عشر قد سجلوا حالة فقدان الطاقة الجنسية كظاهرة عامة بين المصابين بمرض السكر الذين لم يخضعوا للعلاج . ولربما يشكل بالإضافة الى طبيعة حياته الجنسية . ويمكن تلخيص كل تلك الأحتمالات بالقول أنه على الرغم من حاجة بو المستمرة للنساء ـ وفيرجينيا على نحو خاص ـ وسعى دائماً نحو البقاء الى جانبهن ، فإن دافعه الى ذلك لم يكن دافعاً جنسياً بقدر ما وجد فيهن بديلات لأمه وشقيقة حياته وربات خياله الفقيدات .

على أية حال ، في أيار ١٨٣٦ ، كان بو رجلاً متزوجاً واصبحت مسؤوليته تجاه فيرجينيا والمسز كليم مسؤولية قانونية . غير أن بو ، كعادته ، قد أحال كل شيء الى فوضى . فبعد أن أستجدى ثلاثمئة دولار من اقاربه لأفتتاح نزل للمسز كليم ، صرف نحو مئتين منها على شراء أثاث لبيت كان توماس وايت قد اشتراه وأقترح أن يؤجره للمسز كليم وأن يقيم هو وعائلته فيه كنزلاء . هذا على الأقل هو ما قاله بو لجون ف . كنيدي في رسالة بعث بها اليه في حزيران طالباً استدانة مبلغ من المال ، وقال بأنه قد تبين له بأن البيت المذكور لا يسع عائلة واحدة ، ناهيك عن عائلتين . . .» وقد كانت الفكرة جيدة جداً بالنسبة لنا ، غير أنه من الصعب تخيل كيف كان

Twitter: @abdulllah1994

ممكناً تصور ذلك . . فإذا كان وايت قد اشترى البيت واقترح تأجيره للمسز كليم ، فمن غير المعقول أن يقوم بدفع أجرة للمستر كليم الأجرة له ، فلن يكون هناك فرق بين الأقامة فيه أو في نزل المسز وارينغتون » . تبدو هذه التعليلات وكأنها عذر لاستدانة المال . ولا ندري فيما اذا كان بو قد نجح في ذلك .

قام بو بمحاولة أخرى في ذلك الشهر للحصول على المال حيث طلب من أحد المحامين أن يقيم دعوى ضد حكومة الولايات المتحدة مطالباً بمبلغ أربعين ألف دولار كان جده « الجنرال » قد انفقها من أجل تزويد قواته بـالمؤن والملابس خـلال حرب الأستقلال . غير أنه ما لبث أن خسر القضية بسبب أن جدته ، زوجة « الجنرال » ، كانت قد توفيت قبل صدور القانون الذي أجاز مثل تلك التعويضات في تموز ١٨٣٦ .

ثمة متاعب أخرى غير مالية آخذة بالتجمع . فقد جلب بو الشهرة لمجلة « الماسينجر » على امتداد البلاد ، غير أنه كان اكثر سرعة في استقطاب الأعداء منه في استقطاب الأصدقاء . وبدأت المخاوف تساور وايت . لم تصدر المجلة في أيلول حيث أعلن بأن « الناشر والمحرر مريضان » (يبدو أن وضع بو كرئيس تحرير قد اتخذ صفة رسمية في ذلك الحين) . وقد اشار كل من وايت وبو في رسائل كتبت في ذلك الحين الى مرض كل منهما . غير أن وايت كان قد أخبر صديقه لوسيان ماينر بأنه قد استغنى عن بو ، الذي ـ كما ذكر بعد حين ـ قد عاد الى الشراب . مع ذلك ، فقد كان بو ما زال في مكتبه في تشرين الاول ، وكتب بعض المراجعات لذلك العدد والعدد الذي تلاه . وفي كانون الأول ، قام عمال الطباعة بإضراب عام ، كما شحت النقود على نحو خطير بعد صدور « منشور العملة »

Twitter: @abdulllah1994

الذي أصدره الرئيس أندرو جاكسون لمحاربة التضخم والذي نص على ضرورة دفع اثمان الأراضي المباعة بالذهب والفضة بدلاً من الأوراق النقدية . وقد أدى ذلك الى فقدان الثقة بالعملة الورقية والى تقليص الأرصدة . لم تصدر الماسينجر ، وقال وايت : « جميعنا بدون أي مال في ريتشموند » . لم يكن ذلك مصدر تذمره الوحيد ، حيث كان قد بدأ يخشى أن يفقد السيطرة على مجلته ، وكتب الى لوسيان ماينر قائلاً : « إنني مقيد به [بو] في ممارسة رأيي الخاص بشأن ما أسمح أو لا اسمح بنشره من مقالات . حقاً أنا لا أملك حصافته أو ثقافته ـ ولكنني أعتقد بأنني أستطيع التمييز بين العتلة والمنشار . ولكن ها هو الحال مع ذلك ـ ولنفترض بأنني حمار ، وأعتقد أن هذا هو رأيه في ، فقد قررت أن ألقي بثقلي وراء امكانياتي ـ وأسلم مركبي لرعاية أولئك الأصدقاء الذين وقفوا الى جانبي في أيامي الأولى إن لم يكن في ايامي الأشد حلكة . . . » .

لقد كانت « الماسينجر » « قارب وايت الصغير » التي سعى بو أن يجعل منها بارجة حربية . وهكذا ، « وعلى الرغم مما اكنه من تقدير رفيع لمواهب المستر بو ، فسأجد نفسي مضطراً الى توجيه إشعار له خلال اسبوع أو اكثر بأنني لا أرغب في بقائه رئيس تحرير لمجلتي الماسينجر » . رغم أن عدد الماسينجر التالي تضمن عدداً من المراجعات والقصائد لبو ، اضافة الى بداية قصة له ، الاّ أن ادغار توقف عن تحرير المجلة في الثالث من كانون الثاني ١٨٣٧ ، حيث « قرر أن يوجه اهتماماته الى مجال آخر » ، كما جاء في الكلمة الوداعية الصغيرة التي نشرتها « الماسينجر » . لم يأسف بو على ذلك ، وقال بعد حين أن وايت قد افتقد القدرة على تقدير جهود محرره ، كما افتقد الرغبة في مكافأته على نحو لائق . كان ذلك

Twitter: @abdulllah1994

حكماً قاسياً ، وربما غير عادل أيضاً ، خاصة وأن وايت واصل في اطراء بو اطراءً حاراً لفترة طويلة بعد ذلك .

كان بو قد حول انظاره شطر كوكبة ادباء نيويورك ، حيث كان قد شق طريقه كشهاب في سمائها من خلال مراجعاته على صفحات « الماسينجر » . وها قد حان الوقت لأجل أن يحاول تثبيت موقعه كنجم من نجوم تلك الكوكبة . غير أنه لم يكن هناك أسوأ من ذلك الوقت الذي اختاره لذلك . « فمنشور العملة » والتزاحم على المصارف لاسترداد الودائع في أواخر عام ١٨٣٦ لم يكن غير أول نذر المشاكل الأقتصادية التي ما لبثت أن واجهت الرئيس مارتين فان بورين الذي خلف جاكسون ، حيث سرعان ما غرقت البلاد في أسوأ ما عرفته حتى ذلك الحين من الكساد الأقتصادي . لم تكن المجلات الأدبية في ظل تلك الظروف على استعداد للمجازفة بأغداق مالها المعرض للخطر على متطفل جنوبي طالما تجرأ على هز معاقلها . وحين وصل بو الى تلك المدينة الكبيرة السابقة ، تصحبه المسز كليم وفيرجينيا ، لم يتم استقباله بالطبول والرايات . أخذ يرتاد « حي الصحافة » قرب برودواي بحثاً عمن يستطيع توفير عمل له من معارفه . غير أنه حين يكون الناس غير قادرين على توفير الخبز الاّ بشق النفس ، فهم غير مستعدين بالطبع أن يبذروا ما لديهم من مال على الأدب . وكان المحررون ، سواء تم الأيعاز لهم من قبل البعض ممن يضمرون العداء لبو أم لا ، معنيون بتثبيت مواقفهم اكثر من عنايتهم بتشجيع موهبة جديدة .

ها هي المسز كليم تتصدى للأنقاذ ، وكثيراً ما ستفعل ذلك في المستقبل . فقد استقرت العائلة الصغيرة في قرية غرينتش ، وهناك ، استطاعت المسز كليم أخيراً أن تحقق حلمها بافتتاح نزل خاص بها .

Twitter: @abdulllah1994

كان أول نزيل لديها ملائماً تمام الملائمة ، بائع كتب يدعى وليم غوانز ، حيث ما لبث أن فتن بذكاء ادغار واخلاقه الجنوبية وجمال فيرجينيا . وربما يكون غوانز هو الذي قدم ادغار الى رئيس تحرير « النيويورك ريفيو » حيث تمخض ذلك اللقاء عن اتفاق بأن يقدم ادغار مراجعة لكتاب جديد بعنوان « أحداث رحلة في مصر وبلاد العرب والأرض المقدسة » لمؤلف رحالة وآثاري يدعى لويد ستيفنز .

كانت الأوضاع العامة قد أخذت بالتدهور السريع وتوقفت البنوك عن اصدار الأوراق النقدية قبل أن يبدأ بو عمله ، حيث ما لبثت « النيويورك ريفيو » أن اضطرت الى التوقف عن الصدور مؤقتاً . (انجز بو مراجعته بعد ذلك ونشرت في عدد تشرين الأول ١٨٣٧ في المجلة المذكورة) . غير أن الأزمة الأقتصادية قد عادت بالفائدة على المسز كليم حيث اضطر العشرات من رجال الأعمال الى بيع منازلهم والإقامة كنزلاء . ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت المسز كليم الى منطقة أخرى في شارع كارمين لكي تدير فيه نزلاً اكبر من السابق ، وذلك بصحبة العائلة وغوانز وعدد اكثر من النزلاء ـ ولعلها من السخرية حقاً أن يتمتع بو بظروف جيدة نسبياً في وقت أصبح فيه معظم الناس في أشد حالات الضيق ، بل وفي افلاس تام . وقد استفاد بو من ظروفه الجديدة حيث كرس جل وقته للكتابة المتواصلة بعيداً عن الكحول ، كما شهد بذلك غوانز في وقت لاحق .

وكان بو قد عمل بنصيحة جيمس بولدينغ حيث باشر منذ وقت بكتابة رواية طويلة نشر منها فصلين في مجلة «الماسينجر » حيث ظهر الفصل الثاني في كانون الثاني وهو الوقت الذي غادر فيه «الماسينجر ». وفي ربيع ١٨٣٧ وافق «الأخوة هاربرز» على طبع

Twitter: @abdulllah1994

الرواية في كتاب ، وانهمك بو في اتمامها أو اضفاء لمساته الأخيرة عليها . لم يبلغ حجم الرواية ما يكفي لمجلدين كما اقترح بو لدينغ ، غير أنها بقيت على أية حال ، أطول قصة كتبها بو ـ وقد عرفت بعنوان «رواية أرثر غوردون بيم » ، غير أن بو وضع لها عنواناً ضرب رقماً قياسياً في طوله :

«رواية آرثر غوردون بيم من نانتوكيت ، مؤلفة من تفاصيل تمرد ومجزرة مروعة على ظهر الأمير يكان بريغ غرامبوس وهي في طريقها نحو البحار الجنوبية في شهر حزيران ١٨٢٧ ـ مع تقرير عن الاستيلاء ثانية على السفينة من قبل الناجين : تحطم سفينتهم ، ومعاناتهم اللاحقة ، من الجوع ، انقاذهم من قبل البريتيش شونر جين غاي ، الرحلة القصيرة للمركب الأخير في محيط القطب الجنوبي ، الاستيلاء عليه ، ثم مذبحة بحارته بين مجموعة من الجزر في خط العرض الجنوبي الثامن والأربعين ، إضافة الى المغامرات التي لا تصدق ، واكتشافات في المناطق الأبعد باتجاه الجنوب ، التي أدت اليها تلك الكارثة المحزنة » .

رغم ما تثيره تلك المقدمة من اهتمام وفزع ، إلّا أن الرواية ، وبكلمات غوانز نفسه ، قد شكلت أكثر كتابات بو فشلاً . لقد نجح بو في مجال الحكاية القصيرة نجاحاً فائقاً في التعامل مع أكثر الأحداث لا معقولية بحيث بدت وكأنها حقيقة ، واقعة ، غير أنه أخفق في تحقيق ذلك في «بيم » ، بسبب تورطه الواضح بحشد هائل من التفاصيل . لغة الرواية جميلة ، والوصف فيها فائق المهارة ، والذروة غير قابلة للنسيان ـ غير أن «بيم » قد افتقدت ذلك الاحساس البسيط بالخطر

Twitter: @abdulllah1994

الداهم ، ذلك الفزع المتنامي الذي يجعل من «اكتشاف م . س . في قنينة » إحدى آخر القصص التي يتمنى أمرؤ أن يقرأها وهو في فراشه في ليلة عاصفة . نشر «الأخوة هاربرز » رواية بيم في صيف ١٨٣٨ ، على أمل الكسب التجاري من هذا النوع من قصص المغامرات والاكتشافات الواقعية والخيالية الرائجة . فقد استخدم بو في روايته هذه جزءاً كبيراً من خطاب لجيريميا رينولدر طالب فيه الكونغرس بتخصيص مبلغ من المال لإرسال بعثة الى البحار الجنوبية ، كخلفية لقصته ، كما استخدم موضوعاً مماثلاً من كتاب بعنوان «قصة أربع رحلات الى البحار الجنوبية والمحيط الهادي » كانت قد نشرت في عام ١٨٣٢ لبنجامين موريل . تقبل بعض القراء «بيم » كقصة حقيقية ، وبيعت منها في لندن نسخ عديدة ، رغم أن إدغار لم ينل شيئاً من أرباحها لعدم وجود إتفاق حول حقوق النشر ـ غير أن الصحافة تجاهلتها . وإذا ما نشر شيء عنها ، فقد كان في غير صالح بو ، حيث وصفتها «الفيلاديلفيا جنتلمان ماغازين » بأنها «محاولة وقحة لخداع الجمهور » . أما بو نفسه ، فقد وصف روايته هذه في وقت لاحق بأنها «كتاب سخيف جداً » . وربما يكون عدم نجاح الرواية في الساحة الأدبية ، وليس عدم قناعته الشخصية بها ، هو الذي دفع بو الى التقليل من قيمتها على هذا النحو . لقد وجدت رواية «بيم » نصيراً واحداً في فرنسا هو بوديلير الذي وصفها بأنها «رواية مثيرة للاعجاب . . . واقعية تماماً وإنسانية تماماً » . غير أن بو كان في ذلك الحين قد مات .

غير أن «بيم » قد أتاحت الفرصة لشخص واحد على الأقل هو رئيس تحرير «الفيكر بوكر » ، لويس كلارك لكي يدير ظهره للرجل الذي طالما أساء اليه . ففي آب ١٨٣٣ ، كتب كلارك قائلاً :

«هناك قصص عديدة فظة في هذا الكتاب ، وقد رويت

Twitter: @abdulllah1994

بأسلوب مهلهل ضعيف لا تصادف فيه أية فضيلة من فضائل التأليف المعتادة الا بشق النفس ، أسلوب يفتقد كل تلك البساطة الروائية الروبنسون كروزية . إن هذا العمل جدير بالأهتمام رغم كل عيوبه ، وذلك لعدة أسباب ليس أقلها حقيقة قد حشي حشواً مسرفاً بحوادث الدم والمعارك المروعة . نحن لا نرغب أن نكون بدون أية كياسة بحيث نلقي أي ظل من الشك حول مصداقية المستر بيم ، خاصة وأنه يثوي الآن «تحت التراب » . غير أنه يتحتم علينا أن نشكك في مصداقية ذلك السيد الذي لا بد وأنه سيبادر للتأكيد ، بعد أن تمعن جيداً بهذا المجلد الذي أمامنا ، بأنه «يؤمن بصحة » تلك المغامرات «والنجاة » من على قيد شعرة التي أوردها . » .

إنه كلام أشبه بريح النحس التي لا تفيد أحداً كما يقال .

حين ظهر هذا التعليق ، كان بو قد سئم من أبواب نيويورك المغلقة في وجهه ، ولا شك أن فشل «بيم » قد أثقل عليه ، حيث بادر الى اصطحاب فيرجيينا والمسز كليم لكي يجرب حظه في ثاني أهم مركز للنشر في الولايات المتحدة ، في فيلاديلفيا .

كتب بو أثناء ذلك إحدى أحب وأبقى حكاياته ، «ليجيا » ، غير أنه لم ينشرها في فيلاديلفيا ، وإنما في بلتيمور وذلك على صفحات العدد الأول من مجلة جديدة أصدرها إثنان من أصدقائه البلتيموريين هما الدكتور ناثان بروكس والدكتور جوزيف سنودغراس ، باسم «الأميريكان ميوزيام أوف ليتريتشر أند آرتس » .

تدور القصة حول صدمة يصاب بها الراوي إثر موت زوجته

Twitter: @abdulllah1994

ليجيا ، مثال الجمال ، يتخذ من الليدي روانا زوجة ثانية له ويقيم معها في دير خرب « تتعلق الطحالب الخضراء على جدرانه » في منطقة نائية شديدة ترودليجيا الميتة عقل الراوي الى حد يدفعه الى كراهية زوجته الثانية . تصاب الليدي روانا بمرض ثم تموت بفعل سم قدم اليها من يد شبحية ـ يتوالى الرعب ، حيث تتقمص جثتها شخصية مرعبة أخرى ، ثم تأتي الذروة :

إندفعت نحو الجثة لأرى ـ لأرى بوضوح ـ ورماً فوق الشفتين . لحظة ، ثم انفرجتا عن خيط لألاء من الأسنان اللؤلؤية ـ ثمة بعض الوهج فوق الجبهة وفوق الخد والعنق . عم الهيكل كله دفء مرئي ، بل كان هناك بعض نبض في القلب . لقد عادت الحياة الى السيدة . . . انقضى الجزء الأكبر من الليل المخيف ، وها هي التي كانت ميتة تتحرك ثانية ـ بقوة تفوق السابق ، رغم كونها قوة منبعثة من انحلال أكثر انتزاعاً في يأسه . . . توردت في الوجه ألوان الحياة بطاقة غير معتادة . . واسترخت الأعضاء ـ ولولا أن الجفنين كانا ما زالا مطبقين معاً ، لولا أن شراشف الكفن وأربطته ما زالت تضفي على القوام سمة القبر ، لاعتقدت بأن روانا قد ألقت بعيداً بكل سلاسل الموت . لم أرتجف ـ لم أتحرك ـ ذلك أن حشداً من الأخيلة التي يتعذر النطق بها ، أخيلة متعلقة بالهواء والمكان على هيئة قوام ، وهي تتدافع بسرعة في مخيلتي ، قد شلتني ـ جمدتني حجراً ـ هل يمكن حقاً أن روانا الحية هي التي تواجهني ؟ هل يمكن أن تكون حقاً روانا ، ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين ، السيدة

Twitter: @abdulllah1994

روانا ترافينيون أوف تريمين ؟ وثبة واحدة ، ثم وصلت عند قدميها ! وإذ انكمشت بسبب لمستي ، فقد أخذت تتساقط من قمة رأسها قطع الكفن القبيح الذي لفت به ، وانهمرت في جو الغرفة المتدفق كتل هائلة من شعر طويل أشعث . كان أشد سواداً من أجنحة غراب منتصف الليل ! وببطء ، انفتحت عينا ذلك القوام الذي انتصف أمامي . «ها أنذا الآن ، على الأقل » ، زعقت عالياً ، هل يمكن أن أكون مخطئاً ـ ها هما العينان الواسعتان السوداوان الوحشيتان ـ عينا حبي الضائع ، عينا سيدتي . . . سيدتي ليجيا » .

لو لم يكتب إدغار بو أي شيء آخر غير هذه الحكاية ، لكان ذلك كافياً أن يضمن الخلود لأسمه . غير أن ذلك العقل الذي عج بكل تلك الرؤ ى الراعبة لا بد وأن يعيد الى أذهاننا نبوءة جون ألان بأن مواهب بو هي من ذلك النوع الذي لا يمكن أن يمنح الراحة لمن يمتلكها . كانت مواهب بو واضحة في «ليجيا » ، غير أنها لم تعد بأية راحة مادية على الثلاثي في فيلاديلفيا . ففي أيلول ١٨٣٨ ، كتب بو الى الدكتور بروكس رسالة شكر على مبلغ تسلمه منه لقاء نشر «ليجيا » ، وقيمته عشرة دولارات ـ كان ذلك أكبر مبلغ تسلمه إدغار من « الميوزيام » حيث نشر كذلك فيها بعض القطع الصغيرة المتناثرة . وقد اضطرت العائلة الى الانتقال الى بيت أصغر من البيت الذي أقامت فيه لدى وصولها فيلاديلفيا ، كما بدأ إدغار عملية البحث عن أي نوع من العمل الكتابي أو التحريري من شأنه أن يدر عليه مبلغاً منتظماً من المال . وقد وجد ذلك في عمل تافه وجد نفسه مضطراً الى قبوله في حالة يأسه . ففي نهاية ١٨٣٨ ، كان أحد المتخصصين بعلم البيولوجيا البحرية ،

Twitter: @abdulllah1994

واسمه توماس واط ، قد أصدر كتاباً مرجعياً ضخماً وبطبعة أنيقة مرتفعة التكاليف حول المحاريات . ونظراً لرفض ناشريه ، «الأخوة هاربرز» إصدار طبعة رخيصة من شأنها مجاراة مستوى الأسعار الرخيصة المقبولة جماهيرياً ، فقد عرض واط على إدغار أن يقوم بإعداد نسخة ثانية من الكتاب المذكوز لنشرها في فيلاديلفيا ، على أن يقوم بإجراء بعض التغيير في المادة بحيث لا يعطي الفرصة «للأخوة هاربرز» لمقاضاة واط بدعوى الاخلال باتفاق حقوق النشر . وقد اقترح واط على بو اعداد كتاب جديد يستخدم فيه مادة الكتاب الأول اضافة الى أية مشابهة أخرى يعثر عليها . وكان إدغار قد اهتم في فترة سابقة بالعلوم الطبيعية منذ أن تعرف على الدكتور رافينيل في جزيرة سوليفان إبان وجوده في الجيش ، ويبدو أنه شعر أن لديه من المعلومات حول ذلك الموضوع ما يؤهله للقيام بهذا العمل . ولعل الأهم من ذلك كله ، هو أنه كان بحاجة للمال .

ظهر كتاب «الكتاب الأول لعالم المحاريات» في أوائل ١٨٣٩ عن دار نشر «بارينغتون أن هاسويل» في كاليفورنيا ، باسم إدغار أ . بو . وقد تضمن الكتاب مقدمة مقتبسة من كتاب انجليزي بعنوان «مرجع خبير المحاريات» للكابتن توماس واط المطبوع في غلاسكو في عام ١٨٣٧ ثم رسوماً وإيضاحات حول الأصداف أخذت نصاً من كتاب براون ، ثم تصنيفاً عاماً تم نقله مباشرة من كتاب واط (وأشير الى مصدره هذا) وكذلك وصفاً للأصداف تمت إعادة كتابته عن كتاب واط ، وترجمات لأعمال عالم التشريح والحيوان الفرنسي الشهير جورج كوفيير ، وأخيراً جداول بمفردات ودليلاً أعده واط خصيصاً لهذه النسخة . نجح الكتاب نجاحاً هائلاً حيث نفذت نسخ الطبعة الأولى وأعيد طبعه ثانية . ويبدو أن بو قد تسلم أجراً متواضعاً . وربما يكون

Twitter: @abdulllah1994

إدغار قد سر لاقتران اسمه بكتاب ناجح ، غير أن سرعان ما نسي ذلك ، ثم اضطر الى تذكره ثانية حين وجهت اليه تهمة الانتحال .

أقام إدغار في تلك الأثناء عدة اتصالات مع صحفيي فيلاديلفيا ، وكان بينهم صحفي انجليزي يدعى وليم ايفانز بيرتون . كان بيرتون ممثلاً وله طموحات أدبية دفعته في تموز ١٨٣٧ الى إصدار مجلة بعنوان «الجنتلمان ماغازين » . نجحت مغامرة بيرتون رغم حالة الكساد العام ، وما إن جاء عام ١٨٣٩ حتى كانت المجلة قد تمكنت من إثبات وجودها معتمدة في توفير مادتها على سرقة أعمال المؤلفين الأنجليز من جهة ، وعلى المؤلفات والكتابات المحلية من أهة أخرى بما في ذلك كتابات صديقي إدغار ، ناثان بروكس من «الميورزيام » ولامبرت ويلمر ، المحرر السابق في «البلتيمور ساترداي فينريتر » الذي كان يقيم في فيلاديلفيا في ذلك الحين . وربما يكون ويلمر هو الذي قدم بو الى بيرتون . كان إدغار يكتب بصورة متواصلة دون أن يعود عليه ذلك بأي مال جدير بالذكر ، وفي ربيع ١٨٣٩ ، اقترح على بيرتون أن يشاركه في تحرير «الجنتلمان ماغازين » مشيراً الى أن نجاح الماسينجر إنما كان بفضله هو . كان بيرتون بحاجة لمن يساعده ، خاصة وأنه كان يفكر في ذات الوقت بافتتاح مسرح خاص به . وفي الحادي عشر من أيار أخبر بيرتون بو بأنه على استعداد لأن يعطيه عشرة دولارات في الأسبوع مقابل العمل لمدة ساعتين في اليوم الواحد باستثناء الحالات الطارئة ، وذلك حتى نهاية عام ١٨٣٩ حيث يمكنهما بعد ذلك تجديد الاتفاق بصيغة أو بأخرى . وقد تذرع بيرتون بأن المنافسة الحادة والارتفاع تكاليف الطباعة وصعوبات عديدة أخرى تحول دون قبوله باقتراح إدغار في الوقت الراهن . خاب ظن بو وقدم اقتراحاً آخر يبدو أنه أزعج بيرتون ، حيث كتب له في الثلاثين من أيار طالباً منه أن يحسم أمره وأن يكف عن

Twitter: @abdulllah1994

الرثاء على نفسه ، أما وقد انعدمت الفرص الأخرى ، فقد اضطر إدغار الى الالتحاق بالعمل المذكور غير مدرك أن مبلغ العشر دولارات قد تضمن أجور كل ما يمكن أن ينشره من قصص أو مقالات خاصة به على صفحات المجلة المذكورة . في حزيران ١٨٣٩ ، أعلن بيرتون أن بو سيصبح مساعداً له ، وفي تموز ظهر (أسم) بو في أعلى الصفحة الأولى من المجلة . هكذا عاد بو الى طاحونة الصحافة .

في آب من العام المذكور ، نشر ادغار في « الجنتلمان » إحدى أفضل قصصه الهزلية هي « الرجل المستنفذ » ، وهي قصة بارعة في سخريتها بالعبادة الجماهيرية لأبطال الحملات الهندية التي تمت وفق سياسة اعادة التوطين الحكومية . فالبطل ، أمير اللواء الفخري جون أ . ب . سميث « طوله ستة اقدام وله هيئة آسرة على نحو فريد » ما يلبث أن يتضح بأنه انسان اصطناعي حيث يفقد اطرافه وعدته الجسدية وهو يقود حملة « البوغابو والكيابو » . وفي أيلول ، ظهرت أفضل ، بل وأعظم ما تمت كتابته من قصص الرعب حتى الوقت الحاضر ، تلك هي قصة « سقوط منزل آل أشر » :

« في نهار كالح معتمٍ لا نأمة فيه من أيام الخريف ، وبينما الغيوم تتدلى على نحو خانق من السماء ، مررت فوق حصاني عبر طريق ريفي موحش . وجدت نفسي بعد قليل ، وفيما كانت ظلال السماء اخذة بالتجمع ، على مرمى البصر من منزل آل أشر الكئيب . لا أعرف كيف كان شكله ـ غير أنني اذا القيت نظرة خاطفة عليه ، تملك روحي إحساس بالكآبة لا يطاق . أقول لا يطاق ، لأن ذلك الاحساس لم يخففه أي مشاعر البهجة الجزئية بما هو شاعري ، هذه المشاعر التي يتقبل العقل بها في العادة

Twitter: @abdulllah1994

أشد مشاعر الوحشة والرعب قسوة . ألقيت نظرة على المشهد الذي أمامي ـ على المنزل ذاته ، على بساطة قسماته ، على جدرانه الجرداء وحدقات شبابيكه الجوفاء ـ على بعض أوراق البردي العفنة وجذوع الأشجار البيضاء الخربة ـ والغمة في روحي لا يضاهيها أي أحساس أرضي ، الاّ إحساس المعربد بالأفيون اذ يستفيق من حلمه ـ مرارة الانحدار في خضم الحياة اليومية ـ بشاعة سقوط الحجاب . كان ثمة إثلاج ، غوص ، وغثيان في القلب ـ جدب فكري لا خلاص منه ، وحيث ليس ثمة أي عذاب يستفـز الخيال نحو أي شيء عظيم » .

تشكل هذه الجمل الافتتاحية مثالاً رائعاً على ايجاز اسلوب بو . فكل كلمة انما هي لبنة في بنيان بيت الرعب الذي يحتبس في داخله عقل في حالة هلع قاتل ازاء الانحدار نحو الجنون . ففريدريك أشر هو الكابوس الذي يشكل رؤية ادغار لنفسه لحاضـره ومستقبله :

«بشرة شديدة الشحوب، عين كبيرة سائلة وبراقة فوق حدود الوصف ، شفتان رقيقتان شديدتا الأصفرار ، غير أن بهما تقوساً جميلاً مدهشاً . أنف ذو نمط « عبراني » دقيق ، غير أن به اتساعاً عند الثقبين غير معهود في ذلك النمط . ذقن أنيقة الشكل تنم في عدم بروزها عن حاجة للقوة المعنوية . الشعر أكثر نعومة ونحولاً من نسيج العنكبوت ـ ومع اتساع غير عادي عند الصدغين ، فغقد شكلت كل تلك القسمات وجهاً يتعذر أن ينسى بسهولة » .

لا يمكن أن يكون ذلك غير وصف دقيق لتقاطيع بو نفسه . كذلك يكمن خوف ادغار من ذاته في روديريك أشر :

Twitter: @abdulllah1994

« يجب أن أفنى في هذه الحماقة التي تستحق الرثاء .
هكذا ، هكذا ، وليس على أي نحو آخر ، سوف أنتهي .
إنني اخشى حوادث المستقبل ، ليس لذاتها ، وانما
لنتائجها . إنني أرتجف اذ أفكر بأشد الأحداث تفاهة وما
يمكن أن تفعله بقلق الروح الذي لا يطاق . إنني لا أحمل
حقاً أية بغضاء للخطر ، الاّ من حيث أثره النهائي - من
حيث الرعب . في هذه الحالة من فقدان الأعصاب ، التي
تدعو للرثاء ، أحس بأن الوقت سوف يجيء عاجلاً أم
آجلاً ، حين يتحتم عليّ أن أتخلى عن الحياة والتفكير
معاً ، في خضم صراع مع الشبح الضاري ، الخوف » .

بل إن الفضل يعزى لأشر في قيام بو بتأليف احدى أفضل قصائده « القصر المسكون بالأشباح » ، التي نشرها لأول مرة في مجلة « الميوزيام » في نيسان ١٨٣٩ ثم ضمنها في قصة « أشر » :

في أشد وديانا إخضراراً
حيث كانت تسكن الملائكة الطيبة
ثمة قصر بهي وجميل ، مضيء الجنبات
شمخ برأسه عالياً .

في حفرة الفكر السلطاني
إنتصبَ هناك
لم تفرش أية جنية جناحها
فوق نسيج في بعض هذا البهاء

فالقصر هو الجسد الأنساني الذي تعيش فيه الروح « آمرة المملكة » ، غير أن القصر سرعان ما ينهار . فما الذي يحل بساكنه :

Twitter: @abdulllah1994

غير أن شروراً في أثواب الحزن
قد رهمت قصر السلطان
(آه . . فلننتحب . . فالغد لن يطلع فوق ذلك الخراب)
والبهاء الذي تورد وآزدهر
في أرجاء ذلك المكان
ليس إلاّ قصة غائمة الذكرى
عن زمن قديم مقبور

فالمسافرون اليوم في ذلك الوادي
يرون عبر شبابيك حمراء الضوء
أشكالاً هائلة تروح وتغدو
على إيقاع لحن نشاز
ومثل نهر شجي دافق
يتدافع عبر باب شاحب اللون
الى ما لا نهاية
حشد مسرف في القبح
يطلق الضحكات ـ ولا يبتسم بعد الآن . . .

في القصة ، يعطي أشر القصيدة للراوي كي يقرأها ، « ومن خلال ذلك التدفق التحتي الغامض لمعانيها ، تخيلت انني أرى ولأول مرة ، بأن أشر قد أخذ يدرك بأن عقله السامي قد أخذ بالتهافت والتداعي فوق عرشها » .

هناك امرأة أيضاً . وهي ليست ابنة خالته أو عروسه في هذه المرة ، بل شقيقة أشر التوأم ، الليدي مادلين التي بمقدورها هي وحدها أن تضمن استمرار بقائه . ومع ذلك ، فهي فريسة مرض قاتل ،

Twitter: @abdulllah1994

وفيما يراقب أشر تدهورها التدريجي ، يرى انسياب حياته أيضاً . تموت الليدي مادلين وتدفن ، غير أنها تعود من القبر تطالب بأخيها :

. . . كأن قوة سحرية قد كمنت في نبراته المفعمة بطاقة تفوق طاقة البشر . حيث ما لبثت الأبواب الهائلة ذات الطراز القديم التي أشار إليها المتكلم أن فتحت الى الخلف قليلاً فكيها الثقيلين الابنوسيين . كان ذلك بفعل هبة ريح دافقة . غير أنه خلف تلك الأبواب ، انتصب قوام الليدي مادلين أشر ، شامخاً ملتفاً بالأكفان . الدم على ثيابها البيضاء ، وعلامات صراع مرير على كل جزء من اجزاء هيكلها الهزيل . ارتجفت للحظة ، ثم اندفعت جيئة وذهاباً فوق العتبة ـ وبصرخة معولة خفيتة ، اندفعت الى الداخل ، وألقت بثقلها على جسد أخيها ، وفي غمار عنف نزعها الأخير ، ألقته أرضاً جثة هامدة ، ضحية الهلع الذي طالما توقعه .

لقد بينت في السابق خطر الربط المسرف بين عمل الفنان وتفاصيل حياته الشخصية ، غير أن هناك قصصاً معينة من قصص بو ، وقصة أشر بالذات ، لا يمكن فيها تفادي ذلك الربط . ولعل السؤال الوحيد الذي يبقى لنا أن نسأله هنا ، هو فيما اذا كان ذلك التطابق قد تم بفعل عمل متعمد أم بطريقة لا شعورية . لقد أعلن بو دائماً أنه يكتب بهدف « التأثير » ، وربما يعني هذا ضرورة عدم أخذ حكاياته بجدية تامة . غير أنه نظراً لأعتماد بو في قصص المغامرات والحكايات البوليسية على وقائع حقيقية ، فهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن صرخات روحه المعذبة اليائسة إنما انطلقت من تلك الأحلام والكوابيس الراعبة التي دهمته وأقلقت عقله وأخلت بتوازنه . ولعل نوعية العذاب

Twitter: @abdulllah1994

الداخلي هي التي تميز القصص والقصائد العظيمة عن غيرها ، أي تلك التي لا تعدو أن تكون مجرد تجارب في افتعال التأثيرات رغم ما تتمتع به من مهارة . وقد لخص د . هـ . لورانس ذلك في مقالة كتبها حول بو في عام ١٩٢٣ حيث قال : « لقد عني بو بعمليات انحلاله الروحي . . . وقد قضي عليه بأن يخمد روحه المضطربة عبر سلسلة من التشنجات الانحلالية ، كما قضي عليه بأن يسجل العملية » .

لم ير بو مثل هذا الرأي ، وذلك في تصريحاته العامة على الأقل . فقد كان يكتب من أجل الحصول على المال . ويبدو أنه قد اعتقد بأنه قادر على بناء وتنظيم حكاياته وقصائده على نحو يضمن له تحقيق الأثر المحدد الذي يرغب في تحقيقه . فهو يصر على هذا الموقف في مقالته « فلسفة التأليف » التي هي خلاصة محاضرات كان قد ألقاها في أواخر حياته . ها هو يتحدث بالتفصيل عن طول القطعة الأدبية :

> « اذا كان أي عمل أدبي طويلاً بحيث تتعذر مطالعته خلال جلسة واحدة ، فلا بد لنا من التخلي عن ذلك الأثر المهم الناجم عن وحدة الأنطباع . ذلك أنه اذا دعت الحاجة إتمام المطالعة خلال جلستين ، فإن شؤون العالم سوف تتدخل محطمة كل تلك الشمولية على الفور . . .
> يبدو واضحاً لذلك ، أن هناك حدوداً واضحة بالنسبة لطول كافة الفنون الأدبية . . . حدود جلسة واحدة . . . »

كان بو يتحدث هنا بشكل خاص عن الشعر ، حيث اعترف بأنه « في بعض انواع التأليف النثري « الذي لا يحتاج الى الوحدة) يمكن تجاوز هذه الحدود على نحو مفيد . . . » . غير أن بو قد طبق الحدود

Twitter: @abdulllah1994

الشعرية على النثر في كتاباته . فهو لم يكتب الاّ القصص القصيرة حقاً ، وبهذا تكون المقاييس التي اشار اليها في مقالته « فلسفة التأليف » قد انطبقت على قصصه وحكاياته وقصائده .

انتقل بو بعد ذلك ، الى الغرض المطلوب ، من العمل الأدبي :

« تتعلق فكرتي الثانية باختيار الأنطباع أو الأثر المطلوب تحقيقه . ويمكنني القول هنا ، بأنني على امتداد عملية التأليف ، اكون قد وضعت نصب عيني باستمرار أن يكون العمل جديراً بالتقدير على نطاق عالمي . . . »

واصل بو وصف عملية تأليفه لأشهر قصائدة ، « الغراب » ، قائلاً أن كل حركة قد درست بدقة بهدف احراز « ذلك الترابط بين الحدث والأسلوب الذي من شأنه أن يساعدني على تحقيق الأثر » .

هناك الكثير من الصدق في كلامه . فالأدباء ، كما قال بو ، لا يكتبون عادة بدافع « الجنون الجميل » ، وكما عبر توماس كارلايل عن ذلك لقوله : « إن العبقرية تعني تلك القدرة الفائقة على المعاناة ، قبل كل شيء » . غير أن ما أسقطه بو تماماً من اعتباره هو سبب الكتابة في المقام الأول . فهو قد خلط بين التكنيك والحافز ، ولم يكن لذلك الذي تحدث عنه أية علاقة بفلسفة التأليف ، وانما جاء متعلقاً بعملية التأليف الفعلية . لقد نسي بو بأن هناك في كل عمل فني مظاهر معينة من شخصية الفنان ، وهي مظاهر غير ناجمة عن فعل مقصود ، بل يمكن أن تكون خافية على الفنان نفسه . لقد أجاب بو على سؤال : « كيف » كتب أعماله ، غير أنه لم يجب على سؤال « لماذا » كتبها ؟ .

من المعروف أن طبيعة بو قد تميزت برهافة خاصة ، وقد أكد ذلك حيث يبدو ذلك واضحاً في رسائله . وكثيراً ما يكون الانسان المرهف الضعيف عرضة للخوف . والخوف هو القاسم المشترك بين

Twitter: @abdulllah1994

كافة قصص الرعب التي كتبها بو : الخوف من الجنون ، من الموت ، من الحب ، حيث كثيراً ما اقترن الحب بالموت في حكاياته وقصائده . ولعل لورانس قد اصاب حين قال : « إن أعظم قصص وقصائد بو (وذلك على النقيض من الحكايات التجارية التي كتبها للسوق) قد شكلت ، وسواء علم بذلك أم لم يعلم ، سجلاً حافلاً بالرعب والقلق الذي دهمه » .

ثمة مصائب ومشاكل عديدة قادمة مع نهاية عام ١٨٣٩ . ففي ذلك الخريف ، اضطر بو المسز كليم الى الانتقال الى بيت آخر على مقربة من فيرمونت بارك خارج فيلاديلفيا . لم يكن ذلك لأسباب مالية ، وانما بسبب المرض . فالعروس الطفلة ، فيرجينيا ، ابنة السبعة عشر عاماً ، قد أصبحت زوجة عليلة .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الحادي عشر

أحابيل القدر

ما ان شارف عام ١٨٣٩ على الأنتهاء ، حتى كان بو قد اقترب من ذروة مجده الأدبي (رغم استمرار سوء حالته المادية) . كان قد انجز في ذلك الحين جزءاًمن«أرثر غوردن بيم»وخمساً وعشرين قصة قصيرة نشرت جميعها في المجلات ، باستثناء واحدة لا قيمة لها هي « لماذا يلبس الفرنسي يده في أنشوطته » . وقد كانت على وشك الصدور في مجلدين بنحو مئتين واربعين صفحة لكل مجلد ، حيث وافقت دار نشر « لي أندبلانشارد » في فيلاديلفيا على « مجازفتنا » بنشر « حكايات الغروتيسك والأرابيسك » .

فرح بو بذلك دون شك ، غير أن فرحته ما لبثت أن تضاءلت حين علم بأن كل ما سيجنيه من ذلك لا يعدو أن يكون بضع نسخ لأهدائها الى اصدقائه . وقد قررت دار النشر طبع أقل من الفي نسخة . . و« اذا ما تم بيع هذه الكمية ، فإن ذلك لن يحقق الاّ ربحاً

Twitter: @abdulllah1994

ضئيلاً هو من حقنا » . ويبدو أن بو كان قد لمح للناشرين بأنه لا يعير أهمية كبيرة للجانب المادي . لم تكن الدولارات العشرة التي كان يتقاضاها من بيرتون كافية على أية حال ، وفيما كانت الحكايات على وشك الصدور ، حاول الحصول على شروط أفضل مقابل منح الناشر من حقوق النشر . غير أن لي أندبلانشارد لم يكونا على استعداد لذلك ، حيث أجاباه في العشرين من تشرين الثاني :

« إدغار أ . بو ـ تسلمنا مذكرتك اليوم . إن حقوق النشر لا قيمة لها بالنسبة لنا . حين تعهدنا بنشر كتابك ، فقد كان ذلك لمجرد ارضائك ، وليس طمعاً في أية فائدة ، وقد وافقت أنت على ذلك الأساس . ولا يمكنك الطلب إلينا الآن ، أو أن تتوقع منا شراء حقوق النشر في الوقت الذي لا نتوقع فيه أن نسترد رأسمالنا الذي صرفناه على المجلدين . لو كان عرض الطبع أمامنا الآن . لرفضناه بالتأكيد ، وسنكون شاكرين لو استطعت أن تجد من هو على استعداد لتخليصنا من هذا المطبوع بسعر الكلفة ، بل وببعض التخفيض » .

وبهذه المناسبة ، تجدر الأشارة إلى أن تخوفات « لي أند بلانشارد» ، كانت في مكانها ، حيث لم يبع من « الحكايات » الّا القليل جداً بعد صدورها في شهر كانـون الأول ، وذلك ، رغم بعض التعليقات الأيجابية التي ظهرت في الصحف ، ومنها تعليق « النيويورك ميرار » .

لو لم يكتب المستر بو الّا « موريلا » و « وليم ويلسون » و« بيت أشر » و« اكتشاف م . س . في قنينة » ، لاستحق أن يحتل مكاناً بارزاً

Twitter: @abdulllah1994

بين الأدباء من ذوي الخيال الخصب . فهناك في كل هذه الأعمال احساس شعري رائع وخصوبة في الخيال وذوق رفيع وعين دائمة الاستعداد لالتقاط الصور ، وسرعة في الملاحظة ، وصدق في المشاعر والشخصيات . ومع ذلك ، فليس في المجلدين برمتهما أية قصة لا تتمتع بالطاقة الفكرية العظيمة والقدرة على الوصف الدافق ووفرة الخيال وخصوبة الابداع واناقة اللغة . وهي فضائل نادراً ما يتمتع بها كتاب تمتعوا بالشهرة الفائقة في أدب الجمهورية .

لم يكن الاطراء وحده هو الذي يريده بو في ذلك الحين . فقد كان مطالباً بدفع أجرة بيت وشراء الطعام . وكلما مرت الأيام كلما تزايدت مشقة بو في تدبير أموره في حدود ذلك المبلغ الصغير الذي يدفعه بيرتون له . واذ أدرك أن عمله في « الجنتلمان » لن يدر عليه مالاً اضافياً ، فقد أخذت مشاعر القلق بالتحول في صدره الى كراهية لبيرتون ، حيث ما لبث أن عمد الى التشكيك بنزاهته وخلقه . فحين أعلن بيرتون مثلاً عن جوائز للمساهمين على صفحات مجلته ، أخذ بو يروج بأن بيرتون لا ينوي دفع تلك الجوائز ، وكتب في رسالة الى صديقه الدكتور سنودغراس في كانون الأول ١٨٣٩ قائلاً : « مثيرة قصة الجوائز هذه ، المستر بيرتون هو الذي حرر الاعلان المتعلق بها ، وهو غير واضح كما يجب ، حسبما أعتقد . لا أستطيع أن أعطيك أية معلومات حول ما هو المقصود منها غير ما هو وارد في الأعلان . الحقيقة هي أنني أعترض كلية على المشروع برمته ـ ولكنني اتبعت خطى المستر ب في مثل هذه الأمور التي تتعلق بالعمل » . يبدو أن سنودغراس قد اشترك في مسابقة بيرتون وساوره القلق ازاء مصيره . في حزيران ١٨٤٠ ، أصبح بو اكثر وضوحاً في كلامه : « مقالتك مؤثرة . إن بيرتون لا يكذب فقط ، وانما يكذب عن عمد واصرار . حين رأيته

Twitter: @abdulllah1994

في المرة قبل الأخيرة ، لفت انتباهه الى مخطوطتك وكانت قد وضعت فوق كومة من المخطوطات المقدمة للمسابقة في درج المكتب . وحين كنت في المكتب آخر مرة ، رأيت المقالة في نفس موضعها ، وانا واثق انها ما زالت كذلك . أنت تعرف بأن المخطوطة متميزة الشكل ولا يمكن أن أخطىء فيها . حين قال لك بأنها ليست في حوزته ، فقد كان هدفه الوحيد هو ازعاجك وازعاجي من خلالك . لو كنت مكانك لاتخذت اجراء عاجلاً ضد هذا الوغد الذي يستحق وسوف يتلقى الفضيحة على مجمل تصرفه الشائن بشأن المسابقة برمتها . إنني مقتنع تمام الأقتناع بأنه لم يكن في نيته منذ البداية أن يدفع دولاراً واحداً . وبالفعل ، فإن ما أسره الي شخصياً بصراحة وعلى نحو مباشر بشأن ذلك ، كان السبب المباشر الذي دفعني الى قطع صلتي به بشكل مفاجىء وعلى النحو الذي فعلت . لو كان بمقدورك على أية حال أن تأتي الى فيلاديلفيا ، فأعتقد أن بمستطاعي أن ادلك على الطريق للكشف عن ذلك الوغد متلبساً بنذالته . سأصطحبك الى المكتب ، ونفتح الدرج وهو حاضر ، ثم نأخذ المخطوطة من تحت أنفه . سيكون هذا عملاً جيداً كما اعتقد ، وسيكون بمثابة تحذير لمثل هؤلاء الأدباء المحتالين في المستقبل » .

كان بو قد غادر «الجنتلمان » حين كتب هذه الرسالة . وقد نشر بيرتون خبراً مفاده أن بو كان كثير الشراب ، وأنه تخلف عن تحضير مواد المجلة بحيث أن بيرتون قد اضطر الى قضاء الليل بطوله وهو يعمل في المكتب من أجل تأمين صدور العدد في موعده المحدد ، ثم قام بطرد بو . أنكر بو هذه التهمة في رسالة وجهها الى سنودغراس بعد نحو عام : «فيما يتعلق ببيرتون ، فإنني أشعر بالامتنان لك لما عبرت عنه من اهتمام . ولكنني أكاد لا أعرف كيف

Twitter: @abdulllah1994

أجيب . فالوضع بالنسبة لي محرج . ومن المستحيل ، كما تقول أنت ، أن ترى مهرجاً ومجرماً كما يرى السيد سيداً آخر . فالقضاء إذن هو ملاذي الوحيد . والآن ، لو كان من الممكن إظهار حقيقة أية تشهير عن طريق الإثبات ـ أعني ما الذي يعتبره القانون تشهيراً ـ لكنت قد ضمنت كافة الأمور الى جانبي . من الممكن أن أقيم دعوى ضده بتهمة التشهير الشخصي ، وسيكون عاجزاً عن اثبات صحة ادعاءاته . يمكن لى إثبات عدم صحة أقواله الحاقدة بمساعدة شهود قادرين بحكم مشاهدتهم لي طيلة ساعات اليوم أن يدلوا بإفاداتهم لصالحي ـ وأعني بذلك كاتب بيرتون ، موريل ، ومنضدي الحروف وعمال الطباعة . في الحقيقة ، يمكنني إثبات تلك النذالة بالاجماع . ومن حقي الحصول على تعويضات . غير أنني من جهة أخرى ، لا أستطيع التأكد مما كنت قد تفوهت به ضده . فكثيراً ما قلت له وجهاً لوجه وأمام الآخرين ، بأنني اعتبره وغداً ونذلاً . هذا مشين . وسوف يواجهني بدعوى مضادة . إن حقيقة الأدعاء ـ وأنا قادر على دحضه بسهولة بينما سيتعذر عليه إثبات حقيقة ادعائه ضدي ـ لذا لن تجديني . فالقضاء لن يبرر تسميتي لبيرتون بالنذل ، بالقول إنه نذل حقاً . ما الذي أستطيع أن أفعله إذن ؟ لو قاضيته لقاضاني . . ها أنت ترى حقيقة الوضع . . هذا كل ما يتعلق ببيرتون . ويتحتم علي الآن أن أشكرك على دفاعك عني ، كما روي لي . أنت طبيب ، وأعتقد بأن أي طبيب لن يجد صعوبة في اكتشاف سكير من النظرة الأولى . كذلك أنت أديب ضليع بالمعنويات . ولا يمكنك الاقتناع مطلقاً بأنني قادر على كتابة ما اكتبه كل يوم ، وعلى النحو الذي أكتب فيه ، لو كنت على ذلك النحو الذي يصر ذلك الوغد على اقناع الآخرين الذين لا يعرفونني ، به . خلاصة القول ، أؤكد

Twitter: @abdulllah1994

لك أمام الله ، وهي كلمة شرف من سيد ، بأنني منضبط في عدم تناول الكحول الى أقصى الحدود ـ وإنني منذ الساعة التي قابلت فيها ذلك الشخص الذي هو أسوأ مفترٍ ، الى حيث غادرت مكتبه بدافع قرفي الكبير من خداعه وغروره وجهله ووحشيته ، لم يلمس شفتي أي شيء أقوى من الماء . . » .

يتمتع الجزء الثاني من هذه الرسالة بأهمية خاصة حيث يلقي الضوء على مدى صحة ما انتشر من أقاويل حول إدمان إدغار على الكحول : «ربما يكون من واجب الصدق أن اطلعك على الأساس الذي بنى عليه بيرتون افتراءاته . لم أكن في أية فترة من فترات حياتي ذلك الرجل الذي يسمى مسرفاً في الشراب . لم أعتد أبداً عادة الثمل ، ولم أشرب أي نوع من الشراب القوي ، باستثناء فترة قصيرة هي تلك التي قضيتها في تحرير «الماسينجر» في ريتشموند . هناك استسلمت فعلاً ولأوقات طويلة لمغريات تلك العادة المنتشرة بفعل روح القصف والمجون الجنوبية . غير أن بنية جسدي الحساسة لم تستطع تحمل تلك الاستثارة التي كانت أقرب الى عادة يومية بالنسبة لزملائي . وخلاصة القول ، هي أنني قد أصبت في بعض الأحيان بثمل تام ، كما حدث في بعض الأحيان أن اضطررت بعد مثل تلك التجاوزات أن ألازم الفراش . لقد انقضت الآن أربعة أعوام منذ أن هجرت كافة أنواع الكحول ـ أربعة أعوام ، باستثناء انحراف وحيد حدث لي بعد مغادرتي بيرتون مباشرة ، حيث اضطررت الى اللجوء لتناول «السيدار» بين حين وحين في محاولة للتخلص من نوبة عصبية . »

لا أجد ما يدعو الى الشك في صدق بو وإخلاصه في كلامه هذا . فهو يعترف بتلك النوبات التي كانت تصيبه في ريتشموند ،

Twitter: @abdulllah1994

وهي تلك النوبات التي كان وايت قد أشار اليها في رسالته المؤرخة في أيلول ١٨٣٥ . ويبدو لي أن قول بو بشأن «ما أكتبه كل يوم ، وعلى النحو الذي أكتب» ، هو صحيح تمام الصحة . بل إن ناشر مجلة «الجنتلمان» س . و . اليكسندر ، قد استذكر بعد عشر سنوات ، تلك الفترة التي قضاها بو في المجلة ، ورغم تقبله لفكرة أن بو كان سكيراً ، إلا أنه قال بأن صدور المجلة لم يتعثر مطلقاً سواء بسبب من تقصير بو أو أي سبب آخر على امتداد الفترة التي قام بنشرها والتي شملت فترة عمل بو فيها . واستطرد اليكسندر قائلاً : «لقد كانت علة بو معروفة في أوساط فيلاديلفيا الأدبية» . غير أن قوله هذا غير صحيح . ألم يكن بيرتون نفسه هو الذي أشاع أن بو سكير ؟ ومن الغريب حقاً أن يكون ثمل بو سيئاً الى هذا الحد ، «وأن يكون المتضرر الوحيد من ذلك هو بو وحده ، وليس أولئك الذين كانوا يجنون فوائد موهبته الفذة» ، ومن كلمات اليكسندر نفسه . سوف نعثر على حقيقة المشادة التي وقعت بين بو وبيرتون في ذكريات اليكسندر أيضاً . فهو يقول : «كان بيرتون ، بصفته رئيس التحرير ، غائباً معظم الوقت ، بحيث أن معظم العمل قد ألقي على كاهل بو . . .» ولهذا ، فإن فترة عمل إدغار التي كان بيرتون قد حددها في البداية بساعتين في اليوم الواحد قد تجاوزت ذلك بكثير ـ بينما بقي راتب إدغار على حاله ـ عشرة دولارات في الأسبوع ـ ودون أي مقابل لكل ما كان ينشره من مقالات وقصص ومراجعات وقصائد خاصة به . وفوق كل ذلك ، فقد كانت «الجنتلمان» تعاني من مصاعب مادية بحيث أن بيرتون قد توقف عن الدفع لأي من المساهمين على صفحات مجلته ، وهو ما أشار اليه بو في رسالته الى سنودغراس في تشرين الثاني ١٨٣٩ . كان بيرتون في ذلك الوقت ،

Twitter: @abdulllah1994

قد كرس معظم وقته «للمسرح الوطني» في فيلاديلفيا، تاركاً أمر المجلة على كاهل بو، وهو أمر جرح كبرياء بو وأوغر صدره على بيرتون، بسبب أن الآخرين اعتبروه المسؤول عن حيل بيرتون وخداعه. وقد طفح الكيل في أواخر أيار حيث يبدو أن بيرتون قد اتهم إدغار بعدم تسديد دين مقداره مئة دولار. تصدى إدغار للدفاع عن كرامته قائلاً في رسالة بعث بها الى بيرتون: «سيدي.. أجد لدي الوقت في هذا الصباح (الأثنين) الأول من حزيران، لكي ألقي نظرة على رسالتك الفريدة التي وصلتني يوم السبت. لقد اتبعت طريقة «فيكتورية» وأجلت النظر في الأمر، وسوف تسمع الآن ما لدي من قول. أول شيء، هو أن محاولاتك للتنمر علي لا تثير في نفسي الا مشاعر الطرب. وحين تخاطبني مرة ثانية، فاحتفظ لنفسك بقدر من كرامة السيد. وإذا ما صدف وأن خطر ببالك أن بإمكانك أن تهينني دون عقاب، فجل ما يمكن أن أعتقده هو أنك حمار. أما وقد تم شرح هذه النقطة بوضوح، فلدي المجال الآن كي استطرد. فيما يتعلق بالبقية، فأنت تظلمني ظلماً فادحاً، وأنت تعرف ذلك، لقد اهتجت كالعادة ضدي بسبب إساءة من صنع مخيلتك، ذلك لأنني لم أسيء اليك ولم أحاول الأساءة اليك أبداً. لست قادراً طالما أناحي على إدراك سبب حنقك أو إدراك السبب الحقيقية لتذمرك مني. أنت إنسان ذو نزوات. وقد كونت لنفسك نتيجة لذلك عدداً من الأعداء، بل كثيراً ما أسيئت معاملتك من قبل أولئك الذين كنت تعتبرهم أصدقاء لك. دفعك ذلك الى الشك. كتبت أنت مرة في مجلتك نقداً حاداً حول كتاب لي ـ كتاب سخيف جداً هو «بيم». ولو كتبت أنا نقداً مماثلاً حول أحد كتبك، لاعتبرتني عدواً لك طيلة حياتك. وها أنت تتخيل بأنني أضمر في نفسي عداء

Twitter: @abdulllah1994

لك . كان ذلك أساس كل تصرفاتك منذ أن تم تعارفنا لأول مرة . وقد حال ذلك دون تآلفنا . إن رؤيتك العامة للطبيعة الانسانية صحية . غير أنك تجد نفسك في حيرة إذا ما اضطررت لابداء رأيك فيّ بدوافع عادية . كان نقدك صحيحاً ، ولذلك ، ورغم قسوته ، فإنه لم يولد في نفسي أي إحساس خاص سواء بالغضب أو الكراهية . غير أنني على يقين إذ أكتب هذه الكلمات بأنك لا تصدق ما أقول . وأنا ما زلت أعتقد بأنك على الرغم مما تسم به بعض تصرفاتك الشائنة من وضاعة متناهية ، وجل ذو نوازع شريفة عديدة ، والا لما حشمت نفسي عناء كتابة هذه الرسالة اليك . إنني لا أسمح لنفسي بالتفكير بأنك قادر على قول ما ذكرته أمس في رسالتك لو كنت هادىء الأعصاب . أنت بالتأكيد مخطىء في اعتقادك بأنني مدين لك بمئة دولار ، وسوف تصحح خطأك هذا حين تراجع حساباتك . فبعد التحاقي بالعمل معك مباشرة ، عرضت على مبلغاً من المال ، وقد قبلت أن آخذ عشرين دولاراً . في مناسبة ثانية ، ونتيجة طلب مني ، أرسلت لي رسالة مرفقة بثلاثين دولاراً . بعد أسبوعين من ذلك ، سددت لك عشرين دولاراً (حيث لم أتسلم مرتبي خلال تلك الفترة) . هكذا بقيت مديناً لك بمبلغ ثلاثين دولاراً . قمت بعد فترة وجيزة بطلب مبلغ آخر حيث سلمته اليّ في الحال وفي بيتك ، وكان ذلك ثلاثين دولاراً . بادرت أنت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية باستقطاع ثلاثة دولارات من راتبي الأسبوعي . وقد تألمت عميقاً بسبب تلك الأهانة ، غير أنني لم أستأ . أنت تقول بأن المبلغ الذي تم استقطاعه هو ثمانية دولارات . غير أنني أعتقد بأن المستر موريل قد أخطأ في ذلك ، حيث تشير فاتورتي الى نحو تسعة أو عشرة دولارات ـ وبهذا أكون مديناً لك بما مجموعه ستون دولاراً [؟] لن

Twitter: @abdulllah1994

أدفع لك أكثر من ذلك . تقول بأنك لا تستطيع أن تدفع بعد الآن خمسين دولاراً في الشهر مقابل صفحتين أو ثلاث صفحات من المخطوطات . ويمكن إظهار خطئك هنا بالرجوع الى المجلة . لقد كتبت خلال السنة التي قضيتها معك ما يلي : عدد تموز : ٥ صفحات ، آب : ٩ ، أيلول : ١٦ ، تشرين أول : ٤ ، تشرين ثاني : ٥ ، كانون أول : ١٢ ، كانون ثاني : ٩ ، شباط : ١٢ ، آذار : ١١ ، نيسان : ١٧ ، أيار : ١٤ +٥ (استنساخ مخطوطة المس مايكل) ، حزيران : ٩ +٣ (استنساخ مخطوطة تشاندلرز ، المجموع : ١٣٢ [ها هو يخطىء بو ثانية في الحساب] . وإذا قسمنا هذا العدد على ١٢ لكان الناتج ١١ صفحة في الشهر وليس ٢ أو ٣ . كل ذلك ، دون احتساب أعمال التلخيص والتجميع وغير ذلك ، فهو مقتصر اقتصاراً تاماً على أعمال التأليف . إحدى عشرة صفحة بأجر مقداره ثلاثة دولارات للصفحة الواحدة ، فيكون المجموع ٣٣ دولاراً ومن السعر المعتمد لدى كافة المجلات . إطرح ذلك من الخمسين دولاراً التي هي راتبي ، وسيكون الباقي ١٧ دولاراً في الشهر أو ٤ دولارات ٢٥ / ١٠٠ في الأسبوع ، وذلك مقابل خدمات قراءة المسودات والأشراف العام على مكتب الطباعة : قراءة وتعديل وتهيئة المخطوطات ، إضافة الى تجميع المقالات المختلفة كالمقالات الخاصة بالمائدة والرياضة وغير ذلك . كذلك لم أذكر شيئاً عن إسمي الموجود في أعلى الصفحة الأولى ، مادة صغيرة سوف تقول ـ ولكنه شيء كما تعلم . إن سنودين يدفع لمحرريه مبلغ دولارين في الأسبوع لأجل اسمائهم فقط . عموماً لست مستعداً للقول بأنك دفعت أكثر مما أستحق بكثير . أما أنني لم أبذل أربعة أضعاف الجهد الذي بذلته من أجل المجلة ، فذلك نتيجة خطأك أنت . كتبت في البداية

Twitter: @abdulllah1994

مقالات طويلة ، ولكنك ارتأيت عدم السماح بذلك . ولم أتقدم بأي اقتراح الا وبادرت الى رفضه فوراً . شعرت بالطبع بالخيبة ، وفقدت اهتمامي بالمجلة . يحيرني أمر وصفك لي بالأناني . إن كنت تعني بذلك استدانتي المال منك ـ فأنت تعلم بأنك أنت الذي عرضت علي ذلك ، كما تعلم أيضاً بأنني فقير . أريد مثلاً واحداً على أنانيتي . هل هي الأنانية التي دفعتني الى التصدي لبنجامين (الذي أحترمه والذي طالما ذكرني بالخير) لأنني وجدت من واجبي أن لا أتلقى المديح من أحد على حسابك ؟ ضع نفسك مكاني وسترى بأنك لن تتصرف على النحو الذي تصرفته أنا . فقد قمت أنت أولاً بفرض «استقطاع» على راتبي : ملمحاً بذلك الى نيتك في فسخ شراكتنا . ثم قمت بالتحدث عني من وراء ظهري بقلة احترام ـ وقد أصبح ذلك شيئاً مألوفاً ـ أمام أولئك الذين كنت تعتقد بأنهم أصدقاؤك ، والذين كان ينقلون الى كل ما كنت تقوله عني بدقة تامة ، وكل كلمة سيئة تفوهت بها عني بالطبع . وأخيراً ، عرضت مجلتك للبيع دون أن تذكر لي كلمة واحدة عن ذلك . لم أشعر بالغضب إزاء ما قمت به ، أيّ غضب كان . لو لم أكن واثقاً من نيتك في التخلص من مجلتك بهدف تكريس نفسك للمسرح ، لما حلمت بمحاولة اصدار مجلة خاصة بي ـ [بدت الفرصة سانحة للقيام بعمل خاص بي ـ] (وكنت على وشك ان احرم من العمل) ـ فاعتنقت الفكرة . أسألك الآن كرجل شريف ورجل عاقل ـ ما الخطأ في كل هذا ؟ هل قمت بشيء من شأنه ان يسيء اليك ؟ . . . لن اعترف بتهمة المئة دولار أبداً . وإذا ما أصررت على ذلك ، فهذا فراق بيني وبينك ، وسيكون بمقدور كل منا ان يتخذ اجراءه الخاص . وحتى ذلك الحين .

خادمك المطيع

إدغار أ . بو

Twitter: @abdulllah1994

كان موضوع إصدار مجلة خاصة به حلماً طالما راود مخيلة إدغار وحاول تحقيقه . وتدل آراء وايت ثم بيرتون التي يشير اليها بو في رسائله أنه لم يكن يؤمن بذلك النوع من الناس الذين يصدرون المجلات ، بل اعتبرهم جهلة مغرورين ومتوحشين ، وأزعجه كثيراً أن يضطر للعمل في خدمتهم . وكانت الطريق الواضحة الوحيدة أمامه هي الحصول على مبلغ من المال يستطيع به أن يصدر مجلته الخاصة . وقد بدت مغادرته لمجلة «الجنتلمان» وما أحاط بها من مشاكل بأنها الفرصة المثالية لتحقيق حلمه . في الثالث من حزيران ١٨٤٠ ، أي بعد نحو أسبوعين من انفصاله النهائي عن بيرتون ، نشر بو إعلاناً في مجلة «الفيلاديلفيا ساترداي كرونيكل» ، ضمنه رؤيته الخاصة لما يجب أن تكون عليه المجلة الأدبية :

Twitter: @abdulllah1994

اعلان تمهيدي
حول
ألبين ماغازين
مجلة أدبية شهرية
سيتم تحريرها وأصدارها في مدينة فيلاديلفيا
من قبل . إدغار أ . بو

الى الجمهور : منذ أن استقلت من ادارة « السوثيرن ليتراري ماسينجر » في بداية عامها الثالث ، فقد وضعت نصب عيني فكرة اصدار مجلة تتمتع ببعض الخصائص الرئيسية لتلك المجلة ، مع التخلي أو اجراء تعديلات كبيرة في خصائصها الأخرى . لقد حدث التأخير لجملة من الأسباب ، ولم أجد بأنني قادر على محاولة تنفيذ هذا المشروع الاّ الآن . أرجو العذر للتحدث مباشرة عن الماسينجر . فلم يكن لي فيها حق ملكية ، كما كانت اهدافي في كثير من المجالات مختلفة عن اهداف مالكها الجدير جداً بالأحترام ، ووجدت صعوبة في اضفاء تلك « الخصوصية » على صفحاتها ، التي أعتقد بأنها أساسية من أجل إنجاح مثل هذه المنشورات ، فلأجل الاحتفاظ بالأهمية الدائمة لهذه المجلات ، يبدو لي أن استمرار توفر الطابع المعين والهدف الواضح المحدد انما يشكلان مستلزمين أساسيين في غاية الأهمية . وإني لعلى ثقة بأن هذين المستلزمين لا يمكن أن يتوفرا الاّ في حالة خضوع التوجيه العام للمشروع لعقل واحد فقط . لقد علمتني التجربة ـ وكان من الممكن التوصل الى ذلك مسبقاً ـ أن فرحتي الوحيدة في تنفيذ طموحاتي الخاصة التي طالما راودتني ، والمضي قدماً بها ، إنما هي في إصدار مجلة خاصة بي .

Twitter: @abdulllah1994

ربما يكون من المسلم به بالنسبة لأولئك الذين يتذكرون أيام تلك الدورية الجنوبية الأولى ، أن أهم ما تميزت به في ذلك الحين هو تلك الحدة المسرفة في مجال نقد الكتب الجديدة . سوف تحتفظ « البين ماغازين » بخاصية القسوة هذه بالقدر الذي تسمح به أقصى درجات الوعي الهادىء والصارم في آن واحد ، أي بالعدالة . فلربما تكون السنوات التي انقضت منذ ذلك الحين ، قد روضت في الكاتب روح المشاكسة دون أن تنقص من صلابته . غير أن ما هو مؤكد ، هو أنها لم تعلمه حتى الآن القراءة من خلال ارادة الناشر ، كما لم تقنعه أبداً بأن مصالح الأدب لا تتفق ومصلحة الحقيقة . فالهدف الأول والرئيسي للمجلة القادمة هو أن تشتهر على مر الزمان بأنها المكان الذي يزدهر فيها الرأي الشريف غير الهياب بشأن كافة الموضوعات. وأن تكون أداة رائدة للدفاع المبدأي والعملي عن حقوق النقد المستقل ، مبينة في آن واحد الفائدة التي يمكن أن تجنى من مثل هذا النقد ، فالنقد الذي يعتمد على ذاته هو النقد الذي لا يخضع الاّ لتوجيهات قوانين الفن المجردة ، الذي يحلل ويناقش تطبيقاتها بعيداً عن كافة التحيزات الشخصية ، غير هياب الاّ أمام الحقيقة ، غير مستعد للتنازل عن أي رأي من أجل ممالأة مؤلف ما أو من أجل افتراضات مسبقة شائعة وبالية ، أو من أجل مجاراة تلك اللغة المنافقة الملتوية المغمورة ، لغة « الدوريات » ، أو لارضاء غرور تلك الزمر المنظمة الجاثمة كالكوابيس فوق صدر الأدب الاميركي ، التي تنتج وفق إيماءات كبار بائعي الكتب رأياً عاماً زائفاً بالجملة .

تلك هي الأهداف التي ليس ثمة ما يدعو الى الخجل منها . وهي فوق ذلك اهداف سوف تثير الأهتمام بجدتها . وإنني أعد بتحقيقها على أفضل وجه ، وبدقة متناهية . وانني اناشد بثقة كافة

Twitter: @abdulllah1994

الأصدقاء ، وخاصة أولئك الأصدقاء الجنوبيين الذين ساندوني اثناء عملي في الماسينجر حيث لم تتح لي الاّ فرصة ضئيلة لانجاز خططي الخاصة .

أما فيما يتعلق بالخصائص الأخرى لمجلة « البين ماغازين » ، فسوف أكتفي ببعض الكلمات عنها هنا . سوف تسعى لمساندة المصلحة العامة لجمهورية الأدب دون تمييز لأية حدود إقليمية ، وذلك انطلاقاً من أن العالم كله هو قارىء المؤلف . أما فيما يتعلق بما هو خارج نطاق الأدب ، فسوف يتم وضع أمر توجيه كافة الأمور ذات الألحاح الشديد في أيد أكثر كفاءة . سوف يكون غرضها الرئيسي هو « الأمتاع » ـ وذلك من خلال التنويع والجدة والحدة . ويجدر التشديد هنا على أن كل ما قيل في هذا الاعلان التمهيدي لن يفسر على نحو من شأنه وصم المجلة بأية صفة من صفات الهزل أو البذاءة أو الافتراء التي تسيء الى أقوى المنشورات الأوروبية . بل انها سوف تستمد العون من أنقى وأرقى مصادر مختلف فروع الأدب . أما التنفيذ الحرفي (الاخراج) ،فسيتم بذل أقصى الجهد الذي يتطلبه هذا العمل،حيث من المفترض أن يتفوق بدرجة كبيرة على اخراج المجلة العادية. أما الشكل ، فسوف يشبه الى حد ما شكل « النيكربوكر » ، وسيكون الورق بمستوى ورق مجلة « النورث أميركان ريڤيو » . »

كان بو محقاً في ما هدف اليه ، غير أنه كان في الواقع يسعى أن يطال القمر . كثيرون هم المحررون والناشرون الذين فشلوا في إدراك حقيقة أن وضع التصورات ومقاييس الكمال في اذهان القراء إنما يعرضهم للفشل في إرضائهم ، حيث نادراً ما يخرج المنشور مطابقاً لتلك التصورات والمقاييس . ولعل القبول بعدم الكمال هو اكثر مدعاة للراحة ، بل واكثر عقلانية من السعي الدائب نحو الكمال . بل إن

Twitter: @abdulllah1994

رفض الأعتراف بذلك ، هو الذي يجعل مهمة المثالي أشد صعوبة . لا بد بالطبع من وجود مقاييس ، غير أنه اذا كانت هذه المقاييس عالية جداً ، فإن الانسان الطبيعي المتقلب لن يفشل فقط في تحقيقها ، بل سوف يكف عن السعي لتحقيقها . ولعل أحد جوانب مأساة إدغار ألان بو هو اصراره على عدم اخضاع فنه للمهادنة .

كان من المنتظر أن يصدر العدد الأول من « البين ماغازين » في كانون الثاني ١٨٤١ . غير أن ادغار أصيب بالمرض في ذلك الشتاء واضطر الى تأجيل ذلك حتى آذار . كان شديد الحماس حين كتب الى سنودغراس في السابع عشر من كانون الثاني قائلاً بأن آفاق المجلة « رائعة » . غير أنه في الوقت الذي أخذ بو يسعى فيه للتغلب على مشاكله الداخلية ، ما لبثت المشاكل الخارجية أن تقاطرت ، كانت آثار كساد عام ١٨٣٧ ما زالت ماثلة حين حدث هبوط اقتصادي جديد بعد أن هزم « الحزب الهويغي » - Whig Party* - جماعة فان بورين الديمقراطية في انتخابات الرئاسة لعام ١٨٤٠ .وقد تلاشى أمل بو في الحصول على رأس المال اللازم لاصدار المجلة رغم أنه كان قد جمع قائمة لا بأس بها من المشتركين . ها هو يكتب الى سنودغراس قائلاً : « كان كل شيء يبشر بالأمل العظيم ، فمع توفر المال ، كان سيتم صدور « البين » في اذار وفق الأعلان ، غير أن المصارف ما لبثت أن اغلقت ابوابها فجأة » . لقد بذأ وكأن الأقدار قد تحالفت ضد بو .

غير أن التخلي عن « البين ماغازين » لم يترك بو معدماً . فقد قابل شاباً فيلاديلفياً إسمه جورج ريكس غراهام ، وكان في السابق

---

* انشىء هذه الحزب في عام ١٨٣٤ لمجابهة الحزب الديمقراطي . وقد خلفه بعد ذلك الحزب الجمهوري (المترجمة) .

Twitter: @abdulllah1994

نجاراً ثم محاسباً واستطاع بعد وقت أن يحصل على موقع محرر مساعد في مجلة « الساترداي إيفنينغ بوست » ، واذ اكتشف بأنه يحب الصحافة ، فقد بادر الى شراء مجلة شهرية متواضعة إسمها « الكاسكيت » ، وحين عرض بيرتون مجلة « الجنتلمان » للبيع في ١٨٤٠ ، قرر غراهام أن يدمج المجلتين معاً على نحو يروق لكافة اذواق القراء ، ثم اطلق عليها إسم « غراهامز ليديز أند جنتلمانز ماغازين » ـ التي « تضم كل فنون الأدب ، مزدانة بالصور وأزياء الموضة ونوتات الموسيقى المؤلفة للبيانو والهارب والقيثار » . باشر غراهام بتوزيع خمسة الاف نسخة من المجلة المذكورة وسعى الى زيادة ذلك بدفع أجور مغرية للكتاب من أمثال لونغفيلو وفينيمور كوبر . غير أن المجلة كانت بحاجة الى محرر ماهر . كان إسم بو في ذلك الحين له وزن في الأوساط الصحفية الفيلاديلفية . ولعل الأهداف التي وضعها ادغار في إعلانه التمهيدي قد راقت لغراهام الذي تمتع بنظر ثاقب في تقييمه للناس . عرض غراهام على بو مبلغ ثمانمئة دولار في العام مقابل تحرير مجلته ، إضافة الى الأجور المعتادة للصفحة الواحدة لقاء ما يسهم به من كتاباته الخاصة . لم يكن ذلك مغرياً . فقد كان لونغفيلو يتقاضى خمسين دولاراً للقصيدة الواحدة ـ غير أنه قد عادل ضعف ما تقاضاه من بيرتون ، كما أصبح بمستطاعه زيادة دخله بقلمه . وعلى الرغم من خيبة أمله ازاء فشل مشروع « البين » . فقد باشر عمله بحماس ، وانتعشت مجلة « غراهامز » تحت اشرافه بحيث وصلت مبيعاتها في نهاية ١٨٤٠ الى نحو خمس وعشرين ألف نسخة ـ لقد أصبح إدغار بو أحد الشخصيات الأدبية اللامعة في فيلاديلفيا .

في نيسان ١٨٤١ ظهرت على صفحات « غراهامز » أولى قصص بو البوليسية ـ أطلق بو على هذه الحكايات صفة الحكايات التحقيقية ـ

Twitter: @abdulllah1994

وهي القصص التي تركت أثراً عميقاً في خالق شخصية شرلوك هولمز ، السير أرثر كونان دويل ـ . هذه القصة هي « عمليات القتل في شارع مورغ » ، وفيها يقوم بو عبر شخصية المحقق الهاوي س . أوغست دوبان ، بحل ملابسات عملية قتل مروعة ومحيرة ضمن سياق عملية تحليل مذهلة . وقد كتب أحد نقاد القرن العشرين قائلاً : « لقد نقل بو القصة البوليسية من مرتبة حكايات المغامرات الى مرتبة رسم الشخصيات . . ورفع قيمتها الأدبية باضفاء ذلك البعد الأنساني عليها » . ذلك أن ما يثير اهتمام القارىء فيها ليس هو الغموض وانما عملية ازاحة ذلك الغموض والقابلية التحليلية الفذة الممثلة في شخص المحقق . لقد بنى كونان دويل أسطورة على ذلك الأساس . غير أن بو هو الذي كان قد ابتدع الفكرة ، وما أوغست دوبان الاّ النموذج الأصلي لشخصية شرلوك هولمز .

رغم استقرار عمل بو في « غراهامز » ، الاّ انه ما زال يهدهد حلم اصدار مجلة خاصة به . طرح الفكرة في حزيران ١٨٤١ في رسالة الى جون كنيدي شرح فيها افكاره التي أوردها في « الاعلان التمهيدي » ، كما فاتح بذلك لونغفيلو الذي كان قد اصبح احد المساهمين على صفحات « غراهامز » . غير أن شيئاً لم يتمخض عن ذلك . برز في ذلك الحين كذلك أمل الحصول على وظيفة حكومية في واشنطون . فقد كان رئيس الجمهورية الهويغي قد مات بعد نحوَ شهر فقط من تسلمه الرئاسة ، وخلفه نائبه الفيرجيني الأصل ، جون تايلر . وقد شجع ذلك أحد اصدقاء بو البلتيموريين القدامى ، فريدريك توماس ، على التفكير بامكانية الحصول لبو على وظيفة من تلك الوظائف التي تعطى الأولوية فيها « لأبنائنا » الفيرجينيين ، في عهد الرئيس الجديد . وكان توماس الذي كان يعمل محامياً ، قد حصل

Twitter: @abdulllah1994

على احدى تلك الوظائف ككاتب في وزارة المالية ، وكتب الى ادغار قائلاً : « ألا ترغب في أن تصبح موظفاً حكومياً براتب مقداره ١٥٠٠ دولار في العام ، تدفع لك شهرياً من قبل العم سام الذي لا يتلكأ أبداً في دفع رواتب موظفيه رغم تباطؤه بالنسبة لدائنيه العموميين ؟ . . . ما رأيك في ذلك ؟ . . . ليس عليك الاّ أن تتمشى على مهلك الى مكتبك بعد الساعة التاسعة صباحاً بقليل ، ثم تتمشى نحو بيتك لتناول الغداء بعد الثانية بعد الظهر بقليل ، ولا تعود للمكتب بعد ذلك . واذا كان هناك ما تقوم به خلال ساعات الدوام ، فهو الاسترخاء من كسل النهار الممل . وسوف تجد على مكتبك كل ما تحتاج اليه من أدوات الكتابة مرتبة أمامك كفطيرة تفاح ، واذا رغبت في تزييت نفسك بطريقة أدبية ، فلماذا لا تتزيت . . ! »

راقت الفكرة لادغار كثيراً . لشد ما تختلف تلك الحياة عن منبهات الساعة والركض المحموم الى مكتب المجلة . أخبر توماس بأنه « على الرغم من أدب غراهام الجم ولطفه الحقيقي ، فإنني ازداد تذمراً من وضعي الراهن » ، واستطرد قائلاً : « أدعو الله أن استطيع الحصول على ما حصلت عليه أنت . هل تعتقد حقاً أن بإمكاني الحصول على نتيجة جيدة فيما اذا قدمت طلباً الى تايلر ؟ إن طلباتي ، كما تعلم ، قليلة ، فأنا فرجيني ـ هكذا أدعو نفسي على الأقل ، حيث قضيت معظم حياتي ، باستثناء السنوات الأخيرة القليلة ، في ريتشموند . كما ان مبادىء السياسية كانت على الدوام متجانسة تمام التجانس مع الادارة الحالية ، وقد ناضلت بحماس فائق من أجل هاريسون حين سنحت الفرصة . هناك معرفة شخصية ضئيلة بيني وبين المستر تايلر رغم أنه لا بد وأن نسي ذلك . ثم إنني رجل أديب ، وأرى بأن الحكومة غير معنية بتشجيع الأدب . فهل تعتقد بأن هناك فرصة ؟ أكون شديد الأمتنان اذا

Twitter: @abdulllah1994

ما أجبتني بأسرع وقت ، وأن تقول لي إن كنت ترى بأن هناك أي أمل اذا ما حاولت . . وإذا كان ذلك ، فدلني على الطريق الصحيح ، ولعل أفضل شيء هو أن تصف لي تلك الأجراءات التي اتبعتها أنت . . . » .

يبدو أن توماس أجاب إدغار على الفور ، مقترحاً أن ينشد مساعدة جون كنيدي . تسلم ادغار النصيحة بأمتنان وطلب من توماس أن يتصل بكنيدي نيابة عنه ، واضاف قائلاً : « أرجو من الله أن تتاح لي زيارة واشنطون . ولكن ـ القصة القديمة ، كما تعرف ـ ليس لدي نقود ، ليس لدي ما يكفي لكي يوصلني الى هناك ، فضلاً عن عودتي . ما أصعب أن يكون المرء فقيراً غير أنه طالما أن باعث فقري باعث شريف ، فأنا لا أجرؤ على التذمر . » .

كان بو متعاطفاً مع الهويغيين حقاً لأنهم كانوا المدافعين عن الثروة والجاه اللذين طالما أعجب بو بهما وطمح الى الحصول عليهما . غير أن الهويغيين قد ربحوا الانتخابات بعد أن قلبوا الطاولة على الديمقراطيين بطرح أنفسهم ممثلين للشعب . وقد اعتمدوا على شخصية البطل العسكري هاريسون ، غير أن هاريسون سرعان ما خذلهم بموته المفاجيء في وقت غير مناسب ، حيث ما لبث الديمقراطيين الغاضبون ، بالاضافة الى عصبة متذمرة من حزب الهويغ نفسه ، أن بدأوا بزعامة هنري كلاي ، باثارة المتاعب لتايلر . ولم يكن لدى الرئيس أي وقت للتفكير بمصير أديب مجهول سبق وأن تم تبنيه من قبل أحد مواطني ولايته . ها هو الحظ يخذل بو ثانية .

بقي إدغار مع غراهام وهو يهدهد حلم الحصول على مجلة خاصة به ، فيما عمد في الوقت ذاته الى انتاج حكايات مدهشة مثل حكاية « الهبوط الى لجة الدردور » و« إلينورا » و« قناع الموت الأحمر »

Twitter: @abdulllah1994

ومقالات نقدية بارعة حول عمالقة مثل ديكينز وماكولي (حل بو لغز الجريمة في رواية ديكينز « بارنابي رادج » في مقالته التي نشرتها « الساترداي إيفنينغ بوست » من الأول من أيار ١٨٤١ وذلك بعد أن قرأ أحد عشر فصلاً فقط منها كانت قد نشرت على حلقات في احدى المجلات) . غير أن أحواله المادية لم تتحسن كثيراً ، وكذلك صحة فيرجينيا . وقد كتب جورج غراهام في وقت لاحق : « لقد شاهدته وهو يحوم حولها وهي مريضة بكل حب وقلق وعطف الأم على وليدها الأول ـ أقل سعال منها كان يثير فيه الرعشة والتشنج الواضح في الصدر . . . » . كما ذكر غراهام أن إدغار كان يقوم بتسليم راتبه الشهري مباشرة الى المسز كليم . . « وقد جرؤ بو مرتين فقط على شراء بعض الكماليات لبيته كان أحدها بيانو لفيرجينيا التي كانت تحب الغناء » ، واستطرد غراهام قائلاً : « كان حبه لزوجته طقساً من العبادة المتفانية لروح الجمال الذي أدرك بأنه قد أخذ يذوي أمام عينيه » . لقد اتضح في ذلك الحين أن فيرجينيا كانت مصابة بالسل .

غير أن روح بو الفنية لم تتهاوَ رغم كل تلك الانتكاسات والمخاوف التي انتابته بشأن فيرجينيا . فقد ظل يعمل بانتظام ، وكان محط ثناء كافة الأطراف . في آب ١٨٤١ ، قرر القيام بمحاولة جديدة لاصدار مجموعة ثانية من حكاياته ، وكتب بتفاؤل الى لى أند بلانشارد : «السادة : أرغب في نشر مجموعة جديدة من حكاياتي النثرية بعنوان شبيه بـ « الحكايات النثرية لأدغار ألان بو المتضمنة «عمليات القتل في شارع مورغ » و«الهبوط الى لجة الدردور» وكافة قطعه الأدبية المتأخرة مع طبعة ثانية لحكايات الغروتيسك والأرابيسك . وتبلغ القطع الأخيرة ثمانية ، وبذا يكون

Twitter: @abdulllah1994

المجموع اثنين وثلاثين وهي تتطلب مجلدين ضخمين على غرار مجلد الرواية » . لم يكن بو معنياً بالحصول على المال ، فكل همه هو إخراج نتاجاته على شكل كتاب . ها هو يقول : «لدى رغبة في أن تكونوا الناشرين الدائمين لي ، وإذا وجدتم استعداداً لاصدار الكتاب المذكور ، فسوف أكون مسروراً بتقبل الشروط التي طلبتموها في السابق ، أي أن تتسلموا كافة الأرباح وأن تزودونني بعشرين نسخة لتوزيعها على أصدقائي » .

كان بو قد قطع علاقته بلي أند بلانشادر بعد تسلمه تلك الرسالة المقتضبة بشأن «حكايات الغروتسك والأرابيسك » ، غير أنه كان يعتقد في ذلك الحين أن الكتاب المذكور قد بيع على نحو جيد ، غير أن الناشرين سارعا الى تنويره بشأن ذلك قائلين : « إدغار أ . بو : تسلمنا رسالتك المؤرخة في الخامس عشر من الجاري التي تكرمت فيها بتقديم مجموعة جديدة من حكاياتك النثرية الينا . وجواباً على ذلك ، فنحن نعتذر إذ نخبرك بأن الظروف الحالية ليست مشجعة للقيام بأعمال جديدة ، ونحن لم نتخلص حتى الآن من مطبوعات العمل الأول ولم نتسلم حتى الآن ما يغطي نفقات طبعه . نؤكد لك بأننا آسفون لذلك بقدر تعلق الأمر بنا وبك أيضاً حيث يسرنا جداً أن نشجع رغباتك المتعلقة بالطبع » .

ها قد خاب أمل بو للمرة الثانية خلال عام واحد . غير أن ظروف العائلة العامة لم تكن شديدة السوء . فلقد كان هناك على الأقل سقف يؤويهم وطعام على مائدتهم . وقد وصف أحد الزائرين بيت إدغار بأنه «كوخ صغير جميل مغطى بالورد في ضواحي فيلاديلفيا » . وسيبدو

Twitter: @abdulllah1994

فيما بعد أن تلك الأيام كانت أفضل أيام بو . ظهرت نذر الكارثة خلال كانون الثاني ١٨٣٢ . كان بو قد أقام حفلاً صغيراً في بيته ، وفيما كانت فيرجينيا تغني ، انتابها سعال مفاجيء وتقاطر الدم من فمها . لم يعد هناك شك بأن مرض السل قد قطع أشواطاً وبدا وكأنها ستموت خلال ساعات لولا أن طبيباً قد هب لنجدتها فاستعادت بعض قوتها رغم حاجتها المستمرة للعناية . كتب أ.ب هاريس ، أحد أصدقاء العائلة : «لم تعد قادرة على تحمل أي تعرض بسيط . . فكل وسائل الراحة كطبيعة المنزل وما يحيط به كانت مسألة حياة أو موت بالنسبة لأي مريض ، وقد استلقت لأسابيع وهي لا تستطيع أن تتنفس الا إذا حرك أحد الهواء أمامها بمروحة » ، وقد بدا لأدغار بأن نبوءة «إلينورا » ـ التي كانت قد نشرت مؤخراً في مجلة « الغيفت » آخذة بالتحقق ، وكتب هاريس : «لم يجرؤ أحد على التحدث اليه . . فقد أصبح المستر بو شديد الحساسية والنزق ولا يسمح بأية كلمة حول خطر موت فيرجينيا الوشيك ، فمجرد ذلك كان يصيبه بالجنون » .

لقد أفقده القلق صوابه ، وأصبح يتشبث بحياة فيرجينيا من أجل إنقاذ حياته شأن رودريك أشر مع أخته مادلين . وكما هو متوقع ، فقد استسلم إدغار للشراب ، وكان للشراب تأثيره المعروف على صحته . وقد كتب بعد سنوات قائلاً : « أصبحت مجنوناً في خضم فترات طويلة من الوعي المريع . استسلمت للشراب خلال نوبات فقدان الوعي التام . كنت أشرب ، والله يعلم متى وكم » . لم يكن مسار مرض فيرجينيا في ذلك الوقت دائب التردي ، فقد كانت تجيء فترات تبدو فيها وكأنها قد شفيت تماماً ، وكان إدغار

Twitter: @abdulllah1994

يسترد نفسه في تلك الأثناء . ففي آذار ١٨٤٢ مثلاً ، كان مسيطراً تمام السيطرة على نفسه حيث بعث برسالة الى تشارلز ديكينز الذي كان يزور الولايات المتحدة لأول مرة ، يطلب فيها مقابلته . كان بو شديد الأعجاب بأعمال ديكينز ، وقد وجد في «بارنابي رادج» ما أوحى له بكتابة أعظم قصائده «الغراب» . كان ديكنز يقيم في «فندق الولايات المتحدة» في فيلاديلفيا ، وقد أجاب بو باحترام قائلاً : «يا سيدي العزيز . . يسرني جداً أن أراك في أي وقت تتفضل فيه بزيارتي . أعتقد بأن أكثر الأوقات احتمالاً لتواجدي هي بين الحادية عشرة والثانية عشرة . لقد ألقيت نظرة على الكتب التي تلطفت بإرسالها إلي ، وخاصة تلك المقالات التي لفت إنتباهي إليها . بل إنني لعظيم السرور أن أعبر عن رغبتي في رؤيتك لأجل ذلك . . . » .

يبدو أن بو قد خلف انطباعاً جيداً جداً لدى الروائي الأنجليزي الكبير ، حيث قال ديكينز بعد عودته الى لندن إقناع ناشر انجليزي بطبع أعمال بو ، ولكن دون جدوى . وفي تشرين الثاني ١٨٤٢ ، كتب ديكنز لبو قائلاً : «إياك أن تعتقد للحظة واحدة بأنني لم أحمل عنك الذكريات الطيبة وبأنني لم أكن مستعداً في كل الأوقات لطرح أفكارك هنا في هذا البلد» . وحين زار ديكنز الولايات المتحدة ثانية بعد عدة سنوات من موت بو ، قام بزيارة المسز كليم وقدم لها بعض المال .

أدت حالة بو التي راق لمعاصريه أن يطلقوا عليها صفة «السلوك الشاذ» ـ وهي الحالة التي أشرت سابقاً بأنها ناجمة عن تأثير الشراب على صحته الضعيفة ـ الى إثارة المتاعب في مكتب غراهام . فقد شعر غراهام بأن إدغار قد أصبح غريب الأطوار شديد النكد . وكان غراهام

Twitter: @abdulllah1994

في ضوء التوسع السريع للمجلة ، قد عين محرراً مساعداً آخر لانجاز أعمال هيئة التحرير التي تألفت حتى ذلك الحين من أربعة محررين كان قد تم تعيينهم في السنة السابقة . لم يكن بو شديد الالتزام بعمله ، كما تدل على ذلك محاولاته المستمرة لاحياء فكرة اصدار مجلة خاصة به ، إضافة الى التفكير في الحصول على وظيفة حكومية في لندن ، ناهيك عن قلقه الدائم على صحة فيرجينيا . وقد تفهم غراهام مشكلة بو وأحس بالتعاطف معه ، غير أنه كان قد أصبح الآن مسؤولاً عن أفضل مجلة شهرية على امتداد البلاد ، وعلى الرغم من عدم رغبته في الافتراق عن بو ، إلا أن مصلحة المجلة قد بقيت فوق كل اعتبار . غادر بو المجلة في أيار ١٨٤٢ ، وكتب الى فريدريك توماس قائلاً : «سبب استقالتي من المجلة هو القرف من ذلك العبث الصبياني الذي أصبح سمة المجلة ـ وهي سمة أصبح من المستحيل القضاء عليها . أقصد بذلك تلك الصور المزرية وصحن اليوم والموسيقى وحكايات الحب . إضافة لذلك ، فالراتب الذي أتقاضاه لا يساوي الجهد الذي بذلته . أما غراهام فهو إنسان رفيع الأدب حقاً ، وعلى الرغم من ضعفه المسرف ، فليس هناك أي سوء تفاهم بيننا » .

حل محل بو المحرر المساعد الجديد ، القس روفوس غريزوولد ، وهو قس معمداني معني بشؤون الأدب ، وكان قد عمل في عدة مجالات في بوسطن ونيويورك وأصدر كتاب مختارات من الشعر الأميركي بعنوان «شعر وشعراء من أميركا» كان من بينها بعض قصائد لبو ونبذة عن حياته . واذا كان شبح بو جديراً بأن يقض مضجع أحد ، فهو مضجع غريـزوولد هذا الذي سيقوم بتشويه سمعة بو بعد

Twitter: @abdulllah1994

مماته ويكون السبب في بقائه مغموراً لعدة سنوات . غير أن أكاذيب غريزوولد وتهمه إنما هي موضوع للمستقبل حيث لم يحمل بو في عام ١٨٤٢ أية ضغينة لغريزوولد ، بل يمكن القول أن الاثنين كانا صديقين . . «ليست لدى أية مشكلة سواء مع المستر غراهام أو المستر غريزوولد » .

غير أن ما يهمنا الآن هو أن بو قد أصبح عاطلاً عن العمل . ففي رسالته الى توماس ، المشار اليها أعلاه ، يسأله بو فيما إذا كانت هناك أية فرصة حقاً للحصول على الوظيفة الحكومية . غير أن آمال توماس لم تكن تعتمد في الواقع على أي أساس . هكذا لم يبق أمام بو غير مشروع «البين ماغازين » حيث عمد الى إثارة الاهتمام به ثانية ، كما سعى لطبع مجموعة حكاياته ، ثم هيأ مجموعة منقحة تكفي لاصدار مجلدين أطلق عليها عنوان «قطع فانتازية » . غير أنها لم تر النور أبداً .

في تلك الأثناء ، كانت العائلة قد خلفت «كوخ الورد » وراءها متجهة الى فيلاديلفيا ، الى سبرينغ غاردين ، على مقربة من مركز الصحافة . لم يكن السبب صحياً في هذه المرة ، وإنما مالياً فلقد ولت الأيام الطيبة .

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثاني عشر

الانحدار

أصبح الحال على عهد أيام بلتيمور الأولى . كان توماس مين ، وهو مؤلف إرلندي المولد كاتب قصص مغامرات على غرار «مزارعو البنادق»و «الفارس ذو الرأس المقطوع » ، يتردد على بيت بو في«سبرينغ غاردن » وقد وصف الوضع هناك في وقت لاحق بقوله : «كانت المسز كليم هي العين الساهرة أبداً على شؤون المنزل ، تحميه من النزف الصامت المستمر الذي أخذ يزداد حدة يوماً بعد يوم . فهي الخادم الذي يحفظ كل شيء نظيفاً ، وهي المراسل الوحيد الذي يؤدي المهمات ـ تحج بين الشاعر وناشريه حاملة في كثير من الأحيان إجابات مثلجة مثل «المقالة مرفوضة » أو«نؤجل دفع الشيك لكذا أو كذا يوم » ، بينما يكون الأوان قد فات لتأمين أبسط المتطلبات ـ وهي التي تروح وتغدو من السوق واليه ليس لجلب «خيرات المواسم » وإنما تلك الحاجات التي تتطلبها أشد حالات الجوع » .

Twitter: @abdulllah1994

ما زال هناك بصيص من أمل عند بو في صيف ١٨٤٢ في الحصول على وظيفة حكومية . فقد كتب توماس قائلاً أنه قد جند ابن الرئيس ، روب تايلر ، من أجل المساعدة ، وبأن التعيينات في دائرة جمارك فيلاديلفيا على وشك الظهور . وإثر زيارة قام بها إدغار الى نيويورك في حزيران ، في محاولة لبيع «قطع فانتازية» ، كتب الى صديق آخر في واشنطون شاكراً له ما بذله من جهدٍ من أجل حصوله على وظيفة «أصبحت ذات أهمية فائقة بالنسبة لي» ، وما أرسله له كهدية ، وهي عبارة عن عشرين دولاراً . في أيلول ، زار توماس فيلاديلفيا لالقاء خطاب سياسي ، غير أن إدغار لم يستطع الحضور لأنه كان «مريضاً جداً بحيث لم أستطع المجازفة بالخروج» . ويبدو أن توماس لم يعلم بانتقال إدغار حيث ذهب لزيارته في فيرمونت بارك . في تشرين الثاني ، ظهرت تعيينات دائرة الجمارك وكتب إدغار الى توماس قائلاً : «يا صديقي العزيز . . أعطتني رسالتك المؤرخة في الرابع عشر أملاً جديداً ـ سرعان ما خاب ـ ففي اليوم الذي تسلمتها فيه ، أعلنت بعض الصحف عن أربعة إقصاءات وتعيينات . وقد لاحظت بين التعيينات إسم «بوغ» ! ـ بعد الاستفسار من أولئك الذين يقبعون في الكواليس ، اكتشفت بأنه لا يوجد شخص باسم «بوغ» ينتظر تعييناً ، وبأن الاسم المذكور هو خطأ مطبعي ، أو ربما سوء فهم من قبل المراسلين الذين ربما كانوا قد سمعوا إسمي يتردد في دائرة الجمارك . . .» . غير أن بو كان على خطأ . فبعد انتظار مرير لمدة يومين ، توجه الى دائرة الجمارك ، وراجع شخصاً يدعى سميث «وهو هو يغي من أسوأ نوع» ، مستفسراً عما إذا كانت هناك وظيفة باسمه ، وذكر إسم روب تايلر . اعتبر المستر سميث ذكر إسم روب تايلر إهانة للرئيس ، وأجاب بعجرفة وفقاً لرواية بو : «هم . . . تسلمت أوامر

Twitter: @abdulllah1994

من الرئيس تايلر أن لا أقوم بأية تعيينات أخرى ولن أقوم بذلك » .
أنهى بو رسالته بقوله : « كنت أود أن أكتب أكثر يا عزيزي توماس ، غير أن قلبي مثقل جداً ـ لقد شعرت أنت بعذاب الأمل الخائب وسوف تشفق علي » .

دفعه اليأس الى بيع قصتين هما «لغز ماري روجيه » ـ يصور فيها المحقق دوبان ثانية وتدور حول جريمة قتل حقيقية وقعت في نيويورك ـ و «الحديقة » لمجلة بذيئة تدعى «سنودينزليديز كومبانيون » لصاحبها سنودين . ثم ما لبث أن لحظ إعلاناً عن مجلة جديدة سيقوم بأصدارها في بوسطن جيمس راسيل لويل الذي كان قد امتدح قصائده في مجلة غراهام. سارع إدغار الى الكتابة الى لويل : «سيدي العزيز : ـ علمت بنيتك في إصدار مجلة في بوسطن ابتداء من كانون الثاني القادم ، وإني أنتهز هذه الفرصة للاستفسار عما إذا كان من الممكن إجراء بعض الترتيبات بحيث أصبح مساهماً دائماً فيها . سيسرني تقديم مقالة قصيرة في كل شهر ـ على النحو الذي ترتأيه أنت ـ ووفقاً للشروط التي سيكون بمستطاعك توفيرها «كبداية » . ليس لدى شك بأن نجاحك سيكون واضحاً ودائماً . وعلى أية حال ، فأنا أتمنى لك الخير بكل إخلاص . فاعجابي بك يفوق إعجابي بأي إنسان في أميركا ـ ولهذا فإني لا أدخر وسعاً في تقديم احترامي وتقديري . . . » .

كان لويل معجباً بمواهب بو ، غير أنه مال فيما بعد الى ازدرائه لضعفه الخلقي . وقد رحب بطلب بو ، حيث ما لبث أن احتل موقعه في مجلة «البيونير » الى جانب ناثانيال هوتورن وواشنطون إيرفينغ .

كانت حكاية «القلب الواشي » أول عمل نشره إدغار في «البيونير » ، وقد قدم هذه الحكاية الى لويل بعد أن رفضها محرر

Twitter: @abdulllah1994

مجلة «الميسلافي» البوسطونية ، الذي وصف بو بأنه «غبي وممل على نحو لا يطاق» ـ وهي قصة ضمير على غرار «ويليم ويلسون» حيث يضطر المجرم الى الاعتراف بجريمته بفعل تأثير النبضات المرعبة لقلب ضحيته ، وهي أيضاً إحدى تلك القصص التي يصر الراوي فيها على دفع تهمة الجنون عن نفسه ـ إنه خوف إدغار المتنامي من الجنون الشبيه بخوف رودريك أشر ، تحت وطأة تردي صحة صنو قلبه .

حافظ إدغار رغم ذلك على اهتمامه بالشؤون المهنية ، حيث بادر بعد صدور العدد الأول من «البيونير» الى الكتابة الى لويل قائلاً : «منذ أسابيع ، وأنا أفكر يومياً بالكتابة اليك لأجل أن أهنئك على تلك البداية الباهرة «للبيونير» ، غير أن حشداً من القضايا اليومية قد حال دون ذلك . أشكرك على المجاملة الواردة في الهامش ، وأشكرك أيضاً على إشارتك الواردة في الكلمة الافتتاحية للمجلة . أود أن أقول أنه بقدر ما يمكن أن ترضيني مجلة بثلاثة دولارات ، فأنا مغتبط بمجلتك . وأشعر بالرضى الخاص إزاء ما يبدو من توافق معين في الرأي والذوق بينك وبين خادمك المتواضع ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالترتيبات الثانوية أو التفاصيل الأكثر أهمية في المجلة ، مثل ـ تساوق الشعر والنثر ـ تصميمات فلاكسمان ، وغير ذلك . فيما يتعلق بالمساهمين ، فأفكارنا واحدة . هل تعلم إنني حين حلمت منذ فترة بأصدار مجلة خاصة بي ، قلت لنفسي ـ «إذا استطعت فقط الحصول على المستر هوثورن والمستر نيل وآخرين اثنين ، إضافة لشاعر معين شاب من بوسطن سيظل إسمه مجهولاً ، كمساهمين دائميين ، فلسوف أصدر أفضل مجلة في أميركا .. في ذات الوقت ، وعلى الرغم من تقديري للمستر برايانت والمستر كوبر والآخرين تقديراً عالياً ، فأنا لم أقل شيئاً «عنهم» . . . لك أصدقاء حميمون عديدون في هذه المدينة ـ غير أن

Twitter: @abdulllah1994

ما تبتغيه من اصلاحات إنما يحتاج تحقيقه الى الوقت ، ولربما سيمضي عام كامل قبل أن تستطيع «البيونير» أن تفرض نفسها بين صفوف الكويكرز ، خلال ذلك ، ثابر . . . تسلمت كما ينبغي من المستر غراهام عشرة دولارات من حسابك ، وأنا ممتن لذلك ، وأفضل رغم ذلك أن يتم إيصال ما أستحقه عبر صندوق البريد مباشرة . . . » .

شكل نجاح لويل حافزاً لادغار للقيام بعد بضعة أسابيع بإصدار إعلان تمهيدي آخر حول مجلته الخاصة . فقد وجد شريكاً له في شخص توماس كلارك ، صاحب المجلة الأسبوعية « الساترداي ميوزيام » في فيلاديلفيا ، التي كانت قد نشرت في أواخر شباط مقالة مطولة حول حياة بو مع صورة شخصية له ومجموعة من قصائده . كذلك اهتم شخص آخر بالموضوع هو فيليكس دارلي الذي وعد بتقديم الرسوم للمجلة الجديدة . وقد وصف دارلي بو بأنه «رجل مهذب رفيع الأدب ، شديد الأناقة في شكله ، دائم الامتاع بطبيعته الفكرية التي بدت لي مغمسة بالحزن . . متحفظ وهادىء الطبع ، نادراً ما ابتسم » . تم نشر الاعلان التمهيدي في «الساترداي ميوزيام » في الرابع من آذار ١٨٤٣ . . . سيكون اسم المجلة الجديدة «الستايلوس » ، وستكون أهدافها نفس أهداف «البين ماغازين » التي لم تر النور . لقد أراد بو أن يحقق ما يمكن وصفه بأنه فوق مستوى مجلات السوق ، وهو ما أشار اليه في تعليقه اللاذع حول «البيونير » ذات الثلاثة دولارات في رسالته الموجهة الى لويل . . فهدف الستايلوس هو التوجه للمثقفين «الحقيقيين » في البلاد ، بدلاً من كسب رضا الجمهور العام .

في أوائل اذار ، سافر ادغار الى واشنطن بهدف ظاهري هو الحصول على اشتراكات لمجلة « الستايلوس » ، وكذلك بهدف السعي

Twitter: @abdulllah1994

ثانية للحصول على وظيفة حكومية . وقد تأخر هناك كثيراً لسوء حظه ، مما اضطر صديقه جـ . ي . دو أن يطلع توماس كلارك على الحادث المؤسف الذي حصل له هناك : « سيدي العزيز . . أعتقد أن من واجبي أن أكتب اليك هذه الرسالة العاجلة فيما يتعلق بصديقنا المشترك أ . أ . ب . فقد وصل هنا قبل بضعة أيام . وقد بدا في المساء الأول متهيجاً بعض الشيء حيث أقنعه آخرون بتناول بعض شراب البورت . بقي متماسكاً تمام التماسك خلال اليوم الثاني ، غير أنه ما لبث أن أصبح شخصاً لا يعتمد عليه منذ ذلك الحين . وهو يظهر هنا أمام أناس قادرين على الأساءة اليه لدى الرئيس ، حيث يحول ذلك دون قدرتنا على القيام بما نرغب أن نقوم به وما نقدر على القيام به من أجله فيما لو عاد الى فيلاديلفيا . إنه لا يدرك كيفية الوصول إلى السياسيين ولا طريقة التعامل معهم لمصلحته ، وكيف له أن يفهم ؟ . . المستر توماس متوعك بعض الشيء ولا يستطيع العودة بالمستر « ب » ، كذلك فإن أعمالي وحال عائلتي سوف يمنعاني من القيام بذلك . في ضوء كل هذه الظروف، أعتقد أن من الأفضل أن تأتي أنت لتصطحبه سالماً الى بيته. فالمسزبو في حالة صحية سيئة، وأنا استحلفك، حيث هناك نفس يتحتم عليك انقاذها ، أن لا تذكر كلمة واحدة من هذا أمامها الى أن يعود الى البيت معك . سوف اكون بانتظارك أو بانتظار رسالة منك مع أول بريد . إذا لم تستطع المجيء ، فسوف نؤمن وصوله بأحد العربات الى فيلاديلفيا . . ولكننا نخشى أن يتأخر في بلتيمور وأن لا يسلم هناك من الأذى . إنني أقوم بذلك انطلاقاً من احساسي بالمسؤولية الجادة . فالمستر بو إنسان على قدر رفيع من الألمعية ، ولا أستطيع أن أتحمل فكرة أن يكون ألعوبة بيد مخلوقات عديمة الأحساس التي هي أشبه بالمحار الذي يحتفظ بصوابه بينما يفغر

Twitter: @abdulllah1994

فمه لابتلاع كل شيء . أعتقد بأن حكمتك ستملي عليك ما تراه صواباً بهذا الشأن ، كما أعتقد بعدم ضرورة اطلاعه على ما رويت لك في هذه الرسالة . ولكنني لست على استعداد لأن أراه يسيء الى نفسه هنا دون أن انبهك الى ذلك . . . » .

يبدو أن ادغار قد استعاد توازنه خلال الأيام اللاحقة حيث وصل الى فيلاديلفيا في الخامس عشر من اذار بمفرده « سالماً وفي حالة من الصحو التام » ، كما وصف نفسه ، حيث كانت المسز كليم بأنتظاره ، وفي اليوم التالي ، كتب الى دو وتوماس طالباً منهما أن يعتذرا عن سلوكه في واشنطون للآخرين ، كما وعد بتسديد ما استدان منهما من مال . قال بأنه مريض ، وانه قد تناول بعض الأدوية ، وانه قد لازم البيت لا يبرحه طيلة النهار . وقد كتب توماس على رسالة بو هذه في وقت لاحق ملاحظة قال فيها إن ما روي عن حالات ثمل بو مبالغة جداً وأن بو كان يعاني كثيراً في هذه الحالات حيث يصاب بالمرض . إن هذه الملاحظة تعزز فكرة احتمال اصابة بو بمرض السكر .

لم تسيء ورطة واشنطون كثيراً لمنزلة بو عند شريكه ، وقد أستمر مشروع « الستايلوس » قدماً . أما « البيونير » فما لبثت أن أنتهت كنموذج يحتذى ثم توقفت عن الصدور تاركة لويل مصاباً بالرمد وغارقاً في الديون . كتب ادغار اليه في السابع والعشرين من آذار قائلاً : « يا صديقي العزيز ـ تسلمت الآن رسالتك المؤرخة في الرابع والعشرين ، ولشد ما يحزنني أولاً أن تكون سيء الحظ على هذا النحو ، وثانياً أن تفكر بالاعتذار اليّ عما حل بك . أما بشأن بعض الدولارات التي أنت مدين لي بها ـ فلا تعرها ذرة من اهتمام ـ حقاً أنا فقير ، غير أنه لا بد أن أكون أشد فقراً بكثير لكي أسمح لنفسي بالتفكير في طلبها منك . غير أنني آمل بكل اخلاص أن لا تكون الأمور على هذا السوء الذي

Twitter: @abdulllah1994

تعتقد ، وبأنك حين تعيد النظر في امورك ، فسوف ترى بأنك قادر على الأستمرار « بالبيونير » . إن اختفاءها في هذا الوقت سيشكل ضربة قاسية للهدف السامي ـ هدف الذوق النقي . لقد اعتبرت مجلتك منذ بدايتها أفضل مجلة في أميركا ، ولم اترك فرصة الاّ وانتهزتها للتعبير عن رأيي هذا . في الأول من تموز القادم ، آمل أن اصدر العدد الأول من « الستايلوس » ، وهي شهرية جديدة ذات معالم غير مألوفة . أرفق طياً نسخة من الأعلان التمهيدي . وآمل أن ابعث اليك خلال الأسابيع القادمة بنموذج منها . انني حريص على الحصول على قصيدة منك للعدد الأفتتاحي . غير أنني ربما أكون قد أخطأت في التقدم اليك بهذا الطلب قبل أن تبل من المرض . . . . » .

لم تسر الأمور على النحو الذي رسمه بو ، حيث تم التخلي عن مشروع « الستايلوس » في حزيران . وربما يكون حماس كلارك قد خفت ـ فقد وصفه ادغار « بالمعتوه » في رسالة بعث بها الى لويل يخبره فيها بتوقف مشروع المجلة . غير أن الأوضاع العامة لم تكن بالغة السوء . ففي ذات الشهر ، حصل ادغار على مئة دولار من قصته « الحشرة الذهبية » التي ربحت الجائزة الأولى في مسابقة أجرتها « الدولارنيوزبيبر » ، وتم نشرها مرتين . وبعد نحو شهرين ، نشرت « اليونايتد ستيتس ساترداي » قصة اخرى له هي « القطة السوداء » ، وهي قصة كابوس إنسان سكير :

« خضع مزاجي وخلقي العام ـ من خلال وسوسات الادمان الشيطاني (لشد ما يخجلني الأعتراف بذلك) لتحولات جذرية نحو الأسوأ . ويوماً بعد يوم ، صرت اكثر سوداوية وأكثر نزقاً ، واكثر لامبالاة بمشاعر الآخرين . تجرأت على مخاطبة زوجتي بألفاظ نابية ، وبعد حين تجرأت على

Twitter: @abdulllah1994

استخدام العنف الجسدي ضدها . . . » .

لقد أدرك بو طبيعة المخاطر التي أصبح مهدداً بالأنزلاق فيها اذا ما استسلم للشراب :

في ذات ليلة ، بينما كنت عائداً شديد الثمل الى البيت من احدى جولاتي في المدينة ، تخيلت بأن القط تحاشاني . أمسكت به ، واذ تملكه الرعب من عنف قبضتي ، خدش يدي خدشاً صغيراً بسنه . تملكني فجأة غضب الشيطان ، لم أعد اعرف نفسي . بدت روحي الأولى وقد فرت من جسدي ، وارتعشت كل ذرة من كياني بحقد شيطاني عارم . نزعت من جيب صداري سكيناً صغيراً ، فتحته ، قبضت على عنق الحيوان المسكين ، واقتلعت عن عمد عينيه من حدقتيهما !

إن ما يمنح حكايات بو تلك الميزة الخاصة التي ترقى بها بعيداً عن مصاف ما يعرف عادة « بقصص الرعب » هو تلك القدرة على تعرية عذابه الداخلي الخاص . كان إدغار من جهة فريسة القلق والخوف والهواجس . بينما كان عقله قادراً من جهة اخرى على الارتقاء بنفسه عن تلك المخاوف والنظر اليها بمنظار هادىء ووصفها وصفاً ممزوجاً بالتهيب المحاط بالغموض . ولعل الغريب في الأمر ، هو أن وصف تلك الرؤى المروعة لم يشكل أثراً علاجياً في حالة بو . فهو سرعان ما يعود بعد أن تنجز ذاته الفنية عملها ، الى التقوقع ثانية داخل عالمه المليء بالكوابيس ، ضعيفاً مهاناً مثيراً للشفقة ، جريح « سياط وسهام القدر الساخط » ، عاجزاً كل العجز عن مناطحة الحياة التي اختارها او التي زج بها ، ومن المدهش حقاً أن تظل تلك « الذات الفنية » سليمة

Twitter: @abdulllah1994

كما يبدو ، في الوقت الذي اشتدت فيه عذابات بو وتسارع انحداره . ففي خضم كل تلك المصاعب « العائلية والمالية » ، كما أخبر لويل ، التي دهمته في عام ١٨٤٣ ـ وسط احلامه المحطمة ، ورغم لجوئه الى الشراب بين حين وآخر ، فقد واصل الكتابة دونما انقطاع ، ليس كتابة الحكايات فقط ، وانما مقالات نقدية نشرها في « غراهامز » . بل انه قد سعى الى توزيع « الرومانسيات النثرية » بقالب جديد حيث أقنع ناشراً في فيلاديلفيا باصدارها على شكل سلسلة « كل عدد مستقل بذاته » بسعر اثني عشر سنتاً ونصف للمجلد الواحد . لم يبع من المجلد الأول الذي ضم « عمليات القتل في شارع مورغ » و« الرجل المستنفذ » غير بضعة نسخ ولم يتم صدور البقية .

ليس ثمة شك في أن أمور بو قد أصبحت بالغة السوء في ذلك الحين . وقد تبخرت تلك التحفظات التي راودته في وقت ما ازاء مطالبة لويل بتسديد ما بقي له من نقود عنده . وكيف بمقدوره أن يتجاهل عشر دولارات . كما ادعى غريزدولد بعد ذلك أن بو قد طلب منه مالاً في رسالة أورد نصها على النحو التالي : « عزيزي غريزوولد . . هل تستطيع أن ترسل لي خمسة دولارات ؟ أنا مريض وفيرجينيا على وشك الموت . تعال زرني . يقول بيترسون [كان يعمل في مكتب غراهام] ، أنك تتهمني برسالة غريبة مجهولة المصدر . لم أكتب ذلك ، ولكن إجلبها معك حين تأتي لزيارة المسز كليم كما وعدت . سوف أسوي ذلك الأمر حالاً . هل تستطيع أن تفعل شيئاً بشأن رسالتي ؟ المخلص لك أ . أ . ب .

نشر غريزوولد تلك الرسالة في ذكرياته عن بو ، وآدعى بأنها قد كتبت في الحادي عشر من حزيران ١٨٤٣ . لا يوجد أي أثر للنص الأصلي لهذه الرسالة ، الأمر الذي يثير الشكوك حولها . من المؤكد أن

Twitter: @abdulllah1994

بو لم يحمل أي تقدير لغريزوولد الذي خلفه كمحرر في « غراهامز » (وقد وصفه في احدى رسائله الى لويل بقوله « انه يفتقر الى الحكمة أو استقلال الرأي أو كليهما معاً) . غير أن ذلك لم يمنعه من محاولة الاستدانة منه،لقد كان بو أبياً،غير أنه لم يكن أبياً الى الحد الذي يمنعه من طلب العون من أي مصدر يمكن الحصول عليه منه .

مع بداية العام التالي ، وجد بو منفذاً جديداً له ، هو التجوال لالقاء المحاضرات . تمتع بصوت جيد ، وقد مثل الكثير من وسامة مظهره المريح ، ولم يتردد الناس في دفع قطعة من فئة خمس وعشرين سنتاً من أجل الاستماع اليه . ظهر أول مرة في بلتيمور في كانون الثاني ١٨٤٤ حيث تحدث عن الشعر الأميركي وقرأ نماذج منه بصوت صاف وجميل واداء جنوبي النغمة . قدم نفس المحاضرة في عدة أماكن . ولأجل أن يضفي ميزة اخرى على حضوره الشخصي ، فقد اطلق شاربه الذي نراه الآن في معظم صوره المستنسخة . خصص بو جزءاً من محاضرته من أجل شن هجوم على كتاب « شعر وشعراء من أميركا » بمناسبة صدور طبعته الثالثة ، والذي كان قد جمعه وأعده غروقوس غيرزوولد معتمداً في اختياراته على الخدمات والحظوة التي تلقاها أو توقع أن يلقاها من الشعراء الذي ضمنهم في كتابه ، بدلاً من الأعتماد على القيمة الشعرية للمختارات . وكانت « الساترداي ميوزيام » قد نشرت تعليقاً مغفلاً من التوقيع جرى فيه التهكم على غريزوولد بطريقة موجعة . وقد اجرت المقالة مقارنة مسيئة له مع شخص آخر ، ولم يكن هذا الشخص الآخر غير ادغار أ . بو . واذا كانت لدى غريزوولد أية شكوك حول من كتب تلك المقالة ، فقد تعززت هذه الشكوك بعد أن القى ادغار محاضراته . سوف يجد غريزوولد متعة فائقة في الانتقام بعد عدة سنوات .

Twitter: @abdulllah1994

لم يزل ادغار متشبثاً بحلم اصدار مجلة أدبية ذات مستوى رفيع . ففي الثلاثين من آذار ١٨٤٤ كتب الى لويل ، الذي كان قد شفي من الرمد واحتفل بنجاح مجموعته الشعرية الثانية : « لكم هي مريعة حالة أدبنا الراهنة ! في أي اتجاه تسير الأمور ؟ نحن بحاجة الى شيئين اثنين بالتحديد : قانون دولي لحقوق النشر ، ومجلة شهرية راسخة ذات كفاية في القدرات والتوزيع والشخصية من أجل ضبط أمور أدبنا ، واضفاء اللون عليه . يجدر أن يكون شكلها الخارجي نموذجاً للذوق الراقي ، وانما دون اسراف في التأنق : ـ أعني بذلك ، أن يتم تنضيد حروفها بالحرف الأسود الثخين ، وأن تطبع على ورق ممتاز ، وأن تقدم رسومها الايضاحية ، وليست التزيينية ، على شكل رسوم خشبية ، يتحتم أن يكون هدفها الرئيسي هو الاستقلالية والصدق والأصالة ، وأن تحتوي على ١٢٠ صفحة ، وأن تباع بخمسة دولارات . كما يجب أن لا تكون لها أية علاقة بالوكلاء والوكالات . يمكن لمثل هذه المجلة أن تمارس نفوذاً هائلاً وأن تشكل مصدر ثروة لمالكيها . ليس هناك ما سيحول دون توزيع مئة الف نسخة منها خلال عام أو عامين ، غير أن وسائل توزيعها لا بد وأن تكون مختلفة تمام الأختلاف عما يتبع اليوم . يمكن لهذه المجلة أن تقف على قدميها من خلال ائتلاف . واذا ما وقفت على قدميها على ذلك النحو من التفاهم الصحيح ، فهي لن تجد أية مقاومة . فلنفترض أن النخبة من رجال الأدب وقد تكاتفوا سراً . فمعظمهم يسيطرون على صحف . . . الخ . فليسهم كل واحد منهم ، لنقل بمئتي دولار من أجل المباشرة بالمشروع ، مع توفير موارد أخرى وفق ما يتطلبه العمل بين حين وآخر ، الى أن يتم انجاز العمل . كما يتحتم أن يتم توفير المقالات من مثل الأعضاء وحدهم ووفقاً لخطة عمل متفق عليها . كما يتم انتخاب رئيس تحرير من بين هؤلاء

Twitter: @abdulllah1994

الأعضاء . كيف يمكن لمثل هذه المجلة أن تفشل ؟ أتوق جداً لسماع رأيك حول هذا الموضوع . ألا تعتقد بأن الكرة سوف تبدأ بالتحرك ؟ اذا لم ندافع عن أنفسنا بالأئتلاف فلسوف يتم ابتلاعنا دونما رحمة من مثل الغوديين والسنوديين [أصحاب المجلات الرائجة] وأشباههم . . . » .

لقد اصبحت اتحادات الفنانين على النحو الذي وصفه بو شائعة في وقتنا الحاضر . غير أن هذه الفكرة التي طرحها بو في عام ١٨٤٤ قد سبقت زمانها بوقت طويل . واضطر بو للاعتماد على الغوديين والسنوديين وأشباههم . لقد حاول بو أن يرتفع بمستوياتهم عبر مخيلته ، قدم لهم بعض أعنف ما عرفته أميركا من نقد ، كتب لهم بعض أروع ما عرف العالم من حكايات الغروتيسك والأرابيسك ، غير أنهم خذلوه . ليس من الصعب تخيل ذلك اليأس والقنوط الذي أوحى له بأول قصيدة كتبها في فيلاديلفيا بعد ثلاث سنوات من قدومه اليها . نشرت هذه القصيدة لأول مرة في مجلة « غراهامز » بعنوان « الدودة القاهرة » .

عجباً ! تلك حفلة سمر ،
في قلب السنوات الموحشة الأخيرة !
ثمة حشد من ملائكة مجنحة ،
مسربلة بالحجب ، غارقة في الدموع
تجلس في مسرح تشاهد ،
مسرحية الآمال والمخاوف
بينما الأوركسترا تنفث بتشنج ،
أنغام السماوات

ثمة مهرجون في هيئة رب في الأعالي

Twitter: @abdulllah1994

يتمتمون ويغمغمون بهمس
ويتراكضون هنا وهناك
دمى تروح وتغدو
بأمر من أجسام ضخمة لا شكل لها
تقذف من أجنحتها النسرية كرباً غير مرئي .

انه لن ينسى أحد بالتأكيد
تلك المسرحية المتنافرة
ولن يكف الجمع عن مطاردة خيالها
دون أن يمسك به
عبر حلقة أبداً تعود به ،
الى نقطة البداية
فالجنون الكثير ، والمزيد من الخطيئة والرعب
هو روح الحبكة .

ولكن مهلاً ! ثمة شكل متطفل يزحف
بين هرج الدمى المتحركة
شيء أحمر بلون الدم يتقدم متلوياً
من طرف منعزل في المشهد
يتلوى ثم يتلوى بتشنجات مهلكة
تتحول الدمى الى طعام له
بينما الملائكة تنتحب إذ ترى ،
أنياب الدودة مغمسة بالدم البشري .

ها هي الأنوار تنطفىء ـ كل الأنوار
وفوق كل جسد مرتعش ،

Twitter: @abdulllah1994

تنحدر ، والستارة ، غطاء نعشٍ ،
باندفاعة العاصفة
بينما تنتفض الملائكة شاحبة مرهقة
ترفع حجبها وتعلن
بأن المسرحية مأساة « الأنسان »
مأساة بطلها « الدودة القاهرة » .

لم يكن في بقية ذلك العام الطويل المترع بالفقر والأسى ، ما هو جدير بإبعاد تلك الأفكار السوداء عن بو . فأي إسعاف يأتيه انما هو اسعاف مؤقت سرعان ما تطغى عليه مخاوفه الدائبة على حياة فيرجينيا . ها هي فيلاديلفيا قد قدمت لبو أفضل وأسوأ ما لديها . وفي ربيع ١٨٤٤ لم يبق شيء في كلا الأتجاهين . إستغل بو فرصة تحسن صحة فيرجينيا لكي يوعز للمسز كليم بأن تبيع ما تستطيع من أثاث البيت. وحين توجه بحجز بطاقتين له ولزوجته في القطار الذاهب الى نيويورك ، لم يكن في جيبه غير عشرة دولارات . لقد حاول مرتين أن يقيم في العاصمة سابقاً ، غير أنه فشل في كليهما . ربما تكون المحاولة الثالثة أوفر حظاً .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الثالث عشر

حرب الكلمات

لم تكن الرسالة التي كتبها إدغار الى المسز كليم غداة وصوله نيويورك أكثر رسائله المتوفرة صميمية وألفة فحسب ، وانما توضح كذلك مدى علاقته الحميمة بأم زوجته التي سيزداد اعتماده عليها مع الأيام . واذا كانت هناك حاجة للتدليل على المكانة التي تحتلها عائلته في نفسه ، فهي متوفرة في هذه الرسالة :

يا عزيزتي « مادي »

نيويورك/صباح الأحد
٧ نيسان/بعد الأفطار مباشرة

ها قد انتهينا في هذه اللحظة من تناول الفطور ، وها أنا أجلس الآن لكي اكتب اليك عن كل شيء . لا استطيع ان اشتري طابعاً لهذه الرسالة اليوم لأن مكتب البريد مغلق . قبل كل شيء ، وصلنا مرفأ

Twitter: @abdulllah1994

وولنت ستريت سالمين . أراد السائق أن أدفع له دولاراً ، ولكنني رفضت . ثم كان علي أن أدفع أجرة للصبي الذي وضع الحقائب في عربة المتاع . خلال ذلك ، أصطحبت « سيسي » الى فندق « ديبو » . كانت الساعة السادسة والنصف فقط ، وكان علينا أن ننتظر حتى السابعة . تصفحنا الليدجر والتايمز ـ لا شيء في الاثنتين ـ بعض كلمات لا أهمية لها في الكرودنيكل . إنطلقنا بنشاط تام ، ولم نصل الى هنا الاّ في الثالثة تقريباً . توجهنا بالعربات الى « أمبوي » ، على بعد أربعين ميلاً من نيويورك . ثم قطعنا بقية الطريق بالقارب البخاري . لم تسعل سيسي أبداً . حين وصلنا المرفأ ، هطل مطر شديد . تركتها في القارب بعد أن وضعت الحقائب في كابينة السيدات، وانطلقت لشراء مظلة والبحث عن نزل . إلتقيت رجلاً يبيع المظلات ، فاشتريت واحدة بخمسة وعشرين سنتاً . ثم صعدت الى غرينيتش ستريت فوجدت هناك نزلاً في الحال . يقع قبل سيدار ستريت مباشرة ، من الجانب الغربي للطريق الصاعد ـ في الجهة اليسرى ـ له عتبات من حجر بني وشرفة ذات أعمدة بنية . كتب على بابه إسم « موريسون » . اتفقت معه خلال دقائق ، ثم ركبت عربة أجرة وعدت الى سيسي . لم أغب أكثر من نصف ساعة ، ودهشت حين رأتني عائداً بتلك السرعة . لم تتوقع عودتي قبل ساعة . كانت هناك سيدتان تنتظران في القارب ـ هكذا لم تكن وحيدة تماماً . حين عدنا الى النزل ، اضطررنا للانتظار نحو نصف ساعة حيث لم تكن الغرفة جاهزة . البيت قديم ويبدو أنه مليء بالبق . . أرخص نزل عرفته في حياتي ، حيث عملت حساباً للظروف الملحة و« المعيشة » . أتمنى لو أن كيت [كاترينا هي قطة العائلة] تراه . . . سوف يغمى عليها . مساء أمس تناولنا مع العشاء أطيب شاي شربتيه في حياتك ، قوي وساخن ـ مع خبز قمح وخبز شعير ـ جبنة ـ

Twitter: @abdulllah1994

كعك شاي (ممتاز) ، طبق كبير (طبقان) من فخذ الخنزير الممتاز ، وقطعتان من لحم العجل البارد ، مكدس فوق بعضه كجبل ، وشرائح كبيرة ـ ثلاثة اطباق من الكعك ، وكل شيء بوفرة تامة . لا خوف من الجوع هنا . يبدو أن صاحبة النزل لم تستطع ان تقسو علينا بما فيه الكفاية ، حيث شعرنا حالاً وكأننا في بيتنا . زوجها يقيم معها ـ رجل عجوز سمين وطيب . هناك ثمانية أو عشرة نزلاء ، اثنان أو ثلاثة منهم نساء ـ وخادمان . في الصباح ، تناولنا قهوة ذات نكهة ممتازة ، ساخنة وقوية . غير مصفاة تماماً ، والحليب قليل ـ شرائح عجل وفخذ خنزير ممتاز وبيض وخبز وزبدة طيبة . لم أتناول في حياتي أطيب ولا أوفر من هذا الفطور . . أتمنى لو أنك رأيت البيض ـ وأطباق اللحم الكبيرة ـ أول فطور آكله بشهية فائقة منذ أن غادرت بيتنا الصغير . سيسي سعيدة ونحن الاثنان بمعنويات رائعة . لم تسعل الاّ نادراً . ولم تعرق في الليل . ها هي الآن منهمكة ترتق بنطلوني الذي انثقب بمسمار . خرجت مساء امس واشتريت شلة خيوط وزرين ونعالاً ووعاء تنكي للمدفأة . استمرت النار مشتعلة طيلة الليل . لدينا الآن أربعة دولارات ونصف ـ سأحاول غداً استدانة ثلاثة دولارات بحيث يصبح لدي ما يكفينا لأسبوعين . أشعر بنشاط تام ، ولم أشرب قطرة واحدة ـ حيث آمل أن ابتعد قريباً عن المشاكل . حالما أستطيع أن أجمع بعض النقود ، فسأرسلها حالاً . لا يمكنك ان تتصوري الى أي حد نفتقدك هنا . بكت سيسي أمس بكاء مراً لأنك وكاترينا لستما معنا . نحن مصممان على الحصول على غرفتين في أول فرصة . وحتى ذلك الحين ، فنحن في راحة تامة ونشعر وكأننا في البيت . يهيء لي أن الأمور ستصفو لنا الان . ثقي بذلك ، واذهبي الى مكتب البريد لتسلم رسائلي . حالما اكتب مقالة لويل ، فسأرسلها لك ، وسأخبرك بأن

Twitter: @abdulllah1994

تذهبي لتسلم النقود من غراهام . بلغي حبنا الكبير الىٰ كا [كاترينا] . »

ليس هناك أثر في هذه الرسالة لبو الحزين المريض السكير فاقد الحول ، ولا لبو المثالي الباحث عن الجمال . . إنه الآن « إيدي » رب البيت الذي يقيم في نزل صغير في نيويورك ويقدر الغرفة المريحة والوجبة الجيدة ، فيما تجلس زوجته الى جانبه ترتق بنطلونه . غير أنه ليس هناك ما يدعو الى الافتراض بأن هذه الرسالة انما تعكس شخصية بو الذي كان يمكن أن يكونه فيما لو كانت الحياة اكثر رحمة به . فلقد كانت في طبيعته جوانب مظلمة ، كما كان اتزانه العقلي غير ثابت . بل كثيراً ما خضع لذلك الشيء الذي أطلق عليه هو نفسه « عفريت الولد الضال » ، وما كان لحياة بو أن تكون على غير هذا النحو . ولو افترضنا أن بو قد عاش بقية حياته في رحاب بيت ألان وثروته ، لما اختلف الأمر . فلقد كان ادغار ألان بو انساناً مقضياً عليه ، محتوم المصير .

غير أن فكرة المصير المحتوم كانت بعيدة كل البعد عن عقل ادغار حين قرر اقتحام نيويورك . قام أولاً بزيارة الى مكاتب « النيويورك سان » حيث قدم لرئيس تحريرها قصة صحفية خيالية محكمة الأتقان ، تدور حول خبر مختلق هو اجتياز الأطلنطي بمنطاد . كانت مثل هذه البدع رائجة في تلك الأيام . وكانت « السان » قادرة على تمييز الفائز حالما تراه . في الثالث عشر من نيسان ، صدر « السان » بعنوان رئيس . . « أخبار مذهلة بالأكسبريس . . عبر نورفوك . . إجتياز الأطلنطي بثلاثة أيام . . إنتصار باهر لمركبة المستر مونك ميسون الطائرة . . الوصول الى جزيرة سوليفان قرب تشارلستون » . كان بمقدور ادغار على الأقل أن يصف جزيرة سوليفان وصفاً حقيقياً بفضل معرفته الجيدة بها منذ الفترة التي قضاها في قلعة مولتري . لقيت « خدعة المنطاد » نجاحاً باهراً حيث حاصرت الجموع

Twitter: @abdulllah1994

مكاتب « السان » لساعات طويلة بانتظار الحصول على معلومات « اضافية » عن القصة ، كما وعدت « السان » . ولدى ظهور القصة الكاملة ، لم يترددوا في دفع خمسين سنتاً للنسخة التي تباع عادة بسنت واحد . كانت تلك بداية مشجعة ، غير أنه لم يكن بالأمكان تكرار مثل تلك الخدعة ، كما لم يكن بامكان عجائب الأيام التسعة ان تعطي نفقات المأوى والمأكل . كان لا بد من القيام بعمل اكثر جدية .

لحسن حظ بو أن نداء نيويورك لم يبهره الى حد ينسيه أن يحتاط للأمر ، حيث كان قد ضمن له عملاً كمراسل دائم لجريدة « السباي » في كولومبيا ـ بنسلفانيا ، حيث باشر بتزويدها بانطباعاته عن « غوثام » (وهو إسم اعتاد البعض اطلاقه على نيويورك منذ عام ١٨٠٠ ، وربما يكون قد أخذ من إسم قرية انجليزية حملت نفس الأسم واقترن صيتها بالغباء) . ولعل أهل نيويورك الحاليين يتمنون لو أن مدينتهم قد بقيت على النحو الذي وصفه بو في عام ١٨٤٤ : « حين تزور غوثام ، يتحتم عليك أن تقطع الشارع الخامس الى أن تصل الى صهريج التوزيع قرب الشارع الثالث والأربعين ، كما اعتقد . . المنظر حول الصهريج فائق الجمال ، يمكنك ان ترى . . . جزءاً كبيراً من الميناء ومسافات طويلة من نهري الهدسون والأيست » . كما تنبأ بمصير شاطىء مانهاتين قائلاً : « خلال عشرين أو ثلاثين عاماً على أبعد تقدير ، لن نشاهد هنا ما هو رومانتيكي غير السفن والمخازن والمرافىء » . ترى ما الذي كان يمكن أن يقوله بعد قرن من الزمان ؟

أنهت المسز كليم في أيار عملية بيع مقتنيات العائلة في فيلاديلفيا والتحقت بابنتها وزوج ابنتها . وقد صدف أنها قد باعت مجلداً ضم أعداداً « لسوثيرن ليتراري ماسينجر » كان ادغار قد استعاره من صديقه هيرست الذي كان قد استعاره بدوره من وليم دوان ، أحد وزراء المالية

Twitter: @abdulllah1994

السابقين ، بمعنى أن الأخير كان رجلاً مرموقاً . كان ادغار قد أوعز للمسز كليم بأن تعيد المجلد المذكور الى هيرست ، غير أن المسز كليم كانت قد باعته في ذلك الحين الى صاحب مكتبة في فيلاديلفيا ، ولم تستطع ، أو بالأحرى لم ترغب في استعادته . بقي الأمر طي الكتمان حتى اكتوبر ١٨٤٤ حين تسلم ادغار رسالة من دوان يطلب منه فيها اعادة المجلد الى هيرست . ولدى استفسار ادغار من المسز كليم ، قالت بأنها قد اعادت الكتاب الى هيرست في حينه ، حيث سارع بو الى كتابة رسالة متعالية الى دوان يتهم هيرست فيها بأنه قد وضع المجلد على الرف ونسيه . « كذبة ملعونة » ، صرخ هيرست حين أطلعه دوان على ذلك .وقد ظهر المجلد بعد ذلك في ريتشموند حيث اضطر دوان الى شرائه ثانية على الرغم من أن إسمه كان مكتوباً على صفحته الداخلية الأولى . جن بو غضباً حين علم بالأمر ، غير أنه استمر في الدفاع عن أم زوجته طالباً من دوان ان يتفاهم مع هيرست بذلك الشأن . إنتشرت القصة بالطبع في فيلاديلفيا ملحقة اساءة بالغة بسمعة بو ، كما طالبه دوان بدفع الدولارات الخمسة التي دفعها لشراء الكتاب ثانية ، غير أن دوان علق بعد ذلك قائلاً إن بو « قد مات قبل أن يدفعها واعتقد بأنه مات بسبب عجزه عن دفعها » . إنها فضيحة تافهة حقاً ، وقد نجمت عن تخوف المسز كليم من ازعاج « ولدها » باطلاعه على حقيقة ما حدث ، ومن اصرارها على عدم اضطرار بو للأعتذار عن شيء ارتكبته هي نفسها . لقد فضلت أن يتخذ ادغار موقفاً متحدياً .

اقامت المسز كليم كما يبدو مع ادغار وفيرجينيا في النزل المذكور لبضعة اسابيع ، ثم انتقلوا جميعاً الى منزل المستر والمسز باتريك برينان على بعد خمسة أميال من المدينة ، وعلى مقربة من نهر الهدسون . كان ادغار قد اكتشف مزرعة برينان خلال احدى الجولات

Twitter: @abdulllah1994

التي كان يقوم بها من اجل اعداد مادة عموده في جريدة « السباي » . وحين رأى أن هواء الريف مفيد لفيرجينيا . فقد اقترح على المستر بريتان ان يقيم وعائلته كنزلاء في منزله . كرس بو وقته في هدأة الريف للكتابة . وقد واجه في تلك الفترة صعوبة في نشر قصصه حيث كان قد وزع نحو ست قصص على مختلف المجلات ، وواصل الكتابة دونما هوادة . شهد بأرتياح في تموز نشر قصته « الدفن قبل الأوان » في « الدولار نيوز بيبر » ، كما ظهرت في الشهر التالي قصة « التجلي السحري »في« الكولومبيان ماغازين » ـ وتدور هذه الأخيرة حول اكتشاف عالم ما بعد الموت من خلال التنويم المغناطيسي الذي أصبح مودة العصر في ذلك الحين . وفي أيلول ، ظهرت قصة « الصندوق المستطيل » في « غوديز ليديز بوك » ، وهي قصة زوج يحاول نقل جثة زوجته سراً . لم يزل الموت مسيطراً على مخيلة ادغار ، على الرغم من أن الدافع التجاري اكثر من العامل النفسي ، هو الذي دفعه في تلك الفترة الى التركيز على مثل تلك المواضيع . وكمثال على ذلك، فإن قصة « الدفن قبل الأوان » قد تلاعبت بالخوف الذي شاع في القرن التاسع عشر من أن أية نوبة اغماء تخشبي يمكن أن تعتبر موتاً وأن يغيب المريض في القبر وهو حي (وقد وصل الأمر بشخصيات مثل هانز كريستيان أندرسون وويلكي كولينز الى درجة أن يكتبا تعليمات مفصلة يطلبان مراعاتها قبل دفنهما من أجل التحقق من موتهما) . كذلك فقد سيطرت على ادغار في تلك الفترة رغبة الايذاء ، كما تؤكد ذلك مقالته الأدبية « حياة ثينغام بوب الأدبية » التي نشرها في مجلته القديمة المفضلة « الماسينجر » والتي شن فيها هجوماً كاسحاً على المجلات الأدبية بشكل عام وعلى لويس غريلورد كلارك على نحو خاص ، حيث وصف مقالاته القصيرة بأنها « قوية وجريئة بحيث تبدو غير قلقة ازاء أي

Twitter: @abdulllah1994

موقف متطرف ، بل وتتسم بالسعادة والقناعة سواء وقفت على رأسها أم على قدميها » . ها هو ادغار ينكأ الجراح التي خلفها سابقاً في رئيس تحرير « النيكربوكر » .

يمكننا التعرف على حياة ادغار في تلك الفترة من خلال الرسالةالتي بعث بها الى فريدريك توماس في الثامن من أيلول : « ها أنذا أقوم منذ مدة بدور الناسك بجدية تامة ، ولم ألتق بمخلوق خارج نطاق عائلتي ـ التي هي بخير وتتمنى ان تذكر بالخير . وحين أقول « بخير » فأنا أعني فقط (أي فيرجينيا) أنها بخير كالعادة . فوضعها الصحي محفوف بالمخاطر على نحو شديد . . إنني منكب الآن لأنجاز أعمال متعددة (سوف تراها في النهاية) ـ وبحماس لم أعتقد يوماً بأنني قادر عليه » .

كانت الحياة في مزرعة بريتان رخيصة التكاليف ، غير أنها لم تكن خاليـة من الهموم حيث لم يستطع ما يكسبه ادغار ان يسد الاّ أشد المتطلبات الحاحاً . لقد اتضح الآن أن أقتحام نيويورك انما يتطلب وقتاً أطول بكثير مما أعتقد ادغار ، كما إن الصلات التي اقامها خارج نيويورك لم تعد بفائدة جديرة بالذكر ، وها هو يسعى مجدداً لأحياء مشروع « الستايلوس » دونما جدوى ، كما يسعى لاقناع الأخوة هاربرز بنشر مجلد جديد لأعماله دونما جدوى أيضاً حيث كان الهاربرز ما زالوا يذكرون عملية « كتاب عالم المحاريات الأول » . وفيما أخذت الأمور تزداد سوءاً ، اذا بالمسز كليم تتدخل للأنقاذ . كانت المسز كليم تقوم بدور « الساعي » بين بو والمجلات فيما انكب هو على الكتابة . وقد شملت احدى جولاتها مكاتب « النيويورك إيفنينغ ميرار » حيث قابلت رئيس تحريرها ، ناثانيان باركر ويليس وكسبت عطفه بمحياها « الذي بدت عليه سيماء الجمال والقداسة بفعل استسلامها الواضح للحرمان

Twitter: @abdulllah1994

والأسى » . لقد اكسبتها تلك الأيام العصيبة التي عاشتها في بلتيمور بعد موت زوجها موهبة استدرار الشفقة ، كما وفرت لها الحياة اللاحقة التي عاشتها مع ادغار الفرصة الكافية لممارسة هذه الموهبة . وقد استطاعت قبل ان تغادر مكتب ويليس أن تحصل على موافقته على تعيين ادغار كناقد ومحرر مساعد (أو لكتابة المقالات القصيرة السريعة) . ولا بد أن المسز كليم قد شعرت بالأعتزاز ، فلقد امكن الحصول لادغار على راتب دائم .

وجد ويليس في ادغار شخصاً دمثاً ومخلصاً في عمله . فهو لم يقترب من الكحول منذ أن غادر فيلاديلفيا وها هو الان « منكب على طاولته من التاسعة صباحاً وحتى المساء حيث يتم دفع المواد الى المطبعة » ، وقد اضاف ويليس في الرثاء الذي كتبه بعد موت بو بفترة قصيرة : « انطلاقاً من الأعجاب الكبير بعبقريته ، والاستعداد التام لافساح المجال أمام هذه العبقرية لكي تعوض عما أصابها من اجحاف يفوق العادة ، حيث خيل لنا من خلال الشائعات المتداولة أننا أمام إنسان متقلب المزاج ازاء واجباته ، قابل لاثارة العنف والمشاكل بين حين وآخر . . . ومع ذلك ، فقد مضت الأيام ، وكان خلالها دقيقاً في مواعيده ، منكباً على عمله بشكل تام . لقد كان من المستحيل بالطبع ، أمام ذلك الوجه الشاحب الجميل ، الطافح بالتأمل الفكري ، وكأنه يذكر بحقيقة العبقرية الدفينة فيه ، أن لا تتم معاملته بالاحترام اللائق به . واذا ما طلبنا اليه بين حين وآخر أن لا يسرف في النقد الحار ، أو أن يحذف مقطعاً غلب عليه طابع استيائه من المجتمع والبشرية ، فقد كان سريع الأستجابة بكل أدب » .

حقاً لقد عاد بو الى رتابة العمل المضجر . غير أنه قد اطمأن الآن بأن « دور الناسك » قد أمده بعمل رائع ـ أفضل قصائده المعروفة ،

Twitter: @abdulllah1994

« الغراب » . لقد امتازت هذه القصيدة بقوة ايقاعها ورنتها المغناطيسية . بل لقد وصفت بحق أنها متعة الخطيب . وسيجد المرء لدى التمعن في معانيها بأنها تشكل سيرة ذاتية لحياة ادغار الان بو نفسه :

في منتصف ليلة موحشة ،
بينما كنت منهمكاً ومرهقاً ،
أتأمل العديد من كتب الحكايات القديمة الغريبة العجيبة
بينما كنت أنوس برأسي ، أكاد أغفو
فجأة . . إذ بنقرة
كأن أحداً يطرق الباب بخفة
يطرق باب غرفتي
همهمت . . هذا زائر ، يطرق باب غرفتي
ليس ثمة شيء آخر ، أبداً
اذكر ذلك بوضوح
في كانون القارس
حيث كل جمرة مترمدة تلقي بظلها ،
فوق أرض الغرفة
لشد ما تمنيت أن يطلع الصباح
وعبثاً حاولت أن أستمد من كتبي
ما يبعد الأحزان
أحزان فقدان لينور
أحزان تلك الفتاة النادرة المتوردة التي ،
تسميها الملائكة لينور
ولم يعد لها إسم بعد الآن ، أبداً .

Twitter: @abdulllah1994

حفيف الستائر الحريرية القرمزية ،
الحزينة القلقة
هزني ـ غمرني بهواجس خيالية لم أعرفها من قبل
ولأجل أن اهدىء من ضربات قلبي
وقفت أردد
هذا زائر في باب غرفتي يتوسل الدخول
زائر متأخر في باب غرفتي يتوسل الدخول
ليس ثمة شيء آخر ، أبداً

وبعد أن يقف المتحدث طويلاً ، « مشدوهاً ، خائفاً ، متشككاً » ، فريسة احلام لا يتجرأ مخلوق على الحلم بها ، يعود فيقول :

هكذا دفعت المصراع بقوة
واذا بغراب مهيب الطلعة ، من عصور الورع الخالية
يندفع بكل خيلاء ورفرفة
لم يلق بأي تحية إجلال
ولم ينتظر أو يتوقف للحظة ما
بل بحبروت السيد (أو السيدة)
جثم فوق الباب
جثم على تمثال « بالاس » النصفي ، فوق باب الغرفة
جثم ، واستراح
ليس ثمة شيء آخر ، أبداً .

وإذ أغراني ذلك الطائر الأبنوسي ،
من قلب خيالاتي الحزينة ، بالابتسام

Twitter: @abdulllah1994

بما كسى وجهه من صرامة واعتداد
قلت : « رغم أن عرفك مجزوز وحليق
فأنت لست جباناً بالتأكيد
أيها الغراب المتجهم العتيق
القادم من شاطىء الليل
قل لي ، ما اسمك الكريم هناك ، في شاطىء الليل
البلوتوني » !
رد الغراب : « لم يعد لي إسم ، أبداً » .

أثم ينتهي المتحدث الى القول :

صرخت منتفضاً : « لتكن تلك الكلمة شارة افتراقنا
أيها الطير ، أو الشيطان
ألا أغرب في لجة العاصفة وشاطىء الليل البلوتوني
ولا تخلف أية ريشة سوداء كتذكار ،
لتلك الكذبة التي نطقت بها روحك
ألا أرحل عن وحدتي قبل أن تحطمها
وعن ذلك التمثال فوق بابي
ألا أنزع منقارك من قلبي
وأرحل بشكلك عن بابي
رد الغراب : « أبداً ، أبداً » .

وما زال الغراب جالساً ، جالساً دون حراك
فوق تمثال بالاس الشاحب ، فوق باب غرفتي
عيناه عينا شيطان يحلم
والضوء من فوقه يصب ظله فوق أرض الغرفة

Twitter: @abdulllah1994

وروحي الملقاة في الظلال ،
السابحة فوق ارض الغرفة
سوف تنقذ ـ أبداً ، أبداً !

يتعذر في وقتنا الحاضر أن نقرأ هذه القصيدة دون أن نبتسم إبتسامة عريضة لما يبدو من تنافر في بعض الكلمات التي تم استخدامها من اجل صوتها فقط ، غير أننا اذا ما قرأنا القصيدة كاملة دون أن نحاول تحليلها ، فلا مفر من الاحساس بأننا واقعون تحت سطوة إحساس غريب ، وكأننا قد أصبحنا وجها لوجه أمام روح الشاعر المعذبة . هناك مثل انجليزي : يقول : « الكلب الأسود فوق ظهرك » وهو يكاد يعني أن أحداً قد اصابه مس من الشيطان . لقد شعر بو بأن ثمة غراباً على ظهره . وعلى الرغم من أن ادغار قد استمد فكرة القصيدة من شخصية « غريب » في رواية « بارنابي رادج » ، الا انها تفصح عن شيء يتجاوز ذلك . فلقد كان الغراب في زمن الرومان فأل سوء ونذيراً بالشرور والمرض والموت ـ على النحو الذي وضعه الشاعر الرعوي جون غاي في القرن الثامن عشر :

جلس الغراب نذير الشؤم في كوخه
ذكرنا نعيبه الأجش بمصيرنا

ففي أشد لحظات حياته حلكة ، أحس بو بأن حياته ليست الا نذير خاتمة مريعة . ومن هنا فقد سيطر هاجس الموت عليه : متى يحدث ، ولماذا ، وما الذي يتبعه ؟ ومن هنا ، فقد برز شبح الغراب الذي لن تفلت منه روحه أبداً .

غير ان النجاح أتى من أحشاء الظلمة . فلقد أثارت قصيدة لغراب زوبعة لدى نشرها في عام ١٨٤٥ ، أولاً في « الميرار » في

Twitter: @abdulllah1994

التاسع والعشرين من كانون الثاني ، ثم في شباط في « الاميريكان ريفيو » . وقد ظهرت الطبعة الأولى باسم بو الكامل ، بينما ظهرت الثانية بإسم مستعار هو « كورال » . وقد كتب ويليس قائلاً : « إن القصيدة لا يضاهيها أي شيء في الشعر الأنجليزي من حيث قدرتها على الاستمرار في تصعيد الخيال » . ولم تستطع « النيكربوكر » الا ان تعلق بقولها إن « الغراب » قصيدة « فريدة ، ثرة الخيال على نحو متميز ، وذات موسيقى فائقة » . غير أنها عمدت بعد نحو شهر الى نشر بعض التعليقات الهزلية التي أوحت بها القصيدة .

ها قد أصبح بو محط الأنظار . وقد نشر جيمس لويل سيرة قصيرة لحياته في عدد شباط من مجلة « غراهامز » رغم ان هذه السيرة لم تكن مطابقة تماماً للحقيقة . فقد ذكر ادغار بأنه ولد في عام ١٨١٣ ، وقال بأنه قد غادر الويست بوينت بسبب ولادة وريث لجون ألان ، كما روى اسطورة رحلته الى « بيترسبورغ » . غير ان ذلك زاد من سطوع نجمه . وقد قال لويل في نفس المقالة أن بو « يمتلك ذلك الشيء الذي لا يمكن أن يتم وصفه والذي يدعوه الناس عادة بالعبقرية » واستطرد قائلاً : « على الرغم من أنه يبدو أحياناً وكأنه يغمس قلمه بحامض البروسيك بدلاً من الحبر . . الا انه رجل مستقل الرأي ، يقول ما يعتقد، ويدرك ما يقول تمام الأدراك » . غير انه ما لبث بعد فترة أن اكتشف ما وصفه « بأحقاد بو الصغيرة » ، وكتب قائلا : « ها هو بو يطلع علينا « بغرابه » الذي شأنه شأن بارنابي رادج ، ثلاثة اخماسه عبقرية وخمساه انتحال صرف » .

لم يتم تعديل هذه الخلاصة اللاذعة نحو الأفضل .

في هذه الأثناء ، أصبح بو بطلا معبوداً . فلقد أصاب هوس

Twitter: @abdulllah1994

« الغراب » الجميع . وفي الثامن والعشرين من شباط حاضر بو في جمعية نيويورك التاريخية حول الشعر الاميركي ، حيث القى على جمهور مؤلف من نحو ثلاثمئة شخص مختارات من مراجعاته النقدية . وقد تخلص ادغار في تلك الأثناء ايضاً من قيود عمله المتواضع في « الميرار » وأصبح بفضل مساعي لويل محرراً مشاركاً في مجلة « البرودواي جورنال » ، وهي مجلة اسبوعية انشأها شخصان انجليزيان حديثا العهد في الولايات المتحدة ، هما جون بيسكو وجون بريغز مؤلف رواية « مغامرات هاري فرانكو »، اكثر الكتب رواجاً في تلك الفترة . كان بريغز صديقاً للويل الذي عرفه ببو ، حيث دعاه للمساهمة الدائمة في المجلة ، وبعد النجاح الساحق الذي حققته قصيدة الغراب عرض عليه بيسكو ان يشاركه في تحرير المجلة مقابل ثلث الأرباح ، وأن يوفر من عنده مادة جديدة لصفحة كاملة في كل عدد . طار ادغار فرحاً . ها هو يحصل ولأول مرة في حياته ، على قاعدة أدبية يستطيع أن يمارس سيطرته الكاملة عليها ، وكان ذلك أفضل ما يمكن الحصول عليه ، باستثناء حصوله على مجلة خاصة به .

أما بريغز ، فقد كان أقل تحمساً ، وقد قال الى لويل : « بو مجرد مساعد لي ، ولن يتدخل بأسلوب ادارتي للعمل . . كان لا بد من وجود شخص آخر لمساعدتي في ضوء استعدادي للانشغال بعيداً عن أمور المجلة ، كما إن بو يتمتع بمكانة جديرة بأن يسمى محرراً » . ومع ذلك قد مال بريغز الى ادغار ، وبدت الأمور بأنها انما تتجه نحو توطيد علاقات طيبة . لقد توفرت الفرصة لأدغار ان يصبح شخصية أدبية راسخة بدلا من ذلك الوضع المتقلب الذي كان عليه . غير ان الطريقة التي اتبعها بو في القذف عرض الحائط بهذه الفرصة ، إنما تنم عن حتمية تثير القشعريرة .

Twitter: @abdulllah1994

كان بو قد بذر بذور سقوطه على صفحات «الميرار» حين قدم مراجعة لكتاب ضم مختارات من القصائد أعده لونغفيلو بعنوان « ويف » ـ Waif :

نختم ملاحظاتنا حول « ويف » بالقول إنه على الرغم مما زخرت به هذه المجموعة من جمال ، الاّ أنها مصابة بعلة خلقية ـ أم أن ذلك هو مجرد نتاج خيالنا المسرف ؟ سنكون مسرورين إن كان الأمر على هذا النحو ـ غير أن ما يبدو ، « حقاً » في هذا المجلد الصغير ، هو أنه قد تم تجاهل كافة الشعراء الأميركيين ، وعلى نحو متعمد ، الذين ربما يتعارضون بشكل خاص مع آراء المستر لونغفيلو . إن المستر لونغفيلو قادر على الدوام على « تقليد » هؤلاء الرجال (هل هي الكلمة الصحيحة ؟) ، غير انه لن يكيل لهم المديح ولو على نحو عابر .

إحتج أصدقاء لونغفيلو بشدة على ما يوحي به هذا التعليق من عدم أمانة ، ونشر ويليس كلاماً بلغ درجة الاعتذار من لونغفيلو ، ثم أتبعه بنشر دفاع عن لونغفيلو بتوقيع مجهول إسمه « أوتيس » إتهم فيه بو بطريقة غير مباشرة بالأنتحال في قصيدته « الغراب » . استشاط بو غضباً وعمد ، بدافع الشهرة أيضاً ، الى نشر سلسلة من خمس مقالات كرسها للرد على مقالة « اوتيس » إنهم فيها لونغفيلو بالانتحال في قصيدته « قداس نصف الليل للسنة الآفلة » والأدعاء بأن الأغنية السكوتلندية الشعبية « بوني جورج كامبيل » هي ترجمة ألمانية لقصيدة له ، واستغلال قصيدة بو « السياسي » لدى تأليف قصيدته « الطالب الأسباني » . إتسم كل ذلك بالسخافة الشديدة . كان ادغار انما يلعب بالكلمات ، غير انه ما لبث أن وجد نفسه مضطراً للقتال بالكلمات .

Twitter: @abdulllah1994

لا شك بأن بو كان صادقاً تمام الصدق في رأيه بشعر لونغفيلو ، ذلك أن ما اتسم به شعره من وعظ أخلاقي وضعف واضح في تفاعيله السداسية والافتعال بدلا من الألهام لا بد وأن أساء الى ذوق بو . غير ان العلة في نقد بو هي تلك الطريقة الماكرة التي صاغ نقده بها ـ وذلك بغض النظر عن تهمة الانتحال المضحكة . وقد علق بريغز قائلاً : « لقد أصيب بو بالهوس ازاء موضوع الانتحال ، وهي هواية مغرية جداً حيث قرر أن يركب موجتها حتى الموت » . غير ان المحرر الشريك لم يكن بمقدوره أن يمنع بو من ركوب تلك الموجة المجنونة . ثم إن كل ذلك قد أدى الى انتشار صيت المجلة التي ما لبث الأقبال ان تزايد عليها يوماً بعد يوم ، كما ازدادات هجمات الاعداء القدامى على ادغار ، بزعامة لويس غريلورد كلارك . ففي تموز ١٨٤٥ ، أطلقت النيكربوكر طلقتها التحذيرية حين وصفت بو بأنه « ناقد لا يعجبه العجب . . واحد من كثيرين ممن لا يساوون شيئاً الا اذا انتقدوا ، وهم أقل من لا شيء حتى في ذلك » . أطلق بو طلقته المضادة :

« . . . إنه يتحدث عن الناقد الذي لا يعجبه العجب (نيل أدميراري) ، حيث في اعتقادنا أن أحداً من سخر منه إذ أفهمه أن (نيل أدميراري) تعني « لا يعجبه العجب » . نحن بالتأكيد غير معجبين بالمستر كلارك ـ ولا بباروكته [الشعر المستعار] . غير ان المعنى الانجليزي الصحيح لهذا التعبير اللاتيني هو أن «لاتدهش بشيء» ، ونحن نعترف بذنبنا هذا ، حيث أننا لم ندهش بشيء منذ أن وجدنا « النيكربوكر » تنحدر يوماً بعد يوم في نظر الرأي العام على الرغم من كفاءات المستر لويس غريلورد دكلارك اللامعة وثقافته الواسعة » .

Twitter: @abdulllah1994

كان بو قد خيب ظن جيمس لويل فيه بحملاته التي شنها ضد لونغفيلو . وقد وضع الاجتماع الوحيد الذي ألتقى فيه لويل ببو في اوائل صيف ١٨٤٥ حداً لصداقتهما . اعتقد لويل بأن بو كان ثملاً ، وقد افادت المسز كليم ، التي حضرت الاجتماع المذكور ان بو « لم يكن متمالكاً لنفسه » . اما إدغار فقد قال من جانبه انه قد صدم بمظهر لويل كرجل مثقف . . كانت نبالة مظهره أقل بكثير مما توقعت » . هكذا كانت صداقة بو ولويل أول إصابة في ما سمي « بحرب لونغفيلو » .

ثمة إصابة اخرى من نوع آخر في تموز نفسه اذا ما اردنا ان نصدق ما رواه توماس هولي شيفرز ، وهو شاعر من جورجيا وصديق لبو منذ ايام فيلادلفيا ، وقال شيفرز انه قابل يوماً بو ، وكان« ثملاً كهندي » ، وقد التقيا بعد قليل بلويس كلارك وهو يحادث شخصاً آخر . . إهتاج بو وهدد بمهاجمة كلارك بينما بذل شيفرز جهده للحيلولة دون ذلك . . ثم تم تراشق بالكلمات الغاضبة بين بووكلارك ، وانتهى الامر بانسحاب كلارك انسحابا مؤدبا فيما نعته بو « بالجبان اللعين » . ربما تكون حكاية شيفرز غير صحيحة ، رغم ان حدوث لقاء بين بو وكلارك امر مؤكد حيث سيجد كلارك في ذلك اللقاء ذخيرة للمستقبل .

أعقبت ذلك فترة من الهدوء في حرب الكلمات انشغل خلالها بو بنشر بعض قصصه في « البرودواي جورنال » وبيع بعضها الآخر لمجلات اخرى ، وكتابة قصة جديدة هي « الوقائع في قضية م. فلاديمير » ، التي وصفت في ذلك الحين بانها « أسوأ ما كتب بو وأشد قرفاً » . يعود بو في هذه القصة لموضوع التنويم المغناطيسي ، حيث يتم تنويم شخص وهو على فراش الموت ، وانما بهدف الحفاظ

Twitter: @abdulllah1994

على عقله حياً في هذه المرة ، وعلى الرغم مما تثيره القصة من مشاعر التقزز في محاولتها اثارة الرعب المحض ، اضافة لما تحمله من تحذير ضد التدخل في عملية الموت الطبيعي ، فليس هناك ما يضاهيها في هذا المجال . تنتهي القصة على نحو مسرف في الرهبة والقباحة :

« ثمة عودة مفاجئة لحمىٰ على شكل دوائر محمرة فوق الخدين : ارتعش اللسان ، بل تلوى بعنف داخل الفم (رغم ان الفكين والشفتين بقيا منفصلين كالسابق) ، وبعد انتظار ، انطلق الصوت القبيح الذي وصفته قبلاً : « بحق الله ـ هيا ! هيا ! أنمني ـ او هيا ! أيقظني ـ هيا ـ أقول لك . . انا ميت ! » .

وإذ قمت بسرعة باشارات التنويم ، بينما الكلمات تنطلق « ميت ، ميت ! » ، تتدفق من لسان ، وليس من شفتي المكابد ، سرعان ما ، وخلال دقيقة واحدة ، او اقل ، انكمش جسده ـ تفتت ـ تفسخ تحت يدي . وعلى الفراش ، امام كافة الموجودين ، كانت ثمة كومة من سائل من العفن الكريه » .

أصبح النجاح في متناول بو بعد نشر « حكايات » من قبل دار نشر «ويلي اند بوتنام » في نيويورك ، لم يـرضَ ادغار تمام الرضى عن المجلد الجديد ـ فقد ضم اثنتي عشرة قصة من مجموع القصص التي قدمها للدار والبالغة اثنتين وسبعين قصة . غير انه حصل ـ وربما لاول مرة في حياته ـ على ثمانين سنتا عن كل مجلد ـ لقي المجلد الجديد نجاحاً فائقاً حيث تم استقباله في الولايات المتحدة « كأحد اكثر المنشورات ابداعاً » ، كما وصف في انجلترا بعد تهريبه الى هناك بانه

Twitter: @abdulllah1994

« عمل عبقري » . وكان ادغار في ذلك الحين قد ضمن له وكيلاً في انجلترا هو الشاعر ريتشارد هنري هورن الذي كان قد بدأ بمراسلة ادغار بعد ان كتب ادغار مراجعة اطرى فيها على ملحمة هورن الشعرية « أوريون » في عام ١٨٤٤ ، لا نعلم بالضبط ما الذي قام به هورن بصفته وكيلاً ، غير انه من المؤكد ان بو لم يحصل على اية عوائد مالية من نشر اعماله في انجلترا،وفي خضم كل ذلك الاطراء والمديح الذي لاقته « حكايات » ، فقد تنبأ احد المعلقين ، بأن ذلك العداء الذي اثاره بو من خلال كتاباته النقدية ، ربما سينعكس على كتاباته الروائية ، وقد ثبتت صحة ذلك .

الى جانب المخاطر الخارجية ، كان هناك ما يشير الى تفاقم مشكلة بو الداخلية ، فبالإضافة الى ما ذكره كل من شيفرز ولويل حول عودة ادغار للشراب ، فقد تأكد ذلك من خلال ما ذكره احد سعاة « البرودواي جورنال »، اليكسندر كرين، في مقابلة اجريت معه في عام ١٩٠٢ : « كان بو قد ألقى محاضرة في « مكتبة المجتمع » في نيويورك حول«الشعروالشعراء في أميركا». وقدلقيت تلك المحاضرة نجاحاً وتم اقناعه بالقائها ثانية ، كانت الليلة التي حددت لالقاء المحاضرة الثانية سيئة جداً ، حيث هبت العواصف المصحوبة بوابل من المطر والبرد بلا انقطاع ، ونتيجة لذلك ، لم يتجاوز عدد الحاضرين عشرة اشخاص ، حيث ما لبث بو حين صعد الى المنصة ان اعلن عن تأجيل المحاضرة بسبب تلك الظروف وان بمستطاع الحاضرين استعادة نقودهم عند الباب ، كنت احد الحاضرين ، حيث كان بو قد اعطاني بطاقة تكريمية ، وقد أسفت جداً لما حدث ، واستطعت ان ارى في وجهه علائم الاسف الشديد ، كانت تلك حادثة صغيرة حقاً،غير انه كان إنساناً سريع الأنزعاج بالاشياء الصغيرة،في

Twitter: @abdulllah1994

اليوم التالي ، جاء الى المكتب مستندا الى ذراع احد اصدقائه ، تفوح منه رائحة الخمر . » .

لو كان كرين منحازاً ، لأنحاز بالتأكيد الى جانب بو ، ذلك انه كان معجباً به الى درجة العبادة ، ووصفه بانه « أرق وأصدق وألطف وانبل من عرفت في حياتي» ،وقد عزا ثمل بو الى حقيقة ان صحته «كانت شديدة الضعف والحساسية ،واعصابه تهتز بفعل أقل لمسة» . كذلك استنتج كلارك بان بو كان يتناول الافيون ، رغم عدم وجود اية قرينة تؤكد مثل هذا الادعاء ـ بل ان كافة الدلائل تقود الى عكس ذلك الاستنتاج ، فلقد كان الضرر الذي ألحقه به الشراب كافياً على اية حال ، ولعل الارهاق الناجم عن العمل المتواصل هو الذي دفع ادغار ثانية الى الشراب : فقد اخبر توماس في ايار ١٨٤٥ انه كان يعمل نحو اربع او خمس عشرة ساعة متواصلة في اليوم ، كذلك فقد مرت صحة ڤيرجينيا في تلك الفترة باحدى مراحل تدهورها ، واضطرت العائلة الى الانتقال من مزرعة بريتان الى نزل في إيست برودواي لاجل توفير عناء الرحلة اليومية التي كان بو يقطعها والبالغة نحو عشرة اميال جيئة وذهاباً ، ويبدو ان أي تحسن لم يطرأ على صحة ڤيرجينيا نتيجة ذلك .

أوجد ادغار عدواً جديداً له في تموز المذكور ، ذلك هو بريغز الذي اضطر الى الانسحاب من المجلة ، فقد قال بريغز في رسائل بعث بها الى لويل انه اصبح لا يطيق بو ولا بيسكو وانه قد وجد شخصاً على استعداد لدعم المجلة مالياً ، وقد وافق بيسكو في البداية ، كما قال بريغز ، على التنازل ، غير انه عاد وطلب ثمناً يفوق طاقة الناشر الجديد ، مما ادى الى الغاء الصفقة وعدم اصدار احد اعداد المجلة ، وقال بريغز ان ادغار قد انغمس في الشراب « وخيل اليه بانني أسيء معاملته . . . واقنع بيسكو ان يستمر بالمجلة بمفرده » ، هكذا

Twitter: @abdulllah1994

تمت مغادرة بريغز واصبح ادغار المحرر الوحيد للمجلة ، كتب بريغز الى لويل قائلاً : « لقد توصلت انت الى تقييم صحيح لخلق بو اللاأخلاقي ، انني لم اقابل في حياتي من يفوقه افتقاراً للدوافع السامية النبيلة » ، ها قد انضم شخص آخر لقائمة المتربصين للانتقام من إدغار .

كان بو مقتنعاً تمام الاقتناع بعدم قدرة اي شيء على ايقافه عند حده ، فحين بدت الأمور في صالحه ، اندفع بحماس كحماس الطفل ، واذا ما انهالت عليه المصائب ، وما اكثرها (ومعظمها على الأقل ناجمة عن تصرفاته) ، فهو يعتقد بان العالم قد شارف على نهايته . . . فبعد ان تسلم مقاليد المجلة بمفرده ، واصل استهزاءه بالشخصيات الادبية التي لم يتفق معها واهانته لها ، ثم ما لبث ان استدار نحو النقد المسرحي ، وانتهى الامر الى شطب اسمه من قائمة الرواد الضيوف في احد المسارح ، كذلك اصبح مكروهاً في بوسطن بعد ان قرأ قصيدة « الأعراف » خلال احدى محاضراته التي ختمها بقوله بانه لن يجشم نفسه عناء تأليف عمل جديد ـ كما طلب اليه ـ من اجل سكان « مستنقع الضفادع » .

غير ان ادغار ما لبث ان لقي الحفاوة لدى اطراف المجتمع الأدبي النيويوركي ، حيث استقبلته امسيات الشاعرات الهاويات في صالون المس آن تشارلوت لينش ، على مقربة من واشنطون سكوير . ففي شتاء عام ١٨٤٥ ، انتقل بو بعائلته الى المنزل المرقم ٨٥ في اميتي ستريت ، حيث أصبح قريباً من طبقة المتأدبين ، اضافة الى ان طبيعة المنطقة المنفتحة على الهواء الطلق قد كان من شانها ان تفيد ڤيرجينيا ، حظي ادغار بالإعجاب ، ونال الكثير منه وخاصة من السيدات متوسطات العمر اللواتي كن يكتبن الأبيات الشعرية النسائية

Twitter: @abdulllah1994

ويجتمعن في بيوتهن لآلقاء عصارة قلوبهن وسط تآوهات الأعجاب ، ها قد اصبح ادغار بطلاً ، فهو على كل حال مؤلف « الغراب » ومحرر مجلة تطلعت الكثير من النساء الى رؤية ابياتهن الشعرية وقد نشرت على صفحاتها . ثمة تقدير آخر حيث بادر الناشران « ويلي أند يوتنام » في تشرين الثاني ، وبعد نجاح مجلد « حكايات » الى نشر « الغراب وقصائد اخرى » في مجلد جديد ، كان ادغار في ذلك الحين قد اصبح المالك الوحيد لمجلة « البرودواي » .

فعلى الرغم من تزايد اسعار الاعلانات وارتفاع اعداد النسخ المباعة ، فقد واجهت المجلة ازمة مالية ولم يكن كل ذلك كافياً لتغطية نفقاتها . غرق بيسكو في الديون وبلغ به اليأس حداً دفعه الى بيع حقوقه في المجلة الى بو بكمبيالة مقدارها خمسون دولاراً ، لم يكن ادغار شخصا يعتمد عليه ، حيث ما لبث ان لجأ الى هوراس غريلي ، وهو سياسي وصاحب « النيويورك تربيون » لتجيير الكمبيالة ، كان امامه ستون يوماً لتسديدها وكان بحاجة للمال من اجل ادارة شؤون المجلة ، لم تكن علاقته بروفوس غريزوولد في ذلك الحين سيئة ، حيث بادر الى استجداء خمسين دولاراً منه كدين (كان الواحد منهما بحاجة للآخر حيث اصدر غريزوولد كتاب « النثر في أميركا » وضمنه بعض نماذج من بو ، كما قام في وقت لاحق بتزوير عدد من الرسائل ادعى ان بو قد ارسلها اليه ، وهي رسائل تنضح بالاستخذاء والتوسل ، غير ان المرجع هو ان غريزوولد هو الذي بادر الى التقرب من بو حيث لم يكن قد حان وقت الانتقام) . كذلك اتصل ادغار بقريبه جورج في الاباما ، وواصل نشر قصصه في المجلة مستخدماً في بعض الاحيان اسماً مستعاراً هو « ليتلتون باري » كما واصل هجومه على كلارك قائلاً : « حقاً ان النيكربوكر الصادرة في تشرين الثاني ، هي تحت

Twitter: @abdulllah1994

مستوى الاعتبار وتحت مستوى الاحتقار . ومع ذلك ، فقد كانت هذه المجلة في يوم ما مجلة محترمة ، ولا يسعنا الا ان نأسف ، حرصاً على الأدب الأميركي ، على انحطاط مجلة من هذا النوع بسبب بلاهة المشرفين عليها ـ يتحتم على اصدقائها ان يهبوا لنجدتها » .

في السادس والعشرين من كانون الأول، استحق دفع الكمبيالة الى بيسكو ، ولم يكن بمقدور بو ان يدفعها ـ فجورج بو قد رفض مساعدته ، كما لم تكن القروض التي حصل عليها من هنا وهناك كافية ، في الثالث من كانون الثاني ١٨٤٦ صدر الاعلان التالي على صفحات المجلة :« نظراً لالتزامات غير متوقعة تتطلب مني تكريس كامل وقتي ، وفي ضوء ان الاهداف المتوخاة من اصدار « البرودواي جورنال » قد تحققت، وذلك بقدر تعلق الأمر بي شخصياً، فإني، بصفتي رئيس تحريرها ، القي تحية الوداع ـ باحترام تام للأعداء كما للأصدقاء . . لقد تم تخويل المستر توماس لين بجباية الأموال المستحقة للمجلة » .

لقد حقق ادغار امله في الحصول على مجلة خاصة به ، وها هي قد ماتت ، لقد كلفته مالاً كثيراً ، كما كلفته العديد من الأصدقاء ، وبموتها ، اصبح ادغار تحت رحمة زمرة النيكربوكر .

في الرابع عشر من شباط ١٨٤٦ ، قدمت ڤيرجينيا لزوجها بطاقة بمناسبة عيد القديس فالينتاين ، وقد كتبت عليها ابياتا شعرية بدأت اول كلمة من كل سطر بحرف من حروف اسمه :

أرغب ان اتجول معك أبداً
فكل ما هو عزيز في حياتي ملك لك
ألا امنحني كوخاً بيتاً لي

Twitter: @abdulllah1994

وعريشة من السرو الريان القديم
بعيداً عن كل خطايا وهموم العالم
وثرثرة الألسنة الكثيرة
سيكون الحب مرشدنا الوحيد هناك ـ
سيشفي الحب ضلوعي المنهكة
فالساعات الهادئة التي سنقضيها
سوف نتمنى ان لا يراها احدا
سوف نتمتع بالراحة التامة دون ان نفكر
بان نربط انفسنا للعالم وصخبه
سوف ننعم أبداً بالسعادة والسلام .

حصلت ڤيرجينيا على الكوخ الذي أرادته فوراً ، ففي الربيع استأجر ادغار كوخاً محاطاً بأرض زراعية في فوردهام ، على بعد نحو ثلاثة عشر ميلاً من المدينة (يقع الآن في برونكس وقد احيل الى متحف) ، غير انها لم تتمتع بالساعات الهادئة كما لم يشف الحب ضلوعها المنهكة ، ولم تنعم بصمت ثرثرة الالسنة الكثيرة ، حيث ما لبثت الشائعات ان انتشرت حول علاقات ادغار بالأديبات اللواتي اسرن بسحره ولهجته الجنوبية ، بينما عمد الرجال الى الاستهزاء بالمتشدق الڤيرجيني . وقد انتشرت بشكل خاص شائعة علاقته بالمسز فرانسيس سارجينت أوسغود، وهي شاعرة ناجحة في الثلاثين من العمر وزوجة فنان معروف . وكان بو قد امتدح قصائدها في بعض مراجعاته حيث ما لبثت بعد صدور « الغراب » ان طلبت مقابلته بواسطة ناتانيال ويليس ، محرر « الميرار » . وقد كتبت بعد حين قائلة : « لن انسى ذلك الصباح الذي دعيت فيه الى غرفة الاستقبال للقاء بو ، كان ماثلاً امامي برأسه الجميل المتعالي وعينيه الداكنتين الطافحتين ببريق الاحاسيس والافكار

Twitter: @abdulllah1994

الخاطفة ، ومحياه الغريب الذي تمتزج فيه على نحو فريد مشاعر الدماثة والكبرياء ، حياني بهدوء ووقار ، بل وببرود ، وان يكن قد بدا عليه اهتمام واضح بحيث لم استطع الا ان اؤسر به ، اصبحنا صديقين منذ تلك اللحظة والى حين موته .

وقد وصف احد الاصدقاء المسز اوسغود بانها « أمرأة متوقدة مرهفة الحس نابضة بالحياة . . عابدة للجمال » ، لقد رأت في بو شخصية رومانتيكية غامضة ، وقد غازلته ببعض قصائدها على صفحات « البرودواي جورنال » ، كما اعاد بو النظر في قصيدة كان قد كتبها من اجل اليزابيث وايت ، ابنة صاحب« السوتيرن ليتراري ماسينجر » وحول اهداءها الى « المسز ف ـ س . س . ت . أو ـ د» ،هكذا ترسخت صداقتهما واصبحت المسز اوسغود دائمة التردد على بيت ادغار ، حيث كتبت بعد ذلك قائلة :

في بيت إدغار بو الشاعري الصغير ، بدت لي شخصيته في عنفوان بهائها ، لعوب وحميم وفطن ، يتنقل بين الطاعة والمشاكسة كطفل مدلل ، كان دائم الاستعداد لتقديم الكلمة الرقيقة والابتسامة الحميمة والاهتمام اللائق لزوجته الشابة الرقيقة المولة بها او لكل من حضر الى بيته حتى ولو كان في خضم انهماكاته الادبية ، كان يجلس الى مكتبه ، ومن فوقه صورة حبيبته الضائعة لينور ، ساعة تلو ساعة بكل صبر ومثابرة ودونما اي تذمر ، وهو يدبج بخطه الواضح الرشيق وبسرعته المذهلة ، تلك الافكار البارقة ـ تلك الأخيلة النادرة المتوردة ـ فيما هي تومض عبر عقله الرائع المتوقد أبداً .

تبدو واضحة في هذه الكلمات آخر فورات الافتتان الصبياني ،

Twitter: @abdulllah1994

وقد تقبلت ڤيرجينيا ذلك الوضع على علاته ، كما أدركت بان هذه الصداقة قد افادت ادغار حيث ما لبث ان اقلع عن الشراب بناء على الحاح المسز اوسغود (على الاقل في حضورها) ، بل عمدت الى تشجيع المسز اوسغود على المجيء والكتابة لبو ، غير ان بقية عضوات الجمعية الادبية قد فسرن هذه العلاقة على نحو آخر ، سواء بدافع الغيرة او الاحتشام المفرط ، حيث عمدت احداهن ، وهي المسز اليزابيث إيليت ـ وكان ادغار قد أولاهـا بعض الاهتمام خلال الامسيات الادبية ـ الى كتابة رسائل مغفلة التوقيع الى ڤيرجينيا توحي لها فيها بان علاقة المسز اوسغود بادغار نابعة من مشاعر اقل طهارة من مجرد التعاطف الشاعري ، انزعجت ڤيرجينيا كثيراً بهذه الرسائل ، غير ان الامر لم يقف عند هذا الحد ، حيث عثرت المسز ايليت في احدى زياراتها لبيت ادغار على رسالة موجهة من المسز اوسغود اليه ، وفوجئت بما تضمنته من افراط عاطفي . استشارت صديقاتها ، ثم الحت على المسز اوسغود ان تستعيد رسائلها « المثيرة للشبهات » حيث ما لبثت سيدتان من ذوات الشفاه المزمومة ان قامتا بزيارة ادغار لهذا الغرض . دهش ادغار بادىء الأمر ، ثم تملكه الغضب وصرخ قائلاً بانه من الافضل للمسز إيليت « ان تاتي لتنظر في امر رسائلها الخاصة بها » ، ثم ناول السيدتين نفثات قلب المسز أوسغود اللتين غادرتا لكي تحذرا المسز إيليت بالخطر الذي ينتظرها . بعد عدة أيام ، تلقى بو تهديدا من شقيق زوج المسز إيليت ، غير ان بو كان قد اعاد رسائل المسز إيليت ايضاً . انقطعت المسز أوسغود عن زيارة ادغار وبدأ مروجو الاشاعات يصفون ادغار بانه زير نساء ، وقد ذكر بو بعد ذلك ان ڤيرجينيا قد « قالت وهي على فراش الموت بان المسز إيليت هي التي قتلتها » .

Twitter: @abdulllah1994

وفيما كانت الألسن تلوك سمعة إدغار الشخصية ، كان لويس غريلورد كلارك قد بدأ بالأستعداد للاجهاز على سمعة بو الأدبية . ففي كانون الثاني ١٨٤٦ ، استدارت النيكربوكر الى «الغراب وقصائد أخرى » قائلة : «إذا ما رغبنا في الرد على تلك الكتابات المسرفة في الزيف والكذب التي وجهها المستر بو بدافع من خياله الموتور في صحيفته ضد هذه المجلة ، فلا أقل من أن نطلب السماح لنا بنقد مجلد القصائد هذا . . » . واستطرد كلارك قائلاً بأن تلك القصائد يمكن أن يكتبها أي صبي ، «غير أن الصبية نادراً ما يجرأون على نشر مثل تلك الأبيات حين يكبرون . . . » ، وأن بمستطاع بو أن يكون حبيب السيدات ، أما بين رجال الأدب ، « فإن سيفه مغلول الحد » ، ولأجل أن يذر الملح على الجرح ، نشر كلارك الى جانب مقالته هذه ، مقالة أخرى خصصها لاطراء لونغفيلو وضمنها طعنة عرضية للذين «ينصبون أنفسهم شعراء » بينما هم عاجزون عن الوصول الى مرتبته في الابداع .

لم يكن لدى بو بعد أن فقد مجلته أية قاعدة ثابتة يستطيع أن يرد على خصمه من فوقها . غير أنه كان يعمل على إعداد سلسلة من السكتشات بعنوان «المتأدبون في مدينة نيويورك ـ بعض الكلمات العابرة المخلصة حول جدارتهم كمؤلفين مع بعض الكلمات المتعلقة بالشخصية » . ظهرت أول حلقة في أيار في «غوديز ليديز بوك » . وقد تضمنت هذه الحلقة غمزاً بلونغفيلو وأتباعه «المشعوذين » وهجوماً على تشارلز بريغز واصفاً إياه بأنه «جاهل الى حد شنيع » . لقيت هذه السكيتشات رواجاً فائقاً ، وما إن سمع كلارك بأنه سيكون إحدى شخصياتها المقبلة ، حتى بادر الى استباق بو بهجوم وصفه فيه بأنه «نموذج متنقل من نماذج أدعياء الأدب . . . اليوم في الحانات وغداً

Twitter: @abdulllah1994

في مجلات الغانيات . . » . ثمة ما هو أسوأ من ذلك . فقد تضمنت إحدى سكتشات بو هجوماً على الجورجي توماس إينغليش ، وهو طبيب ومحامي ومحرر وروائي ومسرحي وكاتب أغاني ، وفي السابعة والعشرين من عمره (لم يعد هناك من يذكره الآن الا من خلال قصيدته الشعبية « بين بولت » التي تم تحويلها الى أغنية خلال الحرب الأهلية) . وكان إدغار قد تعرف به في فيلاديلفيا ثم تشاجر معه في نيويورك . هاجم بو إينغليش هجوماً لا هوادة فيه ، ورد إينغليش بمقالة فاضحة نشرها في مجلة « الميرار » (كان ويليس قد توقف عن تحريرها وأصبح بريغز أحد محرريها) إتهم فيها بو بالسكر والتزوير وابتزاز المال والادعاء الزائف ، ولمح الى أنه «زير نساء » وترك انطباعاً بأن هناك الكثير من الوحل الذي سيتم قذفه لاحقاً . وقد نشرت «الميرار» هذه المقالة بسرور واضح حيث وضعت لها عنواناً كبيراً في أعلى الصفحة : «حرب المتأدبين » . أقام بو دعوى ضد التشهير .

كان وضع إدغار الصحي والمهني بالغ السوء في تلك الأثناء حين قضى ربيع عام ١٨٤٦ مريضاً . وقد نجم ذلك كما يبدو عن عودته لتناول الشراب خلال رحلة قام بها الى يلتيمور لا نعلم عنها شيئاً ، فمع الشراب ازداد مرض بو ، ويبدو أن مدة المرض قد ازدادت طولاً كلما تقدمت به السن . ويجدر هنا أن تتذكر ما قاله الساعي اليكسندر كرين بأن «أعصابه تهتز بفعل أقل لمسة » . وإذا جاز لنا تقبل هذا الوصف حرفياً ، فهو إنما يشير الى المرض العصبي المقترن دائماً بمرض السكر .

كذلك ازداد مرض فيرجينيا ، وخيمت الكآبة على الكوخ الخشبي الصغير الذي يكاد يكون خالياً من الأثاث . بذلت المسز كليم أقصى

Twitter: @abdulllah1994

جهدها لكي تدبر شؤون العائلة ، بمساعدة صديقة لها هي المسز ماري لويز شو التي كانت تتمتع ببعض الإلمام بالشؤون الطبية . وقد قال أحد زوار البيت : « كان المرء يشعر بأن فيرجينيا قد أصبحت شبحاً نزعت عنه الغلالة ، وإذا ما سعلت ، أصبح على يقين بأنها سائرة نحو الموت بسرعة » .

لم يكتب بو تحت وطأة المرض والقلق إلّا القليل خلال ذلك الصيف . غير أن السكتش الخاص بلويس غريلورد كلارك ظهر في «غوديز» في شهر أيلول : « لا يملك المستر كلارك بصفته رجل أدب ، أي تصميم ، وليس هناك ما يميزه . . فهو ناعم كالزيت ، وهو محط أنظار لا شيء في العالم باستثناء تميزه بأنه محط أنظار لاشيء » .

جن جنون كلارك ، ورد في النيكربوكر قائلاً إن بو «سكيربائس ، حصان منهك للأجرة العامة ، خسيس تافه ، أحاله افتقاره للاستقامة الخلقية الى شخص دفعه سخطه على مباذله والنقمة على مهانته الى الرثاء على ذاته البائسة ضحية ذاته » . كلام مقذع ، غير أن القادم أشد اقذاعاً . روى كلارك ثانية رواية لقاء بو بشيفرز ووصف بو بأنه بدا «معتوهاً على نحو محزن» وكانت تصحبه امرأة عجوز من قريباته . لقد تضمنت هذه المقالة كافة التهم التي ستظل تتردد حول بو طيلة حياته الباقية ولفترة طويلة بعد مماته . وسوف يسهم روقوس غريزوولد في عملية الاجهاز على بو التي دشنها كلارك .

غير أن لطمة أشد عنفاً من طاقة كلارك كانت بانتظار بو . ففي شتاء عام ١٨٤٦ ، أخذت ڤيرجيينا بالذبول سريعاً ، ولم يكن هناك ما يكفي من المال لتوفير نهاية مريحة ولائقة بها في البيت . فقد نامت

Twitter: @abdulllah1994

على فراش من القش وقد التفت بمعطف بو بينما جلست القطة كاترينا الى جانبها لكي تمنحها بعض الدفء . في الخامس عشر من كانون الأول ، نشرت النيويورك إكسبريس اعلاناً ناشدت فيه أصدقاء بو أن يهبوا لمساعدته . كما نشر نفس الاعلان في مجلة ويليس «الهوم جورنال » ، وسرعان ما تلقفته بعض صحف فيلاديلفيا . لقد ذكرت أيام فيرجينيا الأخيرة بمشهد موت أم إدغار قبل أعوام طويلة ، حيث ما لبثت الستارة أن أسدلت عليها بقسوة مماثلة في الثلاثين من كانون الثاني ١٨٤٧ .

ها قد فقد بو كلاً من أمه وجين ستاندرد وفرانسيس ألان ، وأهم منهم جميعاً ، فيرجينيا . ما زالت هناك المسز كليم ، غير انه على الرغم من اعتماده الكبير على رعايتها الأمومية ، فهي لم تكن رفيقة الروح » التي طالما احتاج اليها . ترى هل هناك من النساء اللواتي يعرفهن من ستهب الى نجدته أم أن تلك النبوءات المخيفة الواردة في «ليجيا » و «سقوط منزل آل أشر » سوف تتحقق !

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الرابع عشر

شؤون القلب

أصبح إدغار في حالة من الأنهيار . تم دفن فيرجينيا على نحو لائق ، حيث لفت بشراشف بيضاء جيدة وفرتها المسز شو ، ثم غيبت في سرداب عائلة فالينتاين التي ملكت الكوخ الذي أقام فيه إدغار في فوردهام . وكثيراً ما عثر عليه فوق القبر وقد عرته الهستيريا ، بينما قضى بقية وقته طريح الفراش . وقد اعتادت المسز كليم والمسز شو أن تجلسا الى جانبه الى أن يستسلم للنوم ، حيث أصبح يخشى البقاء وحيداً في الظلام . وقد تقمصت المسز شو دور الطبيب وتوصلت الى نتيجة رواها جون إنغرام في السيرة التي كتبها عن بو في عام ١٨٩١ : «قمت بتشخيصي وتوجهت الى الدكتور موت الشهير في كلية الطب في جامعة نيويورك . أخبرته أن نبض المستر بو لا يتجاوز وهو في أفضل حالاته الصحية عشر ضربات منتظمة حيث يتوقف بعد ذلك أو يتقطع (كما يقول الأطباء) . توصلت الى نتيجة مؤداها أن هناك علة ما

Twitter: @abdulllah1994

في جانب من عقله ، حيث أصبح لا يطيق المنبهات أو الأدوية من غير أن تثير فيه حالة من الجنون . لم أجد أي أمل في تخليصه من حمى الدماغ التي أصابته نتيجة لمعاناته العقلية والجسدية الشديدة ـ الارهاق الفعلي والجوع والبرد الذي تعرض له ذلك الزوج النبيل وهو يحاول توفير الطعام والعلاج والراحة لزوجته وهي على فراش الموت ـ فالارهاق وفقدان الحيوية قد وفرا المجال لأية انتكاسة حموية بحيث أصبح من المستحيل اعطاؤه أية مهدئات الا بحذر تام .

. . . منذ أن دهمته الحمى وخلال محاولتي حصر نبضه في نطاق ثمانين نبضة ، كان يحدثني طيلة الوقت عن الماضي ، وكان ذلك جديداً كل الجدة بالنسبة لي ، وكثيراً ما طلب إلي أن أسجل تخيلاته حيث قال بأنه قد وعد العديد من الناشرين الشرهين بنتاجاته القادمة ، وأنهم سوف لا يقولون فقط بأنه لم يف بوعده ، بل سوف ينتقمون منه بالاساءة إليه بعد موته . . . » .

لم تكن المسز شو طبيبة بالطبع ، وادعاؤها الواضح بالذكاء يدفعني الى عدم الثقة بتشخيصها . ولعل الأرجح هو أن ادغار قد عانى من صدمة وانهيار عصبي تام ، وأنه بفضل عناية المسز شو ـ حيث يبدو أن تمريضها كان أفضل من تشخيصها ـ ما لبث أن استرد بعض صحته ، حيث استأنف في شباط مراسلة أصدقائه ، كما تسلم من «الميرار» مئتين وخمساً وعشرين دولاراً كتعويض عما لحق به من تشهير . بل لقد شعر بأنه قد أصبح قوياً الى درجة التفكير في إقامة دعوى ضد مجلة «غريليز تريبون» لنشرها تعليقاً حول تلك القضية السابقة (لم ينس غريلي تلك الكمبيالة التي جيرها لبو لدى شرائه المجلة والتي اضطر الى دفعها بنفسه) ، غير أنه ما لبث أن تم إقناعه بعدم زج نفسه ثانية في قضايا المحاكم ، كما قرر أن لا يتخذ أي إجراء

Twitter: @abdulllah1994

ضد «الفيلاديلفيا ساترداي ايفنينغ» التي اتهمته بانتحال ذلك الكتاب التعيس حول المحار . ويبدو أن إدغار قد لجأ في تلك الفترة الى الشعر حيث نشر قصيدة مهداة الى المسز شو ، كما نشر بعد حين أحب قصائده الى نفسي ، ـ أولالوم ـ وهي ترنيمة لفيرجينيا الميتة تتجسد فيها شخصية روديريك أشر شعراً :

كانت السماء كالحة وقاتمة
وكانت أوراق الشجر يابسة وذاوية
كانت أوراق الشجر ذابلة وذاوية ؛
كان الوقت ليلاً في تشرين المستوحد
تشرين سنتي الأشد غوراً في الماضي السحيق .
القسوة بالغة قرب بحيرة «أوبر» المعتمة
في عمق منطقة «ڤير» الضبابية
والهبوط بالغ قرب بحيرة «أوبر» المرطبة
في غابة «ڤير» التي ترودها الغيلان .

* * *

هنا تجولت مرة عبر طريق من أشجار السرو العملاقة
تجولت مع روحي
بين أشجار السرو مع «سايكي» ، روحي
تلك أيام كان قلبي فيها بركانياً
كأنهار من خبث البراكين المتدفقة
كالحمم التي تدفق تياراتها الكبريتية دون توقف ،
نحو «يانيك»
في أقصى أقاصي القطب

Twitter: @abdulllah1994

تئن إذا تتدفق فوق جبل « يانيك »
في أقاليم القطب الشمالي

* * *

كان حديثنا حاداً وواعياً
غير أن أفكارنا كانت مشلولة وذاوية
وذكرياتنا خائنة وذاوية
ذلك أننا لم نكن نعلم أن الوقت تشرين
وأن الليلة هي نفس تلك الليلة من السنة
(أية ليلة ليلاء من تلك السنة)
لم نلحظ بحيرة «أوبر » المعتمة
(رغم أننا ترحلنا فيها ذات يوم)
لم نذكر بحيرة «أوبر » المرطبة
لا ولا غابة «ڤير » التي ترودها الغيلان .

ذلك لأن «قبر حبيبتك أولالوم » يرقد هنا . . .

ثم إن قلبي قد أصبح كالحاً وقاتماً
كأوراق الشجر اليابسة الذاوية
كأوراق الشجر الذابلة الذاوية
ثم صحت ـ لا بد أنه تشرين
تشرين تلك الليلة نفسها من السنة الماضية
حين ترحلت هنا ـ هنا ترحلت
ومعي ذلك العبء الرهيب
في هذه الليلة من كل ليالي السنة
أي شيطان هذا الذي أغواني الى هنا ؟

Twitter: @abdulllah1994

ها أنا أعرف الآن بحيرة «أوبر» المعتمة
في عمق منطقة «ڤير» الضبابية
ها أنا أعرف الآن بحيرة «أوبر» المرطبة
في غابة «ڤير» التي ترودها الغيلان .

ربما تبدو هذه القصيدة في يومنا هذا مضحكة بعض الشيء ، شأن قصيدة «الغراب» ، نتيجة لبعض الكلمات التي استخدمها . ولربما تذكرنا كلماتها هذه بقصيدة «جابيروكي» للويس كارول . غير أن رسالتها المروعة سوف تبقى أبداً حية : فلقد أصبحت روح الشاعر رهينة جثة أولالوم ، ولم يؤد الموت الا لتدعيم تلك الروابط التي شدت الحبيبين لبعضهما في الحياة ، ولسوف يأتي اليوم الذي تطالب فيه روح أولالوم بحبيبها . ويبدو ان ادغار قد أصبح خاضعاً لإحساس بأن حياته قد انتهت بموت ڤيرجينيا وأن الأيام المتبقية ليست الاّ مرحلة انتظار قبل بدء تلك الرحلة نحو القبر الذي سيجمعه بڤيرجينيا .

غير أنه فيما كان بو ينتظر الموت ، فقد كان ما زال أمامه عمل عظيم لا بد من انجازه ، عمل لا يمكن أن يموت . كان بو دائم الاهتمام بالعلوم ، وها هو يبدأ الآن بترجمة أفكاره العلمية الى حدس شعري . أطلق على هذا العمل إسم «يوريكا» ـ EureKa ـ : شعر منثور ، وقدم له بقوله :

«الى أولئك الذين يحبونني وأحبهم ـ الى أولئك الذين يحسون أكثر مما يكفرون ـ الى الحالمين والذين يؤمنون بأن الأحلام هي الحقائق الوحيدة ـ أقدم كتاب الحقائق هذا ، ليس لأجل قول الحقيقة ، وإنما لأجل ما تزخر به الحقيقة من جمال يصبح هو الآخر بحد ذاته حقيقة . الى

Twitter: @abdulllah1994

أولئك ، أقدم هذا العمل ، نتاجاً فنياً خالصاً ـ فلنقل بأنه عمل أسطوري ، وإذا ما كنت غير مبالغ ، فهو قصيدة . إن ما أقدمه هنا هو حقيقي ـ فهو لن يكون بمقدوره أن يموت ـ وإذا ما تم تدميره بأية وسيلة كانت من أجل القضاء عليه ، فهو سوف ينهض ثانية في حياة أبدية . ومع ذلك ، فأنا لا أرغب أن يتم تقييم هذا العمل بعد موتي ، الا من حيث كونه قصيدة » .

«اليوريكا » هي نظرة علمية للكون يقدمها شاعر . فهي تستند الى فرضية عبر عنها بو على النحو التالي : بما أنه لم يكن هناك شيء موجود ، لذلك فإن كل الأشياء موجودة . فالعدم هو الوحدة التي خلقت منها المادة ، وإليها تعود . . عالم الفضاء غير محدود ، غير أن عالم النجوم محدود ويتضمن قوتين هما القوة الجاذبة (الجاذبية) والقوة الطاردة (الكهرباء) ، ويمكن النظر اليهما بأنهما الروح والجسد . صاغ بو نظرية بسيطة للنسبية ، ولجأ الى الأستشهاد بكل من كبلر ونيوتن وعالم الفلك والرياضي الفرنسي الشهير لابلاس من أجل تدعيم آرائه . العمل مثير ، غير أنه لا يشكل أطروحة علمية . وهو يتسم في بعض أجزائه بالغموض أحياناً وفي تشتت مسارات المناقشة في أحيان أخرى ، كما يمكن تجاهل بعض الأجزاء لما تتسم به من مغالطات بالغة. ومع ذلك ، فإن «يوريكا » تبين بوضوح الى أي مدى كان بو واعيا لطبيعة التفكير العلمي الذي تتسم به أيامنا الحاضرة ، كما تؤكد بأنه قد امتلك القدرة العقلية على التحليل والوصول به الى نتيجته البديهية والتي كثيراً ما تكون نتيجة منطقية . وإذا لم يجد المرء في كلماتها التي بلغت نحو أربعين ألفاً عملاً علمياً ، فهناك ولا شك قدر كبير من العمل الفني .

Twitter: @abdulllah1994

ألقى إدغار جزءاً من «يوريكا» كمحاضرة في نيويورك في الثالث من شباط ١٨٤٨ ، وأعطاه الناشر جورج بوتنام أربعة عشر دولاراً كمقدمة عن المجلد الذي ما لبث أن ظهر في أوائل الصيف . وكان ذلك آخر كتاب شهد بو صدوره قبل موته . كان الوقت يمضي ، ويد ڤيرجيينا لم تمسك بعد بتلابيب ادغار ، وبردت حدة الأسى . كما إن صدور مجلد «يوريكا» قد أمد إدغار بأمل جديد وبدأ يفكر ثانية باحياء مشروع «الستايلوس» ، وبلغ به الأمر أن قام بتصميم غلاف للمجلة ، كما بدأ يفكر بتوسيع اسكتشاته وإصدارها بكتاب بعنوان «أمريكا الأدبية» . كان ما زال على صداقته للمسز شو ، ومحط أنظار مجتمع الشاعرات . ويبدو أن المسز شو هي التي أوحت له بفكرة القصيدة الغنائية «الأجراس» (التي تركت أثراً عميقاً في نفس الموسيقار رحمانينوف حيث استند اليها في تأليف إحدى سيمفونياته الكورالية) :

هنا عربات الثلج ذات الأجراس
ذات الأجراس الفضية
أي عالم من المرح تنبىء به أنغامها
كيف ترن ، ترن ، ترن
في هواء الليل الثلجي !
النجوم التي تنقط السماء
تومض ببهجة بلورية
تحدد الوقت
تحدد الوقت
بقافية «رونية»
على إيقاعات الرنين المتدفق بالأنغام
من الأجراس

Twitter: @abdulllah1994

من الأجراس
من الأجراس
من جلجلة ورنات الأجراس .

تقول المسز شو أنها هي التي أوحت لبو بهذه الفكرة خلال إقامته في بيتها في نيويورك . كان قد انزعج انزعاجاً شديداً من أصوات أجراس الكنيسة المجاورة ، ولأجل أن تستثمر انزعاجه هذا على نحو بناء ، فقد تناولت ورقة وقلماً وكتبت عليها «الأجراس . . تأليف إدغار ؟ . بو . . الأجراس الفضية الصغيرة » .

طلبت نساء أخريات من بو أشياء أقل جدارة . وكانت المسز كليم تشجعهن وتحرضهن على ذلك بينما هي تفكر بأمور البيت ومشكلة إدارته بدون أي دخل كان . فقد عمدت الشاعرات ، على غرار سارة أنا لويس ـ التي وصفتها المسز شو بأنها امرأة بدينة ذات ملابس مزركشة ـ الى تقديم المال والمساعدة لقاء قيام ادغار بنقد قصائدهن (نقداً إيجابياً بالطبع) . ولم يكن لدى المسز كليم في ضوء حاجتها الملحة للمال ، ما يمنع قيام بو بذلك . حاول إدغار التهرب قدر طاقته وعمد الى التغيب عن البيت . غير أنه أدرك هو أيضاً قيمة النقود التي تقدمها المسز لويس أو غيرها من أجل تنفيذ مشروع «الستايلوس » . هكذا انحدر إدغار في مباءة «النفخ » الذي طالما احتقره .

سوف تلعب امرأتان أخريان دوراً في حياة إدغار أهم من الدور الذي لعبته المسز لويس . فهو ما زال بطل «الغراب » بالنسبة لجوقة الأمسيات ، كما إن موت زوجته قد أسهم في تزايد الاقبال عليه ، ليس بهدف مواساته ، وإنما لأنه قد أصبح الآن حراً طليقاً في التعبير عن

Twitter: @abdulllah1994

اهتمامه الذي يلهب مخيلاتهن . كان إدغار من جانبه بحاجة لصحبة النساء ، وخاصة أولئك اللواتي يعجبن به . لقد كانت المسز كليم بمثابة الأم ، غير أن فقدان ڤيرجيينا قد حرمه من الزوجة والشقيقة ومثال الحب والجمال ، وأصبح مهيأ للوقوع في حب إحدى تلك النساء العاطفيات المرهفات . عثر لدى زيارته الى ماساتشوزيتر في حزيران ١٨٤٨ على امرأة جديرة بأن تكون « صنو الروح » هي نانسي لوك هيوود ريتشموند . غير انها كانت تعيش حياة زوجية هانئة . ثم وقع في شراك سارة هيلين ويتمان ، وهي امرأة في الخامسة والأربعين ، وكانت قد نشرت قصائد حظيت باهتمام ادغار . رآها دون ان يتعرف اليها خلال زيارة قام بها الى مدينة « بروفيدانس » وكانت بصحبة المسز أوسغود . ثم ازداد اهتمامه بها حين بعثت له ببطاقة فالينتاين بواسطة إحدى سيدات نيويورك ، قالت فيها :

آه على غرابك المتجهم الغابر
القادم من شواطىء الليل البلوتونية
في أحلامي ، كثيراً ما تلوح وترفرف ،
أجنحتك الراعبة حول بابي.
وكثيراً ما تحجب الظلال ،
ضوء القمر الذي يغفو فوق بابي

يتحدث روميو عن الحمائم البيضاء
إذ تتجمهر بين الغربان كي تبدد الليل
غير أن رؤ ية جناحك الظلمائي
إذ ينقض على البجع والحمام ،
فوق طرقات الضوء الفضي
لهو أشد روعة بالنسبة لي .

Twitter: @abdulllah1994

تألفت تلك القصيدة من ستة مقاطع مشابهة ، ونشرت في «الهوم جورنال» التي كان ويليس يديرها . وقد علقت المسز أوسغود ، التي كانت في ذلك الحين على فراش الموت بعد اصابتها بالسل ، في رسالة بعثت بها الى المسز ويتمان بأنها تتمنى من الله أن يحميها إذا ما قدر لهذا «الغراب» أن ينقض على «برجها الحمائمي» ، وذلك «لأن نعيبه يفوق كل بلاغة متخيلة» .

سيطر الزهو على بو ، ورد بقصيدة أطلق عليها لغاية ما إسم «الى هيلين» ، رغم أنها لم تكن بالطبع بمستوى تلك القصيدة الأولى التي حملت نفس الأسم والتي كان قد كتبها الى جين ستاندرد :

رأيتك مرة واحدة ـ منذ سنوات
لا أقول منذ متى ـ وإنما منذ زمن غير بعيد جداً
كان الوقت منتصف ليل تموز ، وكان القمر بدراً
وكان مثل روحك ، محلقاً ،
يبحث عن طريق محفوفة بالمخاطر عبر السماء
هناك هوت غلالة من ضوء فضي
محملة بالهدوء ، والتوتر ، والنعاس
فوق الوجوه المشرئبة لآلاف الورود
النامية في غابة مسحورة ،
حيث لا تجرؤ الريح على الهبوب
الا على رؤوس أصابعها ـ
هوت على وجوه الورود المشرئبة التي
استجابت لضوء الحب بفيض من عطر أرواحها
في نشوة الموت ـ
هوت على وجوه الورود المشرئبة

Twitter: @abdulllah1994

التي تبسمت ثم ماتت في تلك الروضة
مسحورة بك ، وبشعر وجودك .

تستمر القصيدة على هذا النحو حيث «الضفاف المعشبة» و« الأزهار السعيدة » و« الأشجار المتبرمة » ، الى أن يقول :

أما الآن ، وبعد لأي ، فقد غابت العزيزة ديانا
في عربة الغرب المحملة بالرعد والغيوم
وأنت ، شبح تسلل بعيداً
من بين الأشجار الدافئة
لم يبق الا عيناك ،
ترفضان الرحيل
لم ترحلا أبداً .

ها قد أصبح الجو مشحوناً بالغرام ، وقد بلغ الأمر ذروته في حزيران حيث يبدو أن المسر شو قد خضعت لحالة من الهوس الديني دفعها الى اعتبار إدغار ملحداً وغير جدير بصداقتها . كتب لها رسالة مؤثرة تفصح عن حقيقة مشاعره تجاه النساء على نحو لم يتضح في رسائله السابقة :

هل يمكن حقاً يا لويز ، أنك حملت في رأسك قراراً
بأن تهجري صديقك التعيس سيء الحظ
ومريضك ؟ لم تقولي ذلك ، أعرف ، غير أنني أعلم
منذ شهور أنك قد هجرتني ، ليس رغبة منك ،
ولكن ، لا أقل من ان يكون ذلك ـ قدري ـ
« المصائب ترى ، واحدة بعد الأخرى
حتى حملت أغنيتها عبئاً واحداً

Twitter: @abdulllah1994

حتى حملت مراتي آمالها ، عبئاً حزيناً واحداً
ليس ثمة شيء آخر ـ أبداً ، أبداً »

لقد تملكتني مثل هذه الهواجس منذ شهور . أكرر ، يا روحي الطيبة ويا قلبي المخلص ! هل يمكن أن ينتهي كل ما أغدقته علي من نعم وخيرات الى الأبد ؟ وهل ستختفين، شأن كل من أحب أو أتمنى من روحي اليائسة الضائعة ؟ لقد قرأت رسالتك مرات ومرات ، ولا أستطيع أن أصدق بأي قدر من الأقتناع ، أنك قد كتبتها وأنت متمالكة لنفسك (أعرف انك لم تفعلي ذلك بدون الدموع والألم والندم) . هل من الممكن حقاً انني قد فقدت رعايتك لي ؟ مثل هذه المشاعر الرقيقة والصادقة انما تبقى مخلصة حتى الموت ؟ ولكنك لم تموتي ، وها أنت ما زلت ممتلئة بالحيوية والجمال ! لويز ، لقد أتيت بثوبك الأبيض الفضفاض ـ « صباح الخير يا إدغار » . كانت هناك لمسة من برود تقليدي في أسلوبك المتسرع وهيئتك وأنت تفتحين باب المطبخ بحثاً عن « مادي » . تلك هي آخر ذكرى لك عندي . كان هناك حب وأمل وألم في ابتسامتك ، بدلاً من الحب والأمل والشجاعة التي كانت في السابق . آه يا لويز ، كم من الأحزان في انتظارك ! لشد ما ستنجرح طبيعتك العطوفة البريئة لدى احتكاكك بالعالم الأجوف الذي لا قلب له . أما أنا ، فوا حسرتاه . اذا لم يهب حب أنثوي حقيقي ورقيق ونقي لنجدتي ، فإنني مقضي علي لا محالة خلال أقل من عام واحد . إن بضعة شهور لكافية لأن تريك مدى القوة (الجسدية

Twitter: @abdulllah1994

والمعنوية) التي ستحملني عبر هذه الحياة . كيف يمكنني أن أؤمن بالحكمة الألهية وأنت تنظرين إلي بكل هذا البرود ؟ ألم تكوني أنت التي جددت أملي وايماني بالله ؟ وبالانسانية ؟ لويز . . لقد سمعت صوتك وأنت تعبرين بعيداً عني . . ولكنني واصلت الأصغاء الى صوتك . سمعتك تقولين وأنت تجهشين بالبكاء : « عزيزتي مادي » . سمعتك تحيين قطتي كاترينا ، غير أن ذلك لم يكن غير ذكرى . . لم يغب شيء عن سمعي ، وكنت مقتنعاً بأن ذلك لم يكن حقيقة نفسك الكريمة . . ترددين كلمات غريبة كل الغرابة عن طبيعتك ـ عن قلبك الرقيق ! . . سمعت جوابها : « أجل يا لوي ، أجل » ـ لماذا ترحلين بروحك بعيداً عن وظيفتها الحقيقية نحو المحرومين ، من أجل عالم جاحد بخيل ؟ . . شعرت بأن قلبي قد توقف ، وأيقنت بأنني ميت لا محالة ، أمام عينيك . لويز ، إنه لأمر حسن ، ومن حسن الحظ ، أنك تطلعت ، وكانت هناك دمعة في عينيك ، ثم رفعت النافذة ، وتحدثت عن فاكهة «الجوافة» التي جلبتيها من أجل حلقي الملتهب . إن غرائزك لأفضل بكثير بالنسبة لي من عقلانية رجل قوي ـ آمل أن تحتفظي بها . لويز ، أحس بأنني لن أفلح ـ هناك ظل ما قد انسدل على روحك ، وهو ينعكس في عينيك . لقد فات الأوان ـ ها انت تسبحين بعيداً على سطح تيار بالغ القسوة . هذه ليست تجربة عادية ـ انها تجربة مخيفة بالنسبة لي . إن روحاً نادرة مثل روحك انما تزين هذه الأرض ! فخلصيها من

Twitter: @abdulllah1994

كل ما هو كريه ودنيء . أضيئي عذاباتها وهمومها . لشد ما هو مؤلم ان يفقد المرء رؤيتها ولو لفترة قصيرة . . غير أنه لا بد من أن تعرفي وتثقي بأنني نادم وآسف إن كنت قد كتبت ما يسبب لك الألم . إن قلبي لم يسيء اليك أبداً . انني أقدرك أرفع تقدير ـ وأضعك ـ بكل جد ـ الى جانب صديقة صباي ـ أم زميلي في المدرسة التي حكيت لك عنها ، وكما كررت ذلك في القصيدة . . بأنها أصدق وألطف روح أنثوية في هذا العالم ، وملاك غربتي وطبيعتي المظلمة . . لن أقول « روحي الضائعة » ثانية من أجلك . سوف أحاول التغلب على حزني من أجل ما بذلته من عناية مجردة من الأنانية من أجلي في الماضي ، وسواء في الحياة أو في الممات ، فسأظل ممتناً ومحباً لك .

إدغار أ. بو

يضع بو في هذه الرسالة كل مثله عن الحب والجمال ، حاجته الماسة للرعاية الحنونة التي لا يمكن أن تتوفر الّا عند المرأة ، إحساسه بعدم قدرته على الاستمرار في الحياة الّا اذا اقترنت روحه بروح امرأة تحبه . ولربما يكون فقدان المسز شو هو الذي ألجأه الى الشراب ثانية خلال زيارة قام بها الى ريتشموند في صيف ١٨٤٨ من أجل جمع اشتراكات لمجلته ، « الستايلوس » ، وقد روى محرر « الماسينجر » في ذلك الحين ، جون تومبسون ، أن بو قد شرب كل ليلة (لا بد أنه قد سيطر على نفسه في بعض الاحيان حيث سلم تومبسون مقالة حول « الأساس المنطقي للشعر » .

غير أن هيلين الثانية ما لبثت أن تقدمت لانقاذ الشاعر . كانت المسز ويتمان قد ردت على قصيدة ادغار بقصيدة أخرى وبعثت بها إليه

Twitter: @abdulllah1994

قبل مغادرته الى ريتشموند . غير أنها لم تصله بسبب المسافة الطويلة التي فصلت أقرب مكتب بريد عن بيته ، حيث تسلمتها المسز كليم بعد سفره وبعثت بها اليه في ريتشموند . عاد ادغار وكتب رسالة الى المسز ويتمان باسم مستعار طالباً منها أن تكتب له حيث أنه كان بصدد جمع مخطوطات أصلية « لأبرز المؤلفين الأميركيين » . أحست المسز ويتمان باللعبة ولم تكتب . وفي نهاية أيلول ، حصل ادغار على رسالة توصية من صديق مشترك لهما وانطلق الى بروفيدانس . كان قلبه ما زال مثخناً بجراح المسز شو ، الاّ أنه بدأ يضع آماله في هيلين الجديدة . كان قد قابل نانسي ريتشموند قبلاً ووقع في حبها ، غير أنها لم تكن طليقة ، ولم يعد أمامه الآن الاّ هيلين ويتمان .قال لها بأن صديقة له قد وصفتها له :

تحدثت عن افكار وعواطف وخصال ومزاج كنت أعرف بأنها أفكاري وعواطفي وخصالي ومزاجاتي ، والتي كنت أعتقد حتى ذلك الحين بأنها صفات مقتصرة علي وحدي ولا يشاركني فيها أي بشر . سيطر على روحي تعاطف عميق في الحال . لا أستطيع أن أفسر ما أحسست به أفضل من القول بأن قلبك الغريب بدا وكأنه قد انتقل الى صدري ـ لكي يقيم فيه الى الأبد ـ بينما انتقل قلبي ، هكذا اعتقدت ، الى صدرك . أحببتك منذ تلك اللحظة . منذ ذلك الحين ، لم أر أو أسمع باسمك من غير أن تتملكني الرعشة والبهجة الحائرة والقلق الغامض . . أقل همسة ذات علاقة بك انما توقظ في اعماقي حاسة سادسة راعشة ، قوامها الخوف الغامض والسعادة الغامرة والمشاعر غير المكتنهة التي تكاد أن تكون أقرب الى الاحساس بالذنب . . . .

Twitter: @abdulllah1994

لقد اعتقد بو أن المسز ويتمان ما زالت متزوجة ، « ولم أكتشف خديعتي هذه الاّ في الأشهر الأخيرة » . لم يعد هناك ما يوقفه الآن ، فقد أصبح بمقدور مشاعره أن تتجاوز حد الشاعرية . ها قد تم اقتناص « الغراب » . خلال زيارته الى مدينة بروفيدانس ، غازل إدغار هيلين ، ثم طلب منها الزواج .

كانت سارة هيلين ويتمان على قدر من العاطفية والشذوذ اللذين دفعا بها الى التفكير بالزواج من بو . غير أن عائلتها لم تكن واثقة من ذلك . فقد كانت تقيم مع أمها وأختها اللتين كانتا على علم بسمعة بو السوقية وبفضيحة المسز أوسغود ـ بل إن المسز أوسغود نفسها قد وصفت إدغار في احدى رسائلها الى المسز ويتمان بأنه « شيطان رائع » . وفيما بدت احتمالات الزواج برجل على هذا النحو مثيرة في خطورتها بالنسبة لشاعرة رومانتيكية ، فقد كانت هناك إعتبارات عملية يبدو أن أمها قد أثارتها . بعثت المسز ويتمان بإدغار الى فوردهام وعمدت الى التفكير والتشاور بشأن خطبته .

غير أن نانسي ريتشموند ـ وكان قد أصبح يسميها « أني » ـ كانت ما زالت تشغل فكره . وفيما هو قابع في منزله بانتظار قرار المسز ويتمان ، أدرك بأن مشاعره تجاه المسز ريتشموند لم تكن مجرد أحاسيس شاعر نحو روح قريبه . لقد أرادها كامرأة . سافر في تشرين الأول الى ماساتشوزيتز لالقاء محاضرة ، ورغم أن المحاضرة قد ألغيت بسبب الانتخابات الرئاسية ، فقد بقي مع آل ريتشموند في محاولة للتعرف على مدى قوة مشاعر « أني » نحوه . غير أنها أوضحت له بأنها لا يمكن أن تكون اكثر من صديق له ، فهي ذات زوج وطفلة تحبهما كثيراً . توجه إدغار بعد يأسه الى بروفيدانس لتجديد خطبته الى المسز ويتمان ، التي كانت قد كتبت له في تلك الأثناء دون أن تعطيه أي أمل

Twitter: @abdulllah1994

واضح بشأن الزواج . يمكن التعرف على ما حدث بعد ذلك من خلال كلمات ادغار نفسه الواردة في رسالة بعث بها لمسز ريتشموند :

لا أذكر أي شيء بوضوح . . الى أن وجدت نفسي في يروفيدانس . أويت الى الفراش ، وبكيت طيلة ليلة رهيبة طويلة من اليأس ـ حيث طلع النهار . نهضت وحاولت أن أهدىء عقلي بالسير سريعاً في الهواء القارص ـ غير أن كل ذلك كان عديم الجدوى ـ ما زال الشيطان يعذبني .
أخيراً ، تناولت جرعتنين من « اللودانوم » ، ودون أن اعود الى فندقي ، توجهت حالاً بالعربة الى بوسطن . لدى وصولي ، كتبت اليك رسالة فتحت فيها كل قلبي أمامك . رويت لك كيف أن صراعاتي كانت تفوق طاقة تحملي . . . ثم ذكرتك بذلك الوعد المقدس الذي حصلت عليه منك لدى افتراقنا ، وكان ذلك الوعد هو أن تأتي اليّ لدى رقدتي الأخيرة على فراش الموت . توسلت اليك أن تأتي في ذلك الحين ، وذكرت المكان الذي سأكون فيه في بوسطن . بعد أن كتبت تلك الرسالة ، جرعت نصف كمية اللودانوم ، وأسرعت نحو مكتب البريد ، حيث صممت أن لا أتناول النصف الثاني الاّ حين أراك ، لأنني لم أشك للحظة واحدة بأنك سوف لن تفي بوعدك . غير أنني لم أقدر قوة مفعول اللودانوم ، حيث أنني وقبل وصولي الى مكتب البريد ، أحسست بأنني قد فقدت صوابي تماماً ، ولم تصل الرسالة البريد أبداً . فلأنتقل الآن ـ يا أختي الحبيبة ، أية أهوال تأتت من ذلك . ثمة صديق كان على مقربة حيث ساعدني ،

Twitter: @abdulllah1994

ويمكن القول أنه أنقذني (اذا كان ذلك حقاً إنقاذاً) . غير أنني لم أتذكر حقيقة ما حدث خلال تلك الفترة الكالحة الا بعد ثلاثة أيام . يبدو أنني قد عدت الى حالتي الطبيعية بعد أن رفضت معدتي اللودانوم . ولعل أي مراقب عابر يقول بأنني متزن تمام الاتزان . هكذا وجدت نفسي مضطراً للعودة الى بروفيدانس .

تكمن أهمية هذه الرسالة في ما تلقيه من ضوء على الادعاءات القائلة بادمان ادغار على الأفيون . لقد أعتقد ساعي «البرودواي جورنال » ، اليكسندر كرين بأن المخدرات والشراب هما اللذان أديا الى سلوك بو الشاذ ، كما إن العديد من النقاد وكتاب السيرة كثيراً ما استغلوا إشارات بو المتكررة للأفيون وآثاره في حكاياته . ويجادل البعض في أن معرفة إدغار الكبيرة بالمخدرات وآثارها إنما تدل على أنه قد اعتاد تناولها ، بينما يرى البعض الآخر أن تلك المعرفة إنما استقاها بو من الكتب ، مثل كتاب دي كوينسي « اعترافات آكل أفيون انجليزي » ، المنشور في عام ١٨٢٢ . وتعتقد الفئة الأخيرة أن حادثة بوسطن إنما توضح بأن ادغار كان على جهل تام بكيفية تعاطي المخدرات ، والاّ لما كان أساء تقدير آثارها . غير أن الفئة الأولى ربما تكون محقة أيضاً ، حيث أنه اذا كان بو لم يقصد الانتحار حقاً ، بل مجرد القيام بعمل درامي ، فمن المحتمل جداً أنه تناول عن عمد كمية من اللودانوم بحيث تلفظها معدته بعد حين . هناك أيضاً دليل بو نفسه على أن الحادثة قد وقعت فعلاً ، واذا كان قد اخترع تلك الحادثة ، فمن المرجح أنه كان على علم تام بالأثر الذي يخلفه تناول اللودانوم ، مما يوحي بأنه كان على معرفة بالمخدرات . ومع ذلك ، فمن الممكن أن لا تكون هذه المعرفة معرفة مباشرة . هكذا يمكن القول أن حادثة

Twitter: @abdulllah1994

بوسطن لا توفر أي دليل . وليس أمامنا الّا الاعتماد على اعترافات ادغار نفسه والناس المقربين منه . لقد روت احدى قريباته ، إليزابيث هيرينغ ، انها قد شاهدته كثيراً «على تلك الحالة بفعل تناول المخدر» . أما شقيقته روزالي ، فقد قالت بأنها حين زارته في عام ١٨٤٦ ، سمعته يطلب المورفين . ولربما يجدر التساؤ ل هنا ، كيف شخصت إليزابيث هيرينغ تلك الآثار التي شهدتها بأنها بفعل المخدر ؟ ـ ألا يمكن أن تكون تلك الآثار بفعل الأسراف في الشراب ؟ واذا جاز لنا أن نصدق روزالي ، أفلا يحتمل أيضاً أنه قد طلب المورفين لأسباب طبية ؟ لقد أفاد اليكسندر كرين أن بو كان يعاني من الآم مبرحة في اطرافه . ولعله استخدم المورفين لتهدئة تلك الآلام .

أما القرينة الأدبية بشأن إدمان بو على المخدرات ، فهي بحاجة الى دراسة وتحليل شاملين لا تتسع لهما هذه السيرة التي هي سيرة شخصية اكثر من كونها سيرة نقدية . ولعل ما يمكن قوله في هذا المجال هو أن قيام بو بوصف تلك الرؤى المتأتية من تناول المخدرات ، ثم مقارنتها بالانفعالات العاطفية الناجمة عن ذلك ، لا يعني مطلقاً أنه كان مدمناً . فمن الواضح من أعماله الأخرى أنه كان شديد الميل الى استقاء معلوماته من أعمال الآخرين . ومن الممكن أن يكون بو قد استقى خبرته في عملية تناول المخدرات وآثارها عبر هذا الطريق . فلقد أعطى بو وصفاً تفصيلياً مقنعاً تمام الأقناع لمدينة باريس في « عمليات القتل في شارع مورغ » وفي « سر ماري روجيه » وفي « الرسالة المختلسة » ، كما وصف مدينة البندقية وصفاً مقنعاً ، رغم أنه لم يزر هاتين المدينتين الّا في خياله . ويمكن ان تكون احلام المخدرات التي رواها على غرار ذلك .

غير ان الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع إنما هي للدكتور توماس

Twitter: @abdulllah1994

إينغليش الذي كان يكره بو ولديه ما يبرر عدم الدفاع عنه . قال : « لو كان بو مدمناً على المخدر حين عرفته ، لتحتم علي كطبيب ورجل دقيق الملاحظة ، أن اكتشف ذلك خلال زياراته لعيادتي وزياراتي له في بيته واجتماعاتنا في اماكن متفرقة ـ أنني لم أشاهد أية علامة لذلك ، وأعتقد بأن هذه التهمة انما هي عملية تشهير لا أساس لها » .

كذلك تتضح حقيقة حالة بو العقلية في رسالته الى أني ريتشموند . فمن الواضح أنه كان في حالة من التمزق بين تعلقه العاطفي بالمسز ويتمان وحاجته الجسدية الأكثر الحاحاً للمسز ريتشموند . ومع ذلك ، فلو دفعته تلك المعضلة الى حالة من الجنون المؤقت ومن ثم الى محاولة الانتحار ، الّا اننا نرى ادغار في تلك الرسالة متزناً الى درجة أنه استطاع أن يصف حالته بكل اتزان ودونما أي إنفعال . فعلى الرغم من أن موت ڤيرجينيا قد وضعه على حافة الانهيار ، فهو لم ينحدر من أعلى التل . كان إدغار قد كتب الى المسز ويتمان معتذراً عن عدم تمكنه من زيارتها بسبب مرضه (ربما يكون بسبب تناوله اللودانوم رغم أنه لم يذكر ذلك) . وقد اعتقدت هيلين أنه ربما أسرف في الشراب وعينت موعداً آخر للقائه . وقد عرضت عليه أثناء ذلك اللقاء رسائل التحذير التي تلقتها من اصدقاء لها في نيويورك . كتب ادغار اليها بعد ذلك نافياً تلك الاتهامات وتوجه الى زيارتها في بيتها . روت هيلين أن بو كان قد أمضى الليل في حانة ، وبعد أن أمضى بقية الليل في حالة من الهذيان ، جاء الى بيت والدتها وقد بدت عليه علامات التوتر العقلي والألم . . . قال بأن سعادته الدائمة « إنما تعتمد علي » . إنتاب الهلع أم المسز ويتمان واستدعت طبيباً في الحال حيث اكتشف بأن ادغار قد أصيب بحمى في الدماغ . . نقله الى منزل جار قريب هو وليم بابودي من أجل الأستشفاء .

Twitter: @abdulllah1994

أحست هيلين بالألم من أجل ادغار ، غير أن موافقتها على الزواج منه بعد بضعة أيام ـ وبموافقة أمها ـ ربما تكون قد نجمت من تخوفها مما سيقوم به ادغار فيما لو رفضته . وقد اعترفت المسز ويتمان في وقت لاحق قائلة : « خضعت خطبتنا منذ البداية لشروط . فقد عارضت أمي زواجنا بكل حزم ، وبما أنني كنت أعتمد عليها من الناحية المادية اعتماداً كاملاً ، فلم يكن بمقدوري ، حتى لو أردت ذلك ، أن أتصرف دون موافقتها » . كان الشرط الأول لخطبة هيلين الى بو هو أن لا يشرب مطلقاً . أما الشرط الثاني فهو أن يوقع على وثيقة قانونية تمنعه من وضع يده على أي مال يعود الى المسز ويتمان في حالة وفاتها قبله . تمت مناقشة هذه الأمور بينما كان ادغار بعيداً عن بروفيدانس ـ كان قد عاد الى فوردهام فور شفائه من نوبة الحمى الدماغية التي أصابته ـ وقد تم شرح هذه الشروط له في رسالة . عاد الى بروفيدانس لألقاء محاضرة في العشرين من كانون الأول . بعد يومين من ذلك ، تم اجراء ترتيبات الزواج . تروي المسز ويتمان ما يلي :

في الثالث والعشرين من كانون الأول ، كتب بو بطاقة الى الأب الدكتور كروكر يطلب فيها منه أن ينشر خبر زواجنا يوم الأحد التالي ـ كما بعث برسالة الى المسز كليم يقول فيها بأننا سنتزوج يوم الأثنين وبأننا سنصل فوردهام يوم الثلاثاء في قافلة العربات الثانية . تجولنا معاً في الصباح وقضينا الجزء الأكبر من النهار نعد فيه ترتيبات ذلك التغير المفاجىء في حياتي . في عصر ذلك اليوم ، وبينما كنا نتجول معاً بين مكتبات المدينة ، سلمت الي رسالة تحذرني من هذا الزواج المتهور ، وتتضمن معلومات كثيرة لم اكن على علم بها بشأن تصرفات ادغار الأخيرة ، وتقول

Twitter: @abdulllah1994

ايضاً بأنه قد نكث بالعهد الذي قطعه امامي وامام اصدقائي في الليلة السابقة . أدركت أنني لو كنت على استعداد للتغاضي عن كل تلك الأمور ، فإنها ستشيع غداً بين اصدقائي ، وسوف يقود ذلك الى تكرار تلك المشاهد التي لم اكد أضع حداً لها ، وشعرت باليأس التام ازاء قدرتي على ممارسة أي نفوذ دائم في حياته . وفيما نحن عائدان ، واجهته بكل ما سمعت ، ثم طلبت عدم ارسال تلك البطاقة التي حررها الى المستر كروكر . حاول جاهداً اقناعي بعدم صحة تلك المعلومات ، وخاصة فيما يتعلق بالشراب الذي قيل بأنه طلبه في صبيحة ذلك اليوم من مشرب النزل الذي كان يقيم فيه . لم تظهر عيه أية علائم واضحة جراء مخالفته ذلك الوعد . غير أن الجهة التي أمدتني بتلك المعلومات وغيرها لم تكن موضع شك . إستمعت الى ايضاحاته واعتراضاته دون أن أتفوه بأية كلمة توبيخ ، وبهدوء اليأس المثلج الذي يهبط علينا رحمة بنا حين يعصر الألم القلب على نحو يفوق طاقته . ولم أعدم في تلك اللحظة المريرة ذلك الأحساس ببعض الراحة جراء تحرري من عبء المسؤولية الرهيبة التي سعى الى فرضها علي من خلال اقناعي بأن مصيره سواء كان ذلك نحو الخير أم الشر ، انما يعتمد علي أنا . لقد أيقنت الآن بأن سلطتي عليه غير مجدية . إجتمعت أمي بعد علمها بذلك اجتماعاً قصيراً ببو ، وانتهى ذلك الأجتماع بقرار اتخذه بالعودة فوراً الى نيويورك . ودّعته بحضور أمي وصديقه المستر بابودي ، بينما الأسى يعصرني على

Twitter: @abdulllah1994

مصيره ـ والألم يحز في نفسي على فراق شخص جعلته طبيعته الدمثة الرقيقة شديد القرب الى قلبي الى حد يفوق التعبير ، كما اضاف ذكاؤه النادر سحراً جديداً على حياتي . وفيما كان يحاول استخلاص وعد مني بأن لا يكون هذا فراقاً نهائياً بيننا ، فقد انقذتني أمي حين تدخلت لانهاء المقابلة على الفور . وقد اتجه المستر بو الى الباب على الفور حيث عبرت هيئته عن امتعاضه الفائق الذي وصفه بأنه أهانات لا تحتمل » من عائلتي . لم أره بعد ذلك أبداً . »

تفنّد هذه الرسالة ما أشاعه روفوس غريزوولد لاحقاً بأن ادغار هو الذي أثار المشاكل عن عمد كي لا يتم هذا الزواج . غير أن إتمام هذا الزواج كان أمراً مشكوكاً فيه منذ البداية على أية حال . فقد كان إدغار قد أخبر صديقاً إلتقاه وهو في طريقه الى بروفيدانس بأنه ربما لا يتوجه الى بروفيدانس كي يتزوج . كما قال في رسالته الى المسز كليم بأن الزواج سوف يتم يوم الأثنين دون أن يلتفت الى أن يوم الأثنين كان يوم عيد الميلاد وهو يوم غير مناسب للزواج . كذلك فإن المستر بابودي لم يقم بإعلان الزواج وفق الطلب الذي اعطاه اياه ادغار . ولربما كان بابودي يتوقع أو يتأمل حدوث شيء ما من شأنه أن يعيق هذا الزواج ، أو لعله كان على علم بينة الحيلولة دون حدوثه .

هكذا لم يتزوج ادغار حبيبته الشاعرة هيلين ، كما لم يكن بمقدوره أن يتزوج حبيبته الثانية أني . ويبدو أنه عمد الى التفكير الفلسفي حول كا ما حدث ، وحين أخذت الشائعات بالانتشار حول فسخ خطوبته الى المسز ويتمان ، كتب اليها مؤكداً أنه لن ينالها بأية كلمة سوء رغم كل ما قيل عنه ، كما كتب الى أني قائلاً : « منذ هذا

Twitter: @abdulllah1994

اليوم وأبداً ، فقد قررت أن أبتعد نهائياً عن ذلك المجتمع الأدبي النسائي الموبوء . . هناك ثمة مجموعة مجردة من القلب ، غير طبيعية ، حاقدة وغير شريفة لا يوجهها أي مبدأ غير التفاخر بالنفس على نحو متهور » . أما فيما يتعلق بالمسز ريتشموند نفسها ، فمن المؤكد أن ادغار قد أحبها حباً عنيفاً ، وقد صارحها بذلك في رسالته التي تضمنت حكاية الانتحار في بوسطن ، وأطلق عليها كل نعوت التودد : أيها الملاك ، يا شقيقتي ، يا زوجة روحي . . وأنه على استعداد للتضحية بأي شيء من أجل البقاء الى جانبها ، كما أشار الى أن المسز كليم ربما تستأجر بيتاً على مقربة من بيتها . أما هي ، فقد أحبته أيضاً ، وانما حب الأخت المخلصة ، وليس على النحو الذي أراده . غير أنه رضي بذلك رغم أن مشاعره لم تتغير . وقد عبر عن ذلك في قصيدة بعث بها اليها في ربيع عام ١٨٤٩ ـ « إلى أني » : ـ

شكراً للسماء ! لقد إنقضت الأزمة ، والخطر
والمرض المتلكىء ، إنتهى أخيراً ـ
وتلك الحمى التي يسمونها « الحياة »
قد هزمت أخيراً .

ها أنذا بحزن أدرك
أنني قد جردت من قوتي
ولا أحرك عضلة ،
إذ أتمدد بكامل طولي ـ
ولكن ، لا بأس ـ فأنا أحس بأنني ،
أفضل حالاً ، على المدى الطويل .

ثم آه ! فكل العذابات ،

Twitter: @abdulllah1994

في أسوأ تعذيبها
قد خمدت ـ
عذاب العطش الرهيب ،
لنهر العاطفة النفتاليني ، اللعنة عليه ـ
لقد شربت من ماء يطفىء كل العطش !

انني أستلقي الآن بكل هدوء على فراشي
(مدركاً حبها)
حتى لتتخيلي بأنني ميت
وانني أستريح الآن بكل قناعة على فراشي
(وحبها فوق قلبي)
حتى لتتخيلي بأنني ميت
وترتجفين خوف أن تنظري الي
وأنت تعتقدين بأنني ميت !

غير أن قلبي أشد إئتلاقاً
من كل نجوم السماء الكثيرة
لأنه يتلألأ بأني
يتوهج بضوء حبي لأني
بفكرة الضوء الذي في عيون أني !

بعد أن تصالح إدغار مع ثوارته العاطفية ، لجأ الى الكتابة ثانية . كتب « الضفدعة القافزة » وهي حكاية بارعة تدور حول مهرج ينتقم من أسياده المتجبرين به حيث يقوم بحرقهم . ثم نشرها في « ذا فلاغ أوف أور يونيون » مع قصيدة « الى أني » ، كما بعث بمجموعة من المقالات القصيرة بعنوان « هامشيات » ـ وهي طريقة ابتدعها وهو في نيويورك ـ

Twitter: @abdulllah1994

الى بعض المجلات الأخرى . وكتب مراجعة لكتاب جيمس راسل أوين « حكاية للناقدين » الذي كان قد وصف ادغار فيه بأنه « ثلاثة أخماسه عبقرية وخمسناه مجرد كلام فارغ » . وقد اقتبس بو هذه السطور في مراجعته ثم باشر هجومه على لويل لتجاهله الأدباء الجنوبيين . ومع ذلك وصفه هو ولونغفيلو في مراجعته بأنهما أفضل الشعراء الأميركيين بشكل عام .

وقد أثارت رحلة « التسعة والأربعون » الى كاليفورنيا بحثاً عن الذهب مخيلة ادغار حيث كتب قصيدة بعنوان « إبلدورادو » . ثم نشر في تموز قصيدة أخرى للمسز كليم ، باسم « الى أمي » :

لأنني أحس بأن الملائكة في اعالي السماء
لا تجد ، اذ تتهامس فيما بينها ،
بين كلمات الحب المتقدة كلمة ،
أشد وداً من « أمي »
فقد ناديتك منذ وقت طويل بهذا الاسم العزيز ـ
أنت التي تتجاوزين الأم بالنسبة لي ،
وتملأين أعماق قلبي ، الذي أسرك الموت فيه ،
إذ أطلق روح ڤيرجينيا .
يا أمي ـ إن أمي التي ماتت منذ زمن طويل
لم تكن غير أمي أنا
أما أنت ،
فأنت أم التي أحببت بكل قوة
ولهذا فأنت أعز علي من أمي التي عرفت
بذلك اللاتناهي الذي جعل زوجتي
أعز على روحي من حياة روحي .

Twitter: @abdulllah1994

ثم ما لبثت فكرة المجلة أن انبثقت ثانية . كان إدغار قد حصل بطريقة ما على دعم شخص يدعى باترسون من منطقة أكواكا في إلينوي ، وأخذ يحلم باصدار مجلة تباع النسخة الواحدة منها بخمسة دولارات ويوزع منها نحو عشرين الف نسخة ، كما قرر أن يطبعها في كل من نيويورك وسانت لويس وميسوري في آن واحد ، وحدد موعداً لصدور العدد الأول ـ في فكره على الأقل ـ هو الأول من تموز ١٨٥٠ . واذ حدد هذا الموعد الأخير في ذهنه ، فقد طلب من باترسون خمسين دولاراً لـتمويل رحلة يقوم بها من أجل جمع الاشتراكات . وفي الثالث عشر ، وصل مدينة لويل لكي يودع المسز ريتشموند قبل استئناف رحلته . وحين عاد الى فوردهام بعد عدة اسابيع ، كتب وداعه الأخير :

« طلبت مني أن اكتب قبل توجهي الى ريتشموند ، وكان أن قررت السفر يوم الاثنين الماضي ـ هكذا ربما تكونين قد اعتقدت بأنني رحلت من غير أن اكتب لأقول « وداعاً » ـ غير أنه لم يكن بمقدوري حقاً يا أني أن أفعل ذلك . الحقيقة هي أنني كنت على وشك الرحيل في كل يوم ، وهكذا أجلت الكتابة حتى آخر لحظة ـ غير أنني قد يئست ـ ولا أستطيع ان أمنع نفسي عن الكتابة اليك ولو سطوراً قليلة ، لكي أقول لك لماذا كنت صامتاً طيلة هذا الوقت . متى سيكون بمستطاعي الرحيل ، لا أدري ، ولكن ربما يكون ذلك غداً أو بعد غد ـ إن ذلك يعتمد على ظروف خارج إرادتي . ربما لن أرحل قبل تسلم خبر من تومبسون الذي كتبت له منذ خمسة إيام ـ طالباً اليه ان يبعث بالرسالة من أكواكا بدلاً من الاحتفاظ بها الى حين يقابلني .

Twitter: @abdulllah1994

يبدو بأن هناك مشكلة مالية . لقد حاول أن يجمع بعض المال من بعض مقالاته التي أرسلها الى غراهامز ، غير أنها قد رفضت بينما يقول بو بأنها قد فقدت أو تأخرت في البريد . ومن المؤكد أنه كان بأنتظار رسالة تومبسون التي ستتضمن خمسين دولاراً كان بحاجة لها في رحلته . ومن المؤكد أيضاً أنه تسلم مبلغاً من سارة أنا لويس لقاء المديح الذي كتبه حول قصائدها وبعث به الى غريزوولد لكي يضمنه في كتابه « شاعرات من أميركا » . بل ومن المؤكد أيضاً أن غريزوولد قد قبض رشوة من زوج المسز لويس . في الثامن والعشرين من حزيران ، غادر إدغار والمسز كليم فوردهام متوجهين الى بروكلين ، حيث تقرر أن تبقى المسز كليم في بيت المسز لويس أثناء غياب إدغار . بعد يومين ، ركب ادغار القارب البخاري الى محطة القطار في نيوجيرسي ومعه آماله العريضة في بداية جديدة .

« فليباركك الله يا أمي الحبيبة » ، قال للمسز كليم وهو يودعها .
« لا تخافي على إيدي ، سوف ترين بأنني سأكون في أحسن حال خلال الفترة التي سأفارقك فيها ، وسوف أعود من أجل أن أحبك وأواسيك » .
كانت تلك آخر مرة تراه فيها .

Twitter: @abdulllah1994

الفصل الخامس عشر

المأساة الأخيرة

لن يتوفر في الغالب أي تفسير مقنع لما حدث لبو خلال تلك الرحلة المحيرة التي انتهت بموته المفجع . فلعله أفرط في الشراب الى حد فاق تحمل جسده المنهك الذي ما لبث ان انهار تحت وطأة الاجهاد . أم لعله أصبح في حالة عقلية محفوفة بالمخاطر بعد موت ڤيرجينيا وانتهاء علاقته بالمسز ويتمان وفشله في الحصول على أني ريتشموند . واذا كان هذا صحيحاً ، فإن رحلته الى فيلاديلفيا وريتشموند ثم بلتيمور ـ وكلها أماكن اقترنت بالمآسي والشقاء في حياته ـ ربما تكون قد أيقظت في نفسه كل تلك الذكريات المريرة التي لم يكن بمقدور عقله ، بما اتسم به في تلك الاثناء من خلل في التوازن ، أن يتحملها . كما يحتمل ان يكون ما أصابه هو نتيجة للافتراضين معاً . فقد تعرض إدغار طيلة فترة رجولته لنوبات من الهبوط النفسي الكاسح . ولا شك انه كان مصاباً بمرض عضال ، والذي

Twitter: @abdulllah1994

أرجح بأنه كان مرض السكر . غير ان مرض السكر لم يكن هو السبب المباشر في موته .

فبعد ان غادر نيويورك في الثلاثين من حزيران ، وصل الى فيلاديلفيا في الثاني من تموز . يكتنف الغموض تلك الفترة التي قضاها في فيلاديلفيا ، ولم تعلم المسز كليم عنه شيئاً طيلة عشرة أيام ، حيث استبد بها القلق ، وكتبت في التاسع من تموز الى المسز ريتشموند قائلة : « لقد مضى على غياب إيدي عشرة أيام ، ولم أتلق منه كلمة واحدة . هل تعجبين إذا فقدت صوابي ؟ إنني اخشى من اشياء كثيرة . . هل تعجبين اذا كان لا يثق بأحد ؟ ألم تعاني من أسوأ خديعة ؟ كان مضطراً للسفر عبر فيلاديلفيا ، ولشد ما أخشى ان يكون قد وقع هناك في مشكلة . لقد وعدني وعداً أكيداً ان يكتب لي من هناك . كان من المفترض ان اتسلم منه شيئاً يوم الاثنين الماضي ، وها قد مضى الأثنين الآخر ، وليس من كلمة واحدة . . . آه . . لو أصابه اي مكروه ، فما الذي يمكن ان يعزيني ! »

ترى ما الذي قصدته المسز كليم بخشيتها من وقوع ادغار في مشكلة ما في فيلاديلفيا ؟ ربما تكون قد توجست خيفة من الشراب ، أم ان هناك خطراً اكثر تحديداً في مخيلتها ؟ من المؤكد ان ادغار قد وقع في مشكلة ما في فيلاديلفيا . ففي التاسع من تموز ، اندفع الى غرفة صديقه القديم ، جون سارتان ، محرر « اليونيون ماغازين » وكان قد تعرف به منذ أيام عمله مع بيرتون . يقدم سارتان وصفاً مثيراً لما حدث انذاك في مقالة نشرها في « البوسطن إيفنينغ ترانسكريبت » في عام ١٨٩٣ :

كنت منهمكاً في العمل في مكتبي في سانسوم ستريت ،

Twitter: @abdulllah1994

وقد لبست أكمام العمل ، حين أندفع بو داخلاً على نحو مفاجيء وقد غلب عليه التوتر ، وصاح : « ها قد جئت اليك لكي تحميني ! » . أدركت حالاً انه كان يعاني من حالة إجهاد فكري ، وطمأنته بأنه في مأمن هنا . ثم رجوته ان يوضح لي ما به . قال : « كنت في القطار متجهاً الى نيويورك حين سمعت همساً ورائي . ونظراً لقابليتي الفائقة على التقاط الأصوات ، فقد استطعت ان افهم ما الذي كان يقوله المتآمرون . . تصور كيف يمكن ان يحدث مثل هذا في القرن التاسع عشر ! كانوا يتآمرون لاغتيالي . تركت القطار حالاً ، وأسرعت الى هنا . يجب ان اخفي نفسي بطريقة ما . يجب ان أحلق شاربي حالاً . هل لديك موس ؟ . . خشيت ان أسلمه الموس ، وقلت له بأنه لا يوجد لدي واحد ، غير انني أستطيع ان أقص شاربه بالمقص . أخذته الى غرفة خلفية وجززت شاربه حتى أصبح حليقاً تماماً ، إرتاح لذلك بعض الشيء ، وعمدت الى تهدئته . في المساء ، أخذ يستعد للخروج . سألته : « إلى أين ؟» قال : « الى النهر » . قلت : « إذن ، سوف أصحبك » . لم يعترض ، وسرنا معاً الى تشستنت ستريت لكي نستقل الباص . صعدنا الدرج المؤدي الى طرف النهر ، وجلسنا على مقعد يطل عليه . كان الليل حالك السواد ، ولم تكن هناك أية نجمة ، وشعرت بالقلق لوجودي مع بو وحيدين وهو في حالته تلك . وكان قد قال لي حين صعدنا الى الباص : « بعد موتي ، أريدك ان تؤمن وصول صورتي التي لدى المسز أوسغود الى المسز

Twitter: @abdulllah1994

كليم » . ثم بدأ يتحدث عن أشياء عجيبة تافهة بأسلوب حكاياته الدراماتيكي الغريب . قال بأنه قد زج به في سجن لأنه زوّر شيكاً ، وانه خلال إقامته هناك ، ظهرت له على اسوار السجن امرأة بملابس بيضاء ، وتحدثت إليه همساً . ثم قال : « لو لم أسمع ما قالته ، لكنت قد انتهيت . غير انه نظراً لمهارتي الفائقة في التقاط الأصوات ، فأنا لم أضع كلمة واحدة . ثم ظهر لي شكل آخر ، ودعاني الى السير معه فوق الأسوار . قادني الى مرجل به سائل ، وسألني إن كنت أود ان أشرب . رفضت ، لأن ذلك كان مصيدة لي . هل تعلم ما الذي كان سيحدث لو قبلت ؟ كانوا سيرفعونني ثم يقذفون بي في قلب المرجل ويغمرونني بالسائل حتى شفتي ، تماماً كما حدث لتانتالوس* ، ثم يتركونني ويذهبون » . أوحيت له تدريجياً بأن نغادر المكان ، فوافق . وكنت أرتجف خوفاً ونحن نهبط الدرج كيلا يتذكر بو قراره بالانتحار . غير انني حاولت تحويل فكره بعيداً الى ان عدنا بأمان . بعد ثلاثة أيام ، خرج بو ثانية من البيت وعاد في حالة نفسية مماثلة ، وقال : « أرتميت على الأرض حيث لامس أنفي الحشيش ، وقد انتعشت برائحته . أدركت حالاً زيف هلوستي » .

من الواضح ان بو قد لجأ الى الشراب ، حيث أثر ذلك في عقله وعلى جسده ايضاً . في السابع من تموز كتب الى المسز كليم :

« يا أمي العزيزة جداً جداً ـ كنت في غاية المرض ،

Twitter: @abdulllah1994

أصبت بالكوليرا ، او بتشنجات لا تقل سوءاً . وأكاد لا
أقوى على الامساك بالقلم . حالما تتسلمين هذه الرسالة ،
تعالي إلي . إن بهجة رؤيتك سوف تعوض عن كل
احزاننا . يمكننا على الأقل ان نموت معاً . ليست لدي أية
رغبة في العيش . فقد أتممت « يوريكا » ، ولا استطيع
إنجاز شيء آخر . هناك بهجة في أن أعيش من أجلك ،
غير انه لا بد لنا من الموت معاً . لقد كنت كل شيء
بالنسبة لي ، حبيبة ، أماً محبوبة الى الأبد ، وأعز وأخلص
صديق . لم اكن في أي وقت مجنوناً حقاً ، الاّ في تلك
الأوقات التي تأثر فيها قلبي . لقد سجنت مرة منذ ان جئت
الى هنا ، بسبب إسرافي في الشراب . ثم لم أعد
لذلك . كان ذلك من أجل ڤيرجينيا . » .

ولكن ماذا بشأن « المتآمرين في القطار ؟ . . لقد كتب بو في أعلى رسالته للمسز كليم « بنيويورك » . غير انه كان واعياً تمام الوعي بأنه انما كتبها من فيلاديلفيا. هكذا يبدو انه كان يحاول اخفاء مكان إقامته لسبب لا يعرفه أحد سواه ، حيث كان يحس بأن هناك من يلاحقه . لم تتسلم المسز كليم رسالة بو الاّ بعد حين ، حيث كانت قد غادرت بيت لويس وعادت الى فوردهام ، كما لم يكن ممكناً ان تسافر لنجدة بو لأن خوفه من المتآمرين قد دفعه الى الأيحاء لها بأنه في نيويورك ، ولم يدر في خلده وهو في خضم تخبطه ان ذلك التمويه سوف يخفي أثره ليس فقط عن « المتآمرين » وانما عن « أمه العزيزة » التي كان في أمس الحاجة إليها .

بقي بو في فيلاديلفيا حتى الثالث عشر من تموز ، استدان خلال ذلك

Twitter: @abdulllah1994

بعض المال من صديقين هما الكاتب جورج ليبارد وتشونسري بير ، ثم غادر الى ريتشموند في الرابع عشر ، وكتب من هناك رسالة مفعمة باليأس الى المسز كليم :

« يا أمي الحبيبة ـ لقد مضت الآن ثلاثة اسابيع منذ ان رأيتك آخر مرة [أخطأ بو حيث لم تتجاوز المدة اسبوعين] ، وخلال ذلك ، لم يلتقط مدللك المسكين إيدي غير أنفاس الألم الشديد . ربما تكونين مريضة ، او أنك غادرت فوردهام في يأس ، او ميتة . اذا كنت ما زلت حية ، واذا ما استطعت فقط أن أراك ثانية ، فلن تكون هناك أهمية لاي شيء آخر . أحبك اكثر من ألف حياة ، الى حد انك كنت شديدة القسوة حين سمحت لي بالابتعاد عنك . ليس ثمة نتيجة من ذلك الّا الحزن . آه . . يا أمي ، ها أنا شديد المرض وأنا اكتب لك ـ غير انني قررت ، ليكن ما يكون ، ولن أنام ثانية قبل ان أريح قلبك العزيز قدر طاقتي . فقدت حقيبتي لعشرة ايام ، ووجدتها أخيراً في المحطة في فيلاديلفيا . ولكن (لن تصدقي) ، فقد وجدتها مفتوحة وقد سُرقت منها محاضرتان . آه يا أمي . . تخيلي تلك الصدمة التي تلقيتها حين فتحت الحقيبة في المساء ولم أجد المحاضرتين . لقد انتهت مهمتي الآن ، الّا اذا استعدتهما ، أو عدت لكتابة واحدة منهما على الأقل . إنني مدين بأكثر من حياتي لصديقي بير . لا تنسيه أبداً يا أمي طيلة حياتك . فحين خذلني الجميع ، وجدته صديقاً مخلصاً الى جانبي . أعطاني مالاً ورافقني حتى محطة عزبات ريتشموند . وصلت ومعي

Twitter: @abdulllah1994

دولاران ـ وها أنا أبعث اليك مع هذه الرسالة بدولار منهما . يا إلهي يا أمي ، هل سنلتقي ثانية ؟ اذا كان ذلك ممكناً ، آه . . تعالي إلي . . فقد أصبحت ملابسي في حالة مزرية ، وأنا مريض جداً جداً . اكتبي حالاً ـ لا تتلكئي . وليباركك الله أبداً ـ إيدي . »

يبدو انه قد ابتعد عن الشراب لبضعة أيام ، وقد أطمأن اذ تسلم رسالة من المسز كليم . وفي التاسع والعشرين من تموز ، كان أفضل حالاً ، وكتب الى المسز كليم قائلاً : « كان كل ذلك هلوسة ناجمة عما انتابني من مرض مفاجىء غريب لم اعهده من قبل ـ « المانيا آبوتو » ـ ارجو من السماء أن يكون ذلك بمثابة تحذير لي طيلة حياتي الباقية . . واذا كان ذلك ، فلن أندم على كل تلك العذابات الرهيبة التي مررت بها . كذلك كتب الى شريكه في مشروع المجلة ، باترسون ، قائلاً بأنه قد اضطر الى التأخير في فيلاديلفيا بسبب إصابته بالكوليرا ، كما كتب الى ليبارد ، راجياً منه أن يبحث ثانية عن المحاضرتين المفقودتين .

أقام ادغار في نزل مريح في مركز مدينة ريتشموند ، والتقى بأصدقاء قدامى وتعرف بأصدقاء جدد من بينهم سوزان آرتشر تالي ، وهي شاعرة شابة تعرف بها بواسطة شقيقته روزالي . تذكرت سوزان ذلك اليوم الذي جاء فيه ادغار لزيارتها بصحبة اصدقاء آخرين :

حين دخلت الصالة ، كان بو جالساً قرب النافذة يتحدث بهدوء . كان طبيعياً ووسيماً في مظهره ، وقد ألقى بأحدى ذراعيه فوق ظهر المقعد ، وسرح خصلات شعره الأسود الى الوراء بعيداً عن جبهته العريضة ـ على النحو الذي اعتاده دائماً ـ . احسست وانا أراه لأول مرة بأنني أمام سيد

Twitter: @abdulllah1994

مهذب أصيل المحتد وشهم . إنني استخدم هذه الكلمة بالذات « شهم » لأنها الصفة المثلى لما تنم عنه شخصيته بشكل عام ، وهي صفة مختلفة عن صفات التهذيب أو أصالة المحتد ، والتي رغم انها تبدو بوضوح ، الاّ أنها في ذات الوقت تمثل طابعاً معيناً يتعذر وصفه . نهض حالما دخلت، كما نهض بقية الضيوف ، غير ان ذراعه بقيت فوق ظهر المقعد ، منتظراً تحيتي . نم أسلوبه عن وقار ، واكتسى وجهه بأتزان دفعني تلقائياً الى التراجع ، إلى أن استدرت نحوه ، ورأيت عينيه وقد التمعتا فجأة اذ مددت له يدي . بدا وكأن الحاجز الذي بيننا قد ذاب ، وأحسست بأننا لم نعد غريبين » .

استعاد بو صحته تماماً ، بينما حذره أطباء ريتشموند من أن أية نوبة جديدة كتلك التي أصابته في فيلاديلفيا كفيلة بالقضاء عليه . إنتمى الى جميعة « ابناء ضبط النفس » ، وقال لأطبائه بأنه سيكون في افضل حال اذا لم يغوهِ أحد ما ، وكتب اليه باترسون قائلاً بأنه على استعداد لدعم المجلة على النحو الذي يريده اذا ما ضمن ألف اشتراك كبداية . ولأجل ملء الوقت الذي كان يسعى فيه لجمع الاشتراكات ، استأنف القاء المحاضرات ، حيث ألقى أول محاضرة حول « المبدأ الشاعري » في قاعة الحفلات الموسيقية في ريتشموند ، وذلك في السابع عشر من آب . جمع قليلاً من المال ، رغم أن محاضرته لقيت نجاحاً كبيراً وكتب الى المسز كليم قائلاً : « الجميع هنا يقولون بأنني اذا ما حاضرت ثانية ورفعت ثمن بطاقة الدخول الى خمسين سنتاً ، فسوف أجمع ما لا يقل عن مئة دولار . . لم أستقبل في حياتي بمثل ذلك الاستقبال الحماسي ، ولم تكتب الصحف عني الاّ الأطراء سواء قبل

Twitter: @abdulllah1994

المحاضرة أم بعدها . . » .

ها قد عاد بو الى عالمه الأليف ثانية . . وقد رحب به الجنوبيون أشد ترحيب . . ولعل أفضل ترحيب لقيه بو هو لقاؤه بسارة ألميرا رويستر شيلتون ، التي كانت قد اصبحت أرملة في ذلك الحين ، فقد تحدثا عن حبهما ، وعلم بو بأن والديها هما اللذان اعترضا طريقهما وأخفيا رسائله عنها ، وانها قد تزوجت بعد ذلك من شيلتون . أما الآن ، فليست هناك أية عقبة ، كما انها الآن امرأة بالغة الثراء .

طلب الزواج منها ، ورغم انها تلكأت في الرد عليه ، الا انه كان واثقاً بأنها سوف توافق . وفي منتصف آب ، اخبر المسز كليم بأن الاصدقاء قد سروا بخطبته هذه . ومع ذلك ، فإن ادغار لم يلتزم تمام الألتزام ، حيث كتب قائلا : « اريد ان أعيش قريباً من أني . . يجب أن أقيم في مكان أستطيع فيه ان أرى أني » . بل قد اقترح بأن يقيما هو وألميرا في مدينة لويل . كان واضحاً من هي التي احبها بو .

نفت ألميرا في وقت لاحق ان تكون قد خطبت لبو . وفيما يلي ما روته عن تلك العلاقة : « كنت أتهيأ للذهاب الى الكنيسة حين أبلغني خادم بأن سيداً في الصالة يريد مقابلتي . نزلت ، ودهشت اذ رأيته أمامي ـ عرفته في الحال . تقدم نحوي بحماس فائق وقال : أه يا ألميرا ، هذه أنت ! » أخبرته بأنني ذاهبة الى الكنيسة وأن شيئاً لن يحول بيني وبين ذلك ، وان بمستطاعه زيارتي في وقت آخر . وحين جاء مرة ثانية ، جدد خطبته لي ، ضحكت لذلك . بدا جاداً تماماً ، وقال بأنه يلح على ذلك ، وأنه قد فكر في هذا الموضوع منذ زمن طويل . ثم اكتشفت بأنه كان جاداً حقاً ، وبدأت افكر بالموضوع بجد . أخبرته بأنه اذا كان لا يريد جواباً بالنفي ، فلا بد ان يمنحني

Twitter: @abdulllah1994

الوقت للتفكير . رد بقوله إن الحب الذي يتردد ليس حباً بالنسبة له . غير انه جلس طويلاً ، وكان لطيفاً ومبتهجاً ، كرر زياراته لي ، غير انني لم أربط نفسي به أبداً . توسل بي وهو يغادر أن أتزوجه ، وعد بأن يكون على النحو الذي أتمناه في كل شيء . . . » .

وكان قد كتب الى المسز كليم مقترحاً أن تقوم ببيع ما لديهم في فوردهام والمجيء الى ريتشموند لحضور الزواج . لم تكن المسز كليم على استعداد للقيام بذلك ، كما لم يكن لديها أي مال ، بل انها كتبت الى غريزوولد في محاولة للحصول على ذلك لقاء المراجعة التي كتبها بو حول لويس . أما بو ، فقد سارت أموره على نحو جيد ، وقد قدم له زوج إحدى الشاعرات مئة دولار لقاء كتابه مقدمة لأعمال زوجته ، كما كانت محاضراته ناجحة . في الثامن عشر من أيلول ، كتب الى المسز كليم قائلاً :

يا حبيبتي مادي ـ تسلمت بعد عودتي من نورفوك ليلة أمس رسالتيك ورسالة المسز لويس المرفقة . لا أستطيع التعبير عن فرحي اذ علمت على الاقل بأنك في حالة جيدة وأنك متفائلة . فليباركك الله دائماً يا أمي العزيزة . عادت ألميرا قبل قليل من الريف . قضيت الامسية معها . أعتقد انها تحبني حباً يفوق أي حب عرفته من قبل ، ولا أملك نفسي عن حبها بدوري . مع ذلك ، لم يتم ترتيب اي شيء حتى الآن ، وليس من اللائق استعجال الأمور . ألقيت محاضرة في نور فوك يوم الاثنين الماضي ، وحصلت على ما يكفي لتسديد قائمة حساب النزل الذي أقيم فيه ، وبقي معي دولاران . لدي هنا جمهور رفيع ، غير أن نورفوك مدينة صغيرة ، وقد أقيم معرضان في نفس الليلة . سوف

Twitter: @abdulllah1994

أحاضر يوم الاثنين المقبل هنا ثانية ، وأتوقع حضور جمهور كبير . سأغادر الى فيلاديلفيا يوم الثلاثاء للاستماع الى قصائد المسز لود ، وربما أتوجه الأربعاء القادم الى نيويورك . اذا تم ذلك ، فسوف أتوجه حالاً الى المسز لويس وأبعث اليك لكي تحضري . سيكون من الأفضل أن لا أذهب الى فورد هام ـ الا تعتقدين ذلك ؟ اكتبي جوابك حالاً وابعثي به الى فيلاديلفيا مباشرة . اذا كان ذلك « ممكناً » ، فسأتزوج قبل مغادرتي . ولكن من يعرف . . مامي ، ما زلت غير قادر على ارسال حتى دولار واحد لك ـ ولكن تشجعي ـ اعتقد ان مشاكلنا قد أوشكت على الانتهاء . . . . » .

مع ذلك ، لم يكن كل شيء على ما يرام ، فقد طلب من المسز كليم ان تعنون رسالتها الى « ي . س . ت . غراي المحترم » ، وأن لا تكتب إسمها على الرسالة « خوفاً من أن لا أتسلم الرسالة » . كان خائفاً من شيء ما في فيلاديلفيا ، خائفاً أن يعرف أحد هويته ومكان إقامته . غرق في ديون كثيرة ، وتذكر ما حدث له في يلتيمور حين تهدد بدخول السجن . ولعل كل تلك المحن التي مر بها قبل فترة وجيزة في فيلاديلفيا قد أثقلت عليه ، أم تراه قد عاد الى الشراب وخضع ثانية لعذاب الهلوسة والهذيان ! حين ألقى آخر محاضرة له في ريتشموند ، لوحظ بأنه كان متوتراً على نحو غير معتاد ، وكأنما كان يناضل من اجل السيطرة على نفسه . كان وجهه شاحباً وعيناه تنمان عن اضطراب داخلي . توجه بعد الانتهاء من محاضرته الى منزل المس سوزان تالي حيث قضى الامسية معها ، وروت بأنها لم تشهد قبلاً على ذلك النحو من السرور والأمل بالمستقبل ، وأخبرها بأن رؤية اصدقائه القدامى قد

Twitter: @abdulllah1994

منحته الراحة ـ غير انه كتب الى غريزوولد طالباً منه أن يكون وصيه الأدبي في حالة موته على نحو مفاجيء . وعلى الرغم من تفاؤله ، فقد روت المس سوزان تالي ان مخاوف معينة قد سيطرت عليه ، وقالت : « كنا واقفين في الرواق ، وبعد ان سرنا بضع خطوات ، توقف واستدار ، ثم رفع قبعته في وداع أخير . . في تلك اللحظة ، ظهر شهاب لامع فوق رأسه مباشرة ثم اختفى في الشرق . . علقنا ضاحكين على ذلك ، غير انني ذكرت ذلك بأسى فيما بعد» .

رغم ان الميرا شيلتون رويستر قد أنكرت فيما بعد ارتباطها ببو ، الا انها كانت قد بعثت برسالة الى المسز كليم تقدم فيها صداقتها ، بل وحبها ، وتوضح بأنها لا تنوي أن تحل محل فيرجينيا في قلب إدغار . وبعد زيارة ادغار الأخيرة لها في السادس والعشرين من أيلول ، كتبت الى المسز كليم ثانية تقول بأن ادغار كان شديد المرض ، وانه ربما قد عانى من حمى وشكت في قدرته على السفر الى فيلاديلفيا في الصباح التالي . . غير انها حين ذهبت الى زيارته في الصباح التالي في فندقه ، وجدته قد رحل .

كان بو قد قضى الجزء الثاني من أمسية الاربعاء مع أصدقاء له في مطعم سادلر بعد أن مر على عيادة الدكتور جون كارتر لكي يودعه ويستعير منه « عصا ملقا » الخاصة به . لم يقرب الشراب في المطعم ، وبدا مرتفع المعنويات . في الساعات الأولى من فجر الخميس ، ركب القارب الى بلتيمور ، وأختفى في خضم كوابيسه .

وصل القارب بليتمور يوم الجمعة في الثامن والعشرين من أيلول . ويبدو ان ادغار قد توجه الى زيارة صديق قديم له هو ناثان بروكس ، غير أنه لم يجده . لا يعلم أحد ما الذي حدث بعد ذلك .

Twitter: @abdulllah1994

تشير إحدى الروايات الى وجود بو في فيلاديلفيا في حالة من الأرهاق والمرض الشديدين ، ويقال بأنه أخبر بعض اصدقائه أنه ينوي التوجه الى نيويورك . ولعل الدليل المادي الوحيد المتوفر هو تلك البطاقة العاجلة التي تسلمها الدكتور سنودغراس في الثالث من تشرين الأول :

سيدي العزيز ،

هناك سيد ذو ملابس سيئة جداً قرب المركز الانتخابي الرابع ، يعرف بأسم إدغار ا . بو . ويبدو أنه في حالة سيئة جداً ويقول بأنك تعرفه ، وأؤكد لك أنه في حاجة ماسة للمساعدة العاجلة .

المخلص / بسرعة

جوس . و. ووكر

كان ووكر ، وهو عامل طباعة في مجلة « البلتيمور سان » قد وجد بو ملقى على الأرض في شارع إيست لوبمارد على مقربة من فندق كان قد تم تحويله في ذلك الحين الى مركز إنتخابي بمناسبة إنتخابات الكونغرس . ويبدو أنه بحكم عمله الصحفي قد تعرف على إدغار ، أو أنه قد جلب انتباهه « بعصا ملقا » الملقاة الى جانبه والتي ميزته عن مجرد سكير عادي . ومهما كان الدافع الذي جعله يتوقف أمامه ، فهو ما لبث ان عرف بو كما عرف بأن بو يعرف سنودغراس الذي كان يقيم على مقربة من المكان . وحين وصل الدكتور سنودغراس الى المكان ، وجد بأن بو كان يضع ملابس غير ملابسه المعتادة ، وهي ملابس ذات نوعية رديئة جداً ولا تتناسب مع حجمه . إستدعى سنودغراس احد أقرباء ادغار، هنري هيرينغ ، ثم نقلاه معاً الى مستشفى واشنطن ،

Twitter: @abdulllah1994

حيث أشرف عليه الدكتور موران الذي كتب بعد ذلك الى المسز كليم قائلاً :

حين جيء به الى المستشفى ، كان فاقد الوعي ـ لا يدرك وضعه ولا من جاء به الى هنا ولا من يحيط به . بقي على هذه الحالة من الساعة الخامسة مساء ـ وهي ساعة دخوله المستشفى ـ حتى الساعة الثالثة صباحاً . كان ذلك في الثالث من تشرين الأول . ثم تبع ذلك ارتعاش في الأطراف واستسلم لحالة من الهذيان المستمر غير الشديد ـ أخذ يتكلم على نحو مستمر ـ كلمات لا معنى لها وهو يوجه كلامه الى أشباح خيالية فوق الجدران . كان وجهه شديد الشحوب ، وجسمه مغمساً بالعرق . لم يكن بإمكاننا أن نعيده الى هدوئه قبل اليوم الثاني من دخوله المستشفى . كنت قد أعطيت تعليماتي للممرضات بأن يتم استدعائي حالما يعود إلى وعيه . سألته عن عائلته ومكان إقامته وأقاربه . . الى غير ذلك . غير أن اجاباته كانت مشوشة وغير مقنعة . اخبرني ، مع ذلك ، ان له زوجة في ريتشموند (وقد علمت بأن ذلك لم يكن صحيحاً) ، وأنه لا يعرف متى غادر المدينة أو ما الذي حل بحقيبة ملابسه . حاولت ان انعش آماله المتردية على نحو سريع ، فأخبرته بأنني آمل أنه سيشفى خلال أيام حيث سيكون بمستطاعه التمتع بصحبة اصدقائه هنا ، وانني على استعداد تام لتوفير كل ما من شأنه ان يجلب له الراحة والأنشراح ، في تلك اللحظة ، اندفع بحماس فائق ليقول بأن أفضل ما يمكن أن يسديه اليه أصدق صديق هي

Twitter: @abdulllah1994

أن ينسف دماغه بطلقة مسدس ، وإنه أذ يدرك الآن
وضعه المزري فهو انما يتمنى ان يغوص في بطن
الارض . . الى غير ذلك من الكلام . ما لبث بعد ذلك أن
استسلم لاغفائه وتركته بعد قليل . حين عدت اليه ثانية ،
وجدته في حالة هستيرية عنيفة ، وقد اخذ يقاوم جهود
الممرضتين اللتين حاولتا إبقاءه في السرير » .

يوحي وصف موران لحالة بو بأنها حالة شديدة الشبه بما يعرف طبياً بأسم ـ ديليرياس تريمينز ـ وهو مرض يتخذ شكل العنف والهلوسة وفقدان الذاكرة وتسيطر على المريض افكار الموت ـ وهو مرض كثيراً ما يصيب الذين يسرفون في الشراب في حالة تعرضهم لمرض مفاجيء ، لم يكن المرض الذي اصاب ادغار هو مرض السكر ، لأن هذا المرض ليس مرضاً فجائياً . كذلك لم يكن بو « سكيراً » بمعنى الكلمة . واذا كان الأمر كذلك ، فإن ما يتوقعه المرء هو أن يموت بو بفعل الانحلال السكري التام دون حاجة لأن يضع قطرة شراب واحدة في فمه . اما وأن بو قد اعتاد أن يسرف في الشراب بين حين وآخر ، فلعل الأثر السام للكحول قد تضافر مع آثار مرض السكر المدمرة ، مؤدياً به الى تلك الحالة المأساوية المتسمة بالعنف الذي وصفه موران .

في مساء يوم السبت ، أخذ بو ينادي : « رينولدز ، رينولدز ! » كان جيريميا رينولدز هو الشخص الذي استمد منه بو فكرة « حكاية أرثر غوردون بيم » :

« ثم اندفعنا في عناق مع الشلال ، حيث انشقت هوة لكي
تتلقفنا . غير ان شكلا على هيئة إنسان ملتف بكفن ظهر

Twitter: @abdulllah1994

أمامنا ، وقد فاق حجمه حجم أي كائن بشري وكانت بشرته بيضاء ناصعة كالثلج » .

في الثالثة من صباح الأحد ، السابع من تشرين الأول ١٨٤٩ ، انشقت الهوة لكي تبتلع بو . وكانت آخر كلماته « فليساعد الرب روحي المسكينة » .

تم تشييعه يوم الثامن من تشرين الأول (وليس التاسع كما يذكر عادة) حيث دفن في المقبرة البرسبيتيرية الواقعة قرب تقاطع شارعي فاييت وغرين في بلتيمور . وقد أقام القداس قس ميثودي .

كان الكولونيل ألدين ويستون يعبر الطريق في تلك الأثناء . وقد نشر في آذار ١٨٤٩ وصفاً لجنازة بو في « البلتيمور سان » :

في أحد أيام تشرين الباردة الكئيبة ، وعلى النقيض من أيام ذلك الفصل التي تتسم عادة بالاعتدال ، كنت قد غادرت المنزل تواً حين لفت انتباهي نعش قادم في الطريق ، تتبعه عربات أجرة من النوع البسيط جداً . واذا مررت بالموكب الصغير ، دفعني إحساس غريب الى أن أسأل سائق عربة النعش «جنازة من هذه ؟ » ولدهشتي الشديدة ، كان الجواب : « المستر بو ، الشاعر » . كان ذلك أول نبأ أتلقاه عن موته الذي حدث في المستشفى في اليوم السابق (الأحد) ، حيث لم ينتشر هذا النبأ الا بعد التشييع . أستدرت حال سماعي ذلك نحو المقبرة التي تقع على مسافة قريبة . ولدى وصولي الى هناك ، هبط من العربات خمسة أو ستة رجال بينهم القس ، ثم ساروا وراء الكفن نحو القبر ، بينما مكثت أنا في الخلف كمجرد مراقب .

Twitter: @abdulllah1994

كانت مراسيم الدفن ، التي لم تتجاوز ثلاث دقائق ، فاترة الحماس ولا مسيحية الى درجة استفزت غضبي على نحو لم استطع اخفاءه. كان القريب الوحيد الذي حضر الجنازة محام بارز في بلتيمور . أما المشيعون الآخرون ، فكانوا من المستشفى والصحافة . بعد أن رحل هؤلاء ، تقدمت من القبر ، واشرفت على عملية عزق التراب فوق التابوت الى ان تمت تغطيته تماماً ، ثم عدت ادراجي بقلب حزين ، وعزائي الوحيد هو أنني كنت آخر شخص أرى النعش الذي ضم كل ما هو مندثر من إدغار ألان بو . » .

وفقاً لرواية نيلسون بو ، فقد شيع بو هو نفسه وهنري هيرينغ والدكتور سنودغراس وكولينز لي ، زميل ادغار خلال أيام الدراسة في جامعة فيرجينيا . وقد أضاف الكولونيل ويستون قائلاً :

كي لا نكون مجحفين بحق أهالي بلتيمور ، لا بد لي من القول أنه لو تم تأخير تشييع بو يوماً واحداً بحيث يتم انتشار خبر موته ، لجرت له جنازة اكثر مهابة وجدارة من قبل العديد من المعجبين بالشاعر في المدينة ، بل وفي انحاء فيرجينيا وأماكن أخرى » .

لم يكن اهالي بلتيمور هم الوحيدون الذين لم يسمعوا بنبأ موت إدغار . فالمسز كليم نفسها ، ورغم ما دهمها من قلق عليه منذ ان تسلمت رسالة ألميرا في أيلول ، لم تسمع بنبأ موته الا بعد ان تم نشره في صحف نيويورك . كتبت الى نيلسون حالاً ترجوه بأن يقول لها بأن النبأ غير صحيح غير انه أجاب : « لكم تمنيت من الله أن يكون في مقدوري أن أهدىء نفسك ، بالقول أن ولدك العزيز إدغار. أ. بو ما زال بين الأحياء . . فالصحف التي نشرت نبأ وفاته لم تقل غير الحقيقة التي

Twitter: @abdulllah1994

لا يسعنا الا البكاء والأسى عليها والتي لا نملك تغييرها . » .

أما كيف مات . . ولماذا ؟ لقد أعتقد الكثير من الناس ، وبجهود غريزوولد بالذات ، أن بو قد أسرف في الشراب الى الحد الذي أودى به . وما زال الكثيرون ممن لا يعرفون بو الاّ من خلال قصص الرعب وبعض القصائد ، يعتقدون ذلك . وقد برز بعد ذلك رأي آخر يقول بأنه نظراً للعثور على بو خارج مركز انتخابي ، فمن الأرجح أنه وقع ضحية « عصابة الخطف » ، وهي مجموعة من قطاع الطرق كان يتم استئجارهم خلال فترات الأنتخابات لكي يقوموا بخطف الناس وتخديرهم ، ثم جرهم الى خلف غرفة الاقتراع لكي يوقعوا على اوراق انتخابية مزورة لصالح مرشح معين . وهو تحليل معقول ـ وقد اعتقدت بصوابه لعدة سنوات ـ غير انني ما لبثت ان وجدت بأن هناك اسئلة كثيرة لا بد من إثارتها .

لماذا وجد بو مثلاً بثياب بدا واضحا انها ليست ملابسه ؟ . . من المستبعد جداً ان يكون « الخاطفون » قد تحملوا مشقة تبديل ملابسه . واذا كان هناك إحتمال بأن لصوصاً قد سرقوا ملابسه ، فلماذا لم يسرقوا « عصا ملقا » منه ؟ واذا كان قد حضر حقاً إحدى الحفلات الصاخبة ، فلماذا لبس الملابس الأخرى ؟

لن تتم الأجابة على هذه الأسئلة بالطبع . ولكنني أجد في نفسي الشجاعة لأيراد بعض الأحداث المتسلسلة التي يمكن أن تلقي بعض الضوء على رحلة بو المأساوية الأخيرة .

نلحظ في رسالة ادغار الأخيرة للمسز كليم ان خللاً ما قد أصاب اتزانه العقلي ، كما نستدل من رسالة ألميرا رويستر أنه قد غادر ريتشموند وهو مريض . إن ما لا نعرفه ، هو ما حدث له بعد وصوله الى بلتيمور في طريقه الى فيلاديلفيا (أو كما قيل بأنه قد ذهب الى

Twitter: @abdulllah1994

فيلاديلفيا ثم اراد التوجه الى نيويورك ، غير انه ركب خطأ قطاراً آخر) . في خضم حالته المضطربة الناجمة عن احتمال زواجه من ألميرا رويستر وحبه لأني ريتشموند ، اضافة الى خيالاته المربكة التي اضطرته الى الطلب من المسز كليم ان تموه رسائلها اليه ، فمن المحتمل جداً ان يكون بـو قد عاد الى تناول الكحول ، وهي التي طالما منحته الراحة والخدر وهو يخوض في مشاكله العديدة الأخرى . ويبدو ان استفحال أثر الكحول عليه قد زاد آلامه بدلاً من تخفيفها : ها هو الآن في ريتشموند بين اصدقاء قدامى يذكرونه منذ اكثر أيامه سعادة ، وهو الآن في بلتيمور حيث مشاهد صراعاته المبكرة وأول لقاء له مع فيرجينينا ، ويتوقع المرء أن يكون عقله قد أصبح في دوامة ، حيث لجأ الى الشراب اكثر فأكثر من اجل ان ينسى ، ربما يكون قد باع ملابسه واشترى ملابس رخيصة من اجل شراء المزيد من شراب الروم والبراندي ، بينما حال إحساسه بالكرامة دون ان يبيع « عصا ملقا » التي كان قد استعارها من الدكتور كارتر . في غمرة كل هذه الظروف ، وفي ضوء ما يحدثه الشراب من أثر مدمر في عقله وجسده ، فإنَ أمر انحداره الى تلك الحالة المؤسية التي وجده جوزيف ووكر عليها ، يصبح أمراً متوقعاً .

ارجو ان لا يقود ما أوردته من مناقشة الى تعزيز مقولة ان بو قد « شرب حتى الموت » . فالكحول ربما تكون قد لعبت دوراً في دفعه الى الموت ، ربما تكون العربة التي أقلته الى خارج هذا العالم ، غير أنها ليست السبب الأساس . فهناك خيط فاصل دقيق جداً بين « الشراب حتى الموت » وما حدث لادغار . لقد طرحت فكرة إصابته بمرض السكر ، وهناك شكوك طبية ازاء الأثر الذي يمكن أن تحدثه الكحول في مرضى السكر المزمن الذي لم يخضع للعلاج . وتقول

Twitter: @abdulllah1994

الاستشارة الطبية التي حصلت عليها بأن ما يتوقع لمصاب بمرض السكر في أيام ادغار ، هو الموت عبر غيبوبة عميقة . غير ان تدخل مفعول الكحول يمكن أن يؤدي الى نتائج مختلفة تمام الاختلاف . لقد كان من شأن كمية قليلة من الكحول ان تكمل المهمة التي بدأها مرض السكر .

والى جانب الاعتبارات الجسدية ، فلا بد من أخذ حالة بو العقلية بنظر الاعتبار . فقد اعترف ادغار نفسه للمسز كليم حين اعتقد بأن نيلسون بو سوف يتزوج فيرجينيا ، انه قد اصبح فريسة ازمة حادة ، وأن حياته لم تعد غير أزمة مديدة . وقد تجسدت تلك الازمة في الاخير بموت فيرجينيا ، ومحاولاته المحمومة من اجل الحصول على بديل لها. لا بد لنا هنا من تذكر « إلينورا » حيث تقوم المحبوبة الميتة بتحرير حبيبها من وعده المقدس ، وكذلك « ليجيا » حيث يغتال شبح الزوجة الميتة المرأة التي حلت محلها ، ماضياً بجثتها بعيداً . وكذلك « سقوط منزل آل أشر » حيث تعود شقيقة روح أشر من كفنها للمطالبة به . وربما يكون « المتآمرون » الذين تخيل ادغار لقاءهم في القطار هم « مبعوثو » فيرجينيا الميتة إليه . فالجو العام الذي يسيطر على رحلة بو الاخيرة انما هو جو الهروب المتعمد ، الهروب المحموم . كاد بو أن يستسلم في فيلاديلفيا حين حدث جون سارتان عن فكرة القاء نفسه في النهر ، غير ان صديقه قد انتشله من الهاوية انذاك . لم يكن لديه في بلتيمور أي صديق سوى الكحول ، ولشد ما كان يخشى هذا الحليف . ففي لجة حاجته للمرأة التي تحل محل فيرجينيا ، وخوفه من مغبة ربط نفسه الى امرأة اخرى ، شرب إدغار من المرجل الذي قدم اليه خلال هلوساته التي رواها لسارتان ، ثم ما لبث ان غاص فيه . لا يتوقع المرء نهاية أخرى للرجل الذي خلق روديريك أشر ـ الرجل الذي كان هو نفسه روديريك أشر .

Twitter: @abdulllah1994

خاتمـــــــة

مع موت إدغار ألان بو ، يمكن القول بأن عذابه قد أوشك أن يبدأ . وكان غروفوس غريزوولد الذي وصفه جون سارتان بأنه « مبتز شهير ، وقد أضطررت شخصياً أن أدفع له المال لكي يكف عن تعليقاته البذيئة على مجلتي » ، هو الذي تبنى عملية تغذية هذا العذاب . لقد احتفظ غريزوولد بحقده جراء الهجمات التي شنها بو عليه لمدة سبع سنوات ، حيث ما لبث موت بو أن أتاح له الفرصة للانتقام . ولعل بو قد أعتقد إذ طلب منه أن يكون وصيه الأدبي ، أن غريزوولد هو أنسب من يقوم بهذه المهمة بصفته جامع مختارات معروف . لم يكن إدغار أشد خطأ في حياته . ففي التاسع من تشرين الأول ١٨٤٩ ، أي بعد يوم واحد من تشييع ادغار ، دشن غريزوولد هجومه للنيل من سمعته :

مات إدغار ألان بو . مات في بلتيمور أمس الأول .
سوف يفاجأ الكثيرون بهذا الخبر ، غير أن الذين سوف

Twitter: @abdulllah1994

يحزنون عليه قليلون. لقد عرق الشاعر ، بشخصه أو بصيته ، في البلاد كلها ، وكان له قراء في انجلترا وفي العديد من دول القارة الأوروبية . غير أنه كان قليل الاصدقاء ، إن لم نقل عديمهم . ولعل الأسف على موته سوف ينبع بشكل رئيسي من أن الفن الأدبي قد خسر بموته أحد ألمع نجومه ، وإن لم يكن اكثرها غرابة في الأطوار .

ثم ما لبث غريزوولد أن أعاد نشر سيرة حياة بو التفصيلية الواردة في كتابه « شعر وشعراء من أميركا » ، وقد تضمنت تلك السيرة تفاصيل غير صحيحة كان بو قد رواها بهدف تزكية سمعته ، وهي معلومات اعتقد الكثيرون بصحتها لفترة طويلة . ثم استطرد غريزوولد قائلاً :

لن يكون في مقدورنا محاولة وصف شخصية المستر بو في هذه المقالة القصيرة العاجلة. غير أنه لا يسعنا الا الاشارة الى بعض الجوانب الاكثر إلفاتاً للنظر . كان حديثه في بعض الأحيان بليغاً الى درجة الإعجاز ، حيث كان يناغم صوته بمهارة فائقة ، بينما عيناه الواسعتان المتقلبتان تنظران بهدوء أو تقذفان الاضطراب في عيون مستمعيه، كما يتألق وجهه أو يستكين في شحوب لا حراك فيه وفقاً لتقلبات خياله الذي يصعد دمه تارة أو يعود به مجمداً الى قلبه . إستمد صوره من عوالم لا يمكن لأي بشر أن يراها الا بعين العبقري . وقد انطلق على نحو مفاجيء بفرضية بالغة الدقة والتحديد الى رفض أشكال المنطق المألوف ، وبعملية متنامية شديدة الصفاء ، شاد صوره البصرية على نحو بالغ العظمة المغرقة في ظلاميتها وعالمها المليء بالأشباح ، أو على نحو بالغ الجمال ، المترع بالبهجة والرشاقة ، وذلك بدقة ووضوح كبيرين ، بل وبسرعة فائقة بحيث لا يسع الانتباه الا ان يشد إليه وينغمر في خضم مخلوقاته الغريبة ـ وذلك الى أن يقوم هو نفسه

Twitter: @abdulllah1994

بتبديد ذلك السحر معيداً قراءه الى عالم الوجود السفلي عبر صور معبرة عن ابتذال ذلك العالم وعواطفه الدنيئة . . . كان يذرع الشوارع في حالة من الجنون والكآبة ، وهو يتمتم اللعنات المبهمة ، او بعيون شاخصة الى الأعالي بإبتهال عارم (ليس من اجل نفسه حين احس ، او عبر عن إحساسه ، بأنه إنسان ملعون) وإنما من اجل سعادة أولئك الذين كانوا في تلك اللحظة محط تأليهه ، او بنظرة منكسة في قلب يعصره الألم ، وبوجه مكسو بالعبوس ، يتحدى أشد العواصف ، ويقضي الليل بثيابه التي تنقط ماء ، وذراعيه اللتين تضربان في الريح والمطر ، ويتحدث كما لو كان بصحبة أرواح . . . » .

بعد أن يقول غريزوولد ان التجربة القاسية التي عاشها بو قد أفقدته إيمانه بالبشر جميعا ، يستطرد قائلاً :

« لقد اتخذ موقفاً ازاء تعقيدات العالم الاجتماعي ، وقد بدا النظام برمته بالنسبة له ، نظاماً قائماً على الخداع . وقد تحكم ذلك في شخصيته المتسمة بالفطنة والطبيعة غير الأليفة . فذكاؤه . . . قد قاده باستمرار الى الشطحات ، والفشل في تحقيق النجاح الشريف . . . . » لقد استوعبت عواطفه العديد من أسوأ الأنفعالات المعادية للسعادة الانسانية . فأنت لا تستطيع أن تناقضه دون أن تستفزه الى الغضب السريع . وأنت لا تستطيع أن تتحدث عن الثروة إلا وأمتقعت وجنتاه بالحسد الذي ينخر فيه . . . غضوب وحسود ـ سيء بما فيه الكفاية . غير أنه ليس أسوأ الجميع ، ذلك لأن تلك الانفعالات العارمة قد طليت جميعها بطلاء من السخرية الباردة المنفرة ، بينما عبرت عواطفه المختلفة عن نفسها بالتهكمات . . . كان شديد الرغبة في الصعود ، وهو ما يسمّى طموحاً في التعبير المبتذل ، وذلك دون رغبة أو إقامة أي اعتبار أو حب للجنس البشري ، وانما مجرد الرغبة الكاسحة في

Twitter: @abdulllah1994

النجاح . . للحصول على حق احتقار العالم الذي طالما جرح غروره » . [انتحل غريزوولد المقطع المحصور بين قوسين حرفيا من وصف فرانسيس فيفان في رواية « الكاكستونز » لأدوارد بولوار دون ان يشير الى ذلك ، موحياً بأنه وصفه الشخصي لبو] .

نشر غريزوولد مقالته هذه في « النيويورك تربيون » بأسم مستعار هو « لودفيغ » . وقد استمد العالم من هذه المقالة وغيرها ، المليئة بالأكاذيب والتشويه والتلفيق ، صورة لبو ما زالت بعض ملامحها عالقة في اذهان الكثيرين حتى يومنا هذا . ومع ذلك فإن ما تضمنته هذه المقالة من كذب وزيف واضح تمام الوضوح ، وذلك قوله مثلاً بأن بو كان « قليل الاصدقاء ، إن لم يكن عديمهم » ، حيث رأينا كيف أن ادغار قد عرف العديد من الأصدقاء . ورغم أن هؤلاء الأصدقاء قد تصدوا بالفعل للدفاع عن بو ازاء هجمات غريزوولد عليه ، إلا أن العالم قد فضل القبول بتلك الصورة التي رسمها ذلك الرجل الكريه ، صورة بو المجنون الذي يذرع الشوارع في حالة من الجنون والكآبة « وهو يتمتم باللعنات المبهمة » .

ربما يكون الحكم على بو بأنه سكير ومدمن على المخدرات أو مجنون أمراً سهل الوصول : حيث من الممكن أن يتم اعتبار حكاياته مجرد خيالات محمومة، وأن يتم التقليل من شأنها الى مرتبة الغرائب التي تشكل مادة لاشباع الفهم البشري لكل ما هو جديد وغريب ومروع . غير ان الحقيقة أصعب من ذلك . فبو لم يكن مجنوناً ، كما لم يفقد الوعي بفعل أثر الكحول أو بعض المخدرات . كان بو مريضاً وضعيفاً وأحمقاً . ولعل الأهمية التي تكتسبها أفضل قصصه هي انها قد شكلت وصفا لبو المرهف في أحاسيسه ، المنهار تحت وطأة المرض والضعف والحماقة . انها مؤشرات على مدى تردد خطواتنا اذ نتلمس

Twitter: @abdulllah1994

طريقنا عبر طرقات الروح المحفوفة بالمخاطر .

لقد قال جون ألان بأن مواهب بو قد كانت من النوع الذي لا يمكن أن يوفر الراحة لمن يمتلكها . غير أنني أعتقد بأن مواهب بو لا توفر الراحة لقرائه أيضاً . إن ما أنجزه إدغار ألان بو الحقيقي المضطرب هو أنه قد حذرنا على نحو مسرف في القسوة ، ودونما مهادنة ، من الشر الكامن في أعماقنا ، وأنه قد نبهنا الى أن هناك في أعماق كل منا ، شياطين يمكن أن تستفيق يوما وتبتلعنا . إن ما نأمله هو أن نكون أوفر حظاً من بو في التعامل مع شياطيننا .

Twitter: @abdulllah1994

Twitter: @abdulllah1994

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٨٨٥ لسنة ١٩٨٢

Twitter: @abdulllah1994

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر
١٩٨٢

السعر ١,٢٥٠ فلساً

Printed in Milano by YVE ITALIAN GRAPHIC

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
بغداد